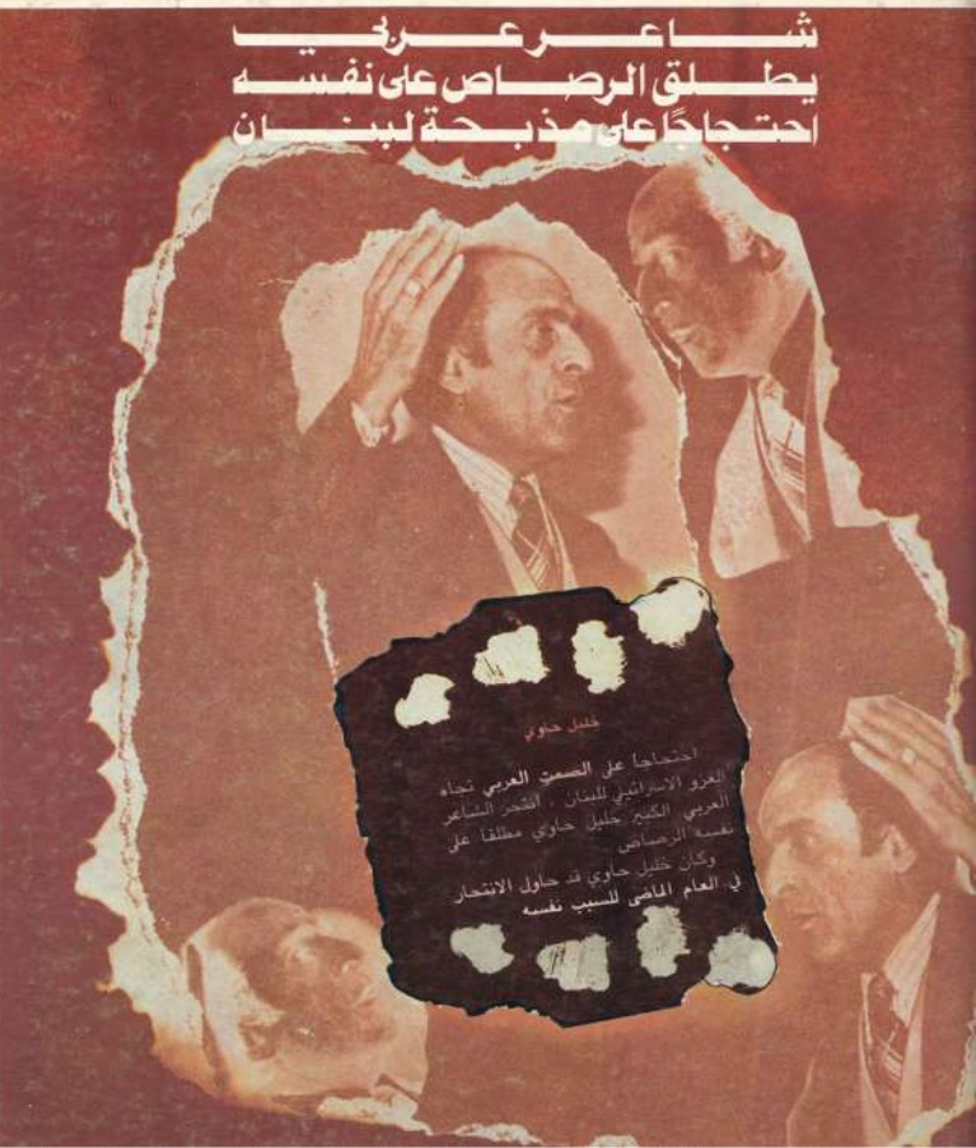
العدد ٨٠ ـ شوال ١٤٠٢ هـ ـ اغسطس ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

شاعر عربي يطلق الرصاص على نفسه احتجاجاً على مذبحة لبنان



خليل حاوي

احتجاجا على الصمت العربي تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان ، انتحر الشاعر العربي الكبير خليل حاوي مطلقا على نفسه الرصاص

وكان خليل حاوي قد حاول الانتحار في العام الماضي للسبب نفسه



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

● كتاب الشهر « حياة قصيرة » ... ...
● باقى من الزمن ٤٥٠٠ مليون سنة تم تموت الشمش ! ٧٨
● دائرة المعارف القرانية ... ...
د . محمد البهي ٨٣
● من محمد بن القاسم الثقفي الى السلطان محمود
الغزنوي ٨٤
كيف يضحك الرجل الأسود - ؟ ... ...
النور عثمان ابكر ٨٦
● المضروب « قصة » ... ...
عباس خضر ٩٦
● كلمات ... ...
● ديجول والجمهورية الخامسة ... ...
محمد العرب موسى —
● التشجيع ... ...
علي الطنطاوى —
● عبد الرجمن الوراق ... ...
خالد محسن اسماعيل —
● تفسيرات عربية لطيفة لاسماء البلدان ... ...
ابراهيم محمد الفحام —
● رحيل العصافير (شعر) ... ... —
م . كجراي ٩٩
● الحلي الذهبية القطرية ... ...
نجلاء العزي ١٠٠
● صلاح طاهر بدأ بالملاكمة وانتهى بالتمرد على الفن
الكلاسيكي ... ... صبحي الشاروني ١٠٨
● التحدي « شعر » ... ...
د . انس داود ١١٥
● جارتان « قصة » ... ...
حافظ احمد امين ١١٦
● هذا الكاتب العبقري هل هو خائن او عبيط - ؟ ...
جمال الكناني ١١٨
● العلم هو المستقبل ... ...
لبنى الريدي ١٢٢
● تمثيلية يابانية قديمة لمؤلف مجهول ... ...
نبيل الالفي ١٢٤
● اصوات نسائية في عالم القصة القصيرة القطرية
عبد الرحمن محسن ١٢٦
● دوحة الماضي ... ...
صلاح الدين المقريزي ١٢٩
● مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا ... ...
رءوف توفيق ١٣٢
● ضحكات الشهر ... ...
صلاح الليثي ١٣٨
● دوحة القراء ١٤٠
● استراحة الدوحة ١٤٤

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النقاش

مدير التحرير : عبد القادر حميدة
المدير الفني : أحمد فاضل
المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج : مرزوق بشير

التحرير : النور عثمان أبكر
عبد الله جابر
نادية رزق
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الاشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

من الخنـــــــــــــــادق ...
إلى الفنـــــــــــــــادق :

مأســـــــاة أمّـــــــة
في مأســـــــاة شـــــاعـــر

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

الأمم تصهرها المحن ، فتخرج منها بمعدن أصفى ، بعد ضراوة الحريق .. هذه قاعدة عامة أثبتتها شواهد تاريخية عديدة .

ولعل من أهم الشواهد التى تعنينا نحن العرب ، لأننا ندفع ثمنها من وجودنا وكرامتنا كل يوم ، التجربة التاريخية التى مر بها اليهود عبر تاريخهم ، وكيف عاشوا فى اختبارات متتالية أشبه ما تكون بالكوارث المتعاقبة جيلا بعد جيل . فلم يتخلوا عما كانوا يعتقدونه ويأملونه ، رغم استحالته تاريخياً طوال عهود تاريخهم المنصرم ، حتى واتتهم الفرصة ووافاهم الظرف التاريخى فتحالفوا مع قوى الاستعمار العالمى وعرفوا كيف يعبئون قواهم . ويستغلون نقاط ضعفنا ، ليحققوا حلمهم التاريخى الذى تقادم عليه العهد ، بعد فترة قصيرة جداً من التجربة المهلكة التى مروا بها فى المانيا النازية حيث تصور الكثيرون انهم لن تقوم لهم قائمة على الاطلاق ..

واليوم ، وفى خلال دخان المحرقة النازية التى اقامتها اسرائيل للشعب الفلسطيني وللشعب اللبناني (والتى تنتظر كل شعب عربى آخر مع اتساع المخطط الصهيوني) ، نقول من خلال هذه المحرقة الرهيبة ربما تصور الكثيرون ان اسرائيل قد نجحت فى القضاء على روح المقاومة فى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، ولكن إذا كان لتجارب التاريخ من معنى ، فان هذه المحرقة يفترض أن تكون المصهر الذى اذاب الشوائب والترسبات المحيطة بالمعدن الفلسطيني والعربى ، ليخرج هذا المعدن اشد نقاء واكثر صلابة ، إن لم يكن اليوم ففى الغد القريب . اقول : « يفترض ان .. » والباقى على الارادة العربية .

كل شىء يحترق

وانا اعلم تماما ، انه من اصعب الاشياء على الانسان العربى ان يتفاءل هذه الأيام ، بل أن يتجنب التشاؤم القاتم المهلك .. ومع الأيام الأولى للغزو الاسرائيلى للبنان ، انتحر الشاعر العربى اللبناني الكبير خليل حاوي ، شاعر الانبعاث والخصب ، لانه راى كل شىء يحترق دون ان يتحرك عصب حي ونبض حي فى هذه الامة يوقف المأساة ويرد على المذبحة .

وقرر حاوي ، بالصفاء والعفوية المعهودين فيه ان يصرخ فى الضمائر الناعسة ، لعلها تستيقظ ، فلم يجد اقوى من الانتحار فى زمن اصبح فيه القتل لغة



لتعاطى والتعبير بدل الكلمة والفكرة .

فهل تبلغت الأمة العربية نبا انتحار
حد شعرائها الكبـــار ، وهى التى تميز
تاريخها برفض الانتحار .. لانه كان تاريخ
عمل وصمود ومقاومة وايمان .. ولم يكن
خليل حاوي المتشبع بروح امته يفتقد كل
لك ، ولكنه راى امته تفتقد ذلك كله فى
متها الراهن ، وتتنكر لتاريخها ، فاراد
انتحاره وموته ان يكون تذكار الحياة لامته
. الحياة الحرة الكريمة المقبلة مع الغد
لآتى .. لقد تبلغنا الرسالة يا خليل ..

فهل تتبلغ امتك رسالة انتحارك ، لتعود إلى رسالة شعرك اى لتعود الى روحها الحقيقية التى كنت احد القلائل الذين عبروا عنها بصدق منذ ايام جدك الكبير ابى الطيب المتنبي الذى كان فى مقدمة من احببت .

نحن يا خليل ، رغم الانتحار ، ننتظر وننتظر « الانبعاث » كلمتك المحببة ، هو ما زال فى قلوبنا حقيقة ، ازدادت تاكيداً بعد انتحارك لأن انتحارك هو الاستشهاد فى سبيل الانبعاث الحقيقى المقبل ، ولانه الدليل الحي ، كحيوية الدم الذى تدفق من جسدك ، على انه يوجد فى هذه الامة ضمير واحد حي يشعر بالمهانة الى درجة الانتحار ، رغم كثرة الضمائر النائمة والغارقة فى اللامبالاة واللهو والهروب ومباذل الحياة الذليلة ومباهجها المخزية .

عندما ينتحر شاعر فى امة من اجـــل قضيتها ، لا يكون ذلك مدعاة يأس ، بل دليلا على بدء دبيب الحياة والحيوية والانبعاث فى الجسم العقيم المتجمد .. هكذا علمنا خليل حاوي .

وعندما يصمد مقاتلون ومقاومون فى خنادقهم حتى الرمق الاخير ، رغم تفوق العدو القتالي ، ورغم تخلى امتهم عنهم ، ويموتون وهم واقفون ، فذلك ايضاً دليل انبعاث جديد فى تاريخ الامة . ولا عيب ان يموت الانسان الصامد الفقير بالسلاح الفتاك المتفوق على سلاحه ، ولكن العيب ان يهرب وان تستسلم روحه للغزو ، وسيكون وقوف المقاتلين العرب فى لبنان طيلة اسابيع الغزو ، وامام جيش لم تقف فى وجهه الجيوش التقليدية كل هذا الوقت ،ولم تقاومه كل هذه المقاومة ، نقول سيكون هذا الوقوف التاريخي البطولي ، رغم كل ضحاياه وخسائره ، ورغم التسويات التى فرضت وتفرض على ابطاله ، تحولا تاريخياً حقيقياً فى حياة هذه الامة طال الزمان ام قصر .. هكذا علمتنا المقاومة الفلسطينية ـ اللبنانية .

الشعب الفلسطيني واللبناني اصغر شعبين من شعوب العرب عدداً . واجها اكبر عدو للعرب عدة وقوة وصلفاً .. وكتبا بداية هزيمته المعنوية والروحيـــــــة والتاريخية .. ومن لا يصدق فليقرا اليوم ما يكتبه مفكرو اليهود انفسهم فى امريكا واوربا ، بل وفى اسرائيل ذاتها ، عن الخراب والخواء الداخلى الذى اصاب الفكرة الصهيونية والروح الصهيونية والكيان الصهيونى ، وحول اسرائيل إلى مجرد قوة عسكرية غاشمة ، بلا قيم ولا اخلاق ، حتى فى ميزان القيم والاخلاق الغربية التى اعطت اسرائيل معنى وجودها فى البداية .

واذا كان خليل حاوى قد انتحر من شدة سوداوية المأساة العربية ، فان للصورة جانبها الآخر ، وللحقيقة وجهها الآخر ، ومن قلب اسرائيل تظهر شهادة فكرية بقلم



احد قادة اليسار الصهيوني الملتزم بفكرة ارض الميعاد وبفكرة الدولة الصهيونية ، يقول باعلى صوته ، وجيش اسرائيل ما يزال ينشر الدمار فى لبنان ، بان حكومة مناحم بيغن قد كتبت بيدها الآن كارثة الشعب اليهودى وماساته . وان اليهود قد نجوا من محرقة هتلر ليواجهوا محرقتهم الحقيقية بتصرفاتهم وفعل أيديهم ، وانه بعد كل ما فعله جيش اسرائيل بالفلسطينيين واللبنانيين ، فليس أمام اسرائيل ما تنتظره فى الغد القريب ، وقبل نهاية الثمانينات ، غير مصير الكارثة والماساة .

ويمضى المفكر والزعيم الاسرائيلى المذكور قائلا : « لقد تحولنا من دولة اسرائيل على أرض الميعاد إلى مملكة اورشليم الصليبية التى احتلت القلاع والمدن على طول الشاطىء الشرقي للبحر المتوسط واخذت تزرع فيه الخراب والدمار حتى جاءها صلاح الدين فى حطين » ..

للصبر حدود

وينتهى الى القول بانه يرى حروبا جديدة فى المنطقة سيقودها العرب هذه المرة ، وبقيادة مصر ، نعم بقيادة مصر ، لأن الذين ابتسموا لاسرائيل فى كامب ديفيد لن يسعهم أن يواصلوا ذلك بعد ما فعلته اسرائيل من جديد ولكل شىء حدود ، وللصبر حدود ، وللانتظار حدود ، وللنوايا الطيبة حدود . هذا ما قاله زعيم اسرائيلى قبل أسابيع .

وهذا ما يتوقعه اعداؤنا منا . فاللهم اجعلنا عند حسن ظن هؤلاء الاعداء بنا ، ولا تبقنا عند سوء ظننا بانفسنا .

والمهم ألا نبقى كما نحن الآن بين هارب يبغى السلامة لنفسه ولا يهمه مصير السفينة الغارقة ، مع انه سيغرق معها بقى فى المقدمة .. أم هرب الى المؤخرة ..

وبين متشائم يائس يرى فى الامر نهاية العالم ، ولا يرى ديناميكية الهبوط ثم الصعود فى مدارج التاريخ ..

المطلوب الآن ، بعد كل الذى حدث ، ورغم كل الذى حدث أن نطرح على أنفسنا السؤال الذى تطرحه الأمم الحية على نفسها غداة كل كارثة : «والآن ما العمل ؟»

ثم ننصرف الى العمل ، دون كثرة ضجيج وبكائيات ، ومناحات ، وقيل وقال ، وتنظير طويل لاطائل وراءه .

هناك فقط حقائق أساسية بسيطة ولكن هامة جداً ، لابد أن نتبينها باقصى قدر من الوضوح من وراء دخان الحريق والخرائب :-

أولا : ان المشكلة عربية - عربية قبل أن تكون عربية - اسرائيلية . هناك أزمة عميقة تتناول الوجود العربى كله ، وما لم نعالج هذه الأزمة ونحسمها ، فان قتالنا ضد اسرائيل سيظل مثل قتال المصارع الذى يعانى من نزيف داخلى حاد وهو يحاول التحرك على حلبة المصارعة فى مجابهة خصمه الشرس .

ثانيا : ان ساحة المجابهة هى الساحة العربية كلها شئنا أم أبينا . هذه الساحة قادمة وعلينا ان نعرف كيف نحركها ونوظف طاقاتها . فكلما قصرنا المجابهة على بلد عربى واحد ، وتركناه وحده فى صراع الوجود ضد العدو ، كما فعلنا مع مصر من قبل ، ومع لبنان اليوم ، فان النتيجة لن تكون غير المزيد من الكوراث ، وهذا ما يريده العدو ، إنه يريد الاستفراد والتصفية جبهة بعد جبهة ، وما لم يكن الرد جماعياً من جانب العرب وعلى امتداد وطنهم الكبير كله ، فان الهزيمة ستظل دائماً من نصيبهم .

ثالثا : ان خصمنا الاساسى هو أمريكا والغرب بعامة ، واسرائيل ليست سوى جسر الغزو ، ومخلب القط ، وما لم نقرر مجابهة العدو الأساسى ، ونستعد لذلك ، ونقتدر عليه ، فان رؤيتنا للمعركة ستظل قاصرة ، ولم تبدأ الهزائم العربية إلا بعد رفع الشعار القائل : نحن لانستطيع مناطحة أمريكا !! ..

ولكن ما العمل اذا كانت أمريكا مصممة على مناطحتنا حتى آخر رجل وامراة وطفل ؟!

رابعاً : ان العدو متفوق علينا ، وسيظل متفوقاً بالسلاح الحديث وبالقدرة على استخدام جيشه النظامى ، واذا بقينا على اسلوب مجابهته بالجيوش التقليدية والأسلحة المحدودة التى تصل هذه الجيوش من الشرق والغرب ، فان الوضع الحالى لن يتغير ، لابد أن نصل فى النهاية الى النتيجة التى لامهرب منها : وهى أن أى شعب فى العالم الثالث لايستطيع أن يواجه قوة تكنولوجية غازية متفوقة إلا باسلوب حرب الشعب بمعناها الواسع وطرقها المتعددة . كما فعل الفتناميون بالجيش الامريكى ، وكما فعل الجزائريون من قبلهم بالجيش الفرنسى ، والأمثلة كثيرة والنماذج التاريخية متعددة ووافرة لمن يريد دراستها والعمل على ضوئها .

خامساً : غير أن اتخاذ هذا القرار وتنفيذه يتطلب التزامات كثيرة وشروطاً متعددة لايبدو أن الأطراف العربية قادرة على مواجهتها حتى الآن .

فهذه المواجهة الواسعة الطويلة الأمد تتطلب شد الأحزمة ، وترك الاستهلاك والبذخ ، والاستعداد للتضحية ، وخلق مجتمع الحرب والمشاركة بين الغنى والفقير من شعوب الأمة فى السراء والضراء ، وباختصار أن تكف أمتنا عن الانشطار المخجل الذى تعيشه الآن ، حيث بعضها فى الخنادق .. وبعضها الآخر فى الفنادق !

إن المعاناة طويلة طويلة .. ولكن بين انتحار خليل حاوى من سوداوية المأساة ، وتخوف مفكرى اليهود على مصيرهم من صحوة العرب ، ما يضع خيطاً أبيض على الخيط الأسود .

د . محمد جابر الأنصارى

ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره تعدّدت الأسباب والموت واحد

بقلم : رجاء النقاش

في سنة ١٩٤٨ انتحر في مصر مستشرق يهودي كان يعمل أستاذاً للأدب العربي في جامعة القاهرة ، وكان هذا المستشرق واسمه « بول كراوس » محبوباً من تلاميذه وأصدقائه الكثيرين في مصر ، ذلك لأنه كان محباً للعرب مؤيداً لقضيتهم واسع المعرفة بالتراث العربي ، وكان إنساناً بالغ الرقة عميق العاطفة ، وقد حدثني عنه أستاذي الأديب العالم المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني . وكان الأهواني معروفاً بعلمه ووطنيته وصدق عروبته ، ولذلك كان حديثه عن المستشرق اليهودي عندي موضع ثقة ، وقد قال لي الأهواني : إن السبب الرئيسي في انتحار «بول كراوس» هو قيام اسرائيل وحرب ١٩٤٨ بين اليهود والعرب ، وكان « بول كراوس » يعارض قيام اسرائيل ، ويرى في ظهور هذه الدولة خطراً كبيراً على العرب واليهود معاً ، وقد توقع بعد حرب ١٩٤٨ أن يصبح بقاؤه في مصر صعباً ، وكان قد أحب مصر وأحب تلاميذه وكتبه فيها ، فاعتبر أن حياته فقدت معناها ، وانتحر محتجاً متألماً .

تذكرت هذه الحادثة وأنا أقرأ في الصحف نبأ مشابهاً وهو نبأ انتحار الشاعر العربي اللبناني الكبير خليل حاوي يوم ٢٠ يونيو الماضي ، احتجاجاً على الغزو الاسرائيلي للبنان ، واحتجاجاً على سلبية العرب إزاء هذا الغزو ، وكان قد مر على الغزو يوم انتحار الشاعر أسبوعان ، ولم يتحرك العرب في خلال هذه الفترة لمساعدة اللبنانيين والفلسطينيين بغير الخطب والكلمات وأناشيد الاذاعة والتليفزيون وعلب الأغذية المحفوظة ، وقد ترك الشاعر خليل حاوي رسالة يعبر فيها عن ألمه واحتجاجه ، ولكن هذه الرسالة لم تصلنا ، ومازالت « الرسالة » محاصرة حتى كتابة هذه السطور في ١٨ يوليو ١٩٨٢ ،

ومن لم يمت بالذبح مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

مثلها مثل كل شيء في بيروت الغربية . والحادثان .. حادث انتحار بول كراوس اليهودي سنة ١٩٤٨ ، وحادث انتحار خليل حاوي العربي سنة ١٩٨٢ ، يكشفان عن « مغزى عام » واحد ، ذلك هو الرفض الكامل عند كل إنسان شريف ـ مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً ـ للنزعة الصهيونية التدميرية التي زرعها الاستعمار الغربي في الأرض العربية قبل أن يرحل عنها .

ولنترك قصة « بول كراوس » جانباً ، فليست هي موضوع حديثنا اليوم ، ولنقف أمام مأساة الشاعر العربي خليل حاوي ، ذلك الفنان الموهوب والانسان الطيب الذي لم يحتمل قلبه ولا عقله ولا ضميره تعقيدات الحياة الصعبة المضطربة من حوله ، فانهار وآثر الانتحار .

مأساة ومذبحة

والذي لاشك فيه أن مأساة لبنان كانت هي الدافع الرئيسي للانتحار عند الشاعر العربي ، وليست المشكلة هي « الغزو الاسرائيلي » وحده ، بل إن المشكلة أكبر من ذلك وأشمل وأعمم ، ذلك أن الغزو اللبناني كانت له مقدمات لا تقل عنه قسوة وعنفاً ، فلبنان منذ سنة ١٩٧٥ لم يعرف السلام أو الهدوء والاستقرار ، كان لبنان منذ ذلك الحين بلداً ممزقاً تنفجر فيه الحروب الصغيرة في كل مكان ، وفي أي لحظة من لحظات الليل أو النهار ، وكان الانسان في لبنان يعيش بالصدفة ، ويموت بالصدفة ، ولا ضمان له في حياته ، ولا كرامة له في موته ، فقد كان الانسان يموت في الشارع أو في سيارة أو على باب داره أو في مكتب عمله أو في حجرة نومه ، وعندما اتذكر محنة بيروت ، أجد أن كثيراً من الوجوه العزيزة قد لقيت مصرعها في المذبحة اللبنانية التي ابتدأت سنة ١٩٧٥ فالانسانة الطيبة بلقيس زوجة نزار قباني لقيت مصرعها تحت انقاض السفارة العراقية التي انهارت بعد انفجار سيارة ملغومة على بابها ، وكانت بلقيس تعمل موظفة بالسفارة ، وكانت بعيدة كل البعد عن الانتماء إلى هذه الجماعة المسلحة أو تلك ، وباختصار ، فانها كانت « مواطنة عادية » ، ومع ذلك لم تنج من سيف الجزار وانتهت حياتها تحت ركام من الطوب والتراب ، والصحفي الكبير ابراهيم عامر مات محترقاً وهو داخل المطبعة يؤدي واجبه عندما هوجمت الصحيفة التي كان يعمل بها في إحدى ليالي بيروت ، والكاتب المثقف العربي الدكتور عبد الوهاب الكيالي مات في مكتبه برصاص أطلقه عليه مجهولون في وضح النهار ، وكان عندما تلقى الرصاص في صدره يعمل في دار النشر التي انشأها ، والتي كانت بغير مبالغة أعظم دار للنشر ظهرت في الوطن العربي كله في السنوات الأخيرة ، وكان الكيالي مليئاً بالحماس والاخلاص والطموح الكبير من أجل خدمة الأمة العربية والثقافة العربية .

ومئات ، بل آلاف غير هؤلاء ، ممن نعرفهم أو لا نعرفهم ماتوا بطريقة أو بأخرى في دوامة المأساة اللبنانية ، أما الذين عاشوا ونجوا من المذبحة ، فقد عاشوا ونجوا بالصدفة ، وما كان منهم أحد يعرف مصيره في الدقيقة التالية من حياته وقد تعرض الجميع لهذه المحنة ، من « كمال جنبلاط » أشهر وألمع شخصية سياسية في لبنان ، وقد قتل وهو في طريقه إلى بيته ، إلى أصغر طفل مجهول في أصغر حارة في بيروت .

قوة المبادىء

في هذا الجو المأساوي عاش الشاعر خليل حاوي ، ولم يكن خليل قادراً على أن يستوعب هذه الفوضى غير الانسانية ، فقد كان شاعراً حساساً وكان في حقيقته شخصية بسيطة لا تجيد إخفاء عواطفها وانفعالاتها ، ولا تحسن السيطرة على أعصابها ، ومن هنا جاء يأس الشاعر وغضبه ، ثم انتحاره ، عندما أحس أنه لا حيلة له أمام هذا العذاب .

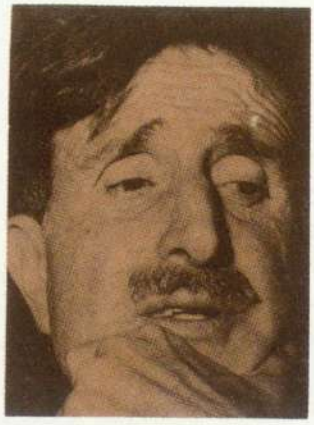
كانت مأساة لبنان هي السبب المباشر في انتحار الشاعر ، وكان عجز الشاعر عن مواجهة المأساة دافعاً قوياً لاقدامه على ما فعل من التضحية بحياته وإطلاق الرصاص على نفسه ، وقد قضى الشاعر على حياته وعنده أكثر من فرصة لانقاذ نفسه لو أنه تخلى عن مبادئه وأفكاره ، فهو مسيحي لبناني ، وكان باستطاعته أن يرتمي في أحضان حزب الكتائب الذي يدعي أنه يمثل المسيحيين ويحميهم في لبنان ... كان باستطاعة خليل حاوي أن يتصرف مثل الشاعر المسيحي اللبناني سعيد عقل الذي يقف في صف الكتائب واسرائيل وسعد حداد ، ويلقى نتيجة لهذا الموقف كل التكريم والحماية من القوى المعتدية الظالمة . ولكن خليل حاوي على عكس سعيد عقل ، كان مؤمناً بعروبة لبنان ، مؤمناً بعدالة القضية الفلسطينية ، وكان يحس إن إيمانه بالعروبة سوف يمنحه كل القوة والعزم على مواجهة الحياة ، ولكن الموقف العربي الراهن بما فيه من تمزق وانقسام قد خذل الشاعر ، وخذل وطنه الصغير : لبنان ، وهكذا اختار الشاعر أن يطلق الرصاص على نفسه ، لعله بهذا الموقف أن يرفع صوته بالالم والاحتجاج ، حيث لم تكن الكلمات ولا

إن الشاعر لم يجد ما يفعله في مواجهة المأساة ، فلم تكن كتابة القصائد عملاً مقنعاً في ظل الدمار الذي يهدد الحياة والانسان في لبنان ، ولم يكن موقف « المتفرج » بالموقف الذي يرضى عنه الشاعر بعد أن وجد وطنه يحترق ، والقضية العربية التي آمن بها طيلة حياته تتعرض لأعنف الضربات ، ولا أحد في العالم كله يفعل شيئاً لايقاف المذبحة ورد العدوان .

ولاشك أن الانتحار لا يمكن أن يكون حلاً للمشكلة ، والعالم الذي لم يتأثر بآلاف القتلى الذين راحوا ضحايا المذبحة الاسرائيلية ، ولا بصور الدمار التي نتجت عن الغزو الصهيوني ، ولا بالاطفال الضائعين التائهين الذين لا يجدون طعاماً ولا مأوى .. هذا العالم الهادىء البارد الأعصاب ، لن يتأثر بانتحار شاعر وصل



خليل حاوى
مات منتحراً برصاص اطلقه على نفسه



كمال جنبلاط
مات قتيلا فى طريقه إلى بيته ببلدته « المختارة »



عبد الوهاب الكيالى
مات فى مكتبه برصاص اطلقه مجهولان



بلقيس العانى
ماتت تحت انقاض السفارة العراقية فى بيروت

إلى اقصى حدود اليأس ، فاطلق الرصاص على نفسه .

وليس هناك مزيد من الحديث يمكن تقديمه عن ظروف انتحار الشاعر ، فمازالت المعلومات عن ظروف هذا الانتحار محاصرة مع بيروت الغربية ، ولكن دراسة فن الشاعر وشخصيته من خلال قصائده ، سوف تكشف لنا أن الشاعر كان يعانى الوانا متعددة من الصراع ساعدت على أن تضع مثل هذه النهاية المأساوية لحياته .

وقد اتيح لى ان اتعرف على الشاعر منذ سنة ١٩٦٣ ، وأن التقى به عدة لقاءات خلال زياراتى المختلفة للبنان ، كما ربطتنى صداقة ادبية خالصة مع خطيبته التى انفصل عنها بسبب ما كان يعانيه من اضطراب وقلق وتوتر عصبى ، وكانت هذه الانسانة الفاضلة ، والاديبة الفنانة ، كفيلة بشخصيتها المخلصة القوية ، أن تغير من نظرة الشاعر المتشائمة إلى الحياة ، وتساعده على تخليص روحه من قبضة اليأس التى انشبت اظافرها فى قلبه ، ولكن سوء حظ الشاعر دفعه إلى تدمير هذه العلاقة الوحيدة التى كانت قادرة على إنقاذه .

نزعة انتحارية

كان خليل حاوى شاعراً له قيمته ، وقد ترك وراءه ثلاثة دواوين هى : « الناى والريح » و « نهر الرماد » و « بيادر الجوع » ولم يكن خليل حاوى من المكثرين فى كتابة الشعر ، ولم يكن شعره – رغم قيمته وعمقه – غنياً بموسيقاه وانغامه ، بل كان شاعراً « خشناً » صعباً ، مليئاً بالرموز والأساطير ، ومن هنا فان الشاعر لم يحصل على شهرة واسعة بل كانت شهرته محدودة بدائرة ضيقة من الادباء والقراء المثقفين الذين يصبرون على فهم شعره الصعب ، حتى يتمكنوا من الوصول إلى منابع الجمال فيه .

وإذا كان العامل المباشر فى مأساة الشاعر هو الغزو الاسرائيلى ، وما سبقه من صراعات مزقت لبنان ، وجعلت حياة الانسان فيه رخيصة ، فان شعر خليل حاوى يكشف جوانب اخرى من الصراع ، عاشت كامنة فى نفس الشاعر ، ثم انفجرت كلها بعد احداث لبنان ، فادت بالشاعر إلى الانهيار والدمار .

ويندر أن يندفع فنان كبير إلى الانتحار دون أن تكون لديه بذور من الاستعداد والميل إلى هذه النهاية ، ودون أن يكون – فى الأصل – ضحية لصراعات لم يستطع أن يصل فيها إلى حل أو نتيجة ، وهكذا كان خليل حاوى ، فقد كانت لديه بذور لما يمكن أن نسميه بالنزعة الانتحارية ، وكان واقعاً تحت ضغط صراعات لم يجد لها حلا صحيحاً فى نفسه وحياته .

وتكشف لنا قصيدة « الناى والريح » عن اول جانب من جوانب الصراع فى نفس الشاعر ، وقصيدة الناى والريح قصيدة طويلة ، وهى القصيدة التى سمى بها الشاعر اسم مجموعة من مجموعاته الشعرية الثلاث ، وفى هذه القصيدة نكتشف جزءاً من الأرضية التى قامت عليها نزعة الشاعر الانتحارية ، فمن خلال هذه القصيدة ندرك أن الشاعر لم يستطع أن يتلاءم مع الحياة ، ولم يستطع أن يجد فى مجتمعه ما يحقق له وجوده بالصورة التى يحبها ويطمئن إليها ، فالفنان فى المجتمعات المتقدمة يستطيع أن يعيش من فنه ولفنه ، ولكن الفنان العربى كثيراً ما يعجز عن ذلك ، مالم يكن غنياً – من الأساس – وقادراً على الاستقلال الاقتصادى ، فلا يضطر إلى الخضوع للقيود المفروضة عليه ، ولم يكن خليل حاوى من الاغنياء أو القادرين على تحقيق الاستقلال الاقتصادى الذى يحرره ، ولم يكن – من ناحية اخرى – من اصحاب العقلية التجارية الماهرة التى يتميز بها معظم اهل لبنان منذ قديم الزمان ، ومن هنا سقط خليل حاوى بصورة عنيفة فى الصراع بين طبيعته الفنية المتحررة ، وبين وظيفته كاستاذ فى الجامعة الأمريكية ، وهى الجامعة التى لا يؤمن بها ولا يوافق على السياسة التى تقف وراءها .

وهنا لابد من الاشارة إلى حقيقة اخرى ساهمت فى إشعال هذا الصراع فى نفس الشاعر ، فما من مؤمن بالعروبة وداعية صادق لها استطاع أن يجد لنفسه مكاناً اجتماعياً آمناً فى مجتمع لبنان او استطاع أن يحصل على فرصة حقيقية ، وخاصة إذا اشتغل بالوظائف العامة ، ومن بينها وظيفة أستاذ فى الجامعة ، ففى التكوين الطائفى للدولة اللبنانية ما يقف فى وجه هذا النمط من المؤمنين بالفكرة العربية

ومن لم يمت بالذبح مات بغيره
تعدّدت الأسباب والموت واحد

ويحول دون تقدمهم فى الحياة ، وقد كان خليل كما سبقت الاشارة يستطيع أن يستغل « مسيحيته » فى اجتياز الحواجز والتقدم فى الحياة الاجتماعية ، ولكن الشاعر المفكر ، تمسك بعروبته ورفض التخلى عن إيمانه بها ، وقد سمعت أن دوائر حزب الكتائب كانت تعتبره أقرب إلى المسلمين وتشن عليه حملة عنيفة ، ولا تنظر إليه كواحد من المسيحيين بسبب موقفه المنحاز إلى انتماء لبنان العربى ، وهكذا كان إيمان خليل حاوى بعروبته مع مسيحيته ، سبباً فى خلق عوائق كثيرة حالت بينه وبين التطور الاجتماعى فى الوظائف والمناصب العامة فى لبنان .

كل هذا الصراع الذى دار فى نفس الشاعر وعقله انتهى به إلى « حالة » من الاحباط فى حياته الشخصية فلم يوفق إلى بناء أسرة رغم أنه مات فى الستين أو ما يقرب من هذا العمر ، وانتهى به أيضا الى الاحباط العام ، لاحساسه بأن مجتمعه ينفجر من الداخل وأنه يتخلف ولا يتقدم ، وأن الآمال الكبيرة التى بناها على عقيدته العربية ، لم تحقق نتيجة مثمرة له أو لبلاده ... ثم جاء الغزو الاسرائيلي فقضى على كل آماله ، ووصل إحساسه بالاحباط إلى أقصى مداه فانهار وانتحر .

الناى والريح

نعود الى قصيدة «الناى والريح» لنقف على الجانب القديم والبذرة الأساسية للصراع فى نفس الشاعر ، وعندما نحاول الدخول الى عالم القصيدة نجد انفسنا أمام سؤال يواجهنا فجاة هو : كيف نقرا هذا الشعر ؟ إن هذا السؤال رغم مظهره الساذج البسيط هو مفتاح اساسى لفهم شعر خليل حاوى وغيره من شعراء الجيل الحالى . لأن نوع القراءة يشير الى نوع الشعر نفسه ، فاذا اردنا أن نقرا قصيدة للمتنبى مثلا ، أو لأى شاعر قديم ، فان المطلوب منا هو أن نعرف الالفاظ الصعبة ، وأن نعرف الموضوع الذى قيلت فيه القصيدة ، وأن نعرف الحوادث التاريخية أو الأمكنة التى تشير اليها القصيدة .

هذا هو المنهج الذى يجب أن نلتزم به فى قراءتنا للقصيدة العربية القديمة وبعدها نستطيع أن نتذوق قصيدة الشاعر ، وأن نعرف ماذا يريد ، وماذا يدور فى نفسه وقلبه ، دون أى صعوبات اخرى على التقريب .

فهل يصلح هذا النوع من القراءة مع شاعر جديد مثل خليل حاوى ؟

إنه لا يصلح بالتاكيد . خاصة مع النماذج الشعرية التى تقوم على الرمز ، والتى تقوم على تصوير حالات نفسية قلقة مليئة بالصراع الداخلى العميق ، ففى هذا النوع من الشعر تختلف المسالة تماما ، قد نقرا القصيدة من اولها الى آخرها دون أن نجد لفظا واحدا صعبا على الفهم ، ولكننا نحتاج الى أن نقف طويلا امام كثير من الالفاظ ، فلو وجدنا لفظ «الريح» مثلا عند شاعر عربى قديم فاننا نعرف انه يريد من اللفظ معناه المباشر فى معظم الاحوال ، ولكننا إذا وجدنا اللفظ نفسه عند شاعر جديد ، فاننا لا نستطيع أن ناخذ المعنى على وجهه المباشر ، بل يجب أن نتانى ونتريث فى محاولة الفهم . فكلمة الريح قد تعنى عند الشاعر معانى عديدة ... قد تعنى الثورة ، او تعنى الانفعال العاصف العنيف ، او تعنى التجربة الانسانية القاسية . على أن فهم الالفاظ ليس هو الصعوبة الأولى فى قراءة الشعر الحديث ففى الشعر القديم نستطيع أن نحدد بسهولة موضوع القصيدة فهذه قصيدة مدح او رثاء ... الخ ، ولكننا فى الشعر الحديث لا نستطيع أن نفعل هذا ، لأن موضوع القصيدة عادة يكون اكثر تعقيداً بكثير ، إنه تجربة انسانية ، ومن الصعب تحديد التجربة فى كلمة واحدة بصورة نهائية .

رموز وأساطير

وعندما نقرا قصيدة «الناى والريح» للشاعر خليل حاوى ، نحس أن بناء القصيدة يقوم على الاستعانة الكاملة بالرموز والأساطير ، سواء كانت هذه الرموز والأساطير مستمدة من تراثنا القديم او كانت من ابتكار الشاعر نفسه . ولا يمكننا فهم القصيدة بمجرد الفهم المباشر لما فيها من الفاظ ، فالالفاظ كثيراً ما تاخذ معنى خاصاً بالشاعر وحده ، كذلك ينبغى أن نبحث بنفس التانى والجهد عن التجربة الانسانية التى تعبر عنها ، بل إن هذه التجربة هى اول شىء يجب أن نعثر عليه ، لأن التجربة سوف تضىء لنا القصيدة كلها بالفاظها ورموزها .

والتجربة الانسانية التى يعبر عنها خليل حاوى فى قصيدة «الناى والريح» هى تجربة ذاتية عاشها الشاعر عندما كان يدرس فى جامعة «كمبريدج» فى انجلترا ، فقد تعرض هناك الى صراع عنيف ، والصورة الأولى لهذا الصراع قائمة بين «الطبيعة الفنية» التى تدفع الشاعر الى التحرر والانطلاق وبين «الواقع الدراسى» الذى يفرض عليه نظاماً قاسياً ويفرض عليه أن يدفن نفسه بين الكتب ، فيدرس ويقرا ويتعلم حتى يتمكن من نيل شهادة والحصول على مكان تحت الشمس . وهذا الصراع نفسه له صورة أخرى ، فكما أن الطبيعة الفنية للشاعر تدعوه الى التحرر من حجرة الدراسة المغلقة ومن النظام الصارم فى الدراسة ، فهناك ايضا واجباته التى تنتظره فى بلده : لبنان ، هذه الواجبات العائلية تقف وراء ضرورة الدراسة المنظمة ، لأنها هى الطريق الى أن ينال شهادة وعملا يعودان بالفائدة والحماية على هذه الأسرة ، فالأسرة تنتظره فى لهفة ، لكى يعود اليها ويحميها ويكون مسئولا عنها ، أما طبيعته الفنية فانها تدعوه الى التحرر من الدراسة وتدعوه الى التحرر من قيود الأسرة ، حتى ينطلق الى حياة خصبة ، ولا يسقط فى حياة مثقلة بالقيود والنظام والمسئوليات الصغيرة .

هذا هو الصراع القديم الذى كان يعيش فيه الشاعر خليل حاوى والذى تكشف لنا عنه قصيدته «الناى والريح» ،

فالقصيدة هى تعبير عن الصراع الذى عانى منه الشاعر ، فى تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وعنوان القصيدة «الناى والريح» ، يمثل لنا الطرفين المشتركين فى الصراع ، فالناى هو رمز للاستقرار والحياة العائلية البسيطة التى لا تعرف التقلب العنيف ولا المغامرة الحادة ورمز «الناى» مستمد من الحياة الشعبية فى الريف اللبنانى ، بل فى الريف العربى كله فالناى هو المتعة الهادئة الوديعة الحزينة فى ليالى الريف الساكنة ، إنه يرمز للجمال المستمد من الاستقرار وسعادة الهدوء والطموح المحدود والالتصاق بحياة القرية وحياة الأسرة .

اما «الريح» فهى رمز للمغامرة ، ورمز للحياة الهادرة الصاخبة العنيفة التى تتجدد فى كل لحظة ، والتى يعيشها الانسان فى قوة مثل قوة الريح . إنها رمز للحياة المنطلقة المندفعة التى تصطدم بالجبال وتنخفض الى الوديان والسهول وتعبر الصحارى وتتطلع الى السماء ، وتقتلع امامها كل ما هو ضعيف وهزيل .

هذا هو الرمز الرئيسى الكامن فى عنوان القصيدة ... فماذا نجد فى القصيدة نفسها ؟

الصومعة والعبور

الجزء الاول من القصيدة عنوانه «الصومعة» ، والصومعة هى حجرة الدراسة ، وهى رمز النظام الدقيق الذى يحمل الى صاحبه الأمل فى الوصول الى شهادة وعمل ، وفى العودة الى أسرته التى تنتظره ، بالصورة التى تريدها له هذه الأسرة .

يقول الشاعر :

بينى وبين الباب اقلام ومحبرة
صدى متافف
«كوم» من الورق العتيق
هم العبور
وخطوة او خطوتان
الى يقين الباب
ثم الى الطريق

والباب هنا هو باب الحياة المنطلقة التى يحلم بها الشاعر ، والطريق هو الحياة نفسها ، هو الدنيا الواسعة التى تناديه . ولكن الذى يعوق الشاعر كما هو واضح : الاقلام والمحبرة واكوام الاوراق والخوف من عبور هذه الاشياء الى باب الحياة الحقيقية . إنه محبوس فى الدراسة والبحث والتنقيب ، ولذلك فهو يجد نفسه وسط هذا السجن ثائراً منفعلا ساخطاً على نفسه :

إلى متى الهو ، وابصق
جبهتى ، رئتى
على لقب وكرسى
.....
انا لست منكم طغمة النساك
واللحم المقدد فى خلايا الصومعه
لن يستحيل دمى الى مصل
كذبت ، كذبت
جرونى الى الساحات ، عرونى
اسلخوا عنى شعار الجامعه

هنا ثورة واضحة فى نفس الشاعر على وضعه السجين فى الدراسة المغلقة فى سبيل لقب مثل «دكتور» و «كرسى» مثل كرسى استاذ فى الجامعة ، إنه يعيش مع «مومياء» والمومياء هى الكتب والدراسات العقيمة والأبحاث البعيدة عن مشاكل الحياة وتجاربها المباشرة .

وهو يصرخ ... إنه لا يريد ان يكون «ناسكاً» يتفرغ للدراسات والبحث ، والغرف المظلمة المغلقة ، بل يريد الساحات الواسعة الرحبة ، ويريد ان يتعرى من المظهر الاكاديمى الوقور الذى يفرض عليه ان يمشى بحساب ، ويشعر ويفكر ويتكلم ويتصرف بحساب ، إنه يصرخ : اسلخوا عنى شعار الجامعة .

تلك حالته فى الصومعة او فى حجرة الدراسة ، وهو يريد ان يتحرر وينطلق من ذلك كله الى الحياة الواسعة غير المقيدة إلا انه يسمع فى «الصومعة» صوتاً آخر يشده الى هذه الصومعة شداً عنيفاً ، ذلك هو صوت «الناى» ... صوت الاستقرار وصوت الأسرة التى تنتظره ان يعود اليها من «كمبريدج» ومعه شهادة ولقب وكرسى ،

وفى هذه الأسرة نسمع صوت الاب الذى يقول :

ابنى وقاه الله كنز ابيه
جسر البيت ، يحمل همنا
هما ثقيل

وجسر البيت ، تعبير شعبى لبنانى معناه الأساس الذى يقوم عليه البيت ، فجسر البيت هو الخشبة الرئيسية التى تحمل سقف البيت ، وهكذا يتصوره أبوه على انه الدعامة الرئيسية التى ينتظرها لتحمل هم البيت والأسرة ، ثم يقول الأب لفتاة ربما كانت هى الفتاة التى اختارتها أسرة الشاعر له لتكون زوجته ، على عادة المجتمع فى الريف ، وهى التى تنتظر عودة الشاعر على أمل كبير :

غداً يعود اليك .. بعض الصبر
سوف يعود ، والله الكفيل

وهذه الفتاة نفسها رمز اساسى للأسرة التى تنتظره وتربط مصيرها به :

ولربما ماتت غداً
ومص دماءها شبحى
وما احتفلت بلذات الدماء
ماتت مع الناى الذى تهواه
يسحب حزنه عبر المساء

إن هذه الفتاة التى لم يخترها الشاعر تنتظره باصرار . إنها تعيش من اجله ، وتعيش على اسمه ، حتى لقد «يبست» على هذا الاسم لانها حرمت نفسها فى انتظاره . ذلك لانها لا تعرف إلا «الناى» ، ولا تؤمن إلا بالناى ، اى بالحياة الاسرية البسيطة التى تعنى الزواج والاولاد والبيت ، فعالم هذه الفتاة هو عالم «الناى» الهادىء الحزين الذى لا يعرف العاصفة المتجددة .

إن الثورة الكامنة فى نفس الشاعر تهدد هذه الخطيبة بالموت لانها تدفعه الى التخلى عنها ، عندما تدفعه الى التخلى عن التزامه بالدراسة وقيودها ، وهذه الثورة النفسية لو تحققت فسوف تقتل فتاته التى تنتظره فى قريته ، وسيكون موتها اليما لانها ستموت دون ان تحقق

ومن لم يمت "بالذبح" مات بغيره
تعدّدت الأسباب والموت واحد

شيئاً من امانيها :

ماتت وما احتفلت وما عرفت
رفاه يد تظللها ودار

اجل ، إن ثورة الشاعر النفسية سوف تحرم هذه الفتاة من امانيها ... من اليد التى تحنو عليها ، من البيت الذى ياويها، من الفرحة بحياة الاسرة .

هذا هو «الناى» وما يمثله ويرمز اليه . فالناى هو القرية والاسرة والاب والام والخطيبة والكتب وصومعة الدراسة التى يحبس نفسه فيها .

إن الناى يشده الى نوع من الحياة ، هادىء ملتزم وقور .

غير ان هناك قوة مختلفة تجذبه الى ناحية اخرى ... إنها قوة «الريح» . وهذان هما الطرفان المتصارعان فى قصيدة خليل حاوى : الناى والريح .

وقد عرفنا الى اين يجذبه الناى . اما الريح فتجذبه الى شىء آخر . الى التمرد والخلاص من القيود ، الى عمل اعظم وانبل من نيل شهادة ولقب علمى ، واعظم من مجرد الزواج وتكوين اسرة وبيت .

إن الريح تدفعه الى ان يكون فناناً مبدعاً ، والى ان يشارك فى تغيير الحياة الراكدة فى مجتمعه ، فدور الشاعر المبتكر والمفكر المجدد ، والثائر الذى يشارك فى التغيير الى ما هو افضل ... تلك هى ادوار البطولة فى حياة الانسان المتميز ، وليست ادوار «الكومبارس» التى يمكن ان يقوم بها كل انسان :

ربى ، متى انشق عن امى وابى
كتبى ، وصومعتى ، وعن تلك التى
تحيا ، تموت على انتظار .

إن الشاعر يريد ان يتخلص من القيود العنيفة التى تشده الى اسرته وتربطه بها لماذا ؟ لكى يقوم فى الحياة بمهمة اخرى :

اطا القلوب ، وبينها قلبى
واشرب من مرارات الدروب بلا مرارة
ولعل تخصب مرة اخرى
وتعصف فى مدى شفتى العبارة
دربى الى البدوية السمراء
واحات العجين البكر
والفجوات ، اودية الهجير
وزوابع الرمل المرير

هذا هو مايريده ويتمناه ، وما هذه الصور الشعرية المركزة الخصبة إلا رمز للحياة العنيفة القوية المنطلقة ، والتى يريد الشاعر ان يعيشها ، فهو يتمنى ان يجرب الحياة بعنف وحرارة ، ويريد ان يشرب من «مرارات الدروب» ، لعله بعد ذلك ان يكتب شعراً رائعاً ، «ولعل تخصب مرة اخرى ، وتعصف فى مدى شفتى العبارة» ... لقد خانته العبارة مدة طويلة عندما التحق بجامعة «كيمبردج» ، وبقى تسعة شهور لا يكتب بيتاً واحداً من الشعر ، مما جعله يحس بانه يذبل كفنان قادر على الابتكار والتعبير الحى .

اما «البدوية السمراء» فهى رمز وتجسيد للحيوية العنيفة المتدفقة ، كذلك «العجين البكر» و «اودية الهجير» و «زوابع الرمل المرير» ، كل هذه الصور الشعرية رمز للابتكار ، وللتجربة الجديدة فى الحياة ، ومهما كانت هذه التجربة صعبة ومريرة ، فيكفى انها جديدة ، ذات طعم خاص ، تهزنا وتثير فينا مشاعر عميقة وافكاراً حية نابضة .

نهاية متشائمة

وتنتهى قصيدة «الناى والريح» للشاعر المنتحر خليل حاوى بهذه الابيات :

الناسك المخذول فى راسى
نشد قواه ، ينهرنى ، افيق :
بينى وبين الباب
صحراء من الورق العتيق وخلفها
واد من الورق العتيق وخلفها
عمر من الورق العتيق

ومعنى هذه النهاية هو ان الصراع النفسى الذى عانى منه الشاعر طويلا بين الناى والريح ، قد انتهى به الى الهزيمة ، فنهاية القصيدة متشائمة ، والشاعر يعلن انه مازال اسيراً للقيود ، وللورق العتيق ، وانه لم يتجاوز الباب المغلق الى الحياة المنطلقة الخالية من الضغوط الحادة العنيفة . إنه قد وقع اسيراً للناى الذى يشده الى الورق والدراسة والاب والام والخطيبة والاسرة .

وقد عاد خليل حاوى من «كمبريدج» ليصبح استاذاً للأدب العربى فى الجامعة الامريكية فى بيروت ، وظل الصراع القديم الذى كان مشتعلا فى نفسه وهو طالب غريب فى لندن ، قائماً كما هو بعد ان اصبح استاذاً جامعياً فى بلده لبنان . إن دور «الاستاذ والعالم» لم يكن يناسبه تماماً ، وهو دور يذكره بحياة الرهبان القاسية العنيفة ، او بحياة الجندى التى تسير فى طريقها بدقة وانضباط فى كل شىء ، حتى فى المشاعر والانفعالات . فهل يستطيع الفنان ان يحتمل هذا الموقف احتمالا كاملا ؟ هل يستطيع ان يقضى ايامه وليليه فى البحث والتنقيب والاستنتاج وجمع الجزئيات فوق الجزئيات ، بدلا من ان يعيش ليتامل ويلاحظ ويجرب ؟ ... إن النتيجة فى حياة خليل حاوى هى انه لم يستطع ان يقيم التوازن فى نفسه بين الفنان والعالم ، فانتهى به الامر الى الدمار .

وفى هذا الصراع النفسى العنيف الذى تعرض له الشاعر خليل حاوى ، كان هناك حل وحيد لتخفيف التوتر الذى عاناه نتيجة لهذا الصراع ، وهذا الحل هو ان ينجح فى حياته العاطفية ، ويجد الانسانة التى تفهمه وتشاركه تجربته وتعينه على اجتياز اللحظات الدقيقة المدمرة فى صراعه مع نفسه ، وفى حدود ما اعرفه من حياة خليل حاوى ، فانه قد وجد هذا الحب ، ووجد الانسانة الممتازة التى كانت قادرة على ان تشاركه حياته وتخفف من توتره وتشاؤمه ، وتعينه على الصبر الجميل فى مواجهة المصاعب والتعقيدات ، وقد كانت هذه الفتاة التى «خطبها» خليل حاوى اديبة عربية موهوبة لها انتاجها الفنى الخصب ... إنها السيدة «د . أ» ، ولولا انها محاصرة فى بيروت الغربية ، لاستاذنتها فى ان اذكر اسمها الصريح ، فقد كان مشروع ارتباطها بالشاعر خليل حاوى معروفاً للجميع ، على ان من الواضح ان خليل حاوى لم ينجح فى تجربته « العاطفية الكبيرة » لاسباب تعود الى شخصيته والى ما كان يعانيه من قلق واضطراب وتوتر ادى الى دمار تجربة عاطفية ، كان بالامكان ان تفتح فى نفسه المتالمة نافذة على الهواء الطلق ، وتقوده الى توجيه غضبه ورفضه

للحياة الى مزيد من الانتاج الفنى الخصب ، ومزيد من النضال من اجل مبادئه وافكاره ، بدلا من الهروب والانتحار .

وهكذا فشل الشاعر فى حل الصراع النفسى الذى كان يعانى منه ، فلا هو استطاع أن يقبل الأسلوب التقليدى فى بناء أسرة وعائلة ، ولا استطاع ان يتلاءم مع مجتمعه ، ومع مهنته كاستاذ جامعى ، ولم يجد فى آخر الأمر اى «قشة» يتعلق بها فى بحر الحياة المتلاطم ، ثم جاء الكابوس الأكبر وهو الغزو الاسرائيلى للبنان ، فانهار كل شىء فى نفسه ، ولم يبق له ما يرتبط به .

الصراع الحضارى

على أن خليل حاوى كما يكشف شعره كان يعيش فى صراع آخر ، غير ذلك الصراع النفسى الذى فشل فى حله والانتصار عليه والخروج منه بنتائج ايجابية . هذا الصراع الآخر ، هو ما يمكن أن نسميه «بالصراع الحضارى» ، فمن خلال شعر خليل حاوى نحس انه كان يؤمن أن الحضارة العربية ينبغى ان تتخلص مما يسميه بعصر الجليد ، وعصر الجليد هو عصر الجمود والتحجر ، والوقوف أمام «المستنقعات الحضارية الراكدة» ، وهو العصر الذى فرض على العرب كثيراً من مظاهر التخلف والعجز ، وادى بنا الى الهزيمة فى كثير من المعارك الحاسمة . وقد انفجر هذا الصراع الحضارى فى نفس الشاعر بعد أن سافر الى أوروبا ليتعلم ، وهناك اصابه ما يصيب الكثيرين من الشباب الشرقى الحساس من ازمات عنيفة ، فقد وجد أوروبا تعيش فى معظم جوانب الحياة متحررة من القيود ، توفر للانسان فيها خطوات متتالية من التقدم والحقوق الانسانية المختلفة ، بعيداً عن الأوهام والخرافات ، فطريق العمل والابداع والابتكار مفتوح أمام الانسان الغربى ، اما فى الشرق فمازال الطريق مليئاً بالسدود والقيود ، ومايزال عصر الجليد الحضارى هو العصر السائد المسيطر . وقد حاول خليل حاوى أن يعبر عن الصراع الحضارى فى شعره بطريقة خاصة . فقد خلق إطاراً من الأساطير الحية ليستخدمها فى تعبيره الفنى ، حتى يكتسب هذا التعبير عمقاً وقوة ويبتعد عن الأساليب المباشرة التى تسيء الى الفن وتجعل منه قوة عديمة التاثير .

وقد اختار الشاعر أساطيره من التراث القريب الينا ، من بين القصص الشعبية والدينية والتاريخية . ومن التراث الشعبى استطاع الشاعر أن يجد فى الف ليلة كثيراً من الأساطير التى يستخدمها ، فشخصية سندباد شخصية أساسية فى شعره ، وهو لا يستخدمها بمعناها القديم بل يستفيد فقط من ايحاءاتها القديمة ، ثم يستخدمها بعد ذلك استخداماً خاصاً مستقلا . إن سندباد فى الف ليلة هو الذى يقوم بالرحلة الدائمة بحثاً عن حكايات ومغامرات . وسندباد عند خليل حاوى هو الانسان الذى يريد ان يكتشف وان يعرف الحقيقة وان يصل الى يقين ... كل ذلك عن طريق رحلته فى بحار التجارب والأفكار . والى جانب ذلك يستخدم الشاعر عدداً من القصص الدينية على رأسها قصة «اليعازر» الذى احياه المسيح بعد موته ، وهذه القصة ترمز عند الشاعر الى عودة الحياة بعد الموت والجمود ، والى الاخضرار والخصوبة بعد الجدب والاقفار ، والى عصر ذوبان الجليد بعد عصر الجليد .

ومن القصص الدينية التى يستخدمها الشاعر ايضاً قصة «سدوم» ، وهى المدينة الفاسقة التى حلت بها الكارثة جزاء عدلا لانغماس اهلها فى الخطيئة ، والشاعر لا يترك القصة الدينية كما هى وإنما يستخدمها بشىء من التعديل والتحوير حتى تكون مناسبة لأفكاره وتجاربه ورؤاه الجديدة ، فهو فى ديوانه «نهر الرماد» يتحدث عن سدوم اخرى ... إنها المدينة البريئة التى حلت بها الكارثة دون ذنب والتى تريد أن تعود الى الحياة بعد عذاب طويل وبعد أن تنفض غبار الكارثة عن وجهها وروحها .

ومن هذه القصص الدينية اسطورة «عمود الملح» وتعود هذه الاسطورة الى القصة الدينية المعروفة عن زوجة «لوط» ، حيث أمر الله «لوط» ان يخرج هو واهله من المدينة دون أن يلتفتوا اليها ، ولكن «زوجة لوط» التفتت فتحولت الى عمود من الملح ، وهذه القصة يستخدمها الشاعر للدعوة الى عدم الرجوع الى الوراء ، وعدم الالتفات الى الماضى ، حتى لا تتجمد الحضارة ، ويتجمد الانسان ، ويتحولا الى عمود من الملح ، كما حدث مع زوجة لوط .

ونتوقف هنا بعد هذه الرحلة الفنية والفكرية السريعة مع الشاعر المنتحر خليل حاوى ، بحثاً عن جذور ماساته التى ادت به إلى اطلاق الرصاص على نفسه ، ومما لاشك فيه أن العامل الأكبر فى هذه المأساة هو ما أصاب المجتمع العربى المعاصر من تمزق واضطراب ، وما انتهت إليه حياة لبنان من دمار وفوضى غير انسانية بسبب الانقسامات أولا وبسبب العدوان الاسرائيلى بعد ذلك ، ولم يكن يلوح فى الأفق عند النفوس الحساسة من اليأس الذى يقتل اى أمل قريب فى الخلاص من لزمة المجتمع العربى ومحنة لبنان ، بالاضافة إلى ما كان الشاعر يعانيه من اضطراب نفسى وقلق وتوتر وعدم قدرة على التلاؤم مع الواقع ... كل ذلك ادى بالشاعر إلى الانتحار ... رحمه الله وغفر له ، وجعل فى رحيله لنا درساً وعبرة ، فمثل هذه الأوضاع القاتمة القائمة على التمزق والانقسام فى الوطن العربى ، لا يمكن أن ينتج عنها أمل للنفوس الحساسة ، ولا حل أمام العرب إلا أن ينهض مجتمعنا ويتخلص من أمراضه وانقساماته وتسود فيه المبادىء والقيم الصحيحة ، حتى يستطيع العرب أن يواجهوا مصيرهم بقوة وعزم وتفاؤل وصبر ، بدلا من أن تشيع بينهم أمراض اليأس والهروب من الحياة وبدلا من أن يصبح لسان حالهم ـ كما قال الشاعر العربى القديم ـ مع شىء من التعديل :

من لم يمت « بالذبح » مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

« رجاء النقاش »



شهريات

يوسف إدريس

كيال جريس

الفنانة القادمة من إفريقيا

في عدد يونيو الماضي من الدوحة ، كتب الدكتور يوسف إدريس من نيودلهي عن « ورشة القصة القصيرة » هناك ، حيث كان مدعواً للادلاء برأيه في فن القصة القصيرة كواحد من أبرز كتاب الوطن العربي في هذا المجال . وكلمة « ورشة » في المصطلح الهندي ، مرادفة لكلمة « ندوة » أو « ملتقى » أو « مؤتمر » . عن هذه « الندوة » التي انعقدت في نيودلهي من ٨ إلى ٢١ مارس الماضي ، أجمل د . يوسف إدريس ما دار من مناقشات حول موضوع « القصة القصيرة » كفن أدبي خالص ، يشغل اهتمام عدد من كتاب العالم ، جاءوا من جنوب شرقي آسيا ، والصين وأفريقيا ، والمشرق العربي . وفي هذا العدد يتحدث د . يوسف إدريس عن النتائج الايجابية لهذه الندوة التي انعقدت حول القصة القصيرة في الهند . مثلما يتناول أيضاً جوانبها السلبية .

كانت (الورشة) مفيدة من نواح كثيرة ، ومخيبة للأمل من نواح كثيرة أيضاً . كانت الورشة فرصة لأن أرى مجموعة لابأس بها تماماً من كتاب القصة الشبان والكبار في بضع من بلاد آسيا وأفريقيا . لم أكن أتصور أن بها كتاب قصة قصيرة على الاطلاق . سرى لانكا مثلا ، أو جزيرة (سيلان) التي نفى فيها عرابي ورفاقه ، وممثلها ذلك الكاتب الطيب النبيل الهادىء تماماً المنكمش الحجم بطريقة من الممكن أن (تصره) كما يقول المثل الشعبي في منديل ، وأيضاً ليس منديلا من الحجم الكبير . كنت أشاهده وهو يأكل ، فمه واسع جداً يخيل لي معه أنه كفيل بالتهام كل ما على المنضدة من طعام ، ولكنه كان يأكل طويلا ، وإن يكن لا يأكل كثيراً أبداً . كان يضع لقمة الطعام الهندي النباتي في يده ، ويبقيها سواء أكان يتابع كلامه مع محدثه ، أم حتى وهو لا يتحدث ، ساهياً عنها وكأنما إهمالا لشأنها ولشأن الطعام ، ثم يبطء أيضاً يتاويها في فمه ويزدردها على مضض .

طريقة رائعة تماماً لصد النفس الذاتى عن الطعام . كان واضحاً انه من أصل هندى وانه كان يعيش فى «سرى لانكا» وانه موفد من قبل الوزارة هناك ، فلم أشهد له جنوح بعض الكتاب الآخرين ، ولا رأيته مرة يبتسم أو يقهقه أو يفعل شيئاً اخر غير ذلك الاستغراق المهمل للكون داخل ذاته أو لذاته داخل الكون وكأنه لا يفكر فى شىء بالمرة ، أو بالأصح لا يفكر فى شىء ذى بال ، بسرواله الهندى الطويل الأبيض وقميصه المصنوع من نفس القماش ، والصيديرى الصوف فى عز الحر ثم هذا (الخرج) المعلق من كتفه دوماً لم أره مرة يعسعس داخله ليبحث عن شىء أو يخرج شيئاً ، أو يضع فيه شيئاً أو يخرج شيئاً . دائماً هو هناك وكأنه ذنب معلق على كتفه ، الهدف منه ، مع الصيديرى الصوف تعذيب ذاته الجسدية طمعاً فى الخلاص الروحى حتماً وإلا لماذا يعذب الانسان ذاته ؟ ألقى بحثاً عن الأدب «السرى لانكى» وأثبت فيه أن القصة القصيرة المكتوبة قد بدأت فى «سرى لانكا» منذ نيف ومائتى سنة ، أى قبل نفى عرابى اليها بمائة وخمسين عاماً ربما . وقرأ لنا قصة حديثة ، ولكن بدا واضحاً أنها لاتزال تمت الى ما قبل نفى عرابى بكثير .

أحببت ذلك الرجل الصغير تماماً بفمه الأعرض من نظارته ذات الفتحات الواسعة جداً كعيون الضفادع ، وأسنانه الكبيرة البارزة كأسنان الجمل ، التى يبدو وكأنها فعلاً قادرة على التهام جمل ، فى حين أنها ، للأسف ، ومن طريقة أكله لا وجود لها .

أحببت فيه « لا وجوده » الذى كان بالنسبة لى أهم أنواع الوجود فى ذلك المكان .

ولم يكن هذا موقفه من الطعام وحده ، كان يبدو انه موقفه من كل شىء فى الحياة وفى الوجود . لا . ليس بالضبط موقف الزاهد ، ولا المستغنى ، ولكنه ما يمكن أن نسميه الموقف (الهندى) من الحياة ، سواء أكان هذا الهندى يعيش فى كراتشى أو فى جبل طارق أو فى نيودلهى أو فى سيرى لانكا . موقف غير الراغب ، المصدود النفس ، الشبعان تماماً من الحياة وكأنما ازدردها كلها فى عالم سابق ، أو أنه روح ظمآن للحياة تناسخت فى مستغن تماماً عنها . ولذلك رحت أتصور هذا الزميل الكاتب فى أوضاع شتى من الأوضاع التى نتكالب نحن فيها على الحياة . ترى ماذا يحس تجاه المتعة ، ماذا لو صادفه شىء يمتعه حقاً ويريد مزاولته ، وأى قدرة متعية تستطيع أن تجعل هذا الجسد الضامر يرتعش كل عرق فيه بالحياة ويقبل عليها فى شغف ، بل تصورته فى حالات الحب والعشق ، بل وبدلاً من أن أتصوره جمعته فى جلسة مع (جريس) أجمل وأروع وأطول افريقية عرفتها . لقد كنت دائماً أتصورها ترقص فيرتعش جسدها السامق العنبرى كله وكأنه شجرة جوزهند عالية ترقص وتجعل الأرض تدمدم على وقعها ودقها . وتوقظ شياطين الغابة ، وشياطين الأرض وجنها ، ويتلبسونها جميعاً لتصبح وكأنها افريقيا الساحرة الغامضة من شواطئها الشمالية حتى أقدامها فى جنوب افريقيا تتمايل وترقص . (جريس) ذات القلب الطيب الحنون ، والوجه الهادىء تماماً كشأن الأمواج الهادئة لبحيرة فيكتوريا . جريس الكينية الباردة أحياناً كقمم جبال «كليمنجارو» الثلجية .. المربدة أحياناً كالجو فى الحبشة وفوق هضبة الحبشة . تصورتهما معاً ، ثم دعوتهما لنجلس معاً ، وكنت أتصور ماذا سيفعل صديقى السيريلانكى حين تحدق (جريس) بوجهها الأملس العنبرى المستدير ، وعيونها الواسعة الجاذبة الحانية ، وتأخذ يده فى طيبة مثلما كانت تأخذ يدى وتبدأ تهمس . كان كلامها كله همساً فى ملامحه ، همساً موحياً كهمس من ينومك مغناطيسياً .. همس هادىء حنون مطمئن ينقل لك انفعالات أعماق مستقرة تماماً ، لا عفاريت فيها ولا جن ، وإنما هى الجذور السامقة الى أسفل ، تضرب فى باطن الأرض كجذور الجبل ، و (توزن) الأرض و (توزنها أعماق الأرض) . جذور ، كالأوتاد ، تثبتك فى التربة والواقع والحياة ، وتفعل هذا باستبشار زائد ، وكأنما ، فى الغد تماماً ، كل شىء سيصبح على ما يرام ، وكل المشاكل ستؤول الى حل ، وكل الليالى القادمة ستصبح فجراً ، وكل فجر سيقود الى يوم حافل بالبشر الانسانى ، جديد .

● ●

وجلسنا نحن الثلاثة . كانت «جريس» قريبة من السيريلانكى . وكان منذ قدومه الى ورشة القصة لم أره يتحدث الى أحد حديثاً خاصاً ، وسمعتهما يتبادلان بضع كلمات ، ومالبث السيريلانكى أن ابتسم ، والمضحك أن فمه كان يضيق حين يبتسم ، وتختفى تماماً أسنان الجمل ، وكأنما هو يبتسم على الدوام ، وفقط حين يبتسم يتحول فمه الى فم عادى جاد جداً .

ثم بدأت «جريس» تنتبه له كلية ، وبدأت عيناها تلمعان ، وبدأ شىء فى جسده النحيف يتململ ، ثم لم أعد أسمع ما يقولان ، وقطعاً لم يكونا يتحدثان عن الحب أو الطعام أو الجو . فيم كانا يتحدثان لم أعد أدرى ، ولكنه حديث طويل متشعب متعدد البسمات ، وفمها يتسع لتبدو لآلئها البيضاء ، وفمه يضيق سعادة والحديث دائب ومتصل .

ومن لحظتها لم يفترقا .

ولابد أن لكل «فولة» «كيال» .

ولم أكن أعرف أن كيال جريس الكينية السمراء ، كيال افريقيا بأسرها ، هو ذلك الزميل السيريلانكى الضئيل الحجم ، وكان كيال افريقيا الهائلة الضخامة هى جزيرة سيرى لانكا أو سيلان التى فى حجم الفولة ولكنها الفولة الكيال هذه المرة .

ولله فى خلقه شئون .

● ●

ولو أطلقت العنان لما حدث أمام عينى ، ومشاهداتى فى ورشة القصة ومن اشتركوا فيها ، ولو تركت الخيال يتحرك ، مجرد أن يتحرك لأمكن أن أصنع فيلماً سينمائياً ، أو بالتعبير العربى حلقات تليفزيونية لا يقل طول الواحدة منها عن ساعة ويستغرق عرضها ثلاثين أو خمسين حلقة . وليتنى أفعل .

● ●

ولو حاولت أن أدرك كم استفدت فنياً من ورشة القصة ، لوجدت أنى كمشتغل بالقصة لم أستفد كثيراً ، ولكنى كانسان ، وكعلاقات ، وكقادم من عالم عربى جياش ، ومن مصر منتفضة وغاضبة ، قد استفدت تماماً . ففن القصة فى آسيا وأفريقيا وحتى فى العالم أجمع لايزال ، كالحياة ، لا نعرف عنه علمياً ، إلا القليل ، ولايزال الحديث عنه ، كالتجديف فى المحيط بأمل الوصول الى شاطىء آخر ، مسألة ، كسر الحياة ، لم تكتشف بعد . إنما أن نناقش ، ونعيش ، ونتعرف ونتعارف ككتاب قصة ، فهذا كتاب مفتوح ، ما أروع القراءة فيه .

د. يوسف ادريس

اقـــرأوا.. وفـكـروا.. وقـــولوا

بقـلم : خـــالد محـــمد خـــــالد

أريد للشباب العربى والمسلم أن يتخلص من إسار الظروف التى فرضت عليه هذا الصمت النائح .. !!

وأريد ذلك للشيوخ أيضاً ، ولكنى أريده للشباب أولا ..

وأريد للفتيات العربيات والمسلمات أن تدوى أصواتهن بالكلمة الشجاعة .

وأريد ذلك للسيدات أيضاً ، ولكنى أريده للفتيات أولا ..

ولقد كتبت من قبل فى أحد كتبى قائلا للفتى العربى : اقرأ فى غير خضوع .. وفكر فى غير غرور .. واقتنع فى غير تعصب .. وحين تكون لك كلمة ، واجه الدنيا بكلمتك .. !! وهذا ما أريد اليوم أن أقوله .

فبعد أن تحدثت فى العدد السالف من مجلتنا هذه عن قداسة الكلمة ملفوظة ومسطورة ، أريد اليوم أن أحدثكم عن كيف نهيىء أنفسنا لتلقى ولإعطاء الكلمة الحرة الشريفة .. الصادقة والشجاعة .

كيف نقف فى محرابها قارئين ومفكرين ، ثم نبلغها للناس فى ذمة وصدق .

أجل . جئت اليوم أقول لكم : اقرءوا .. وفكروا .. وقولوا ..

فلن يحمل أمانة أوطاننا اليوم أحد مثل المثقفين الذين يصادقون الكلمة ، ويزاملون الفكر ، وتنبثق منهم الكلمات الهـــادية المضيئة .

وعلى الذين يعيشـــون فى شباب النهار من فتية وفتيات أن يتقدموا الصفوف فى هذا المضمار .

كان أحد فلاسفة اليونان يقول : إذا كففت عن القراءة ثلاثة أيام ، لم أحسن محادثة الناس . !!

وهذه العبارة وان كانت تحمل صيغة المبالغة ، إلا أنها تمثل حقيقة مبينـــة . فالقراءة تشحذ الذهن ، وتجعله دائما فى يقظة فرحة وصحو متفتح ..

أجل . إن القراءة لا تثرى الفكر وتربى من المحصول الثقافى فحسب بل هى تفعل السحر فى تجديد الفكر ووصله بالعقل الكلى للأشياء .

والكتاب مرقاة إنسان حي إلى الكمال والتفوق . والذى لا يحيى عقله ويضيء شخصيته بالقراءة المستمرة يســـتحق الرثاء ... !! والكلمة المطبوعة من أثمن ممتلكات الانسان ، وخير ما اخـــرجت الحضارة الانسانية للدنيا .

ولقد حدثتكم فى مقال سابق بكلمـا الطبيب والأديب الفرنسى « ديهامل » الذ يتساءل ويقول :

« إلام يصير العالم لو علق فجاة بالور مرض جديد يحيل كل المكتبات تراباً

يخيل إلى أن الانسانيـــة بفقدا مكتباتها لن تفقد من كنوزها الفنية ، أو م تراثها الروحى وحسب . بل ستفقد أيضا وبوجه خاص وسائل حياتها ..

كل مكتبة هى قبل كل شىء مجموعـ وسائل ومناهج .. هى ذلك المكان الجلي الذى يحتفظ فيه الرجـــال بتجاربهم وأحاسيســـهم ، واكتشـــافاتهم ومشروعاتهم ..

ولو أننا فقدنا دفعة واحدة كل تل الكتب التى ازدهرت بها حضارتنا ، لم استطعنا أن نبنى طـــائرة ، أو نـربـ حيوانات ، أو نستحضر منتجاتنـ الكيماوية . ولوجدنا مشـــقة كبيرة ف استخدام ملكاتنا . ولن تكون تصرفات عندئذ إلا تصرفات وحوش تعسة .. !!! »

● ● ●

وهذا حق .. ولامرما بالغ الأثر عظي الخطر ، جعل الله أول كلمة تتنزل من قرآ العظيم على قلب رسوله الكريم هى « اقرأ .. لم تكن الكلمة الأولى : « صل .. صم اعبد .. » بل كانت « اقرأ » وكان الأم بالقراءة أول أمر على الأطلاق يتلقا الرسول من السماء .. !!

وحين نرجع إلى تاريخ أولئك الروا المتالقين الذين كانوا معالم للرشـــ

الانسانى ، نجد وراء عظمتهم وتفوقهم أياماً ولياليى ، وشهوراً وأعواماً قضوها فى محراب الكتاب والكلمة المطبوعة متبتلين وحواريين ، تجعل القراءة حياتهم كالربيع .. بل قولوا : كروح الربيع .. !!

ولقد قال الشاعر العربى : وخير جليس فى الزمان كتاب وإنه ليطيب لى دائماً أن ألقى على نفسى وعلى الآخرين هذا السؤال الافتراضى :

لو استطاع العلم أن يرد إلى الحياة بعض الناس لبعض الوقت . وأذيع مثلا : أن سقراط ، وأفلاطون ، والغزالى ، وشكسبير ، والمعرى ، وشوقى ، والمتنبى وتوم بين ، وروسو ، وابن رشد ، والفارابى وهيجل ، وماركس ، وجيته ، وأرسطو ، وابن سينا ، سيكونون يوم كذا فى مكان ما من العالم يستقبلون زوارهم والراغبين فى لقائهم .

أفلا نركب إليهم ثبج البحر ، ومخاطر الجو ، وننفق من ثرواتنا بسخاء ، ونصنع المستحيل لكى نبلغ مكانهم ونلتقى بهم ؟؟

ثم أجيب على سؤالى المتخيل هذا قائلا : ألا فلنعلم أن العلم قد ردهم للحياة فعلا .. وأنهم وجميع إخوانهم من أساطين المعرفة والفكر جالسون هناك ينتظرونك فى كل حين ، وفى أقرب مكان ، وبأيسر النفقات .. !!

أجل ـ فى أى مكتبة من المكتبات تلتقى بهم فى مؤلفاتهم التى سطروها وهم فى أصفى وأنقى حالاتهم الذهنية والوجدانية .. !!

ومؤلف الكتاب ـ أى كتاب ـ حاضر معك حين تقرأ له . يتحدث إليك من خلال السطور المطبوعة بخير ما أوتى من قدرة على التعبير والتفكير ..

لقد أودع أساتذة البشرية تراثهم فى الكتب . وانك لتنعم بزمالتهم وصداقتهم حين تجلس إليهم فى ساحة ماخلفوه من كتب ومؤلفات .

فاقرأ .. ثم اقرأ .. واقرأ دائماً وكثيراً ، فلن يضيء شخصيتك ولن يصقل عقلك ، ولن يجدد شباب روحك شيء مثل أن تقرأ ..

وليس فى الثقافة محظور ومباح . فحق الكلمة يكاد يكون حقاً مطلقاً فى عالم لا يعرف المطلقات .

فتنقل كالعصفور المغرد المحبور بين أفنان الثقافة وأغصانها . أو كن كالنحل الذى يمتص رحيق الزهور .. !!

اقرأ فى الأدب ، وفى السياسة . وفى الأخلاق ، وفى الاقتصاد ، وفى العلم ، وفى الدين ، وفى الاجتماع .

ولكن اقرأ قراءة الأحرار لا قراءة العبيد ..

اقرأ لتكتشف نفسك ، لا لتفقدها . واحذر ضراوة الكلمة المطبوعة وسيطرتها المجنونة على العقول وذلك يتأتى بأن تحتفظ بتوازنك الفكرى وأنت تقرأ ، وتناقش الذى تقرأ ، ولا تتلاش فى خضم الكتاب والمؤلفين مهما يكن فكرهم مسيطراً . ومهما يكن أسلوبهم ساحراً وأسراً .. وعندما تحس وأنت تقرأ بمثل حركة « الرادار » فقف .. إن عقلك قد وجد نفسه هنا .. وإنك الآن أمام كلمات تحمل لك فيضاً من الأسرار والأفكار ، إذا أنت تدبرتها ، ونحيت الكتاب جانباً لتتأمل العبارة التى اهتز عندها وجدانك ، واختلج عقلك .

إن القراءة تلهمنا ، وتصلنا من خلال الكلمات النابضة بأفكار عذراء قد تكون أنت مكتشفها .

● ● ●

والقراءة تبوء بالفشل الذريع إذا لم تعاونك على اكتشاف فكرك الخاص ..

والذى يقرأ قراءة جيدة يستطيع أن يفكر تفكيراً جيداً وصاحياً .. وليست كلمة « المفكر » وقفاً على أولئك المشاهير فى عالم الفكر . بل كم من مفكر غير منظور وغير معروف تتفجر الحكمة بين جنبيه ، ويقف عالى الجبهة طويل القامة بين المفكرين والملهمين .. والذين يحرمون نعمة التفكير مدموغون بقول الله سبحانه : « جعلنا لهم سمعاً وأبصاراً ، وأفئدة . فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ، ولا أفئدتهم من شيء » .. !!

ففكر فيما تقرأ ، وفيما لا تقرأ ، واعلم أن فى استطاعتك أن تكون واحداً من الذين يقدمون لنا عقل الحياة ..

فكر إذن دائماً وكثيراً ، وحول عقلك فى كل اتجاه .. واعلم أنك إنسان بقدر ما أنت مكفر .. فحاول أن تكون لك وجهة نظرك تجاه عالمك ، وتجاه قضايا الفكر والحياة .

ولكن تحل بخلق العلماء ، ولا تجعل التفكير يبطرك ويفقدك توازنك .

لقد كان شعار العالم الكبير « لاجرانج » هذه الكلمة الشجاعة : لا أعرف !! ونيوتن صاحب العقل الجبار كان يقول بعد اكتشافه نظرية الجاذبية : « إنى أتراءى لنفسى كما لو كنت غلاماً يلهو على شاطىء البحر . وأسلى نفسي بين الحين والحين بالعثور على حصاة أكثر ملاسة ، أو صدفة أكثر جمالا .. بينما محيط الحقيقة العظيم يمتد أمامى دون أن أدرى عنه شيئاً » !!

● ● ●

وقيمة التفكير أنه يجعل لك موقفاً فى الحياة ، فلابد أن تحتضن هذا الموقف ، وتذود عنه ، وتبلغه للناس ما وسعك البلاغ .. لقد كانوا يقولون : قل كلمتك وامض .. أما أنا فأقول لك : قل كلمتك واثبت .. قلها بصدق وشجاعة ، ولا تخش أن تواجه بها الدنيا .. !!

ومهما يسيء الآخرون فهمك ، فقل كلمتك واثبت .. إن كثيرين من الناس لديهم ما يقولون ، ولكنهم جبنوا وفزعوا فانتهوا كأمس الدابر أو كهشيم المحتضر .. !!

ولا تخش أن تغير رأيك وكلمتك إذا تغير اقتناعك وكما يقول : إمرسون : « انطق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . وانطق غداً بما تفكر فيه فى ألفاظ قوية كذلك . حتى إن ناقض كل ما قلته اليوم . وصحيح أنه سيساء فهمك .. وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟؟

لقد أسيء فهم « فيثاغورس » ، وكذلك « سقراط » ، و « المسيح » و « لوثر » و « كوبرنيكس » و « جاليليو » و « ثيوتن » وكل روح طاهرة عاقلة .. بل لكى تكون عظيماً ، لابد أن يساء فهمك !!

« يهب الله لكل عقل الخيار بين الحقيقة والراحة ـ اختر منهما ما شئت . ولكن لن تظفر بكلتيهما .. إن من يختار الراحة ، لا يشاهد الحقيقة . ومن يختار الحقيقة يظل جواباً سابحاً بعيداً عن كل مرفأ » .. !!!

وأكرر لك قولى : واجه الدنيا بكلمتك واصرخ بها فى وجه الموج . ولا تقل : من أنا .. فمعظم ما فى عالمنا اليوم من حقائق ، ومبادىء ، وقيم إنما بدأت بكلمات قالها أفراد احترموا اقتناعهم ، وأدوا زكاة وجودهم .

إن أول انسان قال : الأرض تدور حول الشمس لم يكن فى حسابه يوم قال هذا شيء مما ترتب على صيحته من فتوح ومعجزات . ولو أننا حاولنا أن نعرف تماماً ماذا فعل الرسل وماذا صنع الرواد الذين صاغوا مصير الحياة لما وجدنا معجزة مثل معجزة وقوفهم إلى جانب اقتناعهم ، وثباتهم مع كلماتهم .

بعض الناس يظنون أنهم جاءوا الحياة متأخرين .. جاءوا بعد أن فرغت الحياة من تدبير كل أمورها ، ومن ثم لم تعد بحاجة إلى من يفكر ويقول .. !!

لا ..إن الحياة ستظل بكراً فى كل قضاياها وشئونها .. وستظل تنتظر الذين يقفون وينظرون ويسمعون .

ستظل تنتظر عطاء الذين يقرأون ، ويفكرون ، ويقولون ..

خالد محمد خالد

إلى شهداء العشق الفلسطيني الكبير .. أغني مطلع الفجر العربي

سرينادا القمر الأسمر

شعر : يوسف الخطيب

الليلةَ ينبع من دمهم نهرُ الأردنّ
ثلاثةَ أوديةٍ من عسلٍ قانٍ
لثلاثةِ أزمانٍ
فيصيرون وضوءَ الأرض ، وضوءَ الشمسِ
يصيرون الأبَ ، والابنَ ، وروحَ القدسِ
ثلاثةَ أثلاثٍ ، فى جَمْعِ أحدْ ...

الليلةَ ينضجُ من دمهم تفاحُ الصفصافِ
وكرمةُ ترشيحَا
والليلةَ يتعمَّدُ فى دمهم أطفالُ أريحَا
والليلة يشتعل الجرمق .. فاكهةً .. ونبيذاً ..
ويضيىءُ على البريةِ زيتونُ صفدْ ..

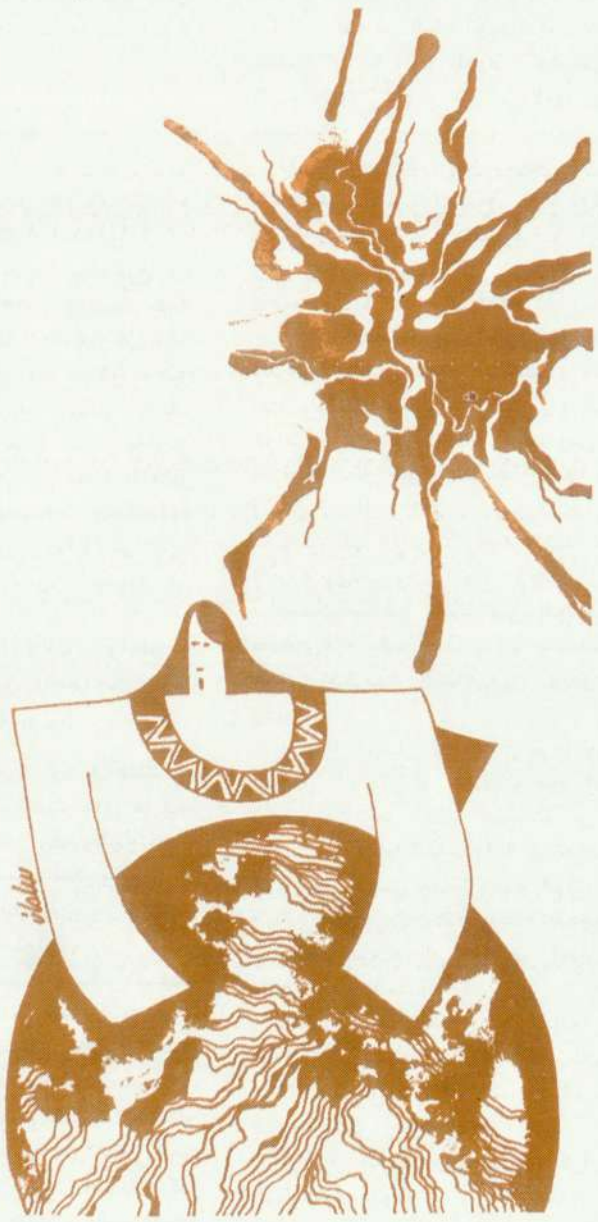
الليلة هم أتون العرسَ ، ثلاثةَ عرسانٍ
وثلاثةَ أقمار تتغسَّلُ فى جدول بستانٍ
فتضرَّجنَ الحنَّاء .. نساءَ فلسطينَ ..
تطيَّبْنَ الأنداءَ .. نساءَ فلسطينَ ..
تفتحْنَ مروجاً خضراءَ .. نساءَ فلسطينَ
عليكن الليلةَ أن تحملن ثلاثةَ آلاف وَلَدْ ..

●●●

ليجيءُ فى هذي الليلةِ جيلُ الوعدْ ..
الجيلُ المعقودُ النطفةِ من أَلَقِ البرقِ
وتحت هزيمِ الرعدْ ..
الجيلُ الصاعقةُ .. البارقةُ ..
الأجنحةُ .. الأشرعةُ .. الأنواء ..

ليجيءُ فى هذي الليلةِ من بطنِ الأرض ...
الجيلُ الرافع بالضمِّ مدينة نَعَمٍ
من لاءِ الرفض ..
الجيل المغذوةُ عيناهُ رحيقَ الشمسِ
المتلوةُ أذناه أساطير الشهداءْ

ليجيءُ فى هذي الليلة من لَبَنِ الحُزْنِ
الجيلُ المَطْلَعُ .. موسيقى الكونِ ..
الجيل التشكيلُ .. التأصيلُ .. العربيُّ اللونِ ..
الجيل الحبُّ .. الأشواقُ .. الفرحُ .. الاشراقُ ..
الفاتحةُ الصادحةُ جِراحَ الأرضِ
بلابلَ .. وجداولَ .. وحدائقَ شعراءْ ..



أن تلدَ أمرأة قمراً أسمرَ
أن يرضعَ .. أن يلعبَ .. أن يكبرَ ..
أشهد أن الله جميلٌ
والليلةَ .. وجْدٌ .. وحنانْ ..

●●●

يا امرأةً من دجلةَ تسّاقطُ بلحاً
في أرض فلسطينَ
أيا نخلةَ عَذَق تشتعلينَ
تَحْلِّين جدائلك الذهبية في شمس الجَرْمَقِ ..

يا امرأة من حلَبٍ ..
يا ساقيةَ حليبٍ ترتحلينَ
فتسقين بوادي الأردنِّ بساتين الزنبقِ

يا امرأةً من أعلى النيلِ
ومن أقصى المغرب .. والمشرقِ ..

أقرأتن وصيَّتهم ؟؟ ..
أكتبتنَّ وصيَّتهم !! ..
أنتنَّ الآن ـ نساءَ العربِ ـ الوحدةُ والحبُّ
وأنتن الأرحامُ الأثلامُ .. وأنتن الخصبُ
وأنتن كرومُ الصبحِ
الواعدةُ خلاصَ الانسانِ .. خُلوصَ الانسانْ ..

أنتن الآن ـ نساءَ العرب ـ حليبُ الثورةِ
لِدْنَ ذكوراً ...
أرضِعْنَ ذكوراً ..
ودِّعن إلى النصر ذكوراً ..
فَلْتَكُ صرخةُ غضبٍ « عربيٍّ » في هذى الأرضِ
وشهقةُ سيفٍ «عربيٍّ» في وجه الطغيان ..

●●●

أن تلد أمرأة قمراً أسمرَ
أن يتوشَّحَ من دمهِ الوطنُ
قلادةَ ياقوتٍ أحمرَ
أن يتدهَّنَ من شفتيهِ العنبَر
أشهد أن الله جميلٌ
والليلةَ .. وجدٌ .. وحنانْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ حباً في مجد اللهِ
وفي الأرض سلاماً ، والناسِ
ودالية تشتعل طِلَّي
ونجوماً .. وحِلَّي
وأساورَ من ذهبٍ .. وقلائدَ من ماسْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ .. وصلاً .. وجمالاً ..
وحلولاً في العالمِ .. وخيالاً ..
ويتيماً من مكةَ ، بالقدسِ ،
يلوِّن بستاناً قمريّاً ..
ومخاضَ امرأةٍ ، في جذع النخلةِ ، بالطائفِ
وجنوناً عُذرياً
ومجيئاً عربياً .. عربياً ..
في حشرجةِ الأرضِ .. وفي أوجاع الناسْ ..

فَلْتَكُ هذي الليلةُ عيد الأعيادِ
وأغنية الميلادِ
وعودةَ شعب تقرع في فَرَحِ الأجراسْ ..

●●●

وأنا ، ياولدا ، اعتزل الندمانَ الليلةَ
كي أشربَ في موتكَ
علقمَ كل الأرض .. وحنظَلَها ..
كي اتي جبهتَكَ السمراءَ
باكليلٍ من حبق اللطرونِ
وأفرد خُصْلاتِكَ للريح ، وأجدِلُها ..
وأهيم على كل جهات الأرضِ ، أناديكَ
وأصرخ في إثركَ :
إذهب .. لا تذهب ..
إرجع .. لا ترجع ..
أنا لست بقاتلك الآخر ياولدا ..
وسأُقْتَل من بعدك .. من قبلك ..
ثُلثَ ثلاثةِ أصحابٍ في ليل الفردانْ ..

●●●

الليلةَ ينبع من دمهم نهرُ الأردنِّ
ثلاثةَ أوديةٍ من عسلٍ قانٍ ..
والليلة هم آتون العرسَ .. ثلاثةَ عرسانٍ ..
فتضرَّجن الحنَّاءَ ... نساءَ فلسطينَ ..
تطيَّبْن الأنداءَ .. نساءَ فلسطين ..
تفتَّحن مروجاً خضراءَ .. نساءَ فلسطين
عليكن الليلةَ أن تحملن .. ثلاثة آلاف ولَدْ ..

دمشق ـ يوسف الخطيب

بقلم : عبد الله الجفري

العالم
على ساقين متناقضتين

أحتاج إلى شجاعة .. شجاعة تدعم تأملاتي . وتتعاطف مع أفكاري ، وتغذي نظراتي المنطلقة إلى أعلى .. إلى أبعد من مدار « أبوللو ٨ » .. إلى مدار الزهرة !

أفكاري .. تقف الآن بين ساقين طويلين هزيلين ، متناقضين !

تأملاتي .. لا تريد أن تعبر هذا الممر .. حتى تأخذ الانطباع الموضوعي .. انطباعنا كبشر من أبناء هذا الجيل .. نحتاج إلى شجاعة مؤكدة عندما نقرر أن نتخطى هذين الساقين ، أو الجانبين المتقابلين بلا تكافؤ!

نظراتي .. ترفض دعوة « الرؤية » لمحور الساقين (!)

لقد أضحى ذلك غير مجد .. مادام النقاش يستهدف فقط ـ الساقين ـ لأن الساقين فعلا هما الموضوع !

واعذروني ..

مثلما بدا احتياجي إلى شجاعة مطلب مرغوب .. أيضاً فقد احتجت إلى هذه المقدمة التي تعكس لكم صورة الساقين ، بالوصف ـ بتحديد نقطة الوقوف ـ بهذا الاصرار الكبير على التناقض !

● ●

احتاج إلى شجاعة فعلية .. ذلك أن هاتين الساقين تمثلان شطري هذا الجيل الشاب المعاصر .. الذي يملأ مدرجات الجامعات ، ويتدفق إلى مراكز الأعمال باندفاع ضئيل ، ويضيع في الطرقات ، ذات الأضواء الخافتة وذات الظلال ، وهو يصرخ تارة ، ويئن أخرى ، ويعلن قائلا :

ـ أنا جيل هذا العصر .. أنا الزمن الحاضر !

ـ وأنا ـ هنا ـ أتحدث عن الشباب في العالم كله .. وبالذات في مناطق العالم التي أصابت حظاً كبيراً من الحضارة والتقدم العلمي ، وتخلصت من العقدة التي تعوقها عن أفكار الابداع الانساني !

إن الأمريكتين ، وأوربا عامة .. يمثلون جانباً عظيم الوزن والقيمة من تعبير الانسان عن رغباته ، وحياته عامة ، وأولئك الشباب ـ برغم هذه الهزات النفسية التي يتعرض لها ، ويخوضها على اعتبار انها تجربة من الضروري التعرف عليها ـ برغم ذلك فان اقبالهم على العلم ، وعلى الجامعات ، وعلى التخصص العالي لم تؤثر فيه الهزات النفسية أو ما أسميه « أثقال » الاقتناع بالحياة ككل .. بأشيائها الرائعة والجميلة ، وأشيائها الرديئة والقبيحة !

إن شباب هذا العصر يتمثل في هاتين الساقين الواقفتين .. بكل الطول ، وبكل الهزال ، وبكل الانفعال ، وبكل التناقض !

● الساق الأولى : دائمة الحركة والانفعال والاضطراب إلى درجة « الرفز ! » أحياناً ، وهي تمثل الشباب الغاضب جداً .. الرافض دائماً .. المنفعل لأبسط الأحداث والأقوال ، وهو الجيل الذي ظهر في بريطانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، والمانيا ، والمكسيك وبعض دول أمريكا اللاتينية !

● والساق الثانية : تحتاج إلى قوة تسحبها .. تجرها .. تخبط عليها لتخلصها من الخدر ، و « التنميل » ، لتوقظها وتدفعها أن تخطو لتواكب على الأقل الاستماع الى صيحات الغضب ، وهي تمثل الشباب الضائع ، أو ما أسموه « الشباب المنهك » .. لتهكته الخيالات ، وطواحين الهواء في القرن العشرين ! .. أضاعته الأشياء التي يتعاطاها ليتسى أفكاراً لم تصل بعد إلى ذهنه ، وقد عبرت عن هذه الفئة جماعة « الهيبيز » في أمريكا .. تلك التي ينام أفرادها على قارعة الطريق ، ويلبسون عدة ألوان ومزق ، ويمشون حفاة ، ويتركون شعرهم تعبيراً عن الفوضى والاتساخ !

من أبعاد هذا الموقع في عالم اليوم . كان لابد أن تشارك الكلمة في التصوير ، والتعبير ، والحوار !

كان لابد أن تثبت مرآة .. ليرى كل فريق نفسه ، وليستمع إلى نقاش طويل من تصرفاته ، وآرائه التي اعتنقها وأصبح يدعو إليها ! .

بعض المفكرين نظر إلى هذه «البركانية» على فوهة مجتمع الشباب المعاصر على أنها نتيجة حتمية ومتوقعة في عصر القلق والحروب والقتل الذي أصبح مهمة بسيطة وسهلة .. في عصر « تأمل » فيه الشباب قوانين مجتمعهم وأساليبه في استمرارية الحياة ، وامتهان « التفاعل » الصادق الذي تعطيه النفوس الشابة ! .

وبعض المفكرين ـ بعد إصغاء وترقب ـ قال : إن أساليب التربية ومفاهيم التعليم ينبغي أن تتغير ، وأن تماشى عصراً جديداً ، وأن تعي جيداً هذا التناقض الفاضح في سلوك الشباب داخل العالم اليوم .

وظهر لكل فريق : مفكرون .. يعبرون عن حالته ، ويصفون معناها ، ويسبرون الأعماق .. حتى أن بعض أولئك الكتاب .. قيل عن ما كتب :

ـ إنها فضيحة للجيل المعاصر .. تخزى لكن ذلك لم يجعلهم يحجمون ، بل أن بعض النقاد يصفون أدبهم .. بأنه أدب



برنارد شو



البرتو مورافيا



ايزنهاور



يوجين يونسكو

العصر ، أو الأدب الجديد !

وقد جاء على قمة كتاب « الجيل الغاضب » فى بريطانيا انذاك .. كاتب شاب اسمه « جون ازبرن » .. ذلك الذى أصدر قصصاً وروايات تعكس حالة الجيل الغاضب .. وتحمل أفكاره وآلامه ، وقام النقاد ـ فى البداية ـ بحملة على هذا الكاتب .. لكن يبدو أن حموة غضبه لم تؤثر فى مواجهته لهم بالمنطق وبالجدل المسكت ! .

ثم جاء على قمة كتاب « الجيل المنهك » أو الجيل الضائع .. كاتب أميركي شاب اسمه « جان كروك » ، وقد لاحظ أن نسبة الكتاب المعبرين عن هذا الجيل الضائع أكبر من نسبة كتاب الجيل الغاضب فى بريطانيا ، ورغم أنه جيل منهك ، ولم يعد يعرف نفسه ومناخه ، فان الكاتب « جان كروك » أصدر : (مجموعة من القصص والأقاصيص ، وديوان شعر ، وكتابات فى الفلسفة ، ومختارات من آثاره مسجلة على اسطوانات) !

وبالاستقصاء ، والبحث عن أسباب هذا الضياع والانهاك اللذين أسلم جيل أمريكا المعاصر مقاليده لهما .. فقد قرأت استعراضاً كتبه الدكتور محمود السمرة .. أورد فيه رأي علماء الاجتماع هناك .. قال :

ـ « دفعت هذه الحالة علماء الاجتماع لدراسة هذه الظاهرة وانتهى العالم الاجتماعي فى كتابه ـ الصفوة الحاكمة ـ إلى أن السبب فى هذا كله يعود إلى أن أمريكا خرجت من الحرب العالمية الثانية منتصرة .. لتقع فى قبضة حفنة من رجال المال وكبار العسكريين ، وقد أكد هذه الحقيقة الرئيس ايزنهاور فى مذكراته التى نشرها بعد انتهاء مدة رياسته » ! .

● ●

وهناك فريق من الكتاب الجدد المعاصرين .. اعتبرهم فى رأيي فى الوسط ـ فى منطقة المحور ـ لا ينتمون إلى الساق الغاضبة .. ولا يؤيدون الساق المنهكة الضائعة .. ومنطقة المحور هذه قد لا يستطيع الكثير من المتأملين ، أو الواقفين، أو المستطلعين أن يرفع نظره إليها ليحدق فيها طويلا ، فهي فى علو .. بمقدار ارتفاع الساقين والتقائهما ، وهي ـ على هذا البعد ـ تبدو منطلقة غير مرئية كثيراً ، وكان يمثل هذه المنطقة أو هذا الفريق الثالث : كولن ويلسون ويوجين أونيسكو !

وقد يكون هذا القصد ـ اللامعقول ـ هو جامع النقيضين ، أو منطقة التقاء رأسي الساقين .. برغم أن ممثليها قد لا ينتمون كما قلت إلى أحد فريقي الساقين !

انها منطقة « اللامعقول » التى تشرف حيناً على انفعالات الغضبى والصائحين ، وتشرف حيناً آخر على المنهكين والمغذين فى طريق الضياع ! .

من هـــذا الاشراف الفكـــري ، أو « الخواطري » ماعالجه ، وصوره كولن ويلسون فى روايته « طقوس فى الظلام » !

هذه الرواية هى استشراف لدور المرأة فى الحياة ، وبالتالي هي أيضاً « ربا » فى مطالب هذا الرجل التى يريدها من المرأة !

إن بطل رواية طقوس فى الظلام يدعى « جيرارد سورم » وقد وصفه أحد النقاد .. فقال عنه :

ـ «إنه نموذج انسان القرن العشرين الذى تعذبه نفسه قبل أن يعذبه غيره .. تعذبه وحدته كما تعذبه معرفة الناس .. عانى من بعد المرأة ، وقاسى من لقائها بعدما عرفها » ! .

والمرأة لم تعد هي مشكلة شباب هذا العصر ، لأنها هي أيضاً استطاعت أن تجتاز بعض أدوار الحياة وأن تتخطى الحواجز فى المجتمعات الغربية !

إن من الامكان أن نقول الآن : إن الرجل أصبح اليوم هو مشكلة المرأة ! .. لقد فقدته كلمحة تختلف ، وفقدته « كتغيير » فى حياتها .. أصبحت المشكلة اليوم فـي « التمييز » سلوكاً وفكراً ، ودوراً فى الحياة !

إن « جيرارد سورم » بطل رواية ويلسون : طقوس فى الظلام .. أضاعه عذاب النفس ذاك .. فاضطر أن « يجرب » العديد من أدوار الحياة ، والعديد مـــن « الممارسة » البشرية حتى تردى فى الشذوذ وهو يصيح .. باحثاً عن المرأة !

ولكولن ويلسون رأي استمهلته حتى أهضمه وأفكر فيه ، ثم لم أحتمله .. لأنه قال « الرجل اكتشف الكثير من الحقائق الغامضة .. اكتشف أموراً كثيرة معقدة هداه إليها جهده وذكاؤه ، لكن المرأة أقرب من إليه لم يعرفها .. بل ضاعفت من حريتـــه » !

هذا الرأي ليس فيه أي خطل ، ولا يحتاج لتصويب جذري .. غير أن مشكلة العصر اليوم لا تنحصر أبداً فى المرأة وغموضها .. إنها مثلما تبدو غامضة ، فهي أحياناً كقطعة البلور فى يد ساحرة .. ترى عبر سطحها كل ما تريد !

إن « برنارد شو » تحدث من زمن بعيد قبل كولن ويلسون عن المرأة .. وعن مشكلة الانسان مع الحياة ، أو مع التعايش فى عصره ..

برنارد شو قال : إن المرأة هي التى صنعت الرجل .. لكي تجعل منه شيئاً أفضل منه ومنها ، ولكنها أخطأت حينما جعلت لا هم للرجل سوى انجاب الأطفال ، غير أن الرجل تجاوز بعد ذلك .. فعندما كان وقت فراغه كبيراً ولا عمل له .. صنع الحضارة الانسانية بدون أن يستشيرها » !

وكاتب ايطاليا الكبير « البرتومورافيا » لم يهتم أحد مثله بالمرأة والكلام عنها وفلسفتها ، وفضحها ، والانصياع لها .. لكنه فى كل قصصه ، وفى كل ما كتبه وقرأناه أو قرأنا عنه .. لم يحاول « مورافيا » أن يربط مشكلة العصر بالمرأة .. ذلك أنها ليست هي كل « المشكلة » وإن كانت بعض جوانبها ! .

إن الوقوف « تحت » ـ بين ساقي هذا الجيل ـ تحتاج فعلا إلى شجاعة فكر يتأمل بحرص ، ومثابرة ، وتحتاج إلى دعوة فالحة .. تشد النظرات لترى ما فوقها .. ترى « المحور » حتى لو كان « لا معقولا » .. لكنه نقطة التقاء ، ومكان يجمع الاضداد والتناقض ! .

إن شباب هذا العصر .. لا أعتقد أن كلمة ضياع ، أو إنهاك تنطبق عليه بحذافيرها ، وبهذا الجور فى الحكم .. رغم أن « جان كروك » نفسه ـ قال : « أنا من الجيل الضائع » . ولكن النظرة الفاحصة للأسباب الجوهرية التى تمخض عنها هذا الواقع للشباب .. هي أن يستخرج من دقتها الوصف الذى ينطبق على هؤلاء !

أما الشباب الغاضب .. فليس أكثر من « فترة » انتقال تمر بها أوربا كلها بعد أن سئمت طيلة هذا الردح من الزمن الأساليب القديمة فى « التفكير » !

ولا يمكن أن يكون هذا يعنى « العطف » على أسلوب هذا الجيل المتناقض .. بقدر مايعني محاولة لتبصر الأسباب .. فالحضارات تأكل كثيراً ، وتحصد أكثر .. لكنها تنبت جديداً على أرض جديدة !

● ● نشرت الدوحة فى عدد مايو١٩٨٢ ـ العدد ٧٨ ـ مقالا للأستاذ « فتحي رضوان » بعنوان « سعد زغلول فى قفص الاتهام » ، وطالبت « الدوحة » المؤرخين العرب بمناقشة ماجاء فى هذا المقال من اتهامات لسعد ومواقفه السياسية والشخصية ، وقد جاءتنا مجموعة من الردود ننشرها ابتداء من هذا العدد ونواصل نشرها فى الأعداد القادمة . وهذا هو العدد الأول وقد كتبه الاستاذ اسامة خالد ● ●

رد على : فتحي رضوان ودفاع عن : سعد زغلول



فتحي رضوان
وضع سعد زغلول فى قفص الاتهام

الزعيم الوطني.. متهم وورثة عدلي طلقاء؟!

بقلم : أسامة خالد

لكل موقف دلالة سياسية بخلاف دلالته الفكرية ، وكل كاتب مطلوب منه أن يراعى هذه الحقيقة عند التصدى لأى قضية . والدلالة السياسية التى تحدثت عنها تتحقق سواء كان الكاتب واعياً بها أو غير واع . ومن هذه الزاوية هل يمكن عزل الهجوم على سعد زغلول ووضعه فى قفص الاتهام عن الدلالات السياسية بل والآثار السياسية العميقة المترتبة على ذلك ؟!

وهى آثار تمس قضية الديمقراطية التى ارتبطت فى تاريخنا الحديث بسعد زغلول ، ومبدأ المفاوضات باعتبار أن سعداً قد هيمن على المفاوضات مع بريطانيا هيمنة مطلقة أثناء حياته بل وحتى بعد موته ، وأنه كَيَّف موقف المفاوض المصرى لسنوات طويلة فى حياته وبعد مماته .

إن الهجوم على سعد والتجريح الشخصى الظالم له وهو ما يؤدى الى تحطيم مكانته فى قلوب الناس ، تلك المكانة التى استقرت فى وجدان الأمة يحرسها شهداء من أبنائها ، يتخطى حدود «الموضوعية التاريخية العلمية» ، و «ملكية التاريخ» ويلقى بظلاله المقيتة على نضال المصريين اليوم من أجل الديمقراطية ومن أجل مفاوضات حرة متكافئة مع عدوهم .

هذا اذا كان بوسعنا أن نسمى السباب والشتم والتهم التى وجهت الى سعد ابتداء



سعد زغلول
لايمكن تحطيم مكانته فى قلوب الناس



عدلي يكن
خلافات لم تتوقف مع بداية مفاوضات ملنر

من كونه انانياً وانتهازياً وبخيلا ومنافقا وجباناً ومختلساً ، الى كونه لا يثبت على رأى ؟! حقود جحود ، استعان بعدلى الخ ، إذا كان بوسعنا أن نسمى كل هذا بحثاً علمياً .

واذا كانت شعوبنا التى لم يتح لها التعلم فى الغرب لسوء حظها تقترب الى المبادىء العظيمة من خلال الرموز التى تمثلها وترمز لها ، وتعرف المبادىء النبيلة بالرجال الذين ارتبطوا فى ذهنها بتلك المبادىء ، فما مبلغ الضرر الذى يلحق بتلك الشعوب وبنضالاتها من جراء ولعنا بتجريح أعظم قياداتنا الوطنية بحجة «البحث العلمى الحر» مع أن هذا البحث ينبغى له أن يكون منزهاً عن الغرض متعالياً على السب والشتم والقذف خاصة اذا تعلق بمن لا يملكون الرد على أنفسهم .

ومنذ فترة قريبة قام باحث هو الدكتور «عبد الخالق لاشين» باخراج بحث بعنوان «سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية» وقد كال لسعد من أمثال تلك التهم التى وجهها الأستاذ فتحى رضوان نقلا عن «علوبة باشا» ما يدهش الانسان له . إلا أن الدلالات السياسية لبحثه ذاك لم تكن غائبة عنه بطبيعة الحال ، فقد كتب الكتاب فى وقت كانت الديمقراطية ينظر اليها فى مجتمعنا على أنها ترف بورجوازى ونظام للباشوات ، وكان أى حديث عن التفاوض مع اسرائيل يعد خيانة عظمى .

ولكن ما يوحد بين الكتابين ـ كتاب د . لاشين» وكتاب «علوبة» ـ هو الميل للتجريح الشخصى وتحطيم هيبة زعامة وإنزالها فى الرغام . وذلك على وزن أن فلان باشا قال لسعد زغلول «انت سفيه» ، واستغلال الخواطر التى سجلها سعد فى مذكراته للقفز لاستنتاجات تغرى جدتها الباحث وإن خالفت الحقيقة وعدمت السند والبرهان وهو ما نلحظه فى الكتاب الأول .

وسوف أتعرض هنا لاتهامين وردا فى مقال الأستاذ الكبير «فتحى رضوان» نقلا عن كتاب «علوبة» هما موقف سعد من مشروع «ملنر» ، ونزاهته المالية . معتبراً ما ورد بالمقال عن «مهادنة سعد للانجليز» وما جاء تحت عنوان «سعد متهماً» .. أموراً لا ينبغى أن تؤخذ على محمل الجد ، فهى لم تخرج عن كونها سلسلة غريبة من التهم الظالمة تقتضى الرجوع الى الكتاب الأصلى .

ولكنى سوف أتعرض هنا لما قاله المؤلف الذى نقل عنه أستاذنا فتحى رضوان عن موقف سعد من مشروع «ملنر» الذى احتكم فيه الى الأمة ، وقال بالنص كما ورد فى مقال استاذنا «وفى نفس الوقت الذى يتحدث فيه سعد الى الأمة بأن مشروع ملنر المعروض على الوفد به مزايا لا يستهان بها ، كتب خطاباً الى ثلاثة من أعضاء الوفد .. وصفه علوبة فى كتابه خطاب سرى جاء فيه على حد عبارة علوبة ـ رحمه الله ـ بانه يتنافى كل المنافاة مع نداءه العلنى ، وجاء فى هذا الخطاب أنه يخالف سراً ما جاء بنداءه علناً» .

وهذه التهمة وجهت الى سعد من جميع الذين أقصوا أو استقالوا من الوفد ، بل يرددها أيضاً الدكتور لاشين فى كتابه السابق ذكره فيقول فى ص ٢٩٨ من كتابه : «أكثر من هذا فقد لجأ سعد الى استخدام أساليب لا يمكن أن ترقى الى مستوى الأمانة والنزاهة حيث إنه أخذ يبعث بالعديد من الرسائل السرية والشخصية الى أعضاء الوفد فى مصر .. يصارحهم فيها بأن المشروع حماية لا استقلال » وانه « حماية بالثلث » .

المشروع .. والحقيقة

ومن المفيد أن أعرض بايجاز شديد للمراحل المختلفة التى مر بها مشروع ملنر حتى يمكن للقارىء أن يتبين الحقيقة حول موقف سعد ذاك .

(١) تشكل الوفد قبل الثورة ، وجرى توسيعه بعدها بطريقة ارتجالية ـ وكان أعضاؤه يجمعهم هدف واحد عام هو «الاستقلال التام» إلا انه لم يكن بينهم اتفاق حول الأساليب الواجب اتباعها او التكتيكات الصحيحة وقد رأى معظمهم أن الاستقلال هو الهدف واعتبروا كلمة «التام» مرادفاً لغوياً .

(٢) عند تشكيل قانون الوفد نصت المادة الخامسة منه على انه «لا يسوغ للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها ، فليس للوفد ولا لأحد من اعضائه أن يخرج فى طلباته عن حدود الوكالة التى يستمد منها قوته وهى استقلال مصر استقلالا تاماً وما يتبع ذلك من التفاصيل» (دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ ـ د . محمد أنيس ج ١ ، ص ٣٩) وهذه المادة هى التى استند اليها سعد عندما انضمت الأغلبية لرأى عدلى يكن ، وعبر عن موقفه بقوله «لا تضامن فى مخالفة الأساس» .

(٣) كان أغلب أعضاء الوفد يعتمدون وسيلة واحدة للحصول على الاستقلال وهى إقناع بريطانيا بالتنازل بعد أن خذلهم المجتمع الدولى . ولذا كانت أعمال التنظيم (الوافدى) الذى أشرف عليه عبد الرحمن فهمى فى مصر مثار خلافات متصلة بينهم وبين سعد . بل تجدهم يرفضون عرض سعد بمنحه تفويضاً باتخاذ بعض الاجراءات التى يقتضيها العمل الوطنى وتتطلب السرية ويرفضون اعتماد مصروفات لهذا الأمر وهذا يفسر موضوع الأموال التى أخذها سعد ولم يخطرهم بالأوجه التى أنفقت فيها كما سنرى فيما بعد .

(٤) مع ابتداء مفاوضات ملنر وتدخل عدلى ثارت سلسلة متصلة من الخلافات لم تتوقف قط . ويذكر محمد كامل سليم فى كتابه «أزمة الوفد الكبرى سعد وعدلى» ص ١٧ أن سعداً قال له يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٠ «إن عدلى





الزعيم الوطني.. متهم وورثة عدلي طلقاء؟!

اراد اول الامر ان يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل - واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد - فقلت إنها خطة تفريق ، وإنه لم يكن ينبغى له ان يضع نفسه (اى عدلى) على راس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه . وسردت له وضعه لمشروع مع بعض اعضاء الوفد وإرساله الى ملنر من غير إطلاعى عليه أولا ، ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تامر ، وتصرفه فى الكلام مع ملنر بالانجليزية مرتين وعدم إخبارى بما دار بينهما» ويواصل سعد قائلا لعدلى يكن كما روى لسكرتيره فيما بعد : «علمت من محمد محمود انك قلت له إنك ستؤلف الوزارة القادمة ، وانك ولطفى السيد متفقان على الا يكون للوفد راى فيمن تختارهم للعمل معك .ثم توالت الاجتماعات بينك وبين فريق من الأعضاء ووضعتم مشروعاً قدمتموه الى ملنر ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولطفى السيد .. ثم إنى قلت لك مراراً إن مشروع ملنر مشروع حماية ولا يمكننى تاييده . كما انك لم تفعل شيئاً لازالة الخلاف والتوفيق بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقاً بفريق من اعضاء الوفد . وروج المندوبون المشروع بعد ان اتفقوا معى على عرضه على الأمة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتبت انت الى بعض اصدقائك فى مصر بالسعى الى حمل الأمة على قبوله كما يطلب ملنر ، وبدات التفكير والعمل فعلا لتاليف وزارة لأجل الدخول فى المفاوضات الرسمية ..... وكنت تاخذ صور بعض البرقيات من «علوية» وتبلغها «للاعرج» بقبول الأمة للمشروع مع بعض الرغبات والأمانى حتى اقتنع «ملنر» كل الاقتناع بأن التحفظات آتية منى وحدى لا من الأمة ولا من باقى أعضاء الوفد وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبثه برفضها» .

وفى نفس الكتاب ص ٢٧ يقول «المكباتى» «لمحمد كامل سليم» «إنهم يريدون فى الحقيقة تنحية الرئيس سعد عن المفاوضات ..... ويريدون فى الوقت عينه ان يتولى امر المفاوضات عدلى ومن يختارهم . لأن عدلى فى نظرهم اكثر مرونة وسياسة من سعد - ثم قال ضاحكا - لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا اننا على رأيه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية إلا بعد قبول التحفظات ولكن سعداً ثعلب لم ينخدع بما قلناه» !!

(٥) بعد ان وافقت الاغلبية على مشروع ملنر وعارضه سعد ، اضطر سعد إشفاقاً على الوفد من الانقسام الى القبول بتحكيم الأمة شرط عرض المشروع عليها بحيدة ونزاهة . وطلب الأعضاء منه الا يعلن عن رأيه فى المشروع حتى لا تتاثر الأمة . ولنترك للدكتور لاشين تكملة ما حدث «فيما يتعلق بمندوبى الاستشارة الاربعة فتكاد تتفق المصادر على تباين نزعاتها على انهم لم يقفوا عند حد عرض المشروع وحسب ، بل ذهبوا الى ابعد من ذلك ، فراحوا يحبذونه للأمة من ناحية ، ويتوسعون فى تفسيراتهم لبعض نصوصه بما لا يتفق معها شكلا وموضوعاً من ناحية اخرى» (سعد ودوره فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٠٠) .

اى ان الاغلبية بعد ان انتزعت وعداً من سعد باخفاء رأيه فى المشروع ، راحت تتنكر لوعدها أن تعرضه على الأمة بنزاهة وحيدة فحسنته فى عيون الأمة مدعية انه حاز موافقة سعد . فى محاولة لاستغلال ولاء الأمة المطلق له وثقتها به لتفويت مشروع (حماية مثلثة) على انه استقلال ، فما كان منه إلا أن أرسل برأيه الشخصى فى هذا المشروع الى أصدقائه فى مصر .

(٦) وافقت الأمة على المشروع بتحفظات ، وصمم سعد على التحفظات بينما راى عدلى يكن واغلبية اعضاء الوفد إغفالها أو تاجيلها . ثم قرروا ان يشكل عدلى وزارة تقوم بالتفاوض قبل إلغاء الحماية ، ولقد سعوا الى الحصول على موافقة سعد واستدراجه فى هذا الاتجاه . ولعل محضر آخر اجتماع للوفد فى باريس ١٢ يناير ١٩٢١ يصور الطريقة التى مورست مع هذا الزعيم (المهادن للاحتلال) (المستبد برأيه) كما يزعمون !!

يقول عبد العزيز فهمى للحاضرين «كلنا نعرف ونعترف أن الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات فى الماضى» ويعدد هذه المرات . «إلا ان الوفد متحد وموافق بالاجماع على عدم دخول الوفد فى المفاوضات الرسمية المقبلة او حتى الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطانى تعديل مشروعه على أساس هذه التحفظات وفى طليعتها النص الصريح على إلغاء الحماية» ثم يصل للقول «بان الخلاف الوحيد الباقى إنما هو فى مصر» فيساله سعد «وما سبب هذا الانقسام فى الأمة وما علاجه فى رايك ؟ فيجيب «فريق من ابناء مصر يرون ضرورة الاسراع فى الدخول فى مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة ... ثم فريق آخر من ابناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل الانجليز اولا التحفظات .. ويساله سعد «واى الفريقين تؤيد» فيجيبه «أنا أؤيد الفريق الأول» .

أى أن هدف الأغلبية هو أن يترك الوفد موضوع المفاوضات لعدلى دون قبول للتحفظات أو إلغاء الحماية . ويقول سعد «انكم لتعلمون كما أعلم ، أن عدلى راض عن مشروع «ملنر» وغير راض عن التحفظات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بامكان الحصول على الاستقلال» وهنا يعلن عبد العزيز فهمى رأيه فى أن «عدلى خير مصرى يمكن أن يتولى الوزارة .... وقضية الاستقلال» !!

ويقول سعد «فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد (أى عدلى) يشير فيه الى أن من رأيه أن تجرى المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملنر بعد تعديله بالتحفظات ؟ . إنه إذا صرح بذلك فانى أعلن فوراً تاييدى لعدلى صراحة ، بل أعلن أكثر من ذلك وهو أنى لا أرى حاجة لاشتراكى أو لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية» .

ويقول محمد علي علوبة رداً على ذلك «إن الوفد لم يقرر قط أنه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فى المفاوضات من المصريين .....وليس للوفد فيما أعتقد أن يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده ، وليس من المعقول أن يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقاً لآرائه ومعتقداته» ويوافق احمد لطفى السيد «علوية» فى قوله مضيفاً «إن السياسى يعز عليه أن يرتبط بشىء ما مقدماً» وينفجر «عبد العزيز فهمى» قائلا عن القيود التى وضعها الوفد موجهاً خطابه لسعد «أنت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ..... ولم تكن موافقة الأغلبية عن اقتناع أكيد وعقيدة جارفة بضرورتها وصوابها ، ومادمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين» .

ويرد سعد «معنى هذا» أن الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط او تحفظ ... الوفد يقصى نفسه عامداً متعمداً عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجاً ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيداً بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين ....» (راجع أزمة

الوفـــد الكبـــرى : محمد كامـل سليم ص ٩٦ ـ ١٠٦) .

ويلخص سعد الموقف فى خطاب لطاهر اللوزى فى ٢٧ يناير ١٩٢١ قائلا «انهم (أى الاغلبية) لم يتظاهروا بموافقتنا إلا إتقاء لسخط الامة وتلطيفا لغضبها ، وإلا فانهم سيعملون فى السر على بث أفكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تاييد سيدهم الذى رأوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم» . نفس المرجع ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ . ويوجز برنامجه بعد الانشقاق على النحو التالى «إن مشروع ملنر فى ذمتى واعتقادى مشروع حماية . فلا يمكن لي مطلقاً أن أحسنه للامة باية طريق ، وليس أمامنا الآن من طريقة بعد رفضه ، إلا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة . ومحاربة كل من يتصدى لتاييد الحماية ومشروعها الجديد ..... والتشنيع على الاستعمار البريطانى لبلادنا فى الداخل والخارج ، فى الداخل للاثارة المستمرة ، وفى الخارج لايقاظ الضمير الدولى .....ولابد أن ياتى يوم يعلو فيه الحق على الباطل ....وليس العجز يعد على الأمم ، وإنما العار كل العار أن تضع الامة غل الاستعباد فى عنقها وأن تقبل المهانة فى استسلام وأن تذل نفسها برضائها لعزة الاجنبى» . نفس المرجع ص ١٧٩ .

نتائج التشدد والرفض

وربما يسال البعض عن نتائج تشدد سعد ورفضه لمشروع ملنر ، وهل ضيعت تلك النتائج على الأمة حقا أو فوتت عليها مصلحة :

(١) يرى د. لاشين أن تشدد سعد «ضعضع قوة المفاوض المصرى (أى عدلى يكن) مما أفقده احترام الجانب البريطانى» والحقيقة أن هذا التشدد كان مما يقوى موقف عدلى ولا يضعفه . ولكن بريطانيا أدركت أن اتفاقا لا يوقعه سعد سوف يكون حبرا على ورق . وسوف لن يلزم الأمة أو يحقق الاستقرار السياسى المنشود فى البلاد . لذا آثرت على توقيع معاهدة مع عدلى ، أن تقوم بتقديم تنازلات من طرف واحد فاعلن مندوبها للسلطان أن بلاده لم تعد ترى فى الحماية علاقة مرضية بين البلدين ، ثم أعلنت إلغاءها بتصريح ٢٨ فبراير الذى منح البلاد استقلالا كالذى كان يطالب به عدلى وجماعته دون مفاوضات أو توقيعات . وفى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ صدر اول دستور ديمقراطى فى البلاد . تلك كانت بعض ثمار تشدد سعد ومن خلفه الأمة المصرية .

النزاهة المالية

على فرض أن سعداً استلم «مئات الالوف من الفرنكات الفرنسية إبان وجود الوفد فى باريس موقع عليها منه بخطه وقلمه لم يردها» كما جـــاء فى مقال الأســـتاذ الكبير فتحى رضوان نقلا عن «محمد على علوبة» ، فلاتزال المسافة بعيدة عما يمس النزاهة المالية . أولا لأنه أخذها بايصالات ، ولأن «علوبة» باشا لا يستطيع أن يقطع بانها لم ترد حيث انشق على الوفد و تركه مع من تركوه . فضلا عن معرفة الجميع قيام سعد بتمويل النشاطات السرية للوفد فى مصر مما لم يرضه باقى الأعضاء ممن تصوروا النضال الوطنى لعبة ملاكمة لا يجوز فيها الضرب تحت الحزام» .

ومن الطريف أن محمد كامل سليم يروى وقائع اجتماع جوبه فيه سعد بسؤال عن أوجه إنفاق ما طلبه من مبالغ . ففى حديث بين «علوية» و «سعد» يقول سعد لعلوية : لقد طلبت منك الف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت . ويرد «علوية» «أنا لم أرفض بل طلبت معرفة شئون الوفد هذه حتى أعرضها على إخوانى» . ويقول سعد : «لقد أردت أن أقدم هدية ثمينة تذكارية لمستر بلنت ، وأردت أن أقوم بدفع مصاريف الانتقال والاقامة للدكتور حامد محمود حين أكلفه بالسفر الى انجلترا ، واعتبرت طلبك تشككاً فى بواعثى وفى ذمتى فعدلت ، وإنك لتعلم أن رئيس الوفد ، بل رئيس أى جماعة يجب أن يكون تحت تصرفه بعض المال» ص ٧٩ «أزمة الوفد الكبرى» ومن بين الخطابات التى كشف د. محمد أنيس النقاب عنها فى كتابه «دراسات فى وثائق ثورة ١٩» وفى تقرير سرى مرسل من سعد الى عبد الرحمن فهمى فى ١١ ابريل ١٩٢٠ من باريس يقول سعد «ولكنى سارسل إليكم من طرف آخر نقوداً بالطريقة التى كنتم أوضحتموها وبهذه الكيفية يمكنكم أن تشتغلوا من غير أن يعلم أحد بشغلكم .... وعند استلام النقود من الذى سيعطيها لكم نبهوا عليه بأن يكون أمرها بينه وبينكم وأن يرسل إلي فوراً الوصل الذى تكتبونه له باستلامها» ص ١٠٥ ج ١ .

ولا أريد الاطالة فى هذا الموضوع الذى لا داعى لاثارته أصلا ففى يقينى أن من كان أميناً على مصالح أمة ، لا يختلس نقودها ، ومن نال المجد الذى ناله سعد لا يحسد «علوبة» ..والذى أسلم نفسه وهو شيخ طاعن فى السن للنفى والسجون لا يكون جباناً أو موهوماً واعتقد أن تلك عقيدة المصريين أيضاً ..

وفى ٢٩ ديسمبر عام ١٩١٩ أرسل سعد الى المصريين هذا البيان :

«الى أبناء وطنى الأعزاء . يحاول الأقوياء بجميع الوسائل أن ياخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قوة ويزيدوكم ضعفاً ، فلا تنخدعوا إذا خدعوكم ، ولا تخافوا إذا هددوكم ، واثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام . فهو أمضى سلاح فى أيديكم وأقوى حجة لكم ، وإن لم تفعلوا خذلتم نصراءكم وأهنتم شهداءكم وحقرتم ماضيكم ، وانكرتم حاضركم ومددتم للرق أعناقكم ... فلا تذلوا ولو قهرتم ، ولا تخسروا ولو ظلمتم ، ولابد من يوم يعلو فيه حقكم على باطل غيركم وينتصر فيه عدل الله على ظلم خصومكم وتتحقق باذن الله القدير آمالى وآمالكم فى الاستقلال التام» .

إن هذه الكلمات ماتزال ماثلة فى وجدان المصريين ولاتزال معانيها حاضرة وكانها قيلت اليوم أو تقال غداً ولايزال أنصار «عدلى» يعيشون بيننا ، ولايزال أنصار سعد يحيون بيننا . وإن تبادلوا المراكز والقوة . ولايزال مطلب شعبنا هو الديمقراطية ، ولايزال دستور ٢٣ يسبق طموحات الداعين للحرية فى بلدنا .

فماذا نكسب من وضع سعد زغلول فى قفص الاتهام . وما الذى نحققه من تحطيم الرموز التى آمن بها الناس واستقرت فى وجدانهم قرين الاخلاص والثبات على الحق والعدل والحرية . وما الذى تكسبه «الموضوعية التاريخية» من إصابة الناس بالحيرة وإفقادها ثقتها بنفسها وبتاريخها .

إنها لطامة كبرى بل وأى طامة ... أن يكون سعد زغلول متهماً اليوم ، وأن يكون ورثة عدلى طلقاء .. !!!

أسامة خالد

مسافر على الرصيف



الرجل الشجرة ... زكريا!

بقلم : محمود السعدني

لا يبعث الأسى فى نفسى مثل صفير باخرة تغادر الميناء فى الليل . ولا تمتلىء نفسى بالشجن كامتلائها لصوت قطار ينهب القرى والمدن والليل قبل لحظات من طلوع الفجر وفى الوقت الذى اتاهب فيه للنوم ! ومنظر البحر يذكرني ببلاد بعيدة وأيام سعيدة قضيتها هناك ! وأشجار الجميز بالذات تذكرنى بأيام طفولتى البريئة الهنيئة وسنوات من العمر قضيتها تحت أغصانها على شاطىء الريّاح ! والنوافذ المغلقة تذكرنى بالسجن وبالأيام الميتة خلف جدرانه ! والرصيف يذكرنى بأيام الصياعة التى بددناها فى مناقشات بيزنطية وديالوجات سخيفة ، ولكنها بالرغم من ذلك كانت أياماً مجيدة ، لاننا تصورنا خلالها اننا ملكنا كنوز المعرفة ، واننا توصلنا إلى معرفة سر الكون : فلما اكتشفنا الحقيقية بعد ذلك ادركنا فى الوقت نفسه أن العمر قد ولى وان الوقت قد فات ! والحقيقة التى اكتشفناها بعد فوات الأوان هى اننا لا نعرف شيئاً ، وان ما نعرفه هو أقل مما يجب واتفه مما ينبغى ، وان الكتب كثيرة والعمر قصير ! وأن المعرفة طريق ليس له نهاية . بينما الانسان يولد ليموت ، وانه يقرأ لينسى ويتعلم ليكتشف فى النهاية انه اصبح أجهل مما كان ! وبعض أصدقائى الذين ماتوا نسيتهم تماماً والبعض الآخر اذكره أحياناً ، وقلة قليلة منهم لم يغيبوا لحظة واحدة عن ذاكرتى ، ولا يمر يوم واحد من عمرى دون ان اذكرهم عدة مرات ! من هؤلاء كامل الشناوى الذى تعرفت عليه فى بداية الخمسينات والذى تعرفت عنده على عدد من مشاهير الجيل وكانوا يخطون أولى خطواتهم فى الحياة ! منهم ايضاً عبد الحليم حافظ الذى تعرفت عليه فى قهوة بلدى فى عابدين ، واحسست بشىء ما يشدنى إليه ، ربما لأنه كان مثل حالى مرهقاً ومكسور الخاطر ووحيداً فى الحياة ! ومنهم سعيد ابو بكر المضحك العظيم الذى عاش حياة قصيرة وعاصفة وساءت أحواله فى نهاية العمر ، ومات ممروراً من الناس ومن الحياة ! ومنهم زكريا الحجاوى الذى كان جزءاً من الحياة ذاتها ، كانه نتوء خرج منها أو طريق متعرج فى شعابها ، أو ظاهرة من ظواهرها كالمطر والرعد والزلزال ! ولعل موت زكريا الحجاوى هو الحادث الوحيد الذى هز أعماقى مثل جذع شجرة طيب كشجرة جميز حلو المذاق،كثمار المانجو . وكان أمير الصياع بلا جدال ، كان يعشق مصر ولعل ذلك هو السبب الذى جعله يطوف فى أرجائها على قدميه . وكانت مصر عنده هى القرية ، والشعب عنده هم الفلاحون ، والحياة البسيطة الرتيبة هى الحياة المثلى . وكان يردد دائماً خصوصاً فى أوقات المحن والأزمات .. لا أريد من الحياة أكثر من قيراط واحد من الأرض وشجرة وحصيرة أفرشها تحت أغصانها واتمدد عليها وبجانبى قلة فخار لتبريد الماء ! هذه كانت كل أحلامه ، ومدى مطامعه فى الحياة . ولم تكن هذه الأحلام تكلف أكثر من خمسمائة دينار كويتي لتصبح من حقائق الحياة ! ومع ذلك مات الفنان الكاتب الأديب زكريا الحجاوى دون أن يحقق حلمه . وغادر الحياة دون أن تتهيأ له فرصة ليرتاح لحظة ! وظل يسعى من اجل أكل العيش حتى بعد أن اعتل قلبه واختل نبضه ! الغريب أن هناك أدباء وكتاباً أقل فناً من زكريا الحجاوى وأقل موهبة وأقل عطاء يملكون قصوراً على شاطىء القناة وبعضهم يملك قصوراً على شاطىء النيل والبعض يملك ضياعاً فى ريف مصر ! ولعل هذا هو السبب الحقيقى الذى صدمنى بشدة فى موت زكريا الحجاوى . فهو قطع رحلة حياته بين الميلاد والموت بالخطوة السريعة ! كانه عسكرى جيش أتى أفعالا من شأنها الاهمال وعدم الانضباط ومخالفة الأوامر العسكرية ! وهو عاش كانه مشدود إلى جذع شجرة والسياط تلهب ظهره ، عقوبة مسجون خالف اللوائح ، وخرج عن تعليمات البيك المأمور ! ومع ذلك ما أصفى ضحكته حين كان يضحك ، وما أعمق فرحته حين كان يفرح . وما أهدأ نفسه حتى فى لحظات الخيبة والاحساس بالضياع ! ولازلت برغم السنين الطويلة اذكر أول لحظة رأيت فيها زكريا الحجاوى . شدنى صديق من يدى الى بيته فى حارة مظلمة من حوارى الجيزة . كان عندى من العمر عشرون عاماً ومعى من الفن قصة



زكريا الحجاوي



كامل الشناوى



عبد الحليم حافظ

قصيرة . واكتشفت أن بيت زكريا كان عارياً تماماً من الأثاث ، كأنه زنزانة يقضى فيها فترة عقوبة . ولكنه استقبلني ببشاشة وقرأ قصتى باهتمام . وطلب منى أن أقرأ كثيراً وأن أقرأ خصوصاً فى التراث ، وذكر أمامى عدة كتب كنت لحظتها اسمع اسمها لأول مرة ودلنى على الجبرتى وابن إياس وقال وهو يدخن بشراهة سجاير رخيصة ، إقرأ ألف ليلة وليلة انهـــا أم الفن القصصى ليس بالنسبة للعرب فقط ولكن بالنسبة للعالم . وقضيت عدة ساعات مع زكريا الحجاوى فى منزله وشعرت بحجم المحنة التى يعيشها ! فقد كان البيت شديد الضيق والعائلة كثيرة الأفراد . وحكى لى فى بساطة قصة حياته وكأننا أصدقاء منذ ألف عام . لقد تزوج من فتاة أحلامه وعاش معها أحلى أيام العمر ، ثم اضطر إلى الانفصال عنها لأن أخاه الأكبر توفى فجأة تاركاً زوجة ونصف دستة من الأبناء . واضطر زكريا الحجاوى للزواج من زوجة أخيه لكى يعول أبناءها ، هكذا بشهامة وببساطة وبدون تعقيدات !

وعندما غادرت منزل زكريا الحجاوى كانت الشمس قد أذنت بالمغيب ، وكان الجو حاراً لم يزل ، ولم أكن وحدى حين غادرت منزل زكريا ، بل كان زكريا معى . وعرجنا فى طريقنا على دكان سجاير أخذ زكريا منه حاجته من الصنف الرخيص الذى كان يدخنه . وهمس فى أذن صاحب الدكان بكلمات ، وسرعان مافتح الرجل الطيب الدرج وتناول منه عشرة قروش فضة ودسها فى يده . ومضى زكريا الحجاوى يقطع الطريق من الدكان إلى ميدان الجيزة فى خطوات ثابتة وقوية ومتعالية . واندهشت لشعبيته الواسعة فى الجيزة فقد اضطر إلى التوقف عدة مرات ليصافح بعض المارة ، واعتذر لكثيرين من الجالسين على الأرصفة عن شرب الشاى معهم لأن عليه أن يذهب إلى موعد هام ! وبعد رحلة استغرقت وقتاً طويلا وصل زكريا الحجاوى إلى قهوة محمد عبد الله ، وكانت هذه أول مرة أجلس فيها على قهوة عبد الله .

وكانت أول مرة أيضاً أرى فيهـا نـور المعداوى ورشدى صالح وسيد قطب ونزار قبانى . وخيل إلى أول الأمر أن نزار قبانى ممثل سينما جاء يسرى عن نفسه بالجلوس بعض الوقت مع الأدباء والشـــعراء . وجلست بجوار زكريا الحجاوى بعد أن قدمني إلى الجالسين قائلا .. الأســـتاذ محمود السعدنى الكاتب الفنـــان .. !! وشعرت بخجل شديد وغيظ أشد . فقـــد ظننت أنه يسخر مني ! فلم أكن أستاذاً ولم أشعر يوماً ما بأننى كاتب أو فنان . وكنت أخجل من عرض انتاجى على أحد . والسبب أننى عرضت انتاجى ذات مرة على بعض أصدقائى ولكنهم سخروا منى . وحتى الذين احترموا انتاجى همسوا فيما بينهم بأننى سرقت القصص التى قرأتها عليهم من بعض الكتب ! ولـــكنى بلعت ما تصورت أنه اهانة من زكريا الحجاوى وجلست بين المجموعة صامتاً . فجأة سألنى أنور المعداوى ، وليك انتاج يا أستاذ ؟ ورد زكريا الحجاوى على الفور ، معاه قصة جاهزة ، أنا باعتبرها بداية جيدة . وتناول أنور المعداوى القصة التى كنت أحشو بها جيبى وطالعها فى صمت فى الوقت الذى كانت عينى تتابعه فى قلق ، فجأة توقف عن القراءة وشارك فى الحديث وأحسست أننى انتهيت وتمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعنى . فها هو أنور المعداوى قرأ القصة ولم تعجبه . بدليل أنه توقف عن القراءة واشترك فى الحديث ! وهممت أن أغادر القهوة وأن اذهب إلى أى مكان بحيث لا يقع بصر احدهم على بعد ذلك . ولكن شجاعتى خانتنى وأحسست ببرودة تسرى فى أوصالى ، وبأن ساقيَّ ترتعشان

ثم شعرت فجأة بأن ريقى جف ، وأننى فى حاجة إلى كوب شاى ساخن ، ولم يكن فى الجالسين أحد اعتبره صديقاً لأطلب كوباً من الشاى على حسابه ، كما أنه لم يكن معى نقود لأطلب كوباً من الشاى لنفسى . ولا أدرى إلى أين ذهبت بفكرى عن قهوة عبد الله . ولكني انتبهت فجأة على أنور المعداوى وهو يجرى ببصره على سطور القصة . وخفق قلبى من جديد ، فهؤلاء الناس نوع ، اخر من البشر ، ليس من عينة أصدقائى الذين يشاركونى لعب الكرة ! وظل أنور المعداوى يقرأ حتى انتهى منها تماماً . ثم نظر إلى طويلا وكأنه يتفحصنى

الرجل الشجرة ... زكريا!

وقال معلقاً على القصة .. انا الاحظ انك بتكرر الفاظ معينة كثيرة . ورد زكريا الحجاوى قائلا وانا لاحظت نفس الملاحظة واعتقد ان السبب فى كده ، ان حصيلته اللغوية مش تمام ، عشان كده نصحته يقرا كتير ، وخصوصاً فى كتب التراث » ورد انور المعداوى ، « مش مشكلة ، المهم ان الكاتب يعبر بالالفاظ اللى عنده ، اللغة وسيلة مش غاية يا زكريا » ! ودخل الاثنان نقاشاً حول الموضوع ، واشترك الحاضرون فى المناقشة ، وبينما كان النقاش محتدماً كنت انا فى واد آخر ، فهذا النقاش كله كان حول قصة من تاليفى . انا اصبحت إذن مادة لمناقشات صالونات الادب فى القاهرة وشعرت باننى انتفخ ، وباننى ازداد وزنا ، وخيل إلى اننى ساطير فى الهواء ، وجلست وسط الحاضرين كاننى الجاحظ فى مجلس من مجالس الادب بالبصرة ! ولكني سرعان ما تضاءلت ، وانكمشت فى مكانى كاننى بالونة ثقبها احد العابثين بابرة خياطة . فقد وصل إلى مجلس الحكماء رجل معمم انيق بدرجة ملفتة يرتدى زى كبار المشايخ فى الازهر . وعليه سمات الجد والعظمة . صافح الحاضرين ، وانحنى باحترام وهو يسلم على انور المعداوى . وابدى نفس الاحترام لسيد قطب ، وصافح رشدى صالح فى ادب ، وسب زكريا الحجاوى وهو يمد له اطراف أصابعه . وضحك زكريا وهو يصافح « مولانا الشيخ » ونظر الرجل المعمم نحوى بازدراء شديد أهاج جميع مواجعي ، ومد لى طراطيف أصابعه ، وانتهز فرصة وقوفى لمصافحته فجلس على مقعدى ! ووقفت حائراً كفلاح نزل مطار لندن لاول مرة ؟ وانتبه انور المعداوى للمازق الذى انا فيه فقال للشيخ المعمم « انت يا عبد الحميد خدت كرسى الأستاذ » ! ورد عبد الحميد ساخراً الله ، هوه دا استاذ ؟ طيب لا مؤاخذة يا استاذ » ! وهممت بان اضرب المعمم قلماً على قفاه واطلق ساقى للريح . ولكنى تجمدت ولم ادر كيف اتصرف ! المهم انه بانتهاء السهرة فى منتصف الليل كنت قد خرجت بصديقين من قهوة عبد الله ، زكريا الحجاوى الطيب ، أما الصديق الآخر فهو نفس الرجل المعمم الذى عاملنى بجفاء وسخر منى بفظاظة ، والمهم اننا صرنا صديقين إلى آخر العمر . مولانا الشيخ عبد الحميد قطامش ، المحامى الشرعى ، واحد ظرفاء مصر الكبار ، المغرور المظهر ، المسحوق فى الواقع ، اكثر المشاهير فى عصرنا طيبة وقلقاً وهماً وعقداً ، واعظم دليل على ان المصرى يستطيع ان يصنع – برغم كل الظروف – اعظم المعجزات وياالها من ليلة التقيت فيها بعدد من مشاهير عصرنا ، وكنت لم ازل شاباً فى العشرين قليل العلم ولكن كثير التجربة شديد اليقظة عظيم الطموح . ولكن طموح الفقراء – كما يقول عبد الحميد قطامش كالفقاعات ، عندما يصطدم بالواقع الاليم سرعان ما ينفجر ولا يخلف وراءه الا قروح وجروح . وللحديث بقية !

محمود السعدنى

على ضوء الكارثة المشتعلة فى لبنان ، والتى لن يرحم التاريخ أحداً من العرب أو المسلمين المعاصرين من مسئولية تسجيرها ، نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ونقول :

من عجائب صنع الله فى هذا الكون الفسيح ، أنه جعل لكل شىء مواصفات ، سواء أكان هذا الشىء ذرة ، أو فيلا ، أو جبلا ، أو حماراً ، أو أمة من البشر أو الطير ، أو النمل أو الحيتان والبلم فى البحر ، واذا فقد الشىء أياً من مواصفاته تلك ، فانه لا يصبح ذلك الشىء .. فاذا كان ذلك الشىء حجراً بعينه فلابد أن تكون له صفات تخصه وتميزه ، وتحفظ له اسمه بين بقية مخلوقات الله من الجماد ، من حيث الكثافة والصلابة والصلادة واللون والمسامية والنفاذية وقوة تحمل الضغط ، والتوصيل الكهربائى والمغناطيسية ، وما الى ذلك من عديد الصفات التى يبوبها الكيماويون والفيزيائيون والجيولوجيون ، لتوصيف ذلك الصخر أو الحجر ورصد مميزاته ، وبالتالى فوائده ومنافعه ..

وإذا كان ذلك الشىء أمة من البشر ، تصر على أن توصف بأنها أمة واحدة ، فلابد لها من سمات تلزم الناس ، عملياً ، باحترام ذلك الاصرار ، من وحدة فى اللغة والعقيدة والفكر وأنماط العيش ، والآمال والآلام والموقع الجغرافى ، والموقع التاريخى فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وإلا ، فان أى مجموعة من البشر تتخيل (أنها أمة) مع ضياع أى من تلك الصفات ، تكون بلهاء واهمة يحتقرها الآخرون ، ولا يألون جهداً فى خداعها وحصارها وتفريغ محتواها التراثى ، وإخراجها من حلبة صناعة التاريخ ، ثم إبادتها ، أو تحويلها الى طوائف من الخدم و(المرمطونات) التى تاكل لتعيش وتاتمر بامر العدو والصديق دون تمييز بينهما .

والأمم ، على الرغم من مستحدثات العصر التى قصرت بها المسافات حتى أصبح ما يجرى فى العالم كله معروفاً لكل الناس فى لحظات ، لازالت مثل أطباق الطعام الأصيلة ، لا يسعفها الآكلون ، ولا تهضمها عصارات المعدة والأمعاء بما يعود على الجسم

الوحدة أو الفناء

بقلم: درويش مصطفى الفار

بالفائدة والنفع ، إذا أخل (الطهاة) بأصولها ، وحاولوا إدخال الغرائب والشواذ فى تركيبتها الأصلية ، كان يحاول متفلسف أن يطور (طبق الملوخية) باضافة شئ من الجزر اليه ، بدعوى رفع نسبة الكاروتين أو فيتامين أ فيه ، أو أن يطبخ (البامية) بمرقة زعانف سمك القرش لمنافع فيها يعرفها أهل الصين ..

والأمة العربية ، رغم حاضرها الأليم ، لازالت أمة واحدة تعرف تاريخها حقيقة المعرفة ، وتعرف العامل الأوحد الذى استطاع أن يربط أواصرها ويوحد صفها قروناً عدة على قلب رجل واحد ، ويعرف العقلاء فيها كل المعرفة ، أن جميع الأعمال المعادية لوحدة هذه الأمة من جديد ، إنما تهدف أساساً لصرف تفكيرها عن ذلك (العامل الأوحد) بمختلف الأساليب والطرق والمكائد والأحابيل والمغريات والمفسدين ...

ولقد غدت أقطار الأمة العربية خلال نصف القرن المنصرم (معمل تجارب) لكل أنواع (الأيديولوجيات) فكانت نتيجة ذلك كله ، ما يحدث اليوم فى لبنان ، ناهيك عما يحدث فيما بين أقصى المشرق والمغرب من أزمات وفتن وقلاقل وإراقة للدماء والأموال والجهود ، وتبادل للتهم والشتائم ، والبحث عن المشاجب والتعلات ، وحب التسلط ، وعبادة الحكم والسيطرة ، وتكميم الأفواه ، وسلب حرية (الأغلبية) والبطش والتنكيل بالرأى المعارض ، وفتح الثغرات للمارقين والمرتدين والزنادقة والمرتزقة والمنافقين من خلال تكريس الجمود والتحجر والانغلاقية ، مما أدى بنا الى حيث نحن اليوم ، مما لا يحسدنا أحد عليه ، ولا يحتاج الى شرح

فنحن اليوم على مفترق الطرق ، ولامناص من أن نختار :

أ ـ إما أن ينفض السامر ، وينصرف السمار ، كل الى شأنه وما يعنيه ، معلناً العدول عن (وهم) الأمة العربية الواحدة ، ولتعش كل دولة عربية داخل حدودها ، وتحت رايتها ، تختار من النظم ما تشاء ، وتبنى علاقاتها فى المجتمع الدولى كما تهوى وتريد ، لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا يسأل حميم حميماً ، ويستريح الجميع من مؤتمرات ولجان لا تعقد إلا لتنفض ، دون أن تشفى علة أو تروى غليلا ...

ب ـ وإما أن نرفض الفناء ، ونحترم ماضينا ومستقبلنا ، باجراء تغييرات شجاعة حرة الارادة ، فى هذا الحاضر التعيس الذى نعيشه اليوم ، تغييرات لحمتها وسداها الفكر الاسلامى الصحيح العقلانى الذى لا تحتكره الفئة الواحدة ، ولا يسيطر عليه المذهب الواحد الضيق ، فى دستور شامل لكل أقطار الأمة العربية ، تمهيداً لوحدتها على مراحل ، ويكون هذا الدستور هو الاطار المستخرج من القرآن الكريم والسنة الصحيحة المشرفة ، والذى يظلل كل نظم الحكم فى كل الأقطار العربية بمختلف أنماطها ، ويكون مدار (حرية الرأى الاسلامية) حين النقد أو التوجيه أو تسليط الضوء على الخطأ والصواب بصحافة مسلمة صادقة لا تخشى فى الحق لومة لائم ولا تسبح إلا بحمد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن سلك طريقهما من الحكام .

ويبدأ الاصلاح ، فى اعتقادنا كما يلى :

١ ـ انتقاء جماعة من أهل الفقه والرأى والعلم من كافة الأقطار العربية ، من المشهود لهم بالخلق الحسن والعقل المستنير وعدم التبعية لأية جهات أجنبية شرقية أم غربية أم خفية ، وهؤلاء عليهم صياغة (الصفات) التى تجعل من هذه الأمة العربية (شيئاً) له مواصفات يحترم بها بين الناس ...

٢ ـ اعلان الوحدة ، على اختلاف النظم ، فوراً بين أقطار الأمة العربية المتناخمة فى الأقاليم المتجاورة التالية :

أ ـ الجزيرة العربية ، المملكة العربية السعودية وامارات الخليج جميعاً ، وسلطنة عمان واليمن جنوبه وشماله ، والصومال وجيبوتى .

ب ـ العراق والشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن)

جـ ـ مصر والسودان وليبيا .

د ـ دول المغرب ، تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا .

لتصبح هذه الوحدات الأربع ، وحدة واحدة متكاملة بعد فترة ، لا يحكمها رجل واحد ، بل تحكمها مؤسسات من الرجال المسلمين ، هذا ملك وهذا رئيس وهذا أمير ، متساوين أمام الحق والواجب يسعى بذمتهم أدناهم ، وتكون رئاسة الجلسة للأكبر سناً أو من ينيبه ، والحكم أمانة بينهم وليس مغنماً دنيوياً .. على أن يواكب هذه المرحلة انشاء مؤسسات عربية ، اسلامية الفكر والفلسفة لصناعة الأطر والقواعد ، النافعة لكل الأقطار العربية ومستقبلها فيما يلى :

١ ـ الزراعة والثروة الحيوانية ، بما يكفل ألا يجوع قطر عربى ولا يعرى ولا يستورد طعامه .

٢ ـ الثروة المعدنية ، بحيث لا نصدر خاماً إلا بعد أن نصنعه مرحلة على الأقل .

٣ ـ الثروات البحرية ، بحيث نأكل من البحر والنهر لحماً طرياً ونتخذهما سبل مواصلات بكل فعالية ، وباساطيل نصنعها نحن ونمتلكها نحن .

٤ ـ الطاقة ، بحيث لا نظل موضع صدقات العلم والتكنولوجيا الأجنبية لاسيما فى الطاقة الشمسية .

٥ ـ الاقتصاد ، بحيث يكون خيرنا لأمتنا أولا ، ولا يكون مالنا فى يد أعدائنا على الدوام

٦ ـ الصناعة ، بحيث يركب الانسان العربى سيارته التى أبدعتها أدمغة وأيد عربية ١٠٠٪ .

٧ ـ إعمار الصحارى ، بحيث لا يعيرنا أحد بأن (غيرنا) أقدر منا على تعمير الصحراء ...

٨ ـ البحث العلمى ، بحيث نعيد فعلا لا خيالا أيام ابن سينا والرازى وابن الهيثم والبيرونى .

٩ ـ التربية والتعليم والثقافة ، بحيث تصبح أمة أول ما فى كتابها (اقرأ) أمة غير أمية ولا محرومة من القلم والكتاب كما هى حالنا الآن .

١٠ ـ السياسة الخارجية ، بحيث تكون كلمتنا واحدة سراً وعلناً ...

١١ ـ الاعلام والرأى ، بحيث لا نقول إلا الصدق ، ولا نحجر على رأى ، بل نقارع الحجة بالحجة فى إطار ، كما أسلفنا ، من الاسلام وفلسفته ...

١٢ ـ الدفاع ، بحيث نذود عن حياضنا ، ونهش عن كرامتنا ، ونذب عن أرضنا ، ونربى جندنا على أن الموت خير من حياة الذل والتبعية وأن نعلم يقيناً ، أن هذا الجند لن يقبل على الموت والشهادة ، إلا بعد أن يطمئن الى أن قيادته تعمل فى ظل فلسفة لحمتها وسداها الاسلام ، وعند ذلك سوف يحترمنا التاريخ ، وتصبح لنا (الصفة) التى تضعنا فى مكاننا على سطح الأرض ...

درويش مصطفى الفار

مائة سنة مجيدة ولكن ...

دور العمائم في تاريخ مصر

بقلم : فتحي رضوان

في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ م دخلت الجيوش البريطانية ، القاهرة ، بقيادة الجنرال ولسلي ، وبذلك بدأ عهد يقطر عاراً ، ولكن مع ذلك تزاوجت فيه مع وقائع الهزائم ، مواقف البطولة ، ومشاهد التضحية ، ولمحات من العمل العظيم ، وبوارق العبقرية المشروعة ، وانبثاق الأفكار المجيدة ، والمحاولات الرائعة .

وبعد قليل ، أى بعد نحو شهرين فقط ، يدور الزمن دورة كاملة ، ويبدأ قرن جديد ، بكارثة أخرى ، أوقع فى نفوس أهل هذه المنطقة التى نعيش فيها ، وأقسى عليهم من كارثة الاحتلال البريطانى ، وهى كارثة اتساع نطاق العمل الصهيونى ، ونجاحه المتوالى ، ونكوصنا على أعقابنا أمامه ، وعجزنا عن رد عاديته .

وهذه المائة من السنوات ، ولو ضقنا بما جرى فيها ، وخجلنا من أكبر أحداثها ، وتطور الزمن فيها ، إلا أنها حقبة من أكبر حقب التاريخ المصرى والعربى خصوبة وامتلاء بارهاصات مستقبل حاسم ، ستتغير فيه صورة الوطن العربى ، تغيراً يخرج منه شعب جديد ، غاية الجدة ، برىء من آفات التواكل والعجز والضعف والجهل ، والخوف من الآخرين ، والتسليم بالأمر الواقع ، ومواجهة المشكلات بالكلام ، وإساءة الظن بالناس .

ولاتحسبن أنى سأكتب موعظة ، أعزى بها نفسى عن سوء حالنا اليوم بوصف آمال براقة وأحلام آخاذة ، قد لا يتحقق منها شىء ، بل إننى سأتناول هنا ، موضوعاً آخر لا يمت الى هذه الأمانى التى تاسو الجراح ، وتهدىء الأوجاع ، فاننى أرى أن المائة سنة الماضية ، تستحق أن نتناولها بالتحليل .

رجال .. ومواقف

وقبل أن نبدأ التحليل ، نحاول عملية مسح شاملة ، تحصى جميع الأعمال والمواقف ذات التأثير الحاسم فى حياتنا ، ثم عملية إحصاء للشخصيات الكبيرة التى لعبت أدواراً كبيرة على مسرح العمل العام ، سواء كانت من المرضي عنهم ، والمقربين بفضلهم ، أو المغضوب عليهم والضالين ، على ألا يقتصر هذا الاحصاء على رجال السياسة وحدهم ، بل يجب أن تتسع دائرة الاحصاء فتشمل رجال الفكر : أدباء ، وفنانين ، ورجال تربية وتعليم ، ورجال ثقافة عامة ، وصحافة ، ورجال اقتصاد ومال ، ورجال حرب وأعمال ، ثم نقوم بعملية إحصاء للمواقف التى نراها قد غيرت وجه التاريخ فى بلادنا ، ومقدمات هذه المواقف ، ونتائجها ، ثم نقسم هؤلاء جميعاً الى فئات وطوائف من حيث وسيلة عملهم ، وزمان ظهورهم ، وتربيتهم بين أشباههم وأندادهم ، من حيث الظهور وبعد الصيت ، وخفاء الأثر ووضوحه ، ومن حيث قربهم من الشعب وبعدهم عنه .

ثم نحصى العقبات التى اعترضت سبل الشعب ، وأسبابها ، وما كان منها من أثر العصر ، وما كان منها من عمل الأعداء ، وما كان منها من اهمالنا وسوء تدبيرنا وقلة حيلتنا .

وقد كنت على وشك القول بأنه من الأفضل أن تنهض بهذه المهمة لجنة كبرى ، تتفرع عنها لجان ، تختص كل منها بفرع من فروع حياتنا ، لولا إننى سيىء الظن باللجان ، وبقلة جدواها ، حتى ولو ضمت أكبر العقول ، وأعظم الشخصيات ، فأكثر الفحول ، لا يحسنون العمل مع غيرهم ، وإن أتقنوه وحدهم ، وإن انفردوا بالعمل قد تغلبهم ارتباطاتهم الشخصية ، وأعباؤهم الفردية .

فالأمثل أن نعلن للناس ، أبواب العمل الذى نتمنى القيام به ، وندع لكل ذى همة ومروءة وموهبة وأريحية ، أن يخصص جانباً من وقته ، وأن يقف عليها قدراً من اهتمامه وعنايته ، مستعيناً بغيره ، أو مكتفياً

بمواهبه ، وحسن استعداده ، ويقدمه لجهة ما لنشره ، مع مقدمة لشخصية أدبية أو علمية ، تبين الهدف العام من الأعمال المتشابهة ، واتصالها بعضها ببعض ، وقد يكون لهذا العمل ، إن كتب له النجاح فى مصر أن يكون له أثره فى سائر البلاد العربية ، فيجتمع بين أيدينا وثيقة شاملة ، تعكس لنا صورة العالم العربى ، فى المائة سنة الماضية ودواعى النجاح ، وأسباب الفشل ، والأسماء الكبيرة التى ظفرت بالاعجاب والتقدير ، والأعمال الكبيرة التى تمت ، والأعمال الكبيرة التى لم تتم ، والأعمال التى تعتبر صغيرة ، لأنها ماتت فى المهد ، أو لم يسمح لها إلا أن تخطو القليل ، ثم تركد وتخلد الى الكسل .

ويخيل إلي ، أننا لم نصطنع الأسلوب التقليدى ، فى تصنيف الرجال والأعمال والمشروعات .

فمثلا أنا اقترح بابا من أبواب هذا البحث الشامل ، عنوانه « أثرذوى العمائم فى مصر » .

وعلى الرغم من أننى لم أستعد لهذا الفصل ، إلا أننى سأمضى فى المحاولة ، كمجرد نموذج ، لما أعنيه من التجديد فى التصنيف .

وأعتمد على الله فأقول :

يحسب أكثر الناس أن تاريخ مصر ، صاغته أيدى رجال ، طلبوا العلم فى المدارس المصرية المدنية ، فى درجاتها الثلاث :

الابتدائية ، والثانوية ، والعليا ، وأنهم كانوا علمانيين ، لا ينتسبون الى معاهد العلم الدينى ، ولا يحسنون التعبير عن أنفسهم ، منهم ممن يحفظون القرآن ، أو ممن حفظوا جانباً منه ثم نسوه ، وممن درسوا الحديث ، وتعلموا كيف يميزون بين ما كان منه حسناً وما كان ضعيفاً ، وما كان منكراً ، ثم طوحت بهم الأقدار الى دنيا إخوانهم ممن حصلوا العلم فى مدارس الحكومة ، التى لم تكن تلقن من الدين إلا أقل القليل ، ولم تكن تعنى باللغة العربية إلا الى الحد الذى يعين الطالب على معرفة القواعد الأصلية ، فيرفع الفاعل وينصب المفعول ، ويعرف الفرق بين اسم كان وخبرها واسم إن وخبرها ، ثم يجهل ما وراء ذلك جهلا تاماً .

ولكن عند التأمل فى تاريخ مصر الحديث الذى يبدأ منذ ولى محمد علي سدة الحكم سنة ١٨٠٥ م ، أو منذ وفد الى مصر نابليون بونابرت ، القائد الفرنسى الشاب فى أعقاب الثورة الفرنسية ، التى وقعت فى سنة ١٧٨٩ م على رأس جيش لا هو بالضخم ، ولا هو بالضئيل ، والذى ضم فيمن ضم جيشاً أصغر منه بكثير من علماء فرنسا ، وفنانيها



عمر مكرم

ومؤرخيها ، كان أخطر من الجيش المحارب ذاته ، وقد وصل الجيشان الى ميناء الاسكندرية فى ٣ يوليو ١٧٩٨ م أى بعد اندلاع الثورة بتسعة أعوام .

اتصلت مصر بأوروبا ، إذ اتصلت بجيش فرنسا ، وكان اللقاء أول الأمر مصحوباً بالوحشة والتوجس والانقباض ، فقد كانت مصر فى ظل الحكم العثمانى معزولة عن العالم تماماً ، لا تدرى من أمره ـ ولاسيما الجانب الغربى منه ـ أقل القليل . فاذا بأوروبا ، تدفع ببضعة آلاف من شبابها ورجالها ، يجوسون خلال الديار ، ويقيمون بين ظهرانى المصريين ، ويؤرخ لنا ابن الأزهر عبد الرحمن الجبرتى ، فى كتابه النادر « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » وقائع وأنباء هذه الملحمة الكبرى ، ملحمة اتصال المصريين ورثة الحضارات والثقافات بأوروبا الحديثة ، التى بدأت تنشيء حضارة جديدة وتقتبس ثقافة لنفسها من ثقافات مصر والعرب ، التى علمت الناس وهذبتهم قروناً عديدة .

إذا تأمل الانسان فى تاريخ مصر الحديث ، منذ بدأ ، حتى اللحظة التى نكتب فيها هذه السطور ، ظهرت له حقيقة غريبة ، وهى أن مصر الحديثة ، صاغها وصورها وألهمها بالفكر ، ودعاها الى العمل ، ورسم لها طريق النهضة ، شيوخ لم يتخلوا عن العمامة ، ولا عن الجبة والقفطان ، وحرصوا على أصول الحياة القديمة فى الدار وفى خارج الدار ، فأكلوا وشربوا ، وتبادلوا أحاديث الأنس ، على النسق الذى حرص عليه وتابعه آباؤهم وأجدادهم ، وان هؤلاء الشيوخ ، على شدة حرصهم على سالف العادات ، وقديم المناهج ، كانوا قادة حركات تجديد ، ورواد نهضات تحرر ، وباذرى جذور ثورة ، وطليعة عهد جديد . وانهم ثاروا وتمردوا ، واصطدموا



محمد عبده

بقوى أكبر منهم ، ولكنهم لم يتزلزلوا ولم يتخلوا عن رسالتهم ، ولم يداخلهم الخوف ، أو يتسرب اليهم الشعور بالنقص .

المعممون فى كل مجال

وقد يحسن أن نكتب ثبتاً بهؤلاء الشيوخ المعممين ، والثوار والرواد والمحررين ، فوجود أسمائهم ، بعضهم الى بعض ، يبرز الصورة التى نريد أن تلفت السمع والبصر ، وهم على الترتيب :

- السيد عمر مكرم أفندى نقيب الأشراف .
- الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى إمام بعثة الشبان المصريين بفرنسا .
- الشيخ محمد عبده محرر جريدة الوقائع المصرية .
- الشيخ عبد الله النديم الصحفى وخطيب الثورة العرابية وكاتبها .
- الشيخ عبد العزيز جاويش محرر جريدة اللواء ـ جريدة الحزب الوطنى ـ حزب مصطفى كامل .
- الشيخ علي يوسف باشا منشيء ومحرر جريدة المؤيد .
- الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى المحرر بجريدة المؤيد والموظف بمجلس النواب .

وبوسعك أن تضيف اليهم شيخاً معمماً ، أتقن علوم الاسلام ، وكان فى الصدر من شيوخ هذا الدين ، ونعنى به السيد جمال الدين الأفغانى ، لولا أن إقامته فى مصر لم تطل ، ولولا أنه لم يكن من شيوخ مصر ، وإن تأثر به وحاكاه ونهج منهجه ، عدد ضخم من رواد الثورة فى مصر .

فاذا أردت أن تضيف ـ غير متجن على الواقع ـ عدداً من شيوخ الأزهر ، الذين غيروا زيهم ، والتمسوا العلم ، فى مدارس الحكومة

مائة سنة مجيدة ولكن

دور العمائم في تاريخ مصر

الحديثة ، وحاكوا أهل الغرب ، ولم يعد أحد يناديهم بلقب الشيخ ، إلا تطرفاً ، وتذكيراً بالماضي المنسي ، فان الترتيب سيطول ، وإن كان يضم عدداً من أضخم الزعماء تأثيراً على عقول الأجيال التي عاصرتهم ، والتي جاءت بعدهم ، وفي مقدمة هؤلاء : علي مبارك وسعد زغلول ، وابراهيم الهلباوي ، وطه حسين ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، وحسن البنا ، وسيد قطب ، ومحمد الههياوي ، وصادق عنبر ، وعلي الجارم ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومحمد عبد الحليم عبد الله .

وإذا بعدت قليلا عن دنيا الأدب والفكر الى دنيا الفن ، لوجدت أن أكبر مطربي مصر ، وصانعي ألحانها ، ومجددي موسيقاها ، يحملون لقب شيخ ، وقد بقي هذا اللقب لصيقاً بهم ، وهم في مجالات الغناء والطرب ، وفي قاعات اللهو والمتعة ، وكان أولى بهذا اللقب ألا يفارق أهل القلم أمثال طه حسين ، وأهل البيان أمثال سعد زغلول وابراهيم الهلباوي ، ولكنه هاب السلطة فاثر البعد ، وبقي كبار مطربي مصر بلقب الشيخ ، ينادون به دائما أمثال : الشيخ سلامة حجازي والشيخ سيد درويش والشيخ زكريا أحمد والشيخ محمد أبو العلا ، والشيخ سيد مكاوي . ولا يفوتنك أن بيرم التونسي ، الذي بعث بقصائده وأزجاله وفكاهاته ودعاباته ، الروح في الأغاني المصرية ، والروايات الغنائية (الأوبريتات) ، ومقالات الدعابة والنقد الأدبي والاجتماعي والهجو السياسي بدأ حياته أزهرياً في معهد ديني بالاسكندرية لعله معهد الشيخ ابراهيم باشا .

السيد عمر مكرم

ولنبدأ بأول أبطالنا المعممين السيد عمر مكرم ، وكان أزهرياً قحاً ، ثم المنصب الذي يشغله ـ هو نقابة الأشراف ، أي أبناء وأحفاد رسول الله ـ منصباً دينياً .

ولد السيد عمر مكرم في أسيوط سنة ١٧٥٥ م على ما يستنتجه مؤرخه المرحوم فريد أبو حديد وقد تعلم في الأزهر ، وتخرج فيه ، وقد كانت له عناية بقراءة كتب الدين والفقه ، واقتنى مكتبة كبيرة ، لايزال جزء منها في دار الكتب المصرية يحمل اسمه .

ولست أنوي أن أروي تاريخ عمر مكرم كله وإن كان تاريخاً يتضوع منه عطر الجهاد ، في حلقات متصلة بعضها ببعض ، لم تدع له سبيلا الى الراحة ، فمنذ جاء الفرنسيون الى مصر ، بقيادة بونابرت ، وعمر مكرم هو زعيم مصر غير منازع ، وهو لا يقنع بتزعم الجماهير والتصدي لمخاطر مواجهة الأعداء الأجانب ، المدججين بالسلاح ، والمدربين على القتال ، بل إنه تحمل أعباء توجيه السياسة ، والخوض في دروبها الضيقة ، ومعاناة السير في مازقها المحرجة ، فهو لا يهادن الفرنسيين ، كما فعل كل أعيان مصر ، أمثال السادات والشرقاوي ، وبقي عمر مكرم ـ بعد وصول الفرنسيين الى القاهرة ـ خارج مصر ، رافضاً أن تتم بينه وبين الفرنسيين هدنة على الرغم من شدة رغبة الفرنسيين في عودته ، حتى يطمئن نفوس المصريين ، وبقي عمر مكرم يتنقل من موقع الى موقع ، وهو روح المقاومة ، فمن المنصورة الى يافا ، فلما أخطأ نابليون وقتل من أهل يافا ستة آلاف ، رأى نفسه عاجزاً عن مواصلة القتال ، ومد يد الصلح والمسالمة للسيد عمر مكرم ، ورجاه أن يعود الى القاهرة مكرماً معززاً ، ولم يأت الى مصر إلا بعد أن ثارت القاهرة ثورتها الباهرة في أكتوبر ١٧٩٨ م بقيادة رجل الدين بدر الدين المفدى الذي كان يتلقى رسائل عمر مكرم وهو في يافا ، يحرض الجماهير على الجهاد ، ويرسم الخطط ، فلما أجبر على العودة ، كان يتصور أنه قادر على النفخ في رماد الثورة ، وأن يؤلب جموع الشعب ضد الأعداء المغيرين ، فلما لم يجد الاستجابة التي كان يمني نفسه بها ، عاش في عزلة ، بعيداً عن الناس لأنه لم يكن يقبل أن يتصل ويعايش إلا قوما يدفعون عن وطنهم العدوان وقد بقي عمر مكرم ، بعيداً عن قائد الفرنسيين بونابرت ، وقواد الحملة الفرنسية ، لا يتودد اليهم ، كما فعل سائر العلماء ، الفرنسيون لا يرضون عنه ، ولا يستطيعون أن يمسوه لعلمهم بعظم مقامه ، حتى اضطروا الى مغادرة مصر سنة ١٨٠٠ م ، بعد ثورة مارس التي تلت ثورة أكتوبر ، ولما خلت مصر من الأعداء الفرنسيين ، تهيأ للاستيلاء على السلطة فيها ملوك المماليك ، أسوأ حكام عرفهم تاريخ الأمم ، وولاة تركيا الذين كانت تبعثهم ليمثلوها ، ويحكموا مصر على الرغم من أهلها ، وطليعة الغزو الانجليزي التي كانت أساطيله بقيادة سدني سميث ، ثم نلسون ، تجوب البحر الأبيض المتوسط ذهاباً وعودة .

وكان عمر مكرم في هذه الغابة المليئة بالأسود والنمور والذئاب والكلاب ، وكان وحده لا يؤيده ، ولا يسد أزره إلا إيمانه بوطنه ودينه ، وما حباه الله به من مواهب الزعيم الصلب ، والسياسي الموهوب ، فراح يشق طريقه في هذه الطرق الملتوية ، حتى هداه الأمر الى أن خير الرجال في هذه اللحظة الحرجة ، هو قائد الفرقة الألبانية الموفدة من تركيا ، ليستتب الأمن ، فقد رأى فيه ضبط النفس ، ونفاذ البصيرة ، وقوة الارادة ، فقرر أن يختاره حاكماً لمصر ، دون معرفة سابقة ، ولا صلة قائمة ، فأيده ، وقام بعمل لا يكاد يتصوره قارىء لتاريخ هذه الفترة ، فقد أثار الشعب على والي تركيا ، ومندوب السلطان ، خليفة المسلمين ، ورفض ان يذعن لأمر هذا الوالي الذي عزل محمد علي قائد الفرقة الألبانية ، فجمع عمر مكرم الشعب في مظاهرة مستمرة في دار المحكمة الشرعية ، وأمر بمحاصرة الوالي في القلعة ، فقام أفراد الشعب بهذا الحصار ، الذي لم تشهد مصر شيئاً مثله ، وكانت المواجهة بين وال يمثل السلطة الشرعية المتمثلة في شخص الخليفة والسلطان والمؤيد بالجيش والسلاح ، وبين الشعب المصري ، شعب الفلاحين الأعزل ، يقوده عالم من علماء السياسة ، لم تتح له فرصة قيادة الجيوش ، ولا مفاوضة الحكام ، ولا تنظيم الجماهير الثائرة ، ولكنه استطاع أن يواجه في وقت واحد : الأمراء المماليك ، وقادة الفرق العسكرية الأخرى الطامعة في الحكم ، وبقية الجيش الفرنسي ، ومطامع بريطانيا . واستطاع فوق مواجهة القوى المتلاطمة ، أن يجعل من جبهة الشعب قوة ، لا تنفذ منها دسائس الأقوياء المسلحين ، ونادى بمبايعة محمد علي في المحكمة الشرعية ، وهتفت جموع الشعب في دار المحكمة بتأييد هذا الاختيار ، وتم اختيار محمد علي بوثيقة وقع عليها قاضي المحكمة الشرعية ، وتعهد فيها محمد علي بأن يحكم مصر بشروط الشعب المتمثل في علمائه الذين كان يتزعمهم السيد عمر مكرم .

ولما تولى محمد علي الحكم ، كان يمكن أن يكون عمر مكرم هو أقرب الناس للحاكم الجديد ، وأن يكسب من وراء ذلك السلطة ، ولكنه لما رأى أن (محمد علي) انحرف ، وأراد أن يستبد بالسلطة ، وأن يخرج على الميثاق المحرر بينه وبين الشعب ، تحاشاه وبعد عنه وأطلق لسانه في نقده ، فصبر (محمد علي) قليلا على (عمر مكرم) أولا لاحساسه بدينه له وبمركزه عند الناس ، ولكنه اضطر آخر الأمر أن ينفيه الى دمياط ، ولم يعد الزعيم الشيخ ، العالم المسلم المجاهد ، إلا بعد أن تقدم به السن ، وبعدت به الشيخوخة عن القتال ، إلا أنه كان طليعة الشيوخ المعممين الذين صاغوا مصر الحديثة .

وسأكمل الحديث باذن الله ، عن سائر هذه الكوكبة الرائعة من أهل الفكر والقلم ، في المقال التالي .

فتحي رضوان

بقلم : عصام شريح

شارون
مهندس المذبحة في لبنان


اريئل شارون

وزير الدفاع الاسرائيلي يقول لليهود :
ارفعوا صوتكم واضغطوا على العالم في كل مكان

في ٢٢ حزيران (يونيو) الماضى اكمل الجنرال اريئيل شارون سنة كاملة كوزير للحرب في الكيان الصهيونى ، وفى السادس من الشهر الماضى نفسه أيضا ، شن شارون حربه الوحشية على لبنان ، التى استهدفت بلوغ غايات عديدة ، ليس أهمها تدمير منظمة التحرير الفلسطينية كقوة عسكرية وسياسية ، وإنما إظهار اسرائيل فى موقع الدولة العظمى ، التى بات عليها ان تتصرف فى منطقة الشرق الأوسط ، بل وفى العالم على هذا الأساس !!

طرح شارون افكاره السياسية والعسكرية فى مناسبات عديدة ، كان أهمها ذلك الخطاب الذى كان مقرراً ان يلقيه فى كانون الثانى (يناير) الماضى فى صيغة محاضرة عن مشكلات اسرائيل الاستراتيجية فى الثمانينات فى افتتاح ندوة معهد الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب ، لكن بسبب النقاش الذى جرى فى الكنيست الاسرائيلى آنذاك بخصوص قانون ضم هضبة الجولان السورية المحتلة ، لم يلق شارون تلك المحاضرة ، إلا أن الصحف الاسرائيلية قامت بنشر أهم أفكارها وفقراتها .

وفى الواقع فان الافكار التى وردت فى تلك المحاضرة كانت وما تزال من الاهمية بمكان لانها تكشف ببساطة ودون موارية او لف ودوران ، عن النوايا التى نفذت ضد لبنان وحركة المقاومة الفلسطينية وقوات الردع العربية فى لبنان ، اضافة الى افكار أخرى تكشف عن مدى المطامع الاسرائيلية ، والخطط المرسومة للتوسع فى الاراضى العربية وانشاء اسرائيل الكبرى التى يقطنها خمسة عشر مليون يهودي حتى مطلع القرن القادم .

وقد حاول شارون ان يقدم نفسه كرجل مرحلة تاريخية فاصلة ، وفى هذا الاطار قالت صحيفة « عل هامشمار » الصهيونية ، ان الخطاب مهم لأن « وزير الدفاع » يعرض فيه « مبدأ شارون » ، اى ان وزير الحرب الاسرائيلى حاول ان يدخل التاريخ من باب المبادىء كما هو الحال مع « مبدأ مونرو » الذى اعلن فيه رئيس الولايات المتحدة ان امريكا الجنوبية هى منطقة نفوذ امريكى ، وأنها ـ اى الولايات المتحدة ـ لن تسمح للدول الأوروبية العظمى بالتدخل فى هذه المنطقة ، كما حدد « مبدأ ترومان » بعد الحرب العالمية الثانية مناطق النفوذ الامريكى فى جنوب أوروبا ، والتى شملت دولا مثل اليابان وتركيا . وعالم الدبلوماسية حافل بمبادىء من هذا النوع ، منها « مبدأ بريجنيف » الذى يبيح للاتحاد السوفيتى التدخل فى الدول الاشتراكية ، عندما يلوح خطر يتهدد أنظمة تلك البلدان ، ثم أخيراً « مبدأ كارتر » الذى قضى بتشكيل « قوات التدخل السريع » الامريكية ، من أجل التدخل عسكرياً فى أى منطقة من العالم لحماية ما تسميه الادارة الامريكية مصالح الولايات المتحدة .

فهذه المبادىء حددت مصالح الدول الكبرى ومناطق نفوذها ، وقد حاول شارون ان يقدم اسرائيل على انها دولة عظمى كما وصفها فى الخامس والعشرين من الشهر الماضى ، وذلك من ضمن ما يوصف بـ « مبدأ شارون » ، كما ذكرنا سابقاً . وبحسب مفهوم شارون ـ وهو مفهوم مبسط الى درجة شديدة ـ فان المقولة التى تتردد على لسانه هى أن على اسرائيل ان تعترف بما يسميه بـ « القوة الهائلة الكامنة فيها ، وأن تتخلص من ظاهرة إلغاء الذات » .

شارون
مهندس المذبحة في لبنان

ويشرح شارون فكرته هذه فيشير الى أن فى استطاعة اسرائيل ان تفعل أكثر مما فعلته فى السابق ، بشرط ان تختار التوقيت السليم لتنفيذ خططها ومشاريعها .

واذا كان شارون يتحدث بلغة الشريك لا التابع مع الدول الكبرى (مع الولايات المتحدة بصورة خاصة) ، فانه يتحدث الى يهود العالم بلغة القائد الذى يتحدث الى جنوده ، وقد شكلت أقواله فى الاجتماع بممثلى الجاليات اليهودية فى الولايات المتحدة الذى عقد فى مستوطنة « غوش عتسيون » نموذجاً لطابعه هذا ، فبعد ان تحدث عن ضرورة الهجرة أو ضرورة ارسال اليهود الامريكيين ابناءهم للدراسة فى اسرائيل ، طلب شارون منهم مؤازرة سياسية أقوى من تلك التى يقدمونها حالياً وقال : « انني أؤمن انه يتوجب على ابناء شعبنا (اليهود) فى كل مكان فى العالم ان يرفعوا صوتهم ، وان يعربوا عن آرائهم ، وحتى ان يمارسوا الضغوط على الدول التى يقطنون فيها ، ولا يختلف الأمر اذا كانت تلك الدول صغيرة أو كبيرة ، فنحن ننتمى الى أمة كبيرة رغم انها صغيرة فى عدد ابنائها ، ولنا الحق فى مطالبة العالم بكل شيء ، وكيهود ، فنحن لسنا مدينين بشيء لأى كان ، فالعالم هو المدين لنا كثيراً » !!

ان لهجة الغطرسة الصهيونية تبدو واضحة فى كلام شارون المتقدم لكن الصورة تبدو أكثر إثارة وخطورة اذا استعرضنا أفكار شارون الأخرى .

فالرجل يقول عن « السلام » (مع مصر) انه ليس أبدياً ، « واذا استمر السلام عشر سنوات فسيكون هذا إنجازاً » ، اما « اذا استمر عشرين سنة ـ فسيكون هذا إنجازاً هائلا ، وثلاثين سنة ، فسيكون حلماً » .

وهذا الكلام واضح ، فشارون لا يؤمن بالسلام إلا كمرحلة ، تمنح المحارب فترة للاستراحة وتجميع القوى من أجل الانقضاض ثانية حين تلوح الفرصة المناسبة .

التحدى العربى

فى محاضرته التى لم تلق ونشرتها الصحف الاسرائيلية ، يسفر شارون عن وجهه العدوانى بشكل أكبر مما تقدم ، ويظهر هذا الوجه ، عندما حاول تحديد ما اسماه « بالاخطار الخارجية التى تتهدد اسرائيل » ، وقد سمى مصدرين لهذه الأخطار ، أولهما المواجهة مع الدول العربية ، والثانى ما اسماه « بالتوسع السوفيتي » فى الشرق الأوسط ، وبالنسبة للمصدر الثانى ، فان شارون يريد وضع اسرائيل ضمن المعادلة الغربية فى التصدى للاتحاد السوفيتي نفسه ، ليس فى الشرق الأوسط فحسب ، وانما على مدى العالم كله ، مما يظهر اسرائيل فى اطار دولة عظمى .

اما بالنسبة للتحدى العربى ، أو المواجهة مع الدول العربية ، فان هذا التحدى يكمن أولا فيما يسميه شارون بـ « الايديولوجيا القومية » لبعض الدول العربية ، وطموح هذه الدول السياسى والاستراتيجى الذى يدفعها الى اعطاء اولوية فى جهودها لخلق أرضية سياسية ـ عسكرية ، تستهدف بناء استراتيجية ممرحلة سياسياً وعسكرياً بهدف القضاء على « دولة اسرائيل » .

وقد حدد الجنرال شارون الأسس الرئيسية للاستراتيجية العربية الممرحلة هذه ، وقال انها تشمل جهداً مشتركاً لتحقيق ضغط سياسى متواصل ضد اسرائيل ، وعند الضرورة ، شن عملية عسكرية محدودة ، هدفها « ازعاج » اسرائيل وإضعافها ، ثم انشاء قوة عسكرية تقليدية ، وغير تقليدية فى نهاية المطاف ، تستغل فى ظروف ملائمة فى المستقبل للانقضاض بشكل حاسم على اسرائيل .

وبين هذه الأسس التى حددها شارون لبناء استراتيجية عربية ضد اسرائيل ، استخدام التأثير السياسى ـ الاستراتيجى لسلاح النفط الى الحد الأقصى ، ثم دعم منظمة التحرير الفلسطينية سياسياً وعسكرياً ، كأداة لتنفيذ عمليات فدائية ، وخاصة فى غياب إجماع وتضامن عربى على خوض حرب ضد اسرائيل .

اما العامل الثانى فى استراتيجية التحدى العربى ، فهو منظمة التحرير الفلسطينية وما تشكله المنظمة من تهديد كامن بالنسبة الى جوهر وجود اسرائيل من جهة ، وما تشكله من عقبة رئيسية امام حل « المشكلة الفلسطينية » على اساس اتفاقية كامب ديفيد ـ اى اقامة حكم ذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين حسب المفهوم الاسرائيلى الذى يرفض الاعتراف لعرب الضفة والقطاع بحق تقرير المصير ، أو حق السيادة على ارضهم ، ويقرر ان السيادة عليهما هى السيادة الاسرائيلية .

اسرائيل العظمى

وازاء هذه التحديات التى تواجه الكيان الصهيونى ، فان الجنرال آريئيل شارون يحدد الخطوط العامة لما يتوجب على اسرائيل ان تفعله ، وفى بعض الأحيان يدخل فى التفاصيل .

يقول شارون فى هذا الصدد ان الاستراتيجية الاسرائيلية يتوجب ان تنطلق من منظار تأثر مصالح « أمن اسرائيل » بتطورات « واحداث » تتجاوز منطقة المواجهة المباشرة مع الدول العربية والتى كانت مثار الاهتمام فى الماضى . ويطالب بأن تتسع اهتمامات اسرائيل الاستراتيجية لتشمل مجالين جغرافيين اخرين يتسمان بأهمية امنية لاسرائيل ، وهما :

أولا : الدول العربية الواقعة خلف دول المواجهة (اى ما اصطلح على تسميته باسم دول المساندة العربية) ، التى يقول الجنرال شارون انها تضيف بطاقاتها العسكرية المتزايدة بعداً أكثر خطورة ، الى الخطر المباشر (اى دول المواجهة) ، سواء بواسطة إرسال قوات مقاتلة إلى منطقة المجابهة ، أو بواسطة عمليات جوية وبحرية مباشرة ، تستطيع تنفيذها ضد خطوط المواصلات الجوية والبحرية لاسرائيل .

ثانياً : الدول التى تلى دول المساندة العربية ، والتى قد تؤثر مكانتها وتوجهاتها السياسية ـ الاستراتيجية بمقدار خطر على « أمن اسرائيل » . ويحدد شارون هذه الدول بكلمات أخرى ، فيقول انها الدول الواقعة ما وراء الدول العربية فى الشرق الأوسط وعلى سواحل البحرين الأبيض المتوسط والأحمر ، ويضيف أن على

اسرائيل أن توسع مجال اهتمامها الاستراتيجى والامنى بحيث يشمل فى الثمانينات دولا مثل تركيا وايران وباكستان ومناطق مثل الخليج « الفارسى » ـ كذا ـ وافريقيا ، وبشكل خاص دول افريقيا الشمالية والوسطى !!

وهذا يعنى ان شارون يريد ان ينقل خطوط المواجهة الى ما وراء العالم العربى الذى يعتبره منطقة نفوذ وتوسع اسرائيلية ولم يترك وزير الحرب الاسرائيلى مجالا للتكهنات فى هذا المجال ، بل انه قدم لنا تفاصيل ، يمكن صياغتها بكلمات أخرى : «ان خط المواجهة بالنسبة لاسرائيل يمتد ما وراء الدول العربية فى الشرق الأوسط ، وعلى سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر ، وينبغى على اسرائيل ان توسع مجال اهتمامها الاستراتيجى بحيث يشمل دولا مثل تركيا وايران وباكستان والخليج العربى والدول الافريقية ، اى ان شارون يتصور الامبراطورية الاسرائيلية ـ كما تقول صحيفة « عل هامشمار » ضمن الحدود التالية : الصين فى الشرق ، والاتحاد السوفيتي فى الشمال ، والجزائر والمغرب ، وكينيا أو جنوب افريقيا فى الجنوب . ولتنفيذ هذه الاستراتيجية المعبرة عن « جنون العظمة » ، فان شارون ينادى بان تحافظ اسرائيل على توازن عسكرى مبنى على تفوق نوعى وتكنولوجى واضح على الدول العربية ، وهذا الأمر يوجب على اسرائيل ان تعتمد على قدراتها الذاتية لتطوير وانتاج الأجهزة الحيوية لتأمين « تفوقها النوعي وأمنها » وان كان ذلك يلقى عبئا هائلا على موازنتها الدفاعية واقتصادياتها ، لكن شارون يضيف انه يترتب على اسرائيل لتخفيف اعبائها الدفاعية زيادة صادراتها الى حلفائها (أو بالاحرى حاضنيها) ، ثم منع تقويض ما يسميه شارون « الوضع العسكرى الاقليمي الراهن فى الدول المجاورة » ـ اى الوضع فى شبه جزيرة سيناء وفى لبنان ، واضافة الى ذلك يقول شارون ان اسرائيل ستمنع اى تغيير فى الوضع الجغرافى ـ العسكرى مع دول المواجهة العربية (مصر ـ سوريا ـ الأردن ـ لبنان) قد يؤدى الى خطر لا يحتمل ، مثل إرسال كثيف لقوات عراقية الى الأردن ، أو الى جنوب سوريا ، أو ارسال قوات سورية الى الأردن .

أما المنطلق الثالث فى الاستراتيجية بمنظار شارون ، فيقضى بمنع دول المواجهة « أو دول مواجهة محتملة » من الوصول الى السلاح النووى ، ويقول فى هذا الصدد ان امتلاك الدول العربية أو دولة اسلامية كباكستان لسلاح نووى يمثل شأنا « مصيريا » بالنسبة لاسرائيل . وفى هذه المنطلقات الثلاثة لا ينسى شارون ان يعترف صراحة بان اسرائيل تعتمد فى استراتيجيتها هذه ، بل فى بقائها ووجودها على الولايات المتحدة الامريكية ، ويعترف أيضا بأن الخطر الكبير على اسرائيل يكمن فى ان تقرر واشنطن أن استثمارها فى المنطقة (اى اسرائيل) غير مجد ، ويشير شارون الى ان هناك سوابق امريكية فى هذا المجال ، فقد حدث ان تخلت الولايات المتحدة عن حلفائها فى فيتنام وكمبوديا ... الخ ، ويطالب بوجوب بذل كل شىء من أجل إقناع الامريكيين بالا يصلوا الى اتخاذ قرار كهذا .

من هو شارون ؟

شارون من مواليد عام ١٩٢٨ فى مستوطنة « كفار ملال » ، وهو متزوج واب لولدين ، وقد بدأ حياته السياسية ـ العسكرية فى منظمة الهاغاناه ، وعمل ناطورا فى شرطة المستوطنات ، ثم دخل سلاح المدرعات فى عام ١٩٤٧ ، وفى حرب ١٩٤٨ ، اشترك فى معركة الفالوجه ومعركة اللطرون واصيب بجروح فى المعركة الأخيرة . ثم أخذ يتقلب فى مناصب عسكرية مختلفة ، الى أن اجتاز دورة قائد كتيبة ، وضابط استخبارات فى الأركان فى الفترة من ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ . وفى الفترة ما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ التحق بقسم الدراسات العليا فى الجامعة العبرية فى العلوم الشرقية والتاريخ ، وأكمل تحصيله العلمي فى كلية الحقوق فى جامعة تل ابيب فى عام ١٩٦٢ . وفى عام ١٩٥٦ أصبح قائداً لوحدة المظلات وشارك فى حرب ١٩٥٦ (العدوان الثلاثى على مصر) وفى عام ١٩٥٧ أنهى دورة دراسات عليا فى القيادة والأركان فى بريطانيا ، ثم أخذ يتقلب فى مناصب عسكرية متعددة من قائد لمدرسة المشاة الى قائد للواء مدرع ، وفى عام ١٩٦٧ رفع الى رتبة لواء (جنرال) . وفى عام ١٩٦٩ عين قائداً للمنطقة الجنوبية حتى نهاية حرب الاستنزاف فى صيف ١٩٧٠ ، وكان لشارون دور رئيسى فى محاربة العمل الفدائى الفلسطيني فى قطاع غزة فى الفترة من ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، وفى حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ ، قاد شارون عملية ثغرة الدفرسوار ، التى اعتبرت منعطفاً حاسماً فى تلك الحرب لصالح اسرائيل ، ومنذ ذلك الوقت أخذ نجم الجنرال شارون فى السطوع الى جانب قادة اسرائيل العسكريين والسياسيين .

وقبل حرب أكتوبر ، كان شارون قد ترك الخدمة العسكرية النظامية ، وانصرف الى شؤون مزرعته ، ثم قرر دخول الحياة السياسية كعضو فى حزب الأحرار داخل كتلة « غاحل » ، وفى صيف عام ١٩٧٥ ، استجاب لدعوة رئيس الوزراء السابق اسحق رابين الذى عينه مستشاراً عاماً لشؤون الأمن ، لكن خلافاً نشب بين الاثنين مما دفع شارون الى الاستقالة من منصبه ، والمبادرة الى تأسيس حركة سياسية جديدة باسم « شلومتسيون » ، وفاز بمقعدين فى الكنيست ثم انضم إلى حزب حيروت ، واختاره مناحم بيغن وزيراً للزراعة ثم وزيراً للحرب . ورغم ان شارون يعتبر دخيلا على حزب حيروت ، إلا ان افكاره ومعتقداته السياسية وممارساته كوزير تتطابقان مع الخط السياسى لحزب حيروت بالنسبة لمصير الأراضى العربية المحتلة . ويعتبر شارون حالياً صقراً بين صقور حكومة بيغن ، وهذا ما دفع الحركات والتيارات اليمينية فى الكيان الصهيوني ، وفى مقدمتها حركة « غوش ايمونيم » المتطرفة الى التعاطف معه .

أخيراً ..

فان شارون بأفكاره الشوفينية المتغطرسة يكشف عن الواقع النظرى للصهيونية كايديولوجية ، ويزيح عنها الأقنعة ويعريها تماماً ، كما كشف عنها وعراها على صعيد الممارسة الفعلية على الأراضى اللبنانية ، وكما توحى بذلك خططه العسكرية فى لبنان ، الذى اراده مجالا لتحقيق التفوق العسكرى الاسرائيلى الحاسم ، والانتقال من خلال هذا التفوق الى مرحلة جديدة على طريق اقامة « اسرائيل العظمى » .

عصام شريح

عاشق بنت السلطان

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

لي بين الشعراء أصدقاء كثيرون . وقد تعلمت من معاشرة أصدقائي الشعراء المعاصرين ومن قراءة سير الشعراء الأقدمين أن الشاعرية قد تكون طبيعة في الشاعر ، وقد تكون موهبة له . وأنه قد تترافق الطبيعة والموهبة عند الشاعر ، وقد تفترقان .

فهذا شاعر له قصائد رائعة ، ولكن نفسه جافية أو أن سلوكه مادي لا يرتفع عن الحضيض ، فهو شاعر بالموهبة لا بالطبيعة . وذاك آخر ضعيف القدرة على ابداع القوافي ولكنه رقيق الحس واسع الخيال نافذ النظرة الى مواطن الجمال ، فهو شاعر بالطبيعة . وهذا الأخير في رأيي أقرب الناس الى الشاعرية الحقيقية وان لم تسر له الشهرة بالنبوغ . هو الشاعر الحق حتى لو أنه لم ينظم بيتاً واحداً .

وأنا أوضح ما أقول بالأمثلة . ولست اقتبس الأمثلة من الشعراء المعاصرين الذين يعيشون بين ظهرانينا ، فاني بذلك أكون كمن يثير على نفسه عش دبابير ، بل آخذ المثل من الماضي . البحتري مثلا كان يقول أرق الغزل وأرشق الوصف في أعذب الألفاظ ، ولكنه كان قذراً زري الهيئة ، وكان يبصق عن يمينه وعن شماله كلما قال بيتاً معجباً . البحتري إذن شاعر موهبة ، وموهبة عظيمة . وأجمل منه شاعرية شاعر بالطبيعة مثل وضاح اليمن الذي رضي لنفسه أن يطمر حيا في صندوق مغلق في حفرة عميقة لئلا يفضح من يحب ، أو مثل ديك الجن الحمصي الذي صنع من رماد جثة حبيبته كأساً كان يشرب فيها الخمر وهو يبكي تلك الحبيبة .

وقد تجتمع الموهبة الشعرية بالطبيعة الشعرية كما اجتمعت في المتنبي وأبي العلاء المعري ، فتكون آنذاك الفلتة أو المعجزة . ولكن الأغلب ان تبرق الموهبة حين تكمد الطبيعية ، أو العكس . وبين أصدقائي الشعراء اكتفي دوما من شعراء الموهبة بلقائهم في الحبر على الورق ، اعني بقرائتهم فيما ينظمون . اما شعراء الطبيعة من اولئك الأصدقاء فهم مقربون الى نفسي ، احب صحبتهم وارتاح الى منادمتهم .

ومن هؤلاء الشعراء بالطبيعة عاشق بنت السلطان الذي أحدثكم عنه في هذه السطور .

• •

عرفت عاشق بنت السلطان في أخريات أيامه ، فقد توفاه الله منذ بضع سنين . وفي أعوامه الأخيرة كان يقضي الليالي في نسخ القصائد التي كان ينظمها بخطه العثماني الجميل ليقراها علينا في الصباح بصوته الأبح ، ملحنة بما يشبه هزج رعاة الابل حين يريدونها على أن تهرول مسرعة في البيداء .

وليس من قصائد ذلك الشاعر ما يصلح للرواية هنا حتى أنقله للقراء . فقد كان في نظمه مفتقراً الى الموهبة الشعرية ، بينما كانت طبيعته مغرقة في الشاعرية . فهو في روحه الساذجة ، واقتراحاته العجيبة في اصلاح المجتمع ، واحكامه على الناس أفراداً وطبقات ، كان أكثر شاعرية منه في كل ديوانه المخطوط ، الذي نظمه في شيخوخته ، والذي نحتفظ به ضنينين دون أن نجرأ على قراءة شيء منه على من لم يعرف شخصه في حياته .

كان يقول مثلا ان علماء الفلك يرجمون بالغيب حين يتكلمون عن طبيعة النجوم في السماء ، وحين يصفونها بأوصاف بعيدة عن الصحة . فالنجوم في نظره أنوار منازل لقبائل ضربت خيامها في سهول السماء . كل جماعة من النجوم قبيلة ، ترحل وتنزل ، وتغير على من جاورها وتعود الى أخبيتها . ونحن على البعد لا نرى منها إلا أضواء النيران الموقدة في البيوت !

وكان يقول كلامه ذاك باقتناع وتصميم وبحجج ، في رأيه لا تدحض . فكان قوله في نظري قصيدة جميلة لا حاجة بها الى الوزن والقافية لتعتبر شعراً . إلا أن أجمل



قصائده بلاشك كان عشقه لبنت السلطان ، وبيت القصيد فيها البرقية الحلوة التى سأنقلها لكم هنا .

● ●

بدات قصة ذلك العشق ، او انها ظهرت على الناس ، حين كان شاعرنا فى زهوة شبابه ايام السلطان محمد رشاد ، ما قبل الاخير من سلاطين الدولة العلية العثمانية ففى ذات صباح حمل فتانا بنفسه الى دائرة التلغراف فى بلدنا برقية موجهة الى الباب العالى فى استانبول ، هذا نصها التركى :

در سعادت فلك مرتبئه ملك حضور بادشاهمه .

فاطمة سلطانة معشوق اولد لغمندن سحرمك فكيله بشيوز ليره عثمانية اكرامية اعطاسى طلب ايدرم .

حسين شمس الدين

وترجمتها بالعربية هى ما يلى :

دار السعادة حضرة البادشاه الملك الذى يحتل مرتبة الفلك :

بما انى مسحور عشقا بالسلطانة فاطمة إطلب فك سحرها عنى وتامين خمسمائة ليرة عثمانية اكرامية لي .

التوقيع : حسين شمس الدين

تصوروا برقية من هذا النوع ترسل ، فى تلك الايام ، من مواطن عثمانى بسيط فى بلدة ضائعة على شط الفرات الى جناب البادشاه السلطان ، وتتعلق بابنة سلطان البرين وخاقان البحرين السلطانة فاطمة ، مسماة باسمها !

فى اول الامر ضجت اسلاك البرق هادرة فى استانبول وحلب واورفه والرقة ، تحمل سخط الباب العالى على مصالح الدولة وموظفيها التعساء التى سمحت والذين سمحوا لبرقية مثل هذه ان تجوز الفضاء عبر المسافات الشاسعة التى تفصل الرقة عن استانبول . ولكن السخط لم يلبث حتى ترك مكانه الى التساؤل عن هوية هذا المبرق المغرق فى الجراة . فجاءت البرقيات التالية تستفهم من المصادر الرسمية العليا فى المنطقة عن حسين شمس الدين هذا من يكون ، اى قبيلة عربية يراس ، وكم عدد افراد العشائر التابعة له ، وكم عدد الفرسان الذين يتبعونه على صهوات جيادهم العربية إذا ما دعا السلطان بدعوة الجهاد ضد اعداء السلطة والدين ؟

وهكذا شغلت برقية شاعرنا الدولة فى المركز والاطراف . ولابد انها تسللت الى خدور الحريم فى قصور يلدز وضولمه بقجه حتى بلغت مسامع فاطمة سلطانة ، هامسة اليها باسم هذا العاشق الذى بعث برسالة حبه فى برقية شعرية الالفاظ موجهة الى جناب حضرة والدها السلطان .

اما فى بلدتنا الصغيرة فقد تزلزلت الارض تحت اقدام القائمقام وموظفى واعضاء مجلس ادارته ومدير دائرة التلغراف المسكين ، واحس كل منهم بان راسه اصبح فى كف عفريت . وإلا كيف يجراون على ان يجيبوا الباب العالى بان حسين شمس الدين افندى العليان ليس غير شاب فقير ، من عشيرة نصف حضرية فى وادى الفرات ، وانه لا يملك من الثروة أو رؤوس الخيل أو الاشياع والاتباع إلا الفاظه الانيقة وخياله الواسع ؟

لم تجد حكومة بلدتنا يومها منجى لرؤوس افرادها ومخرجا من تلك الازمة المستعصية إلا بان تضع على عاتق الجنون برقية شاعرنا الطموح . فابرقت الى الاستانة بانه فتى مجنون ، لا ضابط له ولا مسؤولية عليه ...

هل كان عاشق بنت السلطان مجنونا حين ارسل ذلك التلغراف الى والد حبيبته الخطير الشان ؟ لست ادرى . ولكن الذى لاشك فيه انه اثبت بارساله تلك البرقية المجنونة انه شاعر حق . وليس يضره بعد ذلك ان يمتلىء ديوانه المخطوط بالغث من الكلام ، أو ان يبقى هذا الديوان مطويا عندنا فى الظلام .

د. عبد السلام العجيلي

مناظرات إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي

حول أصول الغناء العربي المتقن

بقلم: كمال النجمي

في تاريخ الغناء العربي ، والأدب العربي ، مناظرات ممتعة قيمة بين المطرب الموسيقار الأديب الشاعر العالم اسحاق الموصلي ، وبين صديقه « اللدود » الأمير ابراهيم بن المهدي الذى كان شاعراً أديباً مغنياً جميل الصوت ، يتطرب بالغناء ولا يتكسب ـ على حد قوله ـ ولكنه فى الحقيقة كان يمعن فى التكسب بالغناء عند أخيه هارون الرشيد وأولاده الخلفاء من بعده : الأمين والمأمون والمعتصم ، وقد جمع من تكسبه مالم يجمع مثله كبار المطربين المحترفين الذين كانوا « يتكسبون » ولا « يتطربون » من هذه المناظرات الممتعة القيمة بين الموصلي وابن المهدى ، نص وحيد ، يعترف أبو الفرج الأصبهاني فى « كتاب الأغاني » أنه قرأه مكتوبا بخط إسحاق الموصلي ، وعلى ظهر الورقة رد ابن المهدى عليه ..

أما المناظرات والمناقشات والمشاجرات الأخرى بين اسحاق وابن المهدي ، فانها تنوقلت بالرواية ، من ناقل إلى اخر ، حتى وصلت إلى صاحب كتاب الأغاني فاثبتها فيه كما سمعها ، وإن كنا نجد فيها أثر أسلوبه الأدبي الممتاز ، فكأنه يرويها بلسانه هو ، لا بالسنة الرواة ..

أما تلك المناظرة ذات النص المكتوب بخط إسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدى فانها من كلام اسحاق وكلام ابراهيم ، لم يكتب فيها الأصفهاني حرفاً من عنده ، حتى إنه وجد فى صحيفتها اسطراً مسحتها كثرة التداول فترك مكانها خالياً ، مما يجعل لهذه المناظرة المكتوبة قيمة النص الثابت على أصله ، لم تحرفه عنعنة الرواة ..

أصل الخلاف

واصل الخلاف بين اسحاق الموصلى وابراهيم بن المهدى الذى امتد بينهما من أواخر القرن الثانى الهجرى الى منتصف القرن الثالث تقريباً ، أن اسحاق الذى اخذ صناعة التلحين والغناء عن أبيه ابراهيم الموصلى ، قد اجتمعت له علوم الغناء العربى كله تلحيناً وغناء وايقاعاً ، منذ نجم الغناء العربى «المتقن» فى المدينة ومكة قبيل منتصف القرن الأول الهجرى ، فأقام اسحاق من نفسه حارساً على أصول الغناء المتقن وكنوزه ، يكاد يقتل من يحاول أن يمسها بأدنى سوء ! ..

وشملت محفوظات اسحاق ومدوناته من الغناء والضرب بالعود والآلات ، أعمال الملحنين والمغنين العرب التى انجزوها خلال مائتى سنة تقريباً ، لم يفته منها شىء حتى ما كان يراه ـ من وجهة نظره ـ مرذولا ساقطاً كالغناء بالطنبور ، والارتجال بغير ضرب العود ، والوان أخرى من الغناء كان يراها خارجة عن الغناء المتقن واصوله التى قررها فحوله القدماء فى العصر الأموى فانتقلت بغناء العرب من الدائرة الضيقة التى انحصر فيها مئات السنين فى الجاهلية ، كالحداء والنوح ، الى ما صارت اليه فى عصر العباسيين الأول من اتساع ، واستبحار .

أما ابراهيم بن المهدى فكان يرى «تحريك» الغناء المتقن .. على حد تعبيره .. يقصد الحذف من التركيبات اللحنية الكثيرة فيه ، ولا يقصد الاضافة اليه ، ويرى «الحذف» أخف على النفس ، ولوناً من «اللعب» يرتاح اليه القلب .. وكان يقول : إنما أنا ابن ملك العرب بهذه الألحان ! .. أى أن عمله هذا تسلية وتزجية لفراغه واستكمال لترفه ..

والغناء المتقن الذى قضى اسحاق حياته يدافع عنه حتى وصل أكثره الى عصرنا ، هو نفسه الغناء العربى الذى نسمعه الآن إلا أن ما طرأ عليه فى الزمان المديد من تغيير فى المصطلحات وزيادة فى أجناس المقامات ..

لم يأنف أسلافنا العرب فى القرن الأول الهجرى من الاستفادة بما سمعوا فى مكة والمدينة من الحان الفرس والروم على العيدان والآلات ، فأخذوا منها واستعملوا العود ، ولكنهم أسقطوا مما سمعوه ما لا يسيغه الذوق العربى ، وما لا تدخل فيه الكلمات العربية وأوزان الشعر



العربى ..

وكما اشتغل الأسرى العرب للأشوريين قديماً وغنوا وهم فى قيود الأسر شوقاً الى بلادهم ، فاعجب الأشوريون بغنائهم وأخذوا منه ما أعجبهم ، كذلك اشتغل عمال من الفرس والروم للعرب حين استاجرهم الخليفة معاوية بن ابى سفيان لبناء دار له بمكة .. ثم عبد الله بن الزبير لبناء جدران الكعبة عندما تهدمت فى أيام خلافته ..

ولبث الفرس ـ خاصة ـ يعملون ويغنون فى مشروعات عمرانية كثيرة فى مكة والمدينة منذ عهد عثمان بن عفان ، فاخذ العرب من غناء الأمم التى دخلت فى الاسلام ، او جاورت الدولة الاسلامية اشياء نافعة استطاعوا بمعالجتها الفنية الصحيحة ان يعيدوا الى الحياة فن غنائهم القديم ، جديداً مزيداً موسعاً فيه ، ويقيموا منه صرحاً عالياً تعيش أصوله حتى اليوم ..

ومن عجب أن هذا الصرح الفنى الضخم الذى يستخف به فى عصرنا بعض ذويه وأهليه ، قد نهض بكل عظمته فى مدة لا تزيد على اربعين عاماً فى القرن الأول الهجرى .. ولم يحدث فى التاريخ ان نشأ فن وتم تمامه فى مثل هذه المدة « القياسية » ثم عاش أكثر من الف ومائتي سنة ! .. وإنما انفرد الغناء العربي وحده بهذا الامتياز النادر فى تاريخ الفنون ، فيما نعلم

ولما انتقلت الحان العصر الأموى إلى العصر العباسي ، جمعها الكثيرون فى كتب ومدونات ، فكان المقدم عليهم جميعاً إسحاق الموصلي الذى وصفه ابو الفرج الاصبهاني بانه « إمام أهل صناعته جميعاً ورأسهم ، ومعلمهم .. يعرف ذلك الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق » .. وهو الذى « صحح اجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله ، ولا تعلق به أحد بعده» ..

كان إسحاق الموصلى يرى من حق صناعته عليه أن يحفظ أصولها التى بناها فحول الملحنين والمغنين فى العصر الاموى وجعلوها جوهر الغناء المتقن المصحوب بضرب العود والآلات .

ولم يكن فى عصره طريقة لحفظ الالحان وتسجيلها إلا الرواية الأمينة التى لا يتلاعب بها الوضاعون فى الغناء كما تلاعب بالشعر الوضاعون فيه ..

وكانت صناعة الغناء التى مازالت غضة طرية ، محتاجة الى دعم أصولها .. وكانت أصولها محتاجة الى الرواية المتقنة وكانت الرواية المتقنة تحتاج الى الرواة الأمناء المتقنين .. فاين يجد اسحاق مثل هؤلاء ؟! ..

كانت هذه مشكلته الكبرى مع ابراهيم ابن المهدى ، وهو أخو الخليفة هارون الرشيد ، ولم يكن لابراهيم فى بداية هوايته للغناء علم جديد باصوله ، فكان يخرج عن أصول النطق واللحن والايقاع ، فيقول مثلا حين يغنى : «أحماد» .. يعنى «أحمد» .. لكى يستكمل بهذا المد الزمن الايقاعى ! .. وكان يسمى ذلك «تحريك» الألحان ! . ولهذه التسمية معان أخرى عنده كان اسحاق ينكرها كل الانكار ..

لهذا كان اسحاق يتشدد فى ضبط رواية الالحان كما انتقلت من القدماء جيلا بعد جيل ، بلا أدنى تبديل .. لا كراهة للتطريب بالتصرف فى هذه الالحان وتحليتها بالشذور ، بل خوفاً من ضياع أصولها .. وكان هذا الخوف «مفتاح» موقفه من كل لحن قديم أو جديد يسمعه أو يصنعه !..

فكان «لعب» الأمير ابراهيم بن المهدى فى الالحان القديمة وبلبلة اذهان الناس فى شانها ، أمراً خطيراً عند اسحاق الموصلى ، لأن لابن المهدى صوتاً فائق الجمال يفتن به الناس حتى ليقال انه كان «أحسن الانس والجن والوحش والطير صوتاً» ! ..

وهو الى هذا ، أمير ذو هيبة ونفاذ الى القلوب ، لا يقوى أحد على تخطئته أو انتقاده .. فكان لزاماً على اسحاق أداء هذا الواجب ، ليدرأ عن أصول الغناء خطر الأمير المفتون بجمال صوته ، والذى يزعم أن من حقه اللعب فى الغناء كيفما احب ، لأنه إنما يغنى تطرباً لا تكسباً ! ..

أيهما يفضل الآخر ؟

لم يكد ابراهيم الموصلى ـ والد اسحاق ـ يفارق الدنيا حتى صار اسحاق فى مكانه كبيراً للمغنين والملحنين فى قصر هارون الرشيد ، واندلعت مصادماته العنيفة مع ابراهيم بن المهدى حتى خشى اسحاق أن يقتله هذا الأمير الشاب الكارة لتشدده فى أصول الغناء .. واضطر اسحاق الى شكواه للرشيد فاستدعاه وحذره من

التعرض لاسحاق بسوء ، ووبخه ، قائلا : «.. وانت مالك وللغناء ؟! .. وما يدريك ما هو ؟! .. ومن اخذك به وطارحك إياه حتى تتوهم انك تبلغ مبلغ اسحاق الذى غذى به وهو صناعته .. ثم تظن انك تخطئه فيما لا تدريه» ! ..

عاش اسحاق فى حماية الرشيد خمس سنوات حتى توفى الرشيد سنة ١٩٣ هـ فعظم نفوذ ابراهيم بن المهدى عند الخليفة الجديد محمد الأمين وصار اسحاق شديد الحذر من مكايده ، فلما انتهت خلافة الأمين بعد سنوات قلائل ، وتولى الخلافة المامون ، سقط نفوذ ابراهيم واوشك المامون ان يقتله لمناداته بنفسه خليفة فى بغداد قبل وصول المامون اليها قادما من خراسان .. ثم عفا عنه ولكنه لم يعد ذا جاه ولا عظمة كما كان ، اما اسحاق فان هيبته بلغت مداها حتى صار كانه من اكابر قضاة الدولة او قوادها او وجوه الكتاب والحجاب والوزراء فيها ! ..

ومع ذلك لم ينته ابراهيم بن المهدي عن الشجار والنقار مع اسحاق فى كل فرصة تسنح له .. « حتى كان يمضي الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما فى قسمة وتجزئة صوت واحد » .. كما قال الاصبهاني ..

ثم مر الزمان فصار ابراهيم بن المهدي كهلا محنكا عارفا بالغناء ، غير قليل العلم باصوله ، فمضى يجادل اسحاق الموصلي بما تيسر له من العلم ، بعد ان كان يكابره فى شبابه بغير علم ، او بالقليل جدا من العلم .. ولما رآه اسحاق قد اجتهد وحصل شطرا من العلم ، اثنى عليه قائلا : « ليس فيمن يدعى العلم بالغناء من يساوي ابراهيم بن المهدى » .. وهو اعتراف متحفظ ، فيه غمز بالاشارة إلى « من يدعى العلم » ! ..

ذلك أن ادعياء العلم بالغناء من بين المغنين أنفسهم ، كانوا كثيرين ، حتى ان بعض مشاهيرهم كانوا يغنون ولا يعرفون اصول ما يغنون (١) وحسبك ان عمرو بن بانة وهو من أشهر المغنين فى ذلك العصر ، قال : « رايت اسحاق الموصلي يناظر ابراهيم بن المهدي فى الغناء ، فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئا ، فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ، فما نحن منه فى كثير ولا قليل » ..

وابن بأنة ظريف يابى المكابرة فى تعليق على ما سمع ولم يفهمه من الكلام عن علوم الالحان والاصوات ، اما الآخرون من زملائه فكانت المكابرة حصنا لجهلهم ، وكانوا يتالبون على اسحاق ويحاولون النيل منه !

ومن عجائب ابراهيم بن المهدي انه كان يستمريء هزائمه فى مناظراته مع اسحاق .. حتى قال له اسحاق يوما فى حضرة الخليفة المعتصم : « انا اسالك عن ثلاثين مسالة من باب واحد فى طريق الغناء ، لاتعرف منها مسالة واحدة » ! ..

وقبل ذلك ضاق الخليفة المامون ذرعا بلجاجة عمه ابراهيم بن المهدي فى مناقشته اسحاق ، فقال له : « ياابراهيم لا تمار اسحاق » ! .. ولكن ابراهيم مضى فى ممارة اسحاق مسرفا كل الاسراف ! ..

وبفضل اسحاق ، اتسعت وتاصلت طريقة تدوين الغناء ، بما اخترعه واستنبطه من اشارات ورموز وكلمات ، استعان بها المغنون حتى صار من يقرؤها ويفهمها من حذاقهم وعرفائهم ، يستطيع أن يغني الالحان بمقتضاها كانه يسمع الالحان من صاحبها ويحفظها باذنيه ! ..

نمى مرة إلى ابراهيم بن المهدي أن اسحاق صنع لحنا جديدا فكتب إليه يطلبه منه ، فكتب إليه اسحاق بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه واصبعه وتجزئته واقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير ادواره واوزانه .

فغناه ابراهيم بعد قراءته هذه الرقعة ، ثم التقى باسحاق فاعاد عليه غناء اللحن ليصححه له ، فوجده صحيحا لا خطا فيه ، فقد فهم ابراهيم الرموز الموسيقية فهما تاما ، مما اطرب إسحاق واعجبه فقال لابراهيم : فضلتني والله ياسيدي فى اداء لحني بحسن صوتك ! ..

وهذا معناه ان اسحاق كتب إلى ابراهيم « نوتة » موسيقية « بلغة عصرنا » استوفت اللحن كله جملة وتفصيلا ، بغاية الدقة ! .. وهو ما لا تقوم به الآن « النوتة الموسيقية » الاوربية التى تعجز عن بيان الشذور الدقيقة فى غنائنا وبخاصة فى ثلاثة ارباع الصوت ! ..

هكذا انتهى الامر بينهما إلى اعتراف باستاذية اسحاق مع ان ابن المهدى ظل لايسلو « اللعب » الذى كان يمارسه قديما فى الالحان الأصيلة الموروثة ، حتى قال اسحاق : « إذا اردت يا هذا ان تلعب ، فالعب فى الحان نفسك لا فى الحان الناس»

رسالتان .. ومناظرة

فى أواخر حياة ابراهيم بن المهدي الذى توفى قبل اسحاق الموصلي بعشر سنوات تقريبا ، جرت بينهما مناظرة اعقبتها مشاجرة تناقل اخبارها المغنون فى بغداد ، وتزيدوا فيها ، فكتب اسحاق إليه رسالة ، يقول الأصبهاني إن قرطاسها بقى متداولا عند الوراقين إلى القرن الرابع الهجري حتى قراها الاصبهاني وعرف فيها خط اسحاق ، وكان يعرف خطه لان كتبه التى خطها بيده كانت ماتزال تنتقل من يد إلى يد حتى ايام الاصبهاني مختلطة بكتب زورها عليه الوراقون ..

كان اسحاق وابراهيم ـ كلاهما ـ من اعلى الكتاب طبقة واجزلهم بيانا .. يبدو ذلك فى رسالتيهما هاتين اللتين نقلهما الاصبهاني بنصهما فى كتاب الأغاني (٢) وإن كانا إنما كتباهما عفو الخاطر ، بلا تعمل ولا تريث ولا تكلف ..

وتتمثل فى هاتين الرسالتين المتناظرتين العلاقة الاجتماعية بين هذين الفنانين الشهيرين ، كما تتمثل فيها علاقتهما الفنية .. ويتبين انهما فى أواخر عمرهما تقاربا فى الراي الفني .. ولم يكن اسحاق هو الذى اقترب من ابراهيم ، بل كان ابراهيم هو الذى اقترب ، لانه نضج بتجارب السنين ، وعرف ان اسحاق الموصلي لم يكن ينافح عن قضية خاصة ، بل عن قضية عامة شبه مقدسة لديه ، قضية اصول الغناء الذى كان أول فن استحدثه العرب وشادوه بعد خروجهم من الجاهلية التى لم يكن لهم فيها إلا فن الشعر ، فكان الغناء فنهم « المتقن » الثاني ، بعد فنهم « المتقن » الأول الذى يضرب فى اعماق تاريخهم المديد ..

رسالة اسحاق إلى ابراهيم بن المهدي تناقش امورا كثيرة اهمها :

- ابراهيم يعير إسحاق باحترافه صناعة الغناء ، ويساويه فيها بمخارق وعلوية وهما من تلاميذه .
- ابراهيم ينكر نبوغ ابراهيم الموصلي والد اسحاق ، ويساويه فى الفن بمن هم دونه من منافسيه فى عصره .
- امتلاء قلب ابراهيم بالسخط الدائم على اسحاق ! ..

وعن التعبير بالغناء يقول اسحاق :
«فاما ذكرك ـ جعلت فداءك ـ الصناعة ، فقد اجل الله قدرك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار منها (٢) ، واما انا المسكين فانت تعلم اني لم اتخذ ما نحن فيه صناعة قط ، واني لم اردها « اي صناعة الغناء » إلا لكم « يقصد بني العباس » .. شكرا لنعمتكم ، وحبا للقرب منكم ، فليس ينبغي ان يعيبني ذلك عندكم .. وقد علمت انك لم تضعني من علوية ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب احوجك إلى ذلك ، وإلا فانت تعلم انهما لو كانا مملوكين لي لاثرت تعجيل الراحة منهما بعتقهما ، فكيف اظن اني عندك مثلهما او انك تقرنني إليهما وتذكرني معهما » ..

ثم يقول اسحاق : « قد احدثت لي ـ جعلت فداءك ـ ادبا وزدتني بصيرة فيما احب من تركه وترك الكلام فيه ، فان ظننت ان هذا « اي ترك الكلام » فرار من الحجة وتعريد عن المناظرة كما قلت ، فقد ظفرت وصرت إلى ما احببت ، وإلا فانه لا ينبغي للحر ان يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرته ، ولا لعاقل ان يبذل ما عنده لمن لا يحمده » ..

وعن غمط بن المهدي حقوق ابراهيم الموصلي يقول اسحاق :

« واما ما قاله ابي ـ رحمه الله ـ من انه لم يزل يتمنى ان يرى من سادته من يعرف قدره حق معرفته ، ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى راك .. فقد صدق ! .. فهل رايت حظه منه إلا بان ساويت به من لم يكن يساوي شسعه ، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه ، لا تنفعه عندك معرفة به ، ولا رعاية لطول الصحبة والخدمة ، ولا حفظ لآثار محموده باقية .. ثم ها انا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني فيه ، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه ، لاني توخيت الصواب واجتهدت في البذل والمناصحة .. فما ارى ـ جعلت فداءك ـ من معرفتك بما في ايدينا إلا تجرع الحسرات ، وتطلبك لنا العثرات .. والله المستعان » ! .

وعن سخط بن المهدي يقول اسحاق :
« كيف اصنع ـ جعلت فداءك ـ إن سكت لم تقبل ذلك مني ، وان صدقت كذبتني ، وان مزحت لأطربك واضحكك واقرب من انسك غضبت وسببت » ! ..

وتنتهي رسالة اسحاق بشيء من السخرية بابن المهدي :

« قد طال الكتاب ، وكثر العتاب .. وجملة ما عندي من الاعظام والاجلال اللذين لا اخاف ان اجعلها عندك ، والمحبة التي لا امتنع منها ، ولا اعرف سواها .. والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه ، والاقرار بما احببت ان اقر به ، وساشهد على ذلك محمد بن واضح واشهد لك من احببت ، واؤدي الخراج ، ولكن لابد من فائدة وإلا انكسر « يعني : تاخر اداؤه » فهات جعلت فداءك ، واوف واستوف ، فانك واجد صحة واستقامة إن شاء الله .. مد الله في عمرك ، وصبرني عليك ، وجعلني من كل سوء فداءك » ! ..

فكيف رد عليه ابراهيم بن المهدي ؟! ..

رد عليه معتذرا بما يمكن تلخيصه فيما يلي بنصوص كلماته :

« ياراس المشنعين .. تقول إني عيرتك بالصناعة ـ صناعة الغناء ـ فكيف اعيبك بحاجتي اليك ، وما انا داخل فيه معك ؟! إنما انا كصاحب لك تناظره بما تحب ان تجد من يناظرك فيه ، فليكن ذلك بالانصاف ، وطلب الصواب ، اصبته او اخطاته ، لا بالحمية والانفة والحيلة لترد بالباطل » ..

« وقلت : تذكرني معهما ـ اي مخارق وعلوية ـ فقد ذكر الله النار مع الجنة وموسى مع فرعون وابليس مع ادم ، فلم يهن بذلك موسى ولا ادم ، ولا اكرم فرعون وإبليس ! .. ووالله ما كنت ابالي الا اسمع من مخارق وعلوية شيئا حتى اسمع بنعيهما ولا اراهما إلا ميتين ، وما في هذا غيرك والاعظام لك والاكرام ، وذلك انهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك ، وانما هما صنيعتاك وخريجا تاديبك وان كانا غير طائل » ! ..

وبعد كلام طويل بليغ مدح به ابراهيم ابن المهدي اسحاق الموصلي واباه مدحا عظيما ، استعرض في رسالته رايا له في لحن من الحان اسحاق ، فنقد اللحن نقدا شديدا ، ثم قال له : إن الناس لا يفهمون دقائق مناظرتنا .. « الناس في هذا بيني وبينك بهائم ، فمن استعدى عليك ؟ »! ..

ولا يفوت ابن المهدي الامام بسخرية « اداء الخراج » فيقول :

« واما اداء الخراج والاشهاد ، فهذا شيء لم اطلبه منك ، إنما انت طلبته مني ، ظالما لي ، وذلك لاني لم انازعك إلا منازعة مناظر يحب ان يعرف حسن فحصه ، وثاقب نظره » ! ..

ثم يعترف ابن المهدي برياسة اسحاق في صناعة الغناء قائلا : واما الرياسة فقد جعلها الله لك على اهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم ، ولا لك علي ، لاني في العلم مناظر ، وفي العمل متلذذ ، فلا تظلمني ولا نفسك لي » ! ..

رسالة ابن المهدي اطول من رسالة اسحاق واهدأ جرسا ، يريد بحلاوة لفظها تهدئة اسحاق واستمالته ، وفيها من بلاغة التعبير مالا يقدر على مثله إلا عظماء الكتاب .. وهكذا كان الكثيرون من « اهل الصناعة » في تلك العصور ..

وقد حكم الزمن في هذه المناظرة التي استمرت بين الرجلين على امتداد عهود الرشيد والامين والمامون والمعتصم ، فلم يكد ابراهيم بن المهدي يموت في عهد المعتصم حتى ماتت اراؤه وتلاشت الحانه إلا القليل منها يرويه بعض جواريه واصحابه .. واخذ المغنون جميعا بمذهب اسحاق وتعلموا منه ورووا الحانه .. قال الاصبهاني : « وانقضى الصنع لابراهيم بن المهدي بذلك ، مع انقضاء مدته ، كما يضمحل الباطل مع اهله » ! ..

وحسب اسحاق الموصلي من مجد باق على الزمان ، إن ما يغنيه المطربون في ايامنا من مقامات الراست ، والجهاركاه ، والعجم والبياتي والسيكاه ، ومشتقات هذه المقامات وغيرها ، فضلا عن الايقاعات إنما هي باعيانها المقامات والأوزان التي ضبطها اسحاق ضبطا دقيقا منذ الف ومائتي سنة .. وكل ماطرأ عليها فانما هو تغيير في الاسماء ، ولم يكن ممكنا ان تثبت اسماؤها العربية في مجتمعات غلبت عليها العجمة ذلك الدهر الطويل ! ..

كمال النجمي

---

(١) رايت شيئا من هذا القبيل حين كنت رئيسا لتحرير مجلة فنية مصرية ، فناقشتني مطربة من اشهر المطربات في « الصوت المستعار » و « الصوت الطبيعي » فوجدتها تجهل ما تتكلم فيه ، ثم كابرتني وقامت تتصل بالموسيقار عبد الوهاب تليفونيا وتنقل إليه رايي ورايها .. فوبخها عبد الوهاب لجهلها في مسالة من ابسط مسائل فن الغناء .. ومع ذلك فهي من احسن المطربات !.

(٢) الجزء العاشر ـ طبعة دار الكتب المصرية

(٣) يعني اسحق : انت ايضا تغني ياابراهيم ، ولكن نسبك الشريف يجعلك غير محتاج إلى الاعتذار من الاشتغال بالغناء ! ..

جناية إليوت على الشعر المعاصر

بقلم: الدكتور كمال نشأت

أثار الدكتور عبد الله الطيب على صفحات « الدوحة » مشكلة من اهم مشاكل الشعر الحديث ، وهى خطورة الشاعر إليوت – من نواحى كثيرة – على الشعر خاصة ، وعلى الأدب عامة ، فضلا عن مواقفه الدينية المتعصبة . وكنت نبهت فى بحث لى نشر بمجلة كلية الآداب بالجامعة المستنصرية وهى المجلة الخاصة بابحاث الأساتذة عنوانه (ظاهرة الغموض فى الأدب الحديث – العدد الثانى – سنة ١٩٧٧) الى جنايات هذا الشاعر على الشعر الحديث ومنه شعرنا العربى المعاصر . وقد كررت اكثر من مرة حينما اتيح لى أن اتناول هذا الموضوع اننا لا ندعو الى الحجر على اطلاع الأدباء ، فذلك أمر لا عقل فيه ولا حكمة ، إذ أن واجب الأديب أن يطلع على تجارب الآخرين مهما كان مذهبها أو التيار الذى تنتمي اليه ، ولكن عليه أن يتمثلها ، ويهضمها ثم يصدر بعد ذلك عن نفسه حتى تتحقق له الشخصية المتفردة ، والصدق الواجب ، والتعبير عن الخصوصية القومية والبيئية التى يمتاز بها كل أدب عظيم أما المرفوض فهو التقليد المقيت لتيارات أدبية بنيت فى بيئات حضارية غير بيئتنا ، وهو تقليد يقتل الابتكار ويوقع فى التبعية المهينة (وما نقرؤه من شعر تافه فى هذه الأيام دليل على ذلك) ومن الممكن أن نوجز فى هذا المقال الصغير جنايات هذا الشاعر على الشعر الحديث عامة فى النقاط الآتية :

● ابتعاد القصيدة عن الجمهور القارىء لصعوبة التعامل معها ، فاصبحت قصيدة النخبة المثقفة ثقافة موسوعية ، وهى فى كل مجتمع قليلة العدد ، وهى عودة الى ارستقراطية الفن كما كانت معهودة فى عصور الظلم والظلام والاضطهاد . ففى الوقت الذى انتهت فيه الفنون جميعاً الى أن تتجه وجهة الشعوب ، أخذت مدرسة اليوت وجهة ارستقراطية هى التعالى على الناس ، من هنا كان ابتعادهم عن الشعر الحديث بل وقرفهم منه . يقول الناقد ماكجريجوز :

« هل يلام إليوت حقاً على الهبوط بالشعر الى أن يصبح تسلية للقلة الشديدة الوعى بذاتها ؟ هل هو مسؤول عن هذه الهوة ؟ هل هو حقاً الرجل الذى أخذ الشعر من حياة الناس ومنحه لقلة من معارفة ليعبثوا به . ؟ »

ويقول آخر عن إليوت ومدرسته (راجع «الفنان فى عصر العلم» . ترجمة فؤاد دواره ..) « وانى لأتساءل حتى يكفون عن التظاهر بالمهارة والذكاء لقد أخذوا الشعر من جوار المدفأة ووضعوه فى الحجرة الداخلية للمكتبة وفوق أعلى رف .

وأصبح الناس يخافون الشعر ، بعد أن كانوا يجدون فيه متعة أساسية ، ولا يستطيع أحد أن يبرىء (إليوت) تماماً من مسؤولية هذه الجريمة الأدبية الحديثة .. »

● تمثل هذه المدرسة عصبية دينية مقيتة . « كما أشار الدكتور عبد الله الطيب » فى عصر تتطلب فيه البشرية الأخوة بين أصحاب الأديان المختلفة ، والانسانية فى التعامل البشرى بين كل الناس ، وهذه الأهداف النبيلة التى يستهدفها الخيرون من البشر عامة هى نفس الاهداف الانسانية التى يسعى اليها الأدب الصادق الأصيل فى كل زمان ومكان . يقول شابيرو «الفشل فى الوصول الى الوعى الصوفى ، دفع إليوت ناحية أخرى ، وفى رأيى أن هذا هو أكبر فشل فى حياة إليوت ، فقد انتهى الى أن أصبح شاعر دين بكل المعنى التقليدى للكلمة ، وبعد أن التزم من الناحية الدينية حاول أن ينظر الى المجتمع باعتبار الدين موجهاً له ، فاصبح بذلك صنيعة فى يد أكثر عناصر المجتمع رجعية ، وزعيماً لكل ما هو رسمى وكهنوتي» وقد وصفت «كاثلين نوت» هذا الموقف الاليوتى الكهنوتي بقولها عن كتابها (ملابس الامبراطور) الذى هاجمت فيه إليوت إنه « هجوم الارثوذكسية المتعصبة .. »

النقاد غير الأصلاء

● استغلاق المعنى والاقتباس الذى ساعد على التعمية أعطى فرصة ذهبية لجماعة من النقاد غير الأصلاء الذين جالوا خلال النص الأدبى وحملوه فوق ما يحتمل مؤكدين من خلال



ت . س . اليوت
الشاعر الذى أفسد أجيالا من الشعراء

ذلك مفاهيم وأفكار أبعدت كل البعد عن النص المدروس ـ وبذلك تحول النقد الأدبى الى بهلوانيات تقوم على الذكاء وبراعة التلفيق ، من هنا كان اعتساف هؤلاء النقاد بعض المواقف أو الأفكار التى لا تمت الى النص بصلة وليس لها مايرشح لها أو يسندها بحيث أصبحوا يختلقون هذه المواقف أو الأفكار ويروحون يعلقون على هذا المشجب الذى صنعوه ثقافاتهم وشروحهم الخاصة التى يرفضها النص رفضاً باتاً ، فأصبح النقد « فهلوة » كما نقول فى مصر ، يقوم على المهارة والذكاء والتلفيق ، وقد خلق هذا النقد وساعد على وجوده الغموض الذى يرين على النص بحيث تمكن هؤلاء النقاد من استغلاله ليمرحوا خلال النص كما يشاءون ويفسروه كما يشاءون وأن كان التفسير لا يمت اليه بصلة ما .

بعيداً عن تلقائية التعبير

● دعت هذه المدرسة الى البعد عن الصدق الشعورى ببعدها عن تلقائية التعبير القائمة على الشعور الذاتى ، فاذا بالمعادل الموضوعى الذى دعا اليه إليوت يميت حرارة الاحساس مادام على الشاعر أن يبحث عن معادل موضوعى يعبر عنه فيكون التعبير بعيدا عن الذاتية كما أراد إليوت وفى هذا إعمال للفكر فى مجال البحث عن هذا المعادل ، ومن الطبيعى أن يبرد الاحساس والشاعر « يبحث » عن المعادل المناسب ، لأن هذا المعادل المناسب ليس تحت يده وفى متناول أصابعه .. هنا تصبح كتابة القصيدة عملا ذهنياً ، وكدا عقلياً .. قد تظهر فيه براعة الحرفة وذكاء الممارسة ، ولكنه لن يكون الشعر القريب من القلوب .. من هنا أيضاً ـ وهذا شىء طبيعى ـ تتحول القصيدة الى معرض يتفنن الشاعر من خلاله فى عرض عضلاته الثقافية كما يقولون ، وهكذا أفسد إليوت هذا الفن العظيم وبعد به عن الاحساس الحار الدافق الى كد الذهن البارد ، وإعمال العقل وكأن العمل الشعرى قد تحول الى عملية خلق لا حرارة فيه مثلما نرى فى رسومات مهندسي العمارة ، نعجب بما فيها من اتساق ونسب بين الجدران والنوافذ والأبواب ولكنه يظل اعجاباً بعيداً عن تحرك المشاعر ولذع القلوب . فهذا الخليط العجيب من الاقتباسات من التاريخ العاطى والفلسفات وعلم النفس والكتب المقدسة وديانات الشرق وأساطير اليونان والفراعنة والفينيقيين وكتابة أبيات بلغات أجنبية أخرى الخ .. هل يستطيع شاعر ما أن يخلق عملا ناجحاً من كل هذه الأمشاج والأخلاط ؟ انها عملية بهلوانية مضحكة إذا نجح فيها شاعر مثل إليوت مرة ، فانه قد يخفق عشرات المرات ولكن أن تكون هذه طريقة عامة لكتابة الشعر ، يلجأ اليها شعراء كثيرون فى أمم مختلفة فهذه هى الطامة الكبرى كما يقولون .. وهى طامة أفسدت أجيالا من الشعراء ، وحسبك هذا الغثاء الذى تابع درب إليوت وأضرابه ، فلن تجد تجربة صادقة ، أو فكرة واضحة ، أو صورة جيدة ، أو إيقاعاً عذباً .. لن تجد شيئاً مما يجعل الشعر شعراً .. ولكنك ستجد همهمة وتمتمة وتنافراً فى الصور وتناقضاً فى الفكر والشعور والتعبير وما دام الغموض مقصوداً فلن تستطيع أن تفرق بين الدعى وبين الموهوب .

يقول « كارل شابيرو » عن الاقتباسات التى حشرت فى قصيدة « الأرض الخراب » .. اما أن هذه القصيدة تفتقد الوحدة ، فذلك أمر واضح ـ وأنا أفترض أن الوحدة ميزة من مزايا العمل الفنى ـ فأى جزء من « الأرض الخراب » يمكن نقله الى أى موضع آخر فيها دون أن يتغير معنى القصيدة . أما أسوأ أجزاء القصيدة كلها فهى الاقتباسات الخالصة ، فحتى أشد المعجبين باليوت فساد ذوق لا يستطيع العثور على مبرر للسطور الأخيرة من القصيدة بلغاتها الست ، واقتباسها من ستة مصادر فى حيز لا يزيد كثيراً عن عشرة سطور ... والدليل على فشل « الشكل » فى هذه القصيدة أن أحداً لم يستطع مواصلة النسج على منوالها بما فى ذلك إليوت نفسه .. »

ويقول « ماكجريجور هيستى » فى نفس الموضوع إن إليوت قد خرج « بتمتمات غير مفهومة ، وكانت سخافته ذكية ، تطلبت كل منها بلا ريب ساعة أو ساعتين من العمل الشاق فى المعاجم والقواميس قبل أن ينتهى من صقلها ولا شك أن إليوت كان يعانى فى جمع هذه الشوارد المختلفة والاقتباسات المتعددة من ثقافات أمم كثيرة ما تعانيه الدجاجة عند وضع بيضها .. وكان المسكين يتحمل كل هذا العناء فى سبيل المحروس : المعادل الموضوعى » !

الغناء من القلب

إلا أن الناس الذين تعودوا أن يجدوا فى الشعر انفسهم وان يجدوا فيه واحة يستروحون نسيمها فى عصر كثرت مشاكله وناء البشر جميعاً بحملها ضاقوا بهذا الشعر الزائف والعقلانية المسرفة ، والإلغاز الزائد ، والاقتباسات المتعبة ، وتجمع الضيق ، واحتياجات الناس الى شعر أصيل فكانت حركة شباب الشعر الانجليزى فى الخمسينيات التى سميت « الحركة » ، وهى مدرسة التى هدت أسوار قلعة إليوت ، واذا بالشعر يعود الى ما كان عليه ، غناء من القلب البشرى أصيلا عذباً ، بعيداً عن حزلقة المعادل الموضوعى والجو الأسطورى .. انه شعر يهتم بحياة الناس اليومية ، ويغنى لهم فى صدق وحرارة ، ولعل قصيدة الشاعرة « آن ببر سفورد » وهى بعنوان (حزيران ١٩٧١) مثل صالح لهذه المدرسة الجديدة ..

تقول الشاعرة معتمدة الواقعية والوضوح والبساطة فى تصوير منطقة عمالية مكتظة :

شمس على صناديق القمامة
الغبار فى كل مكان
ورائحة بترول ثقيلة
فى الصيف .. حين يكون الصبلح
فى الشوارع الخلفية لمنطقة (بركستون)
يمكن سماع أصوات الطيور
وحركة المرور
الياسمين يزهر على جدران من الآجر
وإنسان بلا مسكن ثابت
يراقب دخان سيجارة
يندفع نحو الأشجار

وهذا شاعر آخر هو « س . د . توماس » يقول :

فقير أنا
لا شىء عندى أعطيه
فأنا لا أعطى إلا من نفسى
ولكننى جلبت لكم هذه الأغنية
وقد باركها شيئان : الألم .. والشرف

وهكذا رجع الشعر الانجليزى الى الرومانسية اللصيقة بنفس الانسان ، لا رومانسية العواطف الذليلة والميوعة المراهقة ، ولكن رومانسية الانسان القوى الذى تشغل الأحلام والأشواق والتطلعات جزءاً لا ينكر من وجوده كانسان .

د. كمال نشأت ـ بغداد

بابا الفاتيكان مؤلفاً مسرحياً

لا تزال لندن هى عاصمة العالم المسرحية إلى حد كبير وبرغم كل المعوقات الحالية ابتداء من التضخم الاقتصادى المتزايد وارتفاع اثمان التذاكر وقلة النصوص الجديدة الجيدة وانشغال الناس باخبار الحرب فى جنوب الاطلنطى وعرض بعض المسارح العتيدة للبيع مثل مسرح الأولدفيك ، برغم هذا كله لا تزال المسارح تقدم لجماهيرها العرض بعد العرض والمسرحية بعد المسرحية ، بل ان اطول المسرحيات المعروضة عمراً فى هذا القرن لا تزال تعرض كل يوم ، وهى مسرحية « مصيدة الفئران » ـ لكاتبة القصة البوليسية الراحلة اجاثا كريستى ـ التى دخلت هذا العام عامها الثلاثين ، واستطاعت ان تجذب اخيرا قصة « كريستية » اخرى لتعد فى مسرحية بدا عرضها منذ اسبوعين !

ومن المسرحيات الجديدة المعروضة حاليا مسرحية اثار مؤلفها ضجة كبيرة خلال الاسابيع الاخيرة حين ارجا زيارته لبريطانيا عدة مرات قبل ان يزورها بالفعل لمدة اسبوع . فهذه هى المرة الاولى فى التاريخ التى يزور فيها احد بابوات الفاتيكان بريطانيا غير الكاثوليكية . ومنذ عامين قرر البابا النشيط المتعدد الاسفار جان بول الثانى ان يزور بريطانيا . ومنذ شهرين نشب النزاع المعروف حول جزر فولكلاند فارجا البابا زيارته حتى استطاع مؤخرا ان يوفق بين رعاياه الكاثوليك فى الارجنتين والمعجبين به فى بريطانيا فجاء الى الجزر البريطانية . وقبل وصوله كانت قد سبقته مسرحية كتبها فى شبابه او كهولته بمعنى اصح ، فترجمت ونشرت فى كتاب وافتتح بها « مسرح وستمنستر » الصغير موسمه الصيفى .

المسرحية بعنوان « محل الجواهري » وهى دراما شعرية من ثلاثة فصول الفها البابا عام ١٩٦٠ حين كان اسمه « كارول فوتيبلا » (اسمه الاصلى بالبولندية) وكان اسقفا لمدينة كراكوف البولندية . وهى ايضا



البابا فى لقطة طريفة ساخرا من مصوره .. ثم مخرج « محل الجواهري » روبين فيليبس وبطلتا « محل الجواهري » هانا جوردون ، وجودين واتفورد







ليست المسرحية الوحيدة للبابا ، ولا هى العمل الادبى الوحيد الذى الفه . فقد بدات مؤلفاته الشعرية والمسرحية فى الظهور بالانجليزية فى لندن ، وبدات التعليقات على نشاطه الادبى والفنى المبكر ، يوم هوى التمثيل المسرحى والف فرقة مسرحية قبل ان يلتحق بالجامعة ، ويوم اخرج ديوانه « صلوات ليلة عيد الفصح » ، وحين انهى كتابة سادس مسرحياته واخرها عام ١٩٦٤

وليس البابا بالطبع اول رجل دين بدا حياته بالادب والفن . ولكن : هل كانت هذه المسرحية بالذات لترى النور على مسرح انجليزى لو لم يكن كارول فوتيبلا قد تدرج فى السلك الدينى وانتخب « بابا الكاثوليك » ؟ ! لاشك ان شهرته وزيارته لبريطانيا قد فرضتا مسرحيته واهلتها للعرض على الجمهور . فالمسرح الانجليزى متعصب لاهله اولا ، ثم للروائع العالمية ثانيا . ومسرحية « محل الجواهرى » لا هى من الاهل ولا هى من الروائع العالمية . ولكنها قطعة شعرية جميلة فى حدودها الخاصة ، قطعة تاملية فى الحياة والحب والزواج .

لو لم يكن اسم البابا ـ الاصلى او المكتسب ـ على هذه المسرحية لقلت بعد مشاهدتها انها من تاليف قس ، وان القس لابد ان يكون كاثوليكيا ، لان المسرحية تقوم على المونولوجات الطويلة التى تشبه الاعترافات فى كنيسة كاثوليكية . وهذه المونولوجات تتقاطع احيانا ، وتخضع للتعليق الخارجى من ناحية اخرى ، ولكنها تظل إلى النهاية متعلقة بحاجة البشر الى الافضاء ، حتى لو كان هذا الافضاء للنفس . وداخل ديكور تجريدى ثابت واحد طوال الفصول الثلاثة تتطور هذه المونولوجات ايضا وتعود للماضى وتستشرف المستقبل . والديكور نفسه مكون من مجموعة حوائط زجاجية شاهقة تمثل نافذة محل الجواهرى من جهة كما تمثل المدينة الحديثة بناطحات سحابها من جهة اخرى . وفى الفصل الاول يطالعنا شابان (فتى وفتاة) فى طريقهما لشراء خاتمى زواج . وتبدا الفتاة فى التوقف واسترجاع بعض ماضيها حين التقت بفتاها . فتروى كيف واين التقيا . وكيف كانت ترسل إليه « اشارات » الحب وهو غافل عن التقاطها . ثم يدخل « ادم » وهو رجل فى منتصف العمر فيتقدم نحو الحبيبين ، ويتدخل فى مونولوج الفتاة ، وكانه يؤدى دور « الكورس » القديم او دور القس المتلقى للاعتراف بمعنى اصح . ويحاول ادم هذا ان يرشد الشابين ويبصرهما بالمستقبل وهو يقول لهما : « الحب ينبع من الحرب كما ينبع الماء من شق فى الأرض » ، « الحب فرحة غامرة وليس استغراقا فى التفكير الحالم الحزين » وعلى هذا النمط من الشعر «المرسل» تمضى شخصيات المسرحية فى الافضاء ، ففى الفصل الثانى بعنوان «العريس» (الفصل الأول بعنوان «الاشارات») تطالعنا امراة تعثر زواجها وتحطم بسبب تجمد عواطف زوجها . وبالمثل تبدا فى عرض قضيتها ، او

بمعنى آخر «الزواج المحطم» . ويظهر «آدم» مرة أخرى فيأخذ بيدها ويحاول أن يفتح عينيها على وضعها الحقيقى ، ويمنعها من بيع خاتم زواجها بعد أن نقل اليها رأى الجواهرى فى أن الخاتم ـ خاتمها وحده ـ لايساوى شيئا لانه لا يزن شيئا بدون قسيمة ، بل إنه ـ أى آدم ـ يمنعها من الذهاب مع رجل آخر ، فالحب عنده «عملية تحد» والعريس أو المحب قد يأتى فى أية لحظة . «فكلما كبر حجم الغضب ازداد انفجار الحب» . وفى الفصل الثالث والأخير بعنوان «الأولاد» يطالعنا شابان أيضا يستعدان للزواج ومن خلال المونولوج نعرف أن الفتى (ابن بطلى الفصل الأول) نتاج زواج محطم . ويحاول الفتى أن يخلص فتاته من شعورها بالكراهية لأبويها . وحين يقترب موعد زفافها يتقدم «آدم» فيكون بمثابة والد الفتاة بعد أن قويت علاقته بأمها .. مجرد والد رمزى .. يحاول على طريقته أن يهدى الزوجين الشابين الى تقدير الحب التقدير الصحيح . وينتهى الفصل بالزواج ، وفى الوقت نفسه يلتئم شمل الزوجين المحطمين على شاطىء هذا الزواج وبفضل تشجيع آدم الذى يشعر الجميع بأن المستقبل يحمل أملا حقيقيا بالنسبة للجميع أيضا . وهكذا تنتهى المسرحية نهاية سعيدة وثمة أمل يلوح بنجاح الجيل الحالى أو القادم فيما فشل فيه الجيل السابق !

وهكذا أيضا تقدم المسرحية حلولا شعرية اذا صح التعبير لمشاكل الحب والزواج فى المجتمع العصرى ، وهى حلول مبنية على القيم الانسانية فى النهاية ، تعبر عنها المسرحية بلغة شاعرية مخلفة أقرب الى اللغة التعليمية التى تحض وتوحى أكثر مما تأمر أو تنهى أو تعظ . وقد حاول مخرجها الشاب روبين فيليبس الذى عمل من قبل ممثلا مع لورانس أوليفيه أن يتيح لها فريقا من الممثلين النجوم وموسيقى وحركة رشيقتين . ومع ذلك كله أخذ بعض النقاد الانجليز على المسرحية خلوها كم الأحداث الدرامية ، وهذا صحيح ولكن الأصح أن هذه مشكلة الدراما الشعرية عموما ولا سيما فى عصرنا . وأقرب مثل على ذلك مسرحية « جريمة قتل فى الكاتدرائية » لاليوت . فقد خلت بدورها من الاحداث الدرامية التى تتطور على نحو معين لتفضى الى نتيجة معينة . ولكن مما لاشك فيه أن مسرحية البابا هذه جزء لا يتجزأ من الثقافة البولندية ، وهى تقوم فى جانبها الدرامى على الاحداث الخفيفة الوقع الهينة التطور ، وهذا ما تكشف عنه السينما البولندية من ناحية اخرى . ومما لاشك فيه أيضا أن هذه مسرحية لرجل دين أولا وأخيرا وان كانت خالية من الوعظ والارشاد . وقد نجح رجل الدين فى لمس بعض الأوتار الحساسة فى الحياة دون خطابة أو زعيق أو شعارات ، وهذا اضعف الايمان . اليس كذلك ؟ .

.. وإبسن أيضا



هنريك إبسن

وعلى العكس من « محل الجواهرى » تعد مسرحية « هيدا جابلر » من روائع المسرح العالمى الحديث . ولهذا وجدت طريقها بسرعة إلى خشبة المسرح الانجليزى . كما تعد على رأس مسرحيات إبسن التى تلقى الاحتفال الدائم من الجمهور الانجليزى . فلا يكاد يمر العام دون أن تعرض على المسرح باخراج جديد . وفى هذه المرة ـ منذ أسابيع ـ افتتح بها ". مسرح كيمبريدج « موسمه الجديد من إخراج دونالد ماكوين الذى يعد من أبرز المخرجين المعاصرين فى انجلترا .

وإذا كانت مسرحية « محل الجواهرى » تدور ـ فيما تدور حول الزواج فمسرحية « هيدا جابلر » تدور حول الزواج أيضا ولكن مع اختلاف الرؤية بالطبع فضلا عن التناول . فنحن فى مسرحية إبسن نواجه عالما واقعيا حتى فى « ديكوره » وفى اختلاطه أحيانا بالرمز . والمسرحية (كتبها إبسن عام ١٨٩٠) تعالج موضوع الزواج داخل إطار اجتماعى ونفسى فى آن واحد . فهيدا جابلر التى جاءت من الطبقة العليا فى المجتمع تتزوج عالما شابا لا يشغله شىء عن العلم ، وهى تتزوجه بعيدا عن أية عاطفة . فقد تقدم بها العمر من ناحية وتقدم لخطبتها هذا العالم الشاب الذى رأت فيه نوعا من التعويض والنجاح المرتقب . ولكن الزواج سرعان ما يكشف عن عبثه فيزيد من احساسها القاتل بالسأم . بل ان الحب الذى يربطها سرا باحد الكتاب الواعدين لا يسعفها أو يروى قلقها الدائب ، وانما يقودها فى النهاية إلى تدميره وتدمير نفسها فى وقت واحد . فقد قادت حبيبها الى الانتحار وأعطته مسدسها وهى تقول له : « افعلها بطريقة جميلة » ، قاصدة أن يوجه المسدس الى صدغه ، فلما لم يفعل ووجه المسدس الى بطنه خاب أملها فيه ، وكان عليها أن تفعلها هى بالطريقة الجميلة ! وحين يبلغ نبأ انتحارها القاضى الساخر صديق الأسرة الذى أرادها لنفسه يستلقى على مقعده وهو يقول باكيا : « أيتها السماء ساعدينا . ان الناس لا يفعلون هذا » ! ، وكأنه شكل بهذه الكلمات شعارا للمسرحية على حد قول المؤرخ المسرحى الاردايس نيكول ، وكأنه أيضا قد جعل منها فى النهاية كوميديا رفيعة لا تراجيديا رفيعة كما ظن بعض المتحمسين لابسن ! .

لاشك أن شخصية هيدا جابلر نفسها شديدة التعقيد والجاذبية بالنسبة للممثلات . فهى انسانة مدمرة لغيرها ولنفسها سواء بسواء ، وهى أيضا مأخوذة بعاطفة شيطانية نحو الحب والتدمير ، وهى أخيرا ليست مستعدة للتحرر ولا لأى نوع من العمل المفيد أو الخلاق . ولكنها أولا وأخيرا كتلة من القلق والملل القاتلين .

سوزانا يورك .. مرة اخرى



المخرج لجأ (على سبيل التوفير فى الغالب كما حدث فى المسرحية السابقة) الى الديكور الواحد الثابت طوال فصول المسرحية الأربعة ، ومع أنه ـ أيضاً ـ زحم خشبة المسرح بالأثاث ، وجعل الجميع يتحركون وسط ديكور أقرب الى تكوين ديكور المشاهد التليفزيونية الثابتة ، فقد عوض الممثلون الجمهور عن هذا كله بالكثير من الحيوية والنضج فى الأداء والحركة .

شاعرة جديدة أعظم من شكسبير



سولينير : شبيهة فرجينيا وولف .. اعظم من شكسبير !

لأول مرة فى التاريخ القريب ـ كما تقول صحيفة الصنداى تايمز فى ملحقها الأسبوعى ـ يتفق أساتذة الأدب الانجليزى بجامعة كيمبريدج على شىء ! أما هذا الشىء فهو موهبة شعرية جديدة صاحبتها فتاة عمرها ٢٤ سنة تدعى « سولينير » .

وقد تخرجت سو من كيمبريدج وأجمع أساتذة الأدب بالجامعة العريقة على أنها « أعظم شاعر منذ شكسبير » . والقى أستاذها محاضرة حول شعرها ، وقارن المقطوعات (السوناتات إذا صح الجمع) التى كتبتها بما يكتبه الشعراء الكبار ، وخرج بحكم جرىء فى النهاية مؤداه « انها حولت الشعر الانجليزى فى ليلة واحدة » .

وقبل أسبوعين ظهر أول ديوان للشاعرة الجديدة فى السوق ، وعنوانه « أغنية البجعة » ، أصدرته دار نشر صغيرة جداً لا مكان لها فى دليل التليفون (تدعى : مطبعة أولياندر) . ولكن أستاذ « سو » لم يكتف بمحاضرته عنها ، بل دعا عدداً من الأساتذة الآخرين لقراءة ديوانها والحكم عليها ، فاذا بالأساتذة يجمعون على أن هذه الشاعرة الشابة سيكون لها شأن كبير فى المستقبل القريب جداً . وقام أحدهم بمقارنة « سوناتا» كتبتها باخرى لشكسبير فوجد كفة « سو » هى الراجحة ! وسبب المقارنة هو أن « سو » أعطيت السوناتا رقم ٢٦ لشكسبير وطلب منها أن تقرأها وتعيد كتابتها .

أما سوناتا شكسبير فتقول :

يا سيد حبى
يا من استعبدت حسناتك واجبى
ونسجته بقوة
إليك أرسل هذه الرقعة المكتوبة
لكى تشهد على الواجب لا لكى تكشف
عن حصافتى .

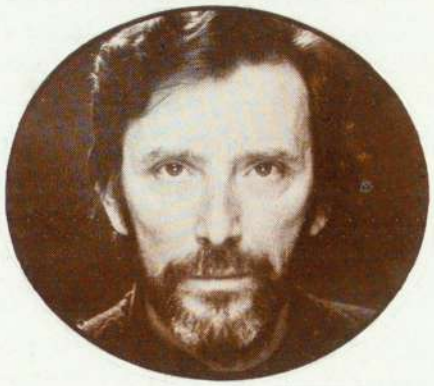
وأما سوناتا « سو » فتقول :

يا سيدة الحياة
يا من أتوسل إليها
بحكمة متعبة ،
وألتزم بواجبى نحوها ،
خذى منى هنا هذه الصفحة المنقوشة
المشغولة
وسودى هوامشها بتقطيبة وجهك الدقيقة

وليس من السهل بالطبع ـ عند الترجمة ـ ان نقيم المقارنة . فقد تكون هذه المقارنة مقبولة فى اللغة الأصلية التى كتبت بها القصيدتان . وإذا كانت الشاعرة



سوزانا يورك .. تعلم عشيقها إطلاق الرصاص



العشيق .. توم بل

وهذا كله ما يحتاج من الممثلة التى تقوم بدورها الى الكثير من النضج والخبرة وحكمتهما . وقد وفق المخرج فى اختيار نجمة تليفزيون قديرة (سوزانايورك) للقيام بالدور أمام مجموعة أخرى مختارة من نجوم المسرح والتليفزيون . ومع أن

الشابة قد غيرت قليلا فى تعبير شكسبير ، ولا سيما فى مخاطبته المؤنث بصيغة المذكر (يا سيد حبى) على عادة عصره وربما تأثراً ببعض الغزل العربى القديم الذى أثر فى التروبادور قبله ، فان أبيات شكسبير يظل لها مذاقها الخاص البعيدين كل البعد عن مذاق أبيات « سو » وقاموسها . ومع ذلك يظل للشاعرة الشابة حظها من الموهبة بلاشك ، وهو حظ بارز أيضاً .

تقول الصحيفة الانجليزية فى تحقيقها ان « سو » كانت متقدمة فى دراستها فى جميع مراحل التعليم حتى تخرجت من كيمبريدج ، وانها اشتهرت بالمقدرة السريعة على تأليف السوناتا فى الجامعة لدرجة أنها ألفت عشر سوناتات وقصيدة طويلة فى يوم واحد ، وانها ـ أيضاً ـ كانت تجيب على الأسئلة بالشعر فى امتحاناتها النهائية ! ومن قصائدها فى تلك الفترة هذه الأبيات :

اشجار الصفصاف السوداء
المتلفعة بالأعلام
تتلألأ على صفحة البحر المائج الخطير ،
انها مغموسة فى أشعة الشمس ،
وسريعة سرعة السلاحف البرية ،
المجهدة الخطى الثقيلة العنق الفارغة الصدفة
التى تخرج من الماء فتنفض عن نفسها الخضرة ...

انها صورة مركبة فى الحقيقة تمثل السفن على صفحة الماء ، والسفن مرموز اليها بالصفصاف الأسود ، وحركتها مرموز اليها بحركة السلاحف . ولكنها صورة غير كافية للحكم على شاعرية شاعر .

وتقول « سو » عن نفسها :

« انى أجد كل هذه التعليقات مخيفة فى الحقيقة . فأنا فى الواقع لا أعرف ان كنت ممتازة أم لا . وكل ما أعرفه هو أننى حين اكتب لا أستطيع مجاراة سرعة أفكارى » .

ومع هذا كله ، ومن حسن حظ شكسبير ، أن « سو » قد سافرت الى كاليفورنيا فى أمريكا لدراسة الدراما لمدة عام ، وأنها كفت عن كتابة الشعر حتى تستقر فتبدأ من جديد . ولعلها ـ حين تبدأ ـ أن تبعد عن منافسة شكسبير أو غيره . فالشعر ليس مباراة فى الجرى أو المصارعة . ولعلها ـ أيضاً ـ تقتدى بشبيهتها فى الصورة ـ فرجينياوولف ـ فتأتى بشىء جديد ، وتخرج الشعر بالنثر ، أو تكتب الرواية ، أو ـ على الأقل ـ تعرف ماذا تفعل وماذا تريد . فليس بقصيدة واحدة ولا بديوان واحد صغير يعد الشاعر شاعراً . وليس يأتى الشعر العظيم الا من تجربة عظيمة فى الحياة والفن على السواء .

خطابات وليم ومارى

قبل خمس سنوات لم تكن الأوراق الخاصة لمارى وردزورث (زوجة الشاعر وليم وردزورث) معروفة لأحد . ففى ذلك الحين بيعت هذه الأوراق بالمزاد فى لندن . وكان البائع تاجر طوابع برىد . وكان قد اشتراها ضمن أوراق أخرى كثيرة لا قيمة لها . ولكن المشترى الجديد فى المزاد سرعان ما وقع على ثروة كبيرة حين اكتشف انه أمام أوراق تخص علاقة انسانية لشاعر كبير .

وكان المشترى أستاذة جامعية أمريكية ، عكفت على الأوراق ـ ومعظمها رسائل متبادلة بين الزوجين ـ فدرستها وحققتها حتى نشرتها أخيراً دار « شاتو ووينذس » الانجليزية بعنوان « خطابات غرام وليم ومارى وردزورث » جمع وتحقيق بث دارلينجتون .

ومن المعروف أن الشاعر الرومانتيكى الكبير قد تزوج مارى هتشيسون عام ١٨٠٢ وكانا فى سن واحدة (٣٢ سنة) عرف كل منهما الآخر منذ الطفولة . ومن المؤكد أن وردزورث كان الرجل الوحيد فى حياة مارى ، ولكن المؤكد أيضاً أنها لم تكن الوحيدة فى حياته !

قبل عشر سنوات من الزواج سافر وردزورث إلى فرنسا إبان ثورتها الأولى حيث تعلق هناك بفتاة فرنسية وأنجب منها طفلا . ثم عاد إلى بلده وتزوج وأنجب خمسة أطفال . وبعدها راح يتنقل بين انجلترا وفرنسا بمفرده بالطبع ، بعد أن قيدت مارى بأربعة أطفال يمرحون من حولها ورضيع يلتصق بصدرها . ومن فرنسا راح الشاعر يبعث الخطابات لزوجته ويتلقى منها الردود .

لقد كان وردزورث رجل خصوصيات لا يكشف عن خبيئة نفسه . ولاشك أن ردود فعله للتجربة الشخصية ساهمت ـ بالمقابل ـ فى صنع مادة شعره ، شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من كبار الكتاب ، على العكس مثلا من شاعر مثل بايرون كان يستعرض مشاعره تجاه الغير والأفعال دائما . ومع ذلك فالخطابات تعكس جانباً خصوصياً آخر فى حياة وردزورث ، وهو علاقته بمعاصره الشاعر الكبير كوليريدج . ففيها محاولة مستمرة لاصلاح ما أفسده الدهر فى تلك العلاقة التى توترت كثيراً فى تلك الفترة . فقد كان كوليريدج يعتقد ان وردزورث يهاجمه على الملأ ويشنع بأنه غريب الأطوار يدس أنفه فى كل شىء . ولكن وردزورث ينفى هذا كله لزوجته ولا يظهر لزميله غير المحبة والود . فهو يتحدث عن « الحب والحنان اللذين أحملهما لكوليريدج ـ واللذين أعتقد أنه يحملهما لى » .

ومع ذلك فلابد لكل فرح من لحظة حزن . وتأتى هذه اللحظة فى نهاية الخطابات تقريباً ، حين يتبادل الزوجان الأحزان على فقد ابنتهما كاترين وهى بعد فى عامها الرابع ، ويقال ان وردزورث صار بعد تلك الحادثة مرهقاً حزيناً بارداً فى معاملته لزوجته مما أضعف علاقتهما بعدها . غير أن الخطابات تخلو من أية اشارة الى هذه العواقب .

لقد كان كوليريدج ـ ذلك الصديق العصبى المنحرف المزاج فى هذه الخطابات ـ هو القائل « ان الحب لا يربطه بالزواج .. أى رباط طبيعى . فالزواج مسألة اجتماعية وعقد اجتماعى » ولكن الزوجين أثبتا خطأه مرتين : مرة حين اتهمهما بالتشنيع عليه ، ومرة أخرى حين ربطا بين حبهما وزواجهما .. فى فترة كتابة هذه الخطابات على الأقل ولهذا فقد حفلت الخطابات بالدفء على الرغم من المفاجآت ، وبالمعلومات الجديدة على الرغم من قلة الأضواء على الشعر نفسه !

لندن ـ علي الشلش

جمال قطب



إدجار ويجا

ديجا

بين الشعر والفلسفة ورقصات الباليه !

لم ينعم (ديجا) بالاستقرار فى يوم من الأيام .. بل إذا أردنا الدقة فى التعبير : لم يكن يحب الاستقرار ، كان يستمتع بحياته المفعمة بالحيرة والقلق والمعاناة ! عندما تجاوز الأربعين من عمره كان يشكو دائما من ضعف بصره (ومن المصادفات أن ذلك قد حدث لعبقرى آخر هو مايكل أنجلو ، وكان يحيا مثله فى عزلة موحشة وقلق وتشاؤم .. وكلاهما توقع أن يموت فى سن مبكرة ، ولكنهما عاشا حياة طويلة مثمرة .. وكلاهما هرب – فى عزلته – إلى الشعر والأدب والفلسفة) !

اسمه الكامل : هيلير جيرمان إدجار ديجا ، ولد فى باريس فى شارع سان جورج عام ١٨٣٤ ، وعمر حتى شهد الحرب العالمية الأولى الى أن مات سنة ١٩١٧ . أى أنه شهد الرومانسية فى أواخر أيامها ، وكان من أقطاب التأثيرية .. كما كان علما بارزا من أعلام « العصر الجميل » وهو عصر مترف مر على الحياة الأوروبية عامة – وفرنسا بخاصة – كتحليق حالم فى سماء الابداع والمتعة والبذاخة ، واستمر منذ بداية الثلث الأخير من القرن الماضى وحتى وقوع الحرب العالمية الأولى كشبح رهيب حطم كل شىء والقى بظلاله الكئيبة على الحياة الأوروبية كلها ! .

وقد تميز (العصر الجميل) أو (عصر الحب والجمال) – كما يطلق عليه المؤرخون – بتألق ربات الجمال ، وصاحبات الصالونات ، ونجمات المسارح والراقصات .. وظهر فيه المسرحان الشهيران (مولان روج) و (كازينو دى بارى) ، كما استحدثت مدن الشواطىء والاستشفاء والمياه المعدنية ، ونوادى القمار فى (مونت كارلو) وغيرها .. واشتهرت أحياء اللهو فى (مونمارتر) و (مونبارناس) وملاهى حى (سوهو) الأسطورية !

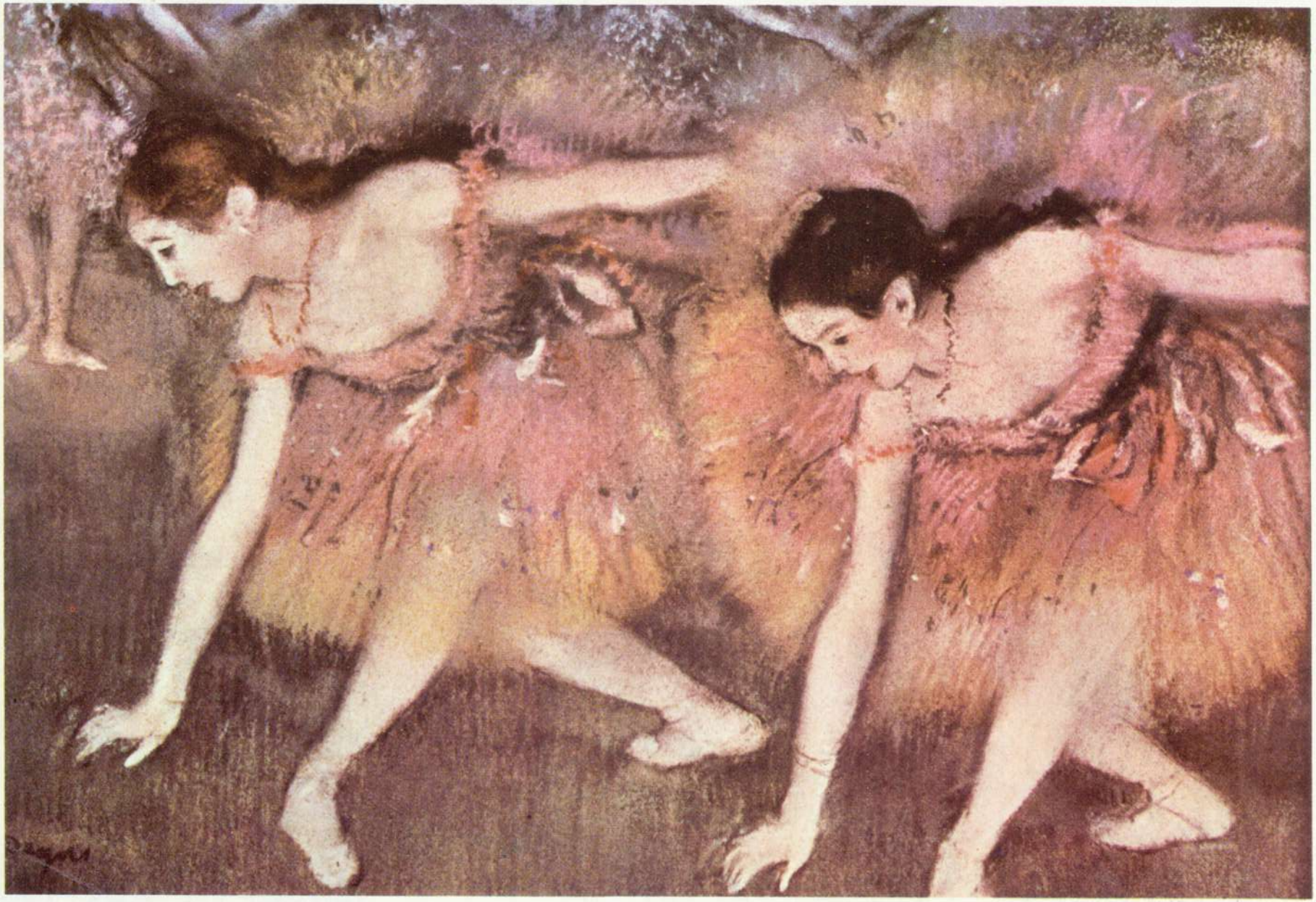
من كل هذه المظاهر الغارقة فى الترف والاسراف واللهو والفكر والفن .. ظهرت طبقة الموهوبين الأفذاذ من .. الموسيقيين والأدباء والشعراء والفنانين فى شتى الميادين .. لم ير التاريخ مثلهم من قبل مجتمعين فى عاصمة واحدة مثل باريس .

ووسط هذا الزحام الابداعى .. تألق عباقرة الرسامين المبدعين . وانشأوا مدارس فنية جديدة لم يعرف العالم أروع منها حتى اليوم ! ظهر «رينوار» و «سيزان» و «مونيه» وفناننا «ديجا» و «مانيه» و«تولوز لوتريك» و «فان جوخ» و «جوجان» وغيرهم من أقطاب المدارس التأثيرية وما بعدها مما تعمر به المتاحف العالمية شاهدة على تلك الطفرة الابداعية الرائعة !

وقد نزع « ديجا » إلى حياة الليل وأضواء المسارح وراقصات الباليه ، حتى **نستطيع القول انه قد تخصص فيها .. شغف بالراقصات الرشيقات وهن يتدربن ..** ثم وهن فى وقت راحتهن .. والنواحى الانسانية فى علاقاتهن الخاصة .. وفى استعراضاتهن الجماهيرية .. وغير ذلك !

وكانت طريقته فى رسمهن جديدة فى منظورها وتكوينها ، فقد اختار الزوايا الغريبة ، حيث كان يرصدهن من مقصورته المرتفعة فى دار الأوبرا ، ومن وراء الكواليس ومن حجرات الملابس ومن مواقف أخرى مبتكرة . وظل يرسم راقصات الباليه حتى آخر يوم فى حياته رغم المرض ورغم ضعف بصره الشديد . وفى أيامه الأخيرة وصل به القلق والضجر إلى منتهاه .. فأثر التجوال لساعات طويلة كل يوم فى شوارع باريس بلا هدف حتى ينال منه التعب ، فيأوى الى بيته وحيداً إلا من خادمه الوفى .. يتأمل حجراته الموحشة وقد غطتها عشرات اللوحات من إبداعه وابداع زملائه الفنانين الكبار .. ويحلو له أن يتصفح كتاباً بعينه لمؤلفه الشهير (جى دى موباسان) وقد كتب على صفحته الأولى اهداء للفنان الكبير مؤرخاً بعام ١٨٨٨ : « إلى إدجار ديجا ... الذى رسم الحياة كما كنت أود أن أرسمها أنا » !

جمال قطب



ديجا (من اقطاب المدرسة التاثيرية) ومن اعلام (العصر الجميل) أمضى حياته يتعبد فى جمال المرأة وراقصات الباليه وقصته معهن طويلة ومثيرة !

رأيت في شراكسة الأردن :
اخطف عروسك وتزوجها

بقلم : ضيـاء الدين بيـبرس

إخطف عروسك وتزوجها .. فان لم تستطع أن تخطفها .. فأنت لا تستحقها . هذه هى القاعدة الأساسية فى زواج الجراكسة ، أو الشراكسة ، وموطنهم الأصلى فى القوقاز .. ولكن بالمملكة الأردنية اليوم منهم مائة ألف شركسى .

والشراكسة هم إحدى الجاليات النادرة جداً فى العالم ، التى تحتفظ بنقاء عنصرها الأصلى تماماً فى أى مجتمع ينتقلون اليه . ليس فقط بالحرص الدائم شبه المقدس فى أن يتزوج الرجال دائماً من نساء شركسيات .. وإنما ـ أيضاً ـ بالابقاء على العادات والتقاليد الموروثة إبقـاء قدينقلها أحياناً من خانة الميراث الى خانة الاخراج المسرحى الباهر ... والمثل الحى لذلك هو الاصرار أن «يخطف» العريس زوجته اصراراً يكاد يجعل عملية «الخطف» هذه جزءاً من طقوس الزوجية ... وبدونها لا يكون هناك زواج !

• •

شاءت الظروف أن أعيش ـ بلا سابق ترتيب أو دعوة ـ جزءاً من طقوس «الخطف» الذى يمهد للزواج الجركسى فى عمان حاضرة المملكة الأردنية . ثم تولى إكمال الصورة فيما يقع بين التاريخ والرواية ثلاثة من أبرز وجهاء الجالية الجركسية فى عمان ، هم فواز باشا ماهر رئيس الشراكسة فى الأردن ـ وهو فى نفس الوقت رئيس أركان الحرب السابق للجيش الأردنى ، وسفير الأردن السابق فى تركيا ـ وكذلك ابنته الشابة الساحرة لانا ، وأخيراً السيد محمد خير بطة ، أحد الزعماء البارزين فى شركس الأردن ، ومؤرخ عنصرهم ، وراوى فضائلهم .

والشركس بصفة عامة لا يشجعون الزواج من الاقارب . بل إنهم يستهزئون فى أغانيهم من الذين يتزوجون من أبناء عمومتهم .

وأكثر من هذا فان كثيراً من الأسباط الشركسية لا تستخدم فى لغتها كلمة «إبنة العم» أو «ابن العم» . بل يقولون : «أختى أو أخى من عمى فلان» ... وكأنهم أدركوا بفطرة المحاربين الحقيقة العلمية الوراثية المؤكدة التى برهنت على ضرر زواج الأقارب على صحة النسل ... وفى نفس الوقت فانهم يعدون الجيران ـ حتى الجيران ـ فى منزلة الأقارب بسبب انتشار شيوع إرضاع الأولاد بين أمهات الحى .

ومن هنا انبثقت عادة تنظيم الرحلات والزيارات بين أهل حى وحى ، أو بين أهل قرية وقرية ... والمطلوب أساساً من هذه الزيارات هو تهيئة الجو للتعارف بين الفتيات والفتيان عن طريق المباريات الرياضية والمسابقات والغناء . وبهذه المناسبة فان فضائل بنات الشركس تضارع جمالهن المشهود والمشهور . ذلك أن الفضيلة عندهن تنبع من الكبرياء وليس من التلقين . فالبنت فى المجتمع الشركسى تحترم وتدلل فى بيت أبيها الى حد يستنفر كرامتها الى أن تجعل احتشامها جزءاً من وجدانها ...

وينتج من الزيارات المتبادلة ، بين الأحياء والمناطق الشركسية فى الأردن ، أن يلعب «كيوبيد» دوره ، ويخفق قلب كل اليف الى اليفته فيبدأ الفتى بالتردد على منزل فتاته ـ بعلم أهلها وتشجيعهم ـ فى حرية تامة ، وبدون أى ارتباط مسبق ، وعلى أساس تبادل الاختيار ...

فاذا ما رست سفينتهما على بر .. وبرح الجوى بقلبيهما ، وقررا أن يرتبطا بالزواج ، بدأ أعجب فصل من دراما الزواج فى مجتمع الجراكسة ، وهى دراما «تراجيكوميك» يختلط فيها العنف بالملهاة .

ذلك أنه بمجرد أن يعلن الفتى والفتاة أنهما يريدان الزواج ، يعقب ذلك على الفور ، ودائماً ،



وكقاعدة أساسية من قواعد لعبة الزواج لا خلل فيها ولا إخلال بها ... تقول يعقب ذلك أن يكشر أهل العروس عن أنيابهم للعريس ، وينهرونه بجفاء ، ويحجبون عنه الفتاة ، ويمنعونه من التردد على دارهم ... ويبدأ أهل الفتاة ـ دائماً ، ودون أن تنكسر علاقة الأهل فى العائلتين ـ يبدأون فى شن حملة قاسية وشرسة على سمعة الفتى على مسمع من الفتاة : يذمونه ، ويرمونه بشر التهم ، ويتهجمون عليه بقوارص الكلم ، مؤكدين أنه غير أهل لمصاهرتهم .. وأخيراً ، فقطعاً لدابر كل شك ، يعلن الأب بوضوح ، وبلغة شركسية فصيحة ليس فيها مساحة للتأويل أو التفسير ، أنه لن يزوج ابنته لهذا الفتى بالذات .. وليدق برأسه الحائط إن شاء !

وهكذا يسدل الستار عن الفصل الأول من فصول التمثيلية . إنه فصل يتكرر فى مستهل كل مشروع زواج . شاهده محفوظة . بمهاراته وحـواره وتحركات ممثليه تكاد أن تكون فى مرتبة القانون غير المكتوب . ولم يحدث أن بدأ زواج شركسى الأردن ـ وفى غير الأردن ـ بدون هذا «السيناريو» ! ...

بعد ذلك يبدأ الفصل الثانى وهو أشد إثارة من الفصل الأول بمراحل .

فالعريس ، إذ تصله مذمة أهل فتاته ، وتحديهم له ـ ذلك التحدى المتفق عليه ! ـ مفروض فيه أن تتحرك نخوته لانقاذ الفتاة من هذا الحصار ، ولشفاء قلبه مما يكابده من غرام .. ومن هنا فانه يرسل اليها ـ مع أخته أو أقرب نساء عائلته اليه ـ موعداً يحدده لـ : «اختطافها» .. ودائماً تكون والدتها على علم بالموعد المذكور .. حتى تعدها لـ «فرار» وهى على أجمل حال ... وينشغل العريس بتهيئة خطة «الاختطاف» ..



وعادة تكون هذه الخطة محكاً لتقييم قدرته وشجاعته وفروسيته . ودائماً عليه أن يسر بالأمر وساعة الصفر لأصدقائه الخلص ... وهؤلاء عليهم أن يهبوا لنجدته ، ويتطوعوا لمعونته ، فيأخذون في دراسة الطرق المؤدية الى قرية العروس : أيها يسلكون في الذهاب والإياب ؟ وهل هي قريبة تقوى على قطعها الخيل دفعة واحدة أم هي بعيدة تحتاج الى تبديل الخيل ؟

وعـــادة تتناول هذه «الدراسات» أيضاً عمل «كمائن» لمنع تقدم المطاردين . وتحديد عدد المدافعين ، وتحديد الصديق الذي «سيضعون» عنده العروس بعد اختطافها ـ لأن العريس لا يأخذ العروس مباشرة الى بيته طبعاً ـ وهكذا تقضي قواعد اللعبة !

فاذا ما فرغوا من ذلك كله ، وحانت ساعة الصفر ، امتطوا ظهور جيادهم ، وخرجوا من قريتهم «خلسة» ، متوجهين الى منزل العروس في جنح الليل . ويتقدم العريس الى باب عروسه حيث تنتظره في كامل زينتها ، ويحملها العريس على ظهر حصانه .. وإذ يصل ورفاقه الى حدود القرية بعد اتمام عملية «الخطف» .. يتوقفون ويطلقون ثلاث أعيرة نارية متفقاً عليها بين المجتمع الشركسي ، إيذاناً لشباب القرية بخطف إحدى فتيات القرية .. فيهب الفرسان من نومهم ـ أو هكذا يصور الأمر لأن الموعد في الحقيقة متفق عليه سلفاً بين القريتين ـ ويرتدون عدة القتال ، ويسرجون الخيل ، ويلجمونها في دقائق معدودة ، ويلحقون بهم .. وإذ يقتربون من الكمين المنصوب لاعاقة الملاحقين ينذرهم فرسان الكمين باطلاق عيار ناري في اتجاههم ...

هنا تقضي قواعد سيناريو «الخطف» أو تمثيليته ، تقضي على المطاردين بأن ينصاعوا لهذا الانذار ويرجعوا الى بيوتهم مرتاحي الضمير لأنهم بذلوا ما استطاعوا للحيلولة دون إتمام عملية الخطف (فالمسألة كلها ليست أكثر من تقليد متفق عليه سلفاً) ...

هذا هو المفروض . ولكن ـ كما يحدث أحياناً على خشبة المسرح من خروج الممثلين على النص .. يحدث أحياناً على مسرح عملية الخطف الوهمية أن يكون من بين هؤلاء الفرسان المطاردين من تأخذه العصبية أو الحمية أو المشاعر الشخصية أو فتوة الصبا فيصر على ألا يأبه للكمين .. وهنا يكون على المتربصين أن ينذروه مرة ثانية ، ولكن بأسلوب آخر ، هو قتل جواد الغير بعيار ناري ... وبعدها يعود الفارس مرتاح الضمير !

نصف ساعة فقط

الآن تمت مراسم الفصل الثاني من تمثيلية «إخطف عروسك لكي تتزوجها» . وذلك حين يسدل ستار الفصل الثاني على العروس وقد حملها خطيبها ورفاقه الى منزل أحد وجهاء القوم ذوي البأس .. وهذا عليه أن يعتبرها في عداد بناته ... ثم يبدأ الفصل الثالث !

إن هذا الفصل يبدأ بأن يشكل هذا الوجيه وفداً من أهل القرية أو الحي ويتوجه بهم الى والد الفتاة المخطوفة لكي يسترضوه ويلينوا قلبه !

هذا الوفد يسمونه في الأردن : «الجاهة» ... ولابد أن يستقبلهم الوالد بعبوس مصطنع وتجهم متفق عليه .. وبرود «مبرمج» ! ... ولكن باحترام .. وبخاصة أن هذا الوفد ، أو «الجاهة» .. يصطحب عادة معه بعض عجائز القبيلة أو الحي أو القرية التي ينتمي اليها والد العروس المخطوفة .

ومايزال الجميع بالوالد يسترضونه ويقدمون اليه الأعذار ، ومايزال هو يتأبى أول الأمر ويتمنع .. حتى يمر وقت كاف لارضاء كبريائه ، فيقر الصفح ، والرضا بخطبة الفتاة الى عريسها ...

ويستحيل ... يستحيل أن يتم زواج في مجتمع الجراكسة في الأردن من دون تتابع المشاهد التي رأيناها في تلك الفصول الثلاثة ... ويلاحظ أن الفصل الثالث لم يتم بعد ...

ذلك أنه بمجرد موافقة الوالد ، تنقل العروس من دار الوجيه الحامي الى دار فتاة في مثل سنها يطلق عليها اسم «الأشبينة» . كذلك يذهب العريس الى دار أحد أصدقائه ويسمى «الأشبين» .

والمفروض أن «الأشبين» و «الأشبينة» ـ ومعناها شبيه الأخ وشبيهة الأخت ـ تقول أن المفروض أنهما هما المتكفلان بنفقات العرس الباهظة وهنا تخف تقاليد التراحم والكرم الشركسي لاسعاف الأشبين والأشبينة ! ذلك أن العادة قد جرت أن تشكل وفود من الشبان والفتيات مصحوبين بموسيقاهام الشعبية ، الى القرى المجاورة لدعوة شبابها ... فكل دار تصدح أمام بابها الموسيقى ، تعتبر مدعوة للعرس ... (وهذه الطريقة في توجيه الدعوة لا يوجد لها مثيل في أي مجتمع في العالم ... إذ لا يستطيع المدعو أن يتعلل بأن الدعوة لم تصل اليه في البريد (!) ... والمفروض أن يأتي المدعوون وفي أيديهم هدايا ثمينة .. بهدف مساعدة دار العرس ...

كذلك تجري المبارزات والمسابقات على جوائز مقدمة من الأصدقاء ، كالخيـل والبقر ، والغنم ، والسجاد ، والشيلان ، وما أشبه ... وعلى الفائزين بتلك الجوائز أن يقدموها هدية للعريس والعروس ...

مغزى الحكاية المعقدة

ولا يسمح الأشبينة والأشبين للعريس والعروس بأن يتم زفافهما إلا بعد فترة احتفالات معقولة تعقب عقد القران الشرعي .. وبعد اللتـــي واللتيـــا يحدث أن يأخذ الصديق المضيف العريس خفية في آخر الليل الى دار صديقة العروس (أشبينتها) التي تكون هي والعروس بانتظارهما ... ويسمح للعروس بخلوة لا تطول أكثر من نصف ساعة بحجة أن الافراط في ملذات شهر العسل تضر بالصحة .. ويعود الصديق بالعريس الى داره (دار الصديق) .. حيث يمنع من الاتصال بعروسه منعاً باتاً لمدة أسبوع كامل ... وبعدها ينتقل العروسان الى دار الزوجية !

حكاية معقدة كما نرى .. ولكن ما هي حكمتها ؟

يقول الجراكسة ، بحماس ولكن بلا ابتسام ، ان الزواج بهذه الطريقة يوثق كيان العائلة الشركسية ، ويربط الفتى والفتاة برباط الزوجية الذي لا سبيل الى انفصامه . فقد سبق ورأينا أن عائلة العروس ، عمدت قبل عملية الخطف الى قطع الصلة مع الفتى . وأخذت تجاهر بذمه والحملة عليه ، وحرمت بعد إباحة كاملة ، على ابنتها أن تلقاه أو تجتمع به ...

ثم رأينا كيف انتهى هذا الموقف بخطف الفتاة ، وكأنه حادث وقع رغم أنوفهم ، وخارج حدود إرادتهم .. إذن فمعنى ذلك أن الفتاة وحدها هي المسئولة عن الزواج وليسوا هم ... فهي التي اختارت العريس وليسوا هم .. وليس من حقها أن تعود فتشكو من زوجها لأن أحداً لن يجيبها إلا بهز الأكتاف ...

كذلك يفهم الزوج أن فتاته اختارته من بين عشرات الفتيان ، وأنها قارنت بين رضاء أهلها ورضاه ، وطاعة أهلها وطاعته ، فاختارت رضاه هو ، وضربت رغبة أهلها عرض الحائط .. وهي تعلم أن أهلها سيذكرونها بكل هذا اذا ركبت رأسها وجاءتهم تختصم زوجها ...

في نفس الوقت ، فان أهل الزوج يعطفون على وضع الفتاة ، إذا تزوجت بفتاهم رغم أنف أهلها ... ومن هنا فانهم ينزلونها من أنفسهم منزلة الابنة العزيزة ويبدلونها أهلا بأهل . وهي بهذا الشعور وهذا الاحساس تقبل على بيتها الجديد بجماع قلبها ووجدانها ، تحس بأنها حطمت كل الجسور خلفها ، فلم يعد لها إلا هذا البيت ...

ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا تندر في المجتمع الجركسي حالات تعدد الزوجات ... فالرجل الشركسي ليس مستعداً لخطف زوجته مرتين .. والزوجة الشركسية ليست مستعدة لقبول شريكة لها في زوجها ... بل إن حالات الطلاق في المجتمع الشركسي تكاد تصل الى درجة الصفر تقريباً ، وعلى سبيل المثال فان حالات الطلاق بين الشراكسة في الأردن لم تزد عن خمس حالات في أربعة أعوام من ١٩٧٤ الى ١٩٧٨ ، مقابل ستة آلاف حالة زواج ، بدأت كلها ـ وبلا استثناء ـ بخطف الزوجة فيما عدا حالة واحدة يذكرها تاريخ هذه الفترة على سبيل التحديد ، وهي خطبة حفيد أحد السياسيين العرب المعروفين لكريمة فواز باشا ماهر رئيس الطائفة الشركسية في الأردن ... وقد تم التخلي عن عادة الخطف هذه بناء على رغبة شخصية لشخصية كبيرة لها اعتبارها العام .

فهل تحب أن تتزوج شركسية ؟!

ضياء الدين بيبرس



ليلة دمشقية

الأفندية والنرجيلة وخيال الظل

بقلم: عادل أبوشنب

تلك الليلة فى الشهر الماضى كان رواد مقهى الدرويشية الشعبى فى دمشق مختلفين عن رواده العاديين . كانوا ، هذه المرة ، أفندية . احتلوا منذ الساعة الثامنة الكراسى الخشبية ، وفيهم من دخن النرجيلة . ولم يكن المقهى مختلفاً . تلك الليلة . عنه فى الليالى السابقة . ولن يكون مختلفاً عنه فى الليالى القادمة إلا بوجود خيمة صغيرة ركبت فى أحد أركان المقهى ، وتميزت هذه الخيمة بشاشة من الكتان الأبيض . إنها دعوة لعرض من عروض فن خيال الظل المندثر ، فكر أحد محبى هذا الفن أن يحييه بعد موت دام ربع قرن أو أكثر قليلا فى دمشق .

الأفندية والنرجيلة وخيال الظل



جمهور خيال الظل في مقهى الدرويشية بدمشق



امرأة من شخصيات خيال الظل

العرب عرفوا المسرح

عزفت موسيقى متواضعة على نحو ما كان يجرى فى عروض خيال الظل (أو كراكوز وعيواظ كما كان يسمى فى دمشق باسم شخصيتيه الرئيسيتين) ثم قام الى الخيمة عبد الرزاق الذهبى ، صاحب فكرة بعث الفن الميت ، فحرك الشخوص وتكلم بالسنتها ، وشاهد الجمهور الخليط حكاية ملخصها أن الحمار يتجنب الحفرة التى يقع فيها مرة ، فى حين أن الانسان لا يتجنبها . كركوز وعيواظ الأول الغبى الذى يقع فى المقالب ، والثانى الذى يتفنن فى التخطيط للمقالب ، وبكرى مصطفى السكير القيضاى ، والمدلل،وغيرها من شخوص فن خيال الظل الدمشقى .. كانت ماثلة ، فكاننا كنا قبل نصف قرن من الزمان ، وكان الهيبة العامة والخاصة التى استحوذت على مشاعر الجمهور طوال سبعة قرون فى البلاد العربية ، بل فى العالم الاسلامى ،قد زارتنا بعد غياب ، لالتقول لفنون هذه الأيام : اذهبى لأكون مكانك ، بل لتذكر ان العرب قد عرفوا المسرح من قبل ، فما هذه الفصول التى يشخصها رجل واحد بواسطة دمى جلدية ملونة تجرى وتتحرك وتعيش من وراء ستارة بيضاء مضاءة ، إلا الظاهرة المسرحية الرائعة التى سادت فى بلادنا فسدت مسد المسرح المتعارف عليه (ذى الأبعاد الثلاثة) ، فكانت ارثنا المسرحى الذى علينا أن ننظر اليه باحترام ، لأنه على الأقل ، ينفى عنا تهمة اننا لم نعرف المسرح إلا فى العصر الحديث .

زعموا أن موطن خيال الظل الهند ، فقال بعضهم إنه جاءنا من جاوه ، والمستشرقون الألمان قالوا انه وصل الى العالم الاسلامى عن طريق الصينيين . ومن الثابت أنه انتشر فى البلاد العربية مثل غزوات التتار ، والمؤرخون ابن أياس والمقريزى والأبشيهى يروون كيف تم انتشاره فى بلادنا ، وكيف أصبح حرفة لها عمالها وكتابها ومحركو شخوصها الذين هم أهم عنصر فيه لأن الحوار يجرى بالسنتهم ، وبراعة محرك الشخوص (الكراكوزاتى) انه يتكلم بالسنة الشخوص جميعاً ، فيقلب صوته وفق الشخصية المتكلمة .

كيف يتم العرض

يجرى العرض بان يقف محرك الدمى داخل الخيمة دون أن يراه الجمهور ، وعلى انغام الطبل والمزمار يبدأ الفصل بتحريك الدمى من وراء الستارة البيضاء التى تشبه شاشة التلفزيون أو شاشة السينما (فى الواقع هاتان الشاشتان هما اللتان تشبهان شاشة خيال الظل لأن هذا الفن أقدم) . وتجرى الحوادث كما فى الفصل المعروض ، وينفعل الجمهور بالقصة وبالحوار الذكى والجميل الذى هو حوار مسرحى حقيقى الى أن ينتهى الفصل مع ضحكات الرواد واستمتاعهم وحصولهم على العبرة المتوخاة

وقد يكون مؤسفاً أن الباحثين والمؤرخين العرب لم يلتفتوا فى العصر الحديث ، الى هذا الفن إلا قليلا . وفى دمشق أقدم مستشرق فرنسى أيام الاحتلال الفرنسى ، وبالتحديد عام ١٩٢٨ على نقل عدة فصول محلية ، وقد نشرت بعد موته فى مجلة «الدراسات الشرقية» التى كانت تصدر فى باريس (العدد





كراكوز وعيواظ فى مشـــهد تمثيلـــى

الصادر فى عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) وابرزها فصل الحمام المشحون بالمواقف المضحكة والكلمات البذيئة ، فقد أصبح فن خيال الظل فى دمشق سفيهاً فى أيامه الأخيرة .

تراث مسرحى عربى مهمل

إن العودة الى خيال الظل فى أواخر القرن العشرين ، وفى مقهى شعبى من مقاهى دمشق .. لا تستهدف إحياء هذا الفن وتوظيفه ، وان كان مايزال قائماً وموظفاً فى بعض أقطار جنوب شرقى آسيا (اندنوسيا مثلا) لكنها تستهدف لفت الأنظار الى تراث مسرحى عربى مهمل ، هو بالتاكيد الدليل على وجود الظاهرة المسرحية عند العرب ، إن لم تعتبر فن خيال الظل مسرحاً كاملا ، ودعوة الى دراسة نصوصه المتناثرة هنا وهناك التى تعطينا صورة عن طبائع وانماط السلوك والتفكير التى كانت سائدة ، فى مرحلة من مراحل الزمان فى بلادنا ، كما تضعنا أمام نماذج من الكتابة الشعبية التى لم تنقلها المخطوطات والكتب الينا للأسف . وقد يكون الاغراء كبيراً عندما نعلم أن محركى دمى خيال الظل كانوا بمثابة الصحف والجرائد التى تنقل أحداث اليوم ، وكانوا ـ وهذا هو المهم ـ من الدعاة والمحرضين السياسيين الذين لعبوا دوراً بارزاً فى إزكاء الروح الوطنية .. فى مرحلة هامة من مراحل تاريخنا القومى ، وعلى سبيل المثال .. لجأ فنانو خيال الظل الجزائرى الى الجبال فى منتصف القرن الماضى عندما أصدر المستعمرون الفرنسيون أوامرهم بمنع هذا الفن تحت طائلة العقوبة .

الشخوص نماذج مصغرة

وكلمة فى شخوص فن خيال الظل : إن المضمون الذى حملته شخوصه على الرغم من أنها مصنوعة من الجلد الملون ، هو مضمون اجتماعى حقيقى ، فقد تجاوزت الشكل الجلدى ، وأصبحت نماذج مصغرة لأشخاص موجودين فى الحياة اليومية ،

يفكرون ويتصرفون فتعكس هذه النماذج انماط تفكيرهم وتصرفاتهم ، ومن هذه الزاوية يبدو هذا الفن قريباً من المسرح الحالى ، بل يبدو كأنه قد تجاوزه فجعل التقليد يتم بواسطة دمى ، كى يكون الرمز معبراً .

لما فتح كركوز وعيواظ ، فى أحد الفصول دكاناً لبيع اللحوم .. استخدما أخاهما داميئو كأجير فكان يسأل الزبائن الوافدين : ماذا تريدون : لحم قطط ، أم لحم كلاب أم لحم حمير ؟ اشارة الى ما يجرى أحياناً فى الواقع السيىء وعلى هذا النحو كانت وظيفة فن خيال الظل الاجتماعية ، وكانت شخوصه دعاة تنبيه وإيقاظ وتوعية فى قالب من الاضحاك لا مثيل له .

سهرة مقهى الدرويشية أعادتنا الى جانب مضيء فى إرثنا الفنى .

عادل أبو شنب

زبرجدة إلى أمل دنقل

شعر: حسن طلب

إن كنتَ لا تذكُرني ، فأنا الذى ناصبْتُك من قبلُ العداءَ
وكنتُ بادلتُكَ بالجّفاءِ الجّفاءَ ، أنا الذى قابلتُكَ فى الغَداةِ
فقاتلتُكَ كنتُ بسرِّ الأداءِ وسحرِ الأداةِ ، وأنا الذى جالستُكَ
فى المساءِ فذمَمْتُ بينَ يديكَ الهوىٰ وشكوتُ اليكَ مكْرَ
النساءِ ، وأنا الذى نادمتُكَ فى العَشىِّ .. وقلتُ : إنّكَ أنتَ
الوصىُّ وكُنْيَتُكَ النّطاسِىُّ .. فقلْتَ لى : وإنكَ أنتَ الجّديرُ
وكُنْيتكَ النّحريرُ ، فلئن كنتَ قد ذكرتَنى ، فدعْنى لأعودَكَ
العِيادةَ الصّريحهْ
سأصطفِى بعضَ الشّذىٰ المُتاحِ
والزّنابقِ المتيحَهْ
وأكْتفِى بهذهِ الأيقونَةِ الفَصيحهْ :
يا صارفَ الأذىٰ .. وربَّ كلِّ من ضلَّ أو اهتدَىٰ
يا واحِدَ النـــدىٰ
رِقَّ لواحِدِ القريحه

• • •

قالَ : فِضْ
قيلَ : فاضْ
وجرىٰ السّيلُ بالوَيلْ
حتى إذا غمرَ البرْلمانْ
وأغرقَ دارَ الحُكومَةِ
والأفتات الطّوالَ العِراضْ
قال : غضْ
قيلَ : غاضْ !
ونَهىٰ النيلَ ـ قِيلَ
ـ عن المنْكَرِ
احْتدَّ وهو يَصيهُ بهدمِ السّدودِ
وردْمِ الحدودِ
وَرىِّ الحياضْ
قلتُ :
من ذلكَ العارِفُ الفذُّ ؟
هذا الذى يتألمُ والناسُ تلْتَذُّ !
قيل : امرُؤٌ
يتنبأُ باسمِ الأجِنَّةِ قبلَ المخاضْ !
قلت : فلتذهبوا بى إليهِ ..
ذهبتُ :
فَا لفَيْتُ لونَ المُلاءاتِ أبيضَ (*)

تاجَ الحكيماتِ أبيضَ
مَصْلَ ارلأنانيب
شكلَ الطبيبِ
سألتُ : فما خَطبُهُ ؟
قيلَ :
سفَّهتِ السفهاءُ بليلِ الهَزائمِ أحْلامَهُ
ثم سوَّدتِ الهُدنةُ ـ الهُدْنتانِ .. الثّلاثُ
.. جميعُ صُنوفِ التهادُنِ ـ أيّامَهُ
فتوحّدَ باللونِ .. خبّأَ فى اللونِ آلامَهُ
ومضىٰ يتقلبُ فى درجاتِ البياضْ !
قلتُ فلْتدْخلُوا بى عليْهِ ..



دخلتُ :
ـ عليكَ السلامُ
ـ السلامُ مضىٰ .. والسَّلامةُ فى إثْرِهِ
ـ والعلامةُ ؟
ـ أن صباحَ النَّدامةِ حَلَّ
وَأن جَناحَ الحَمامةِ هاضْ !
ـ والخلاصُ ؟
ـ البقاءُ على أهْبةِ الموتِ مهما استدامَ
ـ إلامَ ؟
ـ إلى يومِ أن نسْتردَّ الأمانَ
وأن نستعيدَ الزمانَ
ـ متى نستعيدُ ؟
ـ إذا الديكُ باضْ !!
إنما أفسَدَ القومَ قبلكَ
حبُّ النهايةِ قبلَ البدايةِ
ـ والنصرُ ؟
ـ مَحضُ افتراضْ
يشهَدُ اللهُ أنّىَ ما قلتُ
إلاَّ الذى قد عَلِمْتُ
فَهيِّءْ سِلاحَكَ .. إن صَلاحَكَ فى الحرْبِ
ـ إن سِلاحى القصيدةَ
ـ ما الشِّعرُ عندكَ ؟
ـ عندى القريضُ فيوضُ الجَلالِ
وَمُطلقُ آياتِهِ
وغُموضُ الجمالِ إذا شفت عن ذاتِهِ
إنه كالزبرجَدِ فى الرَّونقِ المحضِ
أو كالبنفسَجِ فى الرَّوضِ
وهو الرياضَةُ والمسْتَراضْ
ـ هل نظمتَ القوافِىَ ؟
ـ بلْ رُبَّ قافيةٍ قلتُها
.. قيلَ : من قالَها ؟!
ـ وعشقتَ ؟
ـ أجلْ ..
وَسلبْتُ المَليحةَ جِريالَها
ـ أفسدَتْكَ العيونُ الصِّحاحُ المِراضْ
فَوهِمْتَ وآوْهمتَ
ليسَ القريضُ كما قد عَلِمْتَ
ـ فكيفَ تراهُ ؟
ـ القريضُ اعتراضْ
وكلامٌ من القلبِ
يَجنحُ للشعبِ
ـ كلُّ اعتراضٍ جمالٌ تملَّصَ من رِبقَةِ الشَّكلِ
وهوَ جلالٌ تخلصَ من قبضةِ الكُلِّ
ـ لاشكَّ أنكَ تلعبُ بالمفرداتِ
فهل لكَ فى الشّارداتِ الأوابِدِ ؟
ـ هَبْكَ جريراً وهبنى الفرزدقَ
وتعالَ لِننظُرَ من سوفَ يسبِقْ !
ـ من سَيبدأُ ؟
ـ أنتَ .. فهاتِ
ـ أجِزْ :
دمٌ يغلِى .. وصبرٌ ليسَ يُجدِى
ـ وأجفانٌ مُكحَّلةٌ بسُهدِ
ـ وصدرٌ ضاقَ بالأوطانِ ذَرْعاً
ـ وبالدنيا تُعيدُ بِهِ وتُبدِى
ـ تنَفَّسَ مثلَ بركانٍ وأرغىٰ
ـ كموجِ البحرِ فى جزرٍ ومدِّ
ـ فهلْ تزكُو سواعدُنا ونبنِى
ـ كما بَنَتِ الأوائلُ كُلَّ مجدِ ؟

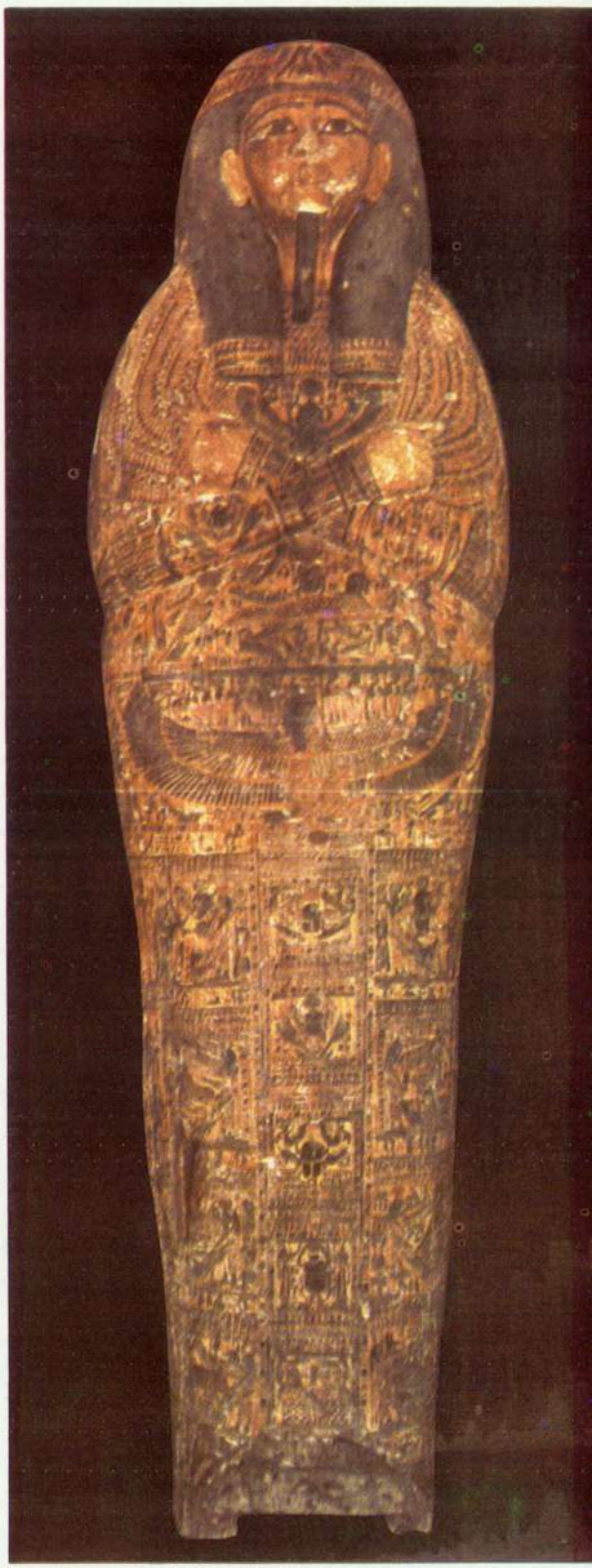
● ● ●

وعلى حينِ غِرَّةٍ توقفَ وقالَ : ذلك يكْفيكَ فلا فُضَّ فُوكَ .. ثم جَعلَ يضحكُ ويقولُ : ها أنتَ قد اسْتُدْرِجْتَ للفخِّ ، فأينَ ما كنتَ تدَّعِى ؟ أينَ الجَّمالُ والقُبْحُ ؟ وأينَ الشعرُ القُحُّ؟ قلتُ فيالَكَ من مُخاتلٍ وصاحبِ مُشاغبٍ ! تا للّهِ إنكَ أنتَ القنَّاصُ وأنتُكَ الأشْصاصُ ! فقالَ وإنكَ أنتَ الجَّوَّابُ وأنتُكَ الأسْطَرْلابُ ، قلتُ فناشَدْتُكَ اللّهَ إلاّ ما أعلَمْتنِى : فيمَ امتزْتَ على أقرانِكَ ، وبِمَ بزَزْتَ أترابَكَ ؟
قالَ : بحاجةٍ مباحةٍ
وديباجَةٍ مُبيحَهْ
قلتُ : فيا واحدَ النَّدىٰ
رِقَّ لواحِدِ القريحَهْ



(*) الأبيات الأربعة التالية من قصيدة : (ضد من ؟) للشاعر أمل دنقل بتصرف .

مومياء فرعونية
تحت الفحص العلمي



فريق من العلماء قام بتشريح جثة بعد موتها بثلاثة آلاف عام . كانت تلك هى المومياء الفرعونية رقم هـ ٧٣٨٦ ، التى بدأ يصيبها بعض التحلل بمتحف مدينة بريستول . قام الفريق «بفك» اللفافات حول المومياء الى حوالى ألف قطعة وعظمة وحقيبة تراب نفاذ الرائحة ، ثم أعادوها بعد ذلك الى ما كانت عليه فما هى قصة صاحب المومياء ؟

فى حوالى عام ألف وخمسين قبل الميلاد كانت المومياء رقم هـ ٧٣٨٦ كائنا بشريا حيا اسمه هاريم – كين – إيسى ، وظيفته الرسمية : رئيس العاملين بـ «قصر الصدور» ، بالاضافة الى لقبه الدينى : «كاهن معبد آمون» بمدينة طيبة ، موطن الإله آمون .

ومن الممكن أن يكون هو نفسه هاريم – كين – إيسى ، الذى سجل أعماله بالكتابة على الجدران عن رحلاته التفقدية لوادى الملوك – مدفن الملوك بالقرب من طيبة ، وذلك على صخور الوادى ، حوالى عام ١٠٦٥ قبل الميلاد . لقد كانت القبور الملكية فى يوم من الأيام منحوتات فنية يقوم العاملون الذين عاشوا بـ «قصر الحقيقة» بزخرفتها . و «قصر الحقيقة» لم يكن أكثر من مجمع سكانى قديم . لكن بحلول عام ١٠٦٥ قبل الميلاد بدأ دفن الملوك يتم شمالا . كانت طيبة مدينة منعزلة ، وكان «قصر الصدور» قرية أشباح . وكانت فرق العمال فى بعثة عمل للصيانة . وبذلك لم يكن لقب «رئيس العاملين» أكثر من مجرد رسميات بيروقراطية .

قصير .. بدين

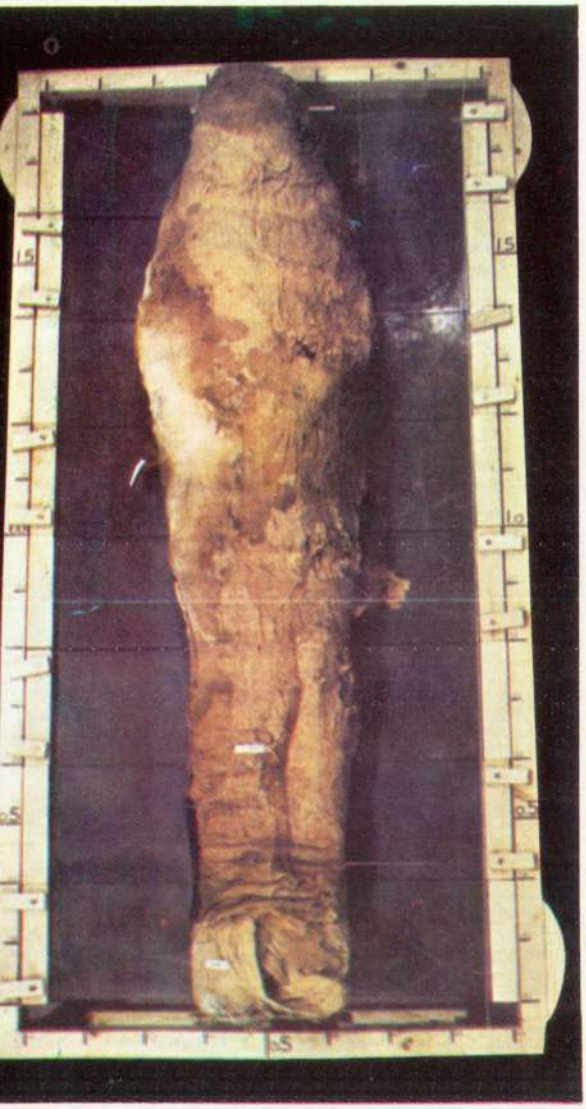
وبالتأكيد لم يتم اختيار السيد / هاريم – كين – إيسى ، من قبل العمال ، كما يتم ذلك عادة فى القرن العشرين . فقد كانت يداه محلاتين بالطلاء ويمكن للمرء أن يستنتج من مظهره أنه لم يقم بأى عمل شاق .

كان قصيراً ، بديناً ، وربما أحدودب ظهره قليلا وتصلبت عظام عموده الفقرى بفعل السمنة أو تقدم السن . فكاه قويان ، لكن اسنانه مفككه بفعل مرض وأورام سببها تناول طعام به رمال خشنة . وربما كان أنفه معقوفاً ، وأذناه دقيقتين ، وربما كان يذهب الى المعبد حين يقوم بمهامه الكهنوتية حليق الرأس . وعاش ما يربو على الخمسين عاماً .

كل هذه التفاصيل عن رجل توفى قبل قرون طويلة ، قد كشفت بمحض الصدفة ، الصدفة البيئية !

كانت المومياء هـ ٧٣٨٦ قد شحنت بواسطة «صندوق الكشوفات المصرية» عند اخلاء معبد من كل ما فيه عام ١٩٠٦ . وقد وجدت المومياء فى تابوت مزخرف لاتزال عليه الزهور التى وضعت إجلالا له عند وفاته . وتم شحن المومياء بتابوتها من مصر الى بريستول كـ «هدية» ! من مؤسس الصندوق للمتحف . وظل هـ ٧٣٨٦ مجهولا ومستقر الحال بالمتحف ، حتى صيف عام ١٩٧٦ الحار ، حين تحللت الحزمة وارتشح الملح الكيماوى الطبيعى والتى يطلق عليها اسم «التطرون» لتصل الى لفائف الكتان الخارجية . وبدا كما لو أن مصير مومياء السيد / هاريم – كين – إيسى أو رقم هـ ٧٣٨٦ ، هو أسوأ مصير يمكن أن تتعرض له مومياء . إذ كان لابد من اتخاذ قرار بحرقها حفاظاً على الصحة العامة .

لكن مصير السيد / هاريم – كين – إيسى – أو مومياءه بمعنى أصح – تغير فائقذ ، إذ تقرر معاملته كحفرية أثرية استثنائية .







اربع لقطات للمومياء الفرعونية تحت الفحص العلمي لفريق العلماء تحت رئاسة ديفيد داوسن .



لقد تحللت عدة مومياءات من قبل ، بأسلوب علمى ، تاركة من السجلات ما هو سرى ، كانه ملفات الأطباء الخاصة عن مرضاهم . وقد أدرك ديفيد داوسوف أمين الآثار بمتحف بريستول ، أن ما كان ينقص هذه السجلات ، هو تفصيلات عن فك الأربطة واللفائف . فقد كان الأطباء المتحرقون شوقاً لدراسة لحم وعظام أى مومياء ، يزيلون اللفائف بسرعة وبغير دراسة . لذلك قرر داوسون دراسة اللفائف الكتانية عن طريق فكها ببطء . خاصة وان تاريخ هـ ٧٣٨٦ يعود الى الأيام التى تجلت فيها مهارة «الحانوتيين» المصريين فى التحنيط ، أيام الأسرة الواحدة والعشرين . لذا كان من رأى داوسون أن يقوم الأطباء بتكرار العملية الأصلية ، ولكن بترتيب عكسى .

فريق عمل

تكون فريق عمل من خبراء المتحف ، وعدد من اساتذة كلية الطب بجامعة بريستول ، ومتخصصين فى فروع مختلفة اخرين . واستخدم الفريق غرفة العمليات بقسم التشريح بكلية الطب بالجامعة .

وبدأ الفريق العمل :

أخذوا يفكون الأمتار تلو الامتار من اللفائف . ووسط اللفائف فى احدى مراحل «الفك» كانت هناك «علامة الخلود» : بعض الكلمات بالهيروغليفية باسم هاريم ـ كين ـ إيسى . (وكان الاسم قد كتب بنفس اللغة على ورق فى التابوت نفسه ، والى جانب الاسم ، كانت هناك جميع القاب السيد / هاريم) . وهكذا تطابق ما جاء فى التابوت مع ما بداخل المومياء : الاسم ، والقاب التشريف .

ما الذى كشف عنه فريق العمل ؟

التأكد من شخصية «المومياء» ، وهو شىء له اهميته فى «الاجراءات الجنائزية» فى مصر القديمة .

أما تشريح «الجثة» ـ المومياء ـ فلم يبح بالكثير مما كانوا يأملون فى معرفته . فلم تكن الأحشاء بالجثة ، ولم تكن معباة معها ، أو موجودة معها فى «عبوات» منفصلة . وقد قلل هذا من فرصة حل الكثير من الأسئلة والاستفسارات الباثولوجية التى كان من الممكن دراستها فى الجثة ـ المومياء . وقل أكثر حين تم اكتشاف أن التحنيط تم بطريقة متسرعة الى حد كبير .

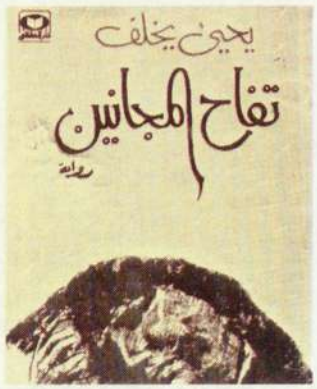
بحيث زحفت الخنافس على المومياء ، فلم تبعدها الأملاح والصمغيات عن الزحف على المخ والأرجل بينما ظل الجسم محتفظاً بشكله العام بمزيج من طمى النيل والأملاح وقشر الحنطة .

ولم تضع أى ذرة من ذلك كله ، لقد احتفظ بها كلها ، متحف بريستول : حتى تلقى الضوء أكثر على من يريد أن يتابع سيرة حياة هاريم ـ كين ـ إيسى !

دليل القارئ الذكي



● تفاح المجانين .
تأليف يحيى يخلف .
نشر دار الحقائق للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٢ .



تفاح المجانين رواية للاستاذ يحيى يخلف ، الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، والرواية مهداة الى الشهيد ماجد ابو شرار ، ماجد الانسان ، والقائد ، والمثقف الثورى .

بالرغم من قصر الرواية الذى لا يتعدى المائة صفحة ، إلا انها تعكس بكثير من الواقعية الثقافية لنفسية الانسان الفلسطيني ، وهمومه اليومية فوق كل أرض تواجد عليها ، فى فلسطين ، فى الأردن ، فى سوريا ، فى لبنان أو فى أى أرض تواجد عليها ، أما أشخاص الرواية ، فانها تنبض بالحياة ، بالحيوية ، تتجاوب مع آلام اخوانهم ، ومتاعبهم ، وهمومهم ، وضياعهم ويربطهم جميعاً آمال عظام ، وحنين كبير الى الوطن ، الى الأرض ، الى البيت ، الى التمر ، الى الشجر .. الى فلسطين ، فحافظ المؤلف فى روايته على الجو الشعبى الفلسطيني العام ، من خلال تقاليده ، وموروثاته .

الحدث الرئيسى الذى تدور الرواية حوله معاناة الفلسطينيين سواء فى أرضهم المحتلة ، أو فى مهاجرهم ، المعاناة من بطش السلطة سواء الصهيونية فى الأراضى المحتلة ، أو السلطة فى المهاجر ، فيلقى باللائمة على الفلسطيني الذى كان يترك مصيره يتلاعب فيه غيره كما يشتهى ، فى الفترة التى مرت قبيل انطلاقه ، لاثبات ذاته عندما تشجع فقضم من تفاح المجانين ، أو « تفاح المجن » وهو الاسم الشعبى الدارج ، وهو شجرة برية ، تنبت فى سهول فلسطين وجبالها ووديانها ، ولا يقصده الناس إلا فى حالة الضرورة القصوى ، أو الخطر المهدد ، أو الظلم القاهر . حيث يتحول الأكلون الى مجانين واعين ، الى ابطال فى نظر أنفسهم ، لا يهابون حدوداً أو سدوداً ، يهدون الجبال ، ويتحدون المخاطر . ولا يرون أحداً مهما كانت قوته أو جبروته .

فأكل الواعون من هذا التفاح ، للانطلاق بوعي ، وبتفهم بأن العودة لايمكن أن تكون بالكلمات والعرائض والخطابات وقرارات الأمم المتحدة. بل تكون بالجنون الواعي ، حيث يقف فيه الثائر على قدميه مقاوماً بكل الوسائل كل من يريد التلاعب بمقدارته ، والمساومة على مصيره ، مؤمناً إيماناً راسخاً من خلال تجاربه الواعية ، عبر ثوراته المختلفة ، بأن لايمكن أن يحرر أرضه ويعود إليها ، إلا إذا تحرر من سلطة تريد أن تفرض عليه أمراً يتعلق بمصيره من بعيد أو قريب .

وركز أشخاص الرواية تفاح المجن ، فى أوقات المحن هو الملاذ ، يأكل منه البعض آنذراً حتى لا يأكله الكل ، فيكون التمرد العظيم، والتمرد الواعي ، الذي جعل «بدر العنكبوت» – أبرز وجوه الرواية – الذي كان دوماً تواقاً إلى القوة ، ليفعل ما عجز الآخرون عن صنعه ، فجاهر لأصحابه وللناس جميعاً مايؤمن به وما يراه صحيحاً ، وكان صيفاً جافاً ، وكانت رياح هوج ، هام الناس فى البراري ، فأكل بدر من تفاح المحبة ، وتبعه أصحاب له ، والناس بين مشفق ، ومشجع ، فدبت فيه وفي أصحابه قوة عاتية ، فدحرجوا الصخور ، واقتلعوا الأشجار ، وقالوا قولتهم « ثورة حتى النصر » .

إن هذه الرواية ، التى تتسم ببساطة الأسلوب ، ووضوح الأهداف ، وبعد المرامي جديرة بالقراءة ، والتمعن ، لأن المؤلف أضاف بروايته إضافة مضيئة إلى الرواية الفلسطينية خاصة والعربية عامة .

● فن الحياة .. فن الكتابة
تأليف الدكتور أسعد علي
نشر مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر – بيروت .



إن التجديد فى عرض الأفكار ، إبداع يضفي على الموضوع عناصر التشويق ، والرغبة ، إلى معرفة كنهه ، لورود منهلة الثر .

وما كتاب « فن الحياة .. فن الكتابة » سوى إبداع فكري ، ونتاج ثقافي من نوع جديد ، لأنه ثمرة دراسة ، واطلاع ، ووعي ، إذ تكفي نظرة واحدة إلى المراجع الهائلة التى تربو على خمسمائة كتاب ، التى استعان بها المؤلف ، ليتضح مدى سعة الآفاق الثقافية ، وأصالة البحث ، التى يتمتع بها الاستاذ الدكتور « أسعد علي » مؤلف هذا الكتاب .

الحياة فن يتذوقه خبراؤها ، ولكن اختيار الحياة ، يظهر دورتها المتراوحة بين فصول ربيع ، وصيف ، وخريف ، وشتاء ، وبين فصول ولاده ، ونضج ، وهرم ، وموت ، كما يظهر اختيار الحياة بعث الربيع من صميم الشتاء .

الحياة ذات معان ومناشط ، فمن معانيها ، تحقيق الذات ، وتأكيد القوة ، وتأدية الرسالة ، ومن مناشطها الفكر ، والعقل ، والقول ، فكيف يستخدم الانسان مناشط الحياة للتوصل إلى معانيها ، التى تمنح مباهجها .

هذا ما عالجه المؤلف فى فن الحياة ، فمن عشاق الحياة من يكتشف الديمومة النفسية

إلى الكتب الجديدة •• عرض وتقديم : حسني شحادة

ويهيىء نفسه لأن يجد الديمومة الحقيقية في مجال الحياة والشعور ، ويشترط صاحب هذه الفكرة ثلاثة شروط أساسية للحياة ، يراها في الدفقة الحيوية ، والخلق المستمر ، والحرية المبدعة ، ومن الباحثين من يتوق إلى معرفة منشأ الفكر الحديث ، ولكن معيار العمل الصحيح ، هو ما يزيد الحياة قوة ويكسبها صحة . بالأخلاقية المتفتحة ، كالبطولة ، والابداع ، والحب ، والدينية الرفيعة بالايمان الصادق ، والتسامح الخير وهذا ما يجعل فن الكتابة صورة تعبير للمباديء السامية التى نعمل على تحقيقها ، لنبلغ بذلك اكتساب منابع فن الحياة ، التى تعلم لغات النظام والادارة والمحبة والشجاعة .

يحتوى الكتاب مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، الباب الأول ، مذاهب فن الكتابة ، ومقسم إلى ثلاثة فصول ، تؤكد أن اللغة والالهام جيشان يعمان أنواع الكتابة عربية وغير عربية .

أما الباب الثاني ، فهو أنواع الكتابة الحديثة ، يتناول المؤلف فيه الاعلام النافع والصحافة والصحافي النابغ والاذاعة ، وقد تناول هذا الباب أيضاً « منابع اللغة والالهام » ، وقد تركز البحث عن الحداثة فى معالجة الموضوعات ، وقد ضرب مثلا لذلك قضية الوحدة العربية ، كيف يتناولها الاعلام ، صحافة وإذاعة ، وكتابة .

أما الباب الثالث فهو مصاب الكتابة أو فنونها ، وقد حاور المؤلف نخبة ، عبر مؤلفاتهم ، ومراسلاتهم ، ومخاطباتهم ، للتوصل إلى أحسن الصيغ ، وقد اعتمد الحوار حوالي تسعين مصدراً ومرجعاً ، أفرز عصيرها فى أربعة فصول هي : من المقالة والبحث ، منهج البحث وغرضه ، مصب البحث ومسمياته ، وحلقات البحث ، وروح التاليف .

ويقول المؤلف فى خاتمة كتابه :

« إن فن الكتابة يعني التعبير ، فما هو التعبير - ؟ أليس تعبيراً عن النفس وانعكاسات الحياة فيها ، لذلك دعوت كتب الالهام ، ونظرية الفن ، والحركة فى نظرية الشعر ، والحركة فى نظرية النثر ، باسم « فن الحياة .. فن الكتابة » ، إشارة إلى منابع الكتابة فى نفس الحي ، ومظاهر الحياة ، وهذه لا تعني النهاية ، إنما البداية فى نفوس الأذكياء الطامحين » .

• نحو نقد أدبي معاصر
تأليف الدكتور عيسى الناعوري
نشر الدار العربية للكتاب
بطرابلس ـ ليبيا

الأدب عمل فنى إبداعي ، ولذلك فهو بحاجة إلى الناقد الفنان ، المتجرد باخلاص وصدق لعمله ، هذا ما دعا إليه وعالجه « الدكتور عيسى الناعوري » فى كتابه الجديد ، « نحو نقد أدبي معاصر » ، الذى يتضمن مجموعة من المقالات التى نشرت فى المجلات الأدبية على مدى العالم العربي .

أما وظيفة النقد عند المؤلف ، فهي النظر فى الأعماق ، ودراسة الأبعاد والمقومات ، وتحليل العناصر الفنية والفكرية ، بدقة ودراية ، وتدعم هذه المعايير ، ثقافة واسعة وإحاطة بمذاهب الفكر والفن ، والأساليب الجمالية ، ليكون فى مقدور الناقد أن يبحث ويقارن ويستنتج ، ويأتي بالأحكام السليمة فى تقييم العمل الفني ، وهذا ما يجعل النقد عملا فنياً ، يعيش مع الفنون الرقيقة ، ويرافقها ، ويبرز جوانبها .

• ديوان الشعر الشعبي
للشاعر عبد الرحمن محمد رفيع
نشر دار ذات السلاسل ـ الكويت
عام ١٩٨٢م

هذا الكتاب هو المجموعة الكاملة للشاعر البحريني عبد الرحمن رفيع ، من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨١م ، ويحتوي على ثلاثة دواوين شعرية هي : قصائد شعبية ، أول المحبة ، زمان أول بالاضافة إلى ثلاث قصائد جديدة ، وهي جميعها باللهجة بالعامية ، فهي شعر مسموع أكثر منه مقروء .

إن الشاعر إذ يقدم هذه المجموعة الكاملة ، يرجو لعشاق هذا اللون من الشعر الشعبي أن يجدوا فيه ما ينشدون من المتعة ، خاصة وان الشاعر معروف بجودة الالقاء ، وخفة الروح ، مما جعله محبوباً فى جميع بلاد الخليج العربي .

• مفكرة عاشق
للشاعر هارون هاشم رشيد
طبع الكتاب فى المطابع الموحدة
بتونس

هذا ديوان جديد للشاعر هارون هاشم رشيد ، هذا الشاعر طالما تغنى لفلسطين ، وطالما تمنى عودة الغرباء ، فكانت دواوينه ، البارقة للنصر الآتي .

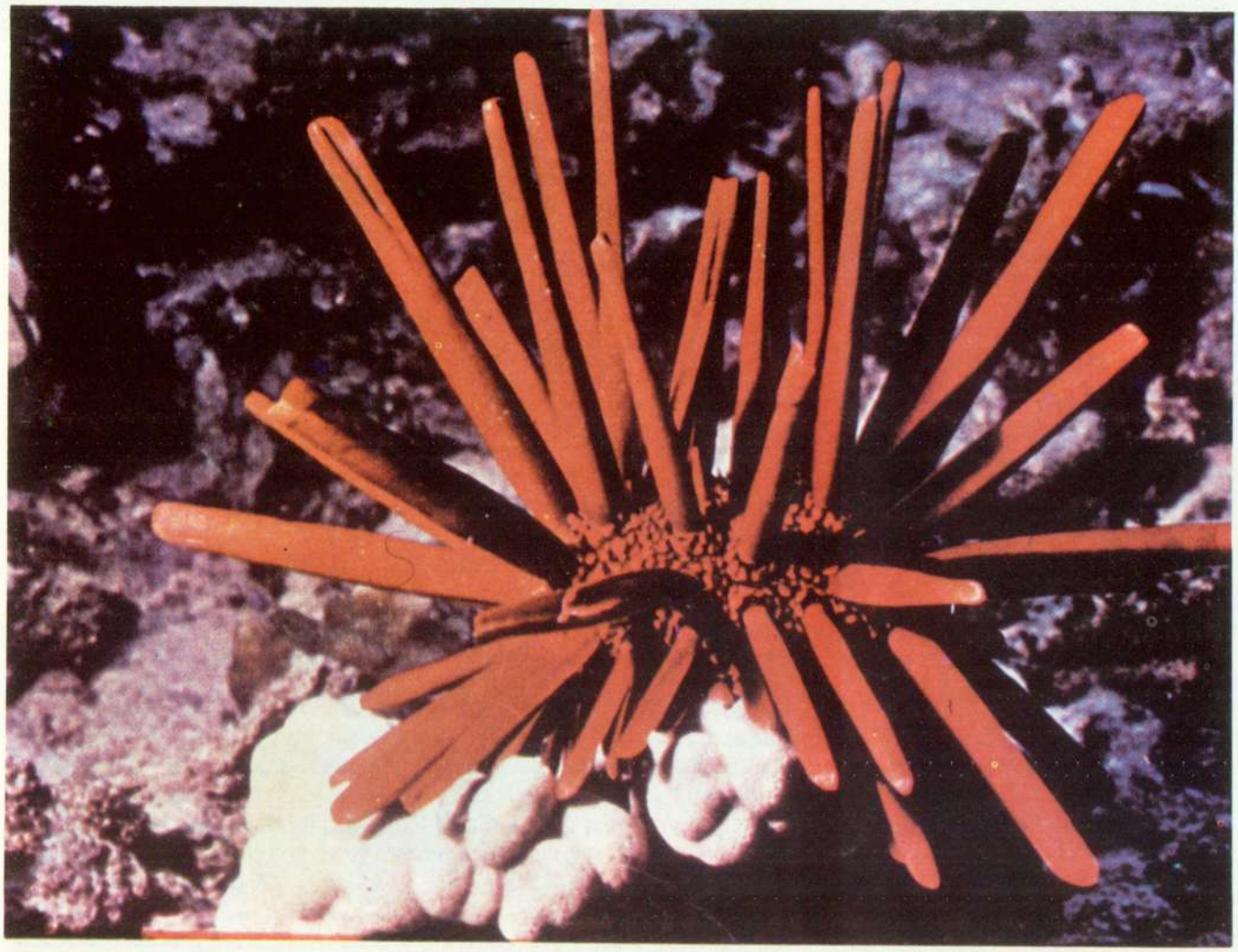
أما ديوانه هذا « مفكرة عاشق » ، فهو قصائد للقدس ، لجدة التاريخ ، معشوقة الشعراء الأبدية ، فيهدي هذا الشاعر الى معشوقته هذا الديوان بقوله :

احملينى ياسرايا .. وخذيني يابيارق
فى لهيب الهول .. فى النيران ..
فى ليل الصواعق .
كيفما شئت خذيني
فى الزوايا .. فى الخنادق ..
فى رصاصات البنادق
ازرعيني فى روابي القدس
كالسيف المعانق
تمرع الأرض زهواً
ورودا وزنابق

• الثقافة رهان حضاري
تأليف الشاذلي القليبي
الدار التونسية للنشر ـ تونس

يضم هذا الكتاب مجموعة من الخطب التى القاها الأستاذ الشاذلي القليبي ، الأمين العام لجامعة الدول العربية حالياً ، فى مناسبات متنوعة ، حول مختلف شئون الثقافة ، وأهداف العمل الثقافي ، وفلسفته ورسالته على مدى خمسة عشر عاماً ، قضاها المؤلف وزيراً للشئون الثقافية بالجمهورية التونسية .

هذه التجربة الثرية ، سوف يكتشفها القاريء بين طيات هذا الكتاب ، مصوغة فى قوالب بليغة ، واضحة المعاني ، ميسورة التناول .



قنفذ بحري سام

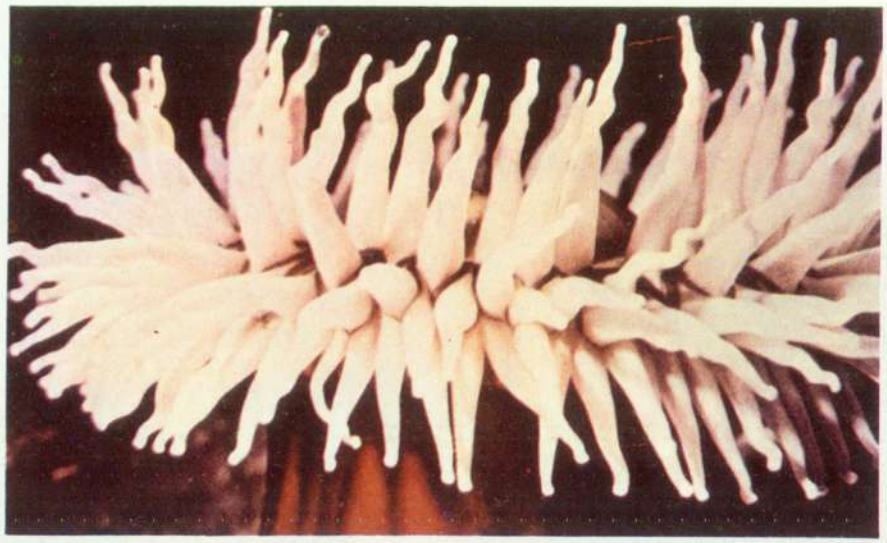
الكائنات السّامّة في البحار

بقلم: أحمد محمد الغندور

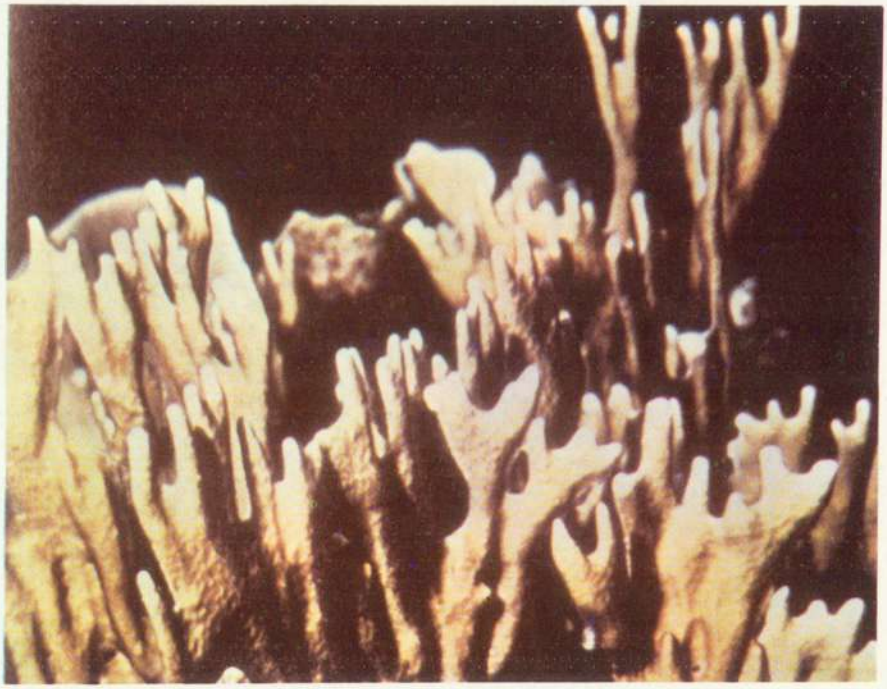
تزخر البحار بالعديد من الكائنات السامة من ثعابين وقناديل بحر ومحار وأسماك . وتشكل هذه الكائنات خطراً كبيراً لمرتادي البحار وبحارة السفن . ولكن بالرغم من خطورة بعض هذه الكائنات إلا أنها لا تهاجم الانسان أو الحيوانات الأخرى ، وإنما تستعمل السم للدفاع عن النفس وقت الضرورة وللحصول على الطعام .

يوجد حوالي خمسون نوعاً من ثعابين البحر وكلها سامة وتعيش في المحيط الهادي وتوجد بكثرة في المياه الضحلة الساحلية ، إلا أن بعضها يعيش في المياه العميقة وفي عرض البحر ، وبعضها يتوغل داخل الأنهار القريبة من البحار .

وأغلبية هذه الثعابين زاهية جميلة اللون لكي لا تلفت الأعداء إلى خطورتها . وتتفاوت قوة سمها . فبعضها لا يسبب إلا ألماً بسيطاً ، ولكن قد تتساوى قوة السم عند بعض الأنواع مع سم الكوبرا . والسم هنا يسمى السم العصبي « نيروتوكسين »



نوع من شقائق النعمان التى تحتوى لوامسها على الاف الخلايا اللاسعة السامة



مرجان النار .. يحتوى على خلايا لاسعة القنفذ البحري السام أثناء حياته فى البحار .

الذى ينتشر بسرعة فى الجسم ويسبب الشلل وضعف التنفس وبالتالي الموت .

والمعروف عن هذه الثعابين أنها لا تلدغ الانسان إلا إذا وقعت فى شباك الصيادين أو إذا مشى عليها الانسان . ولكن يحذرها الانسان فى موسم التزاوج إذ تتجمع بأعداد كبيرة على سطح البحر وتشكل خطراً داهماً لكل من يقترب منها .

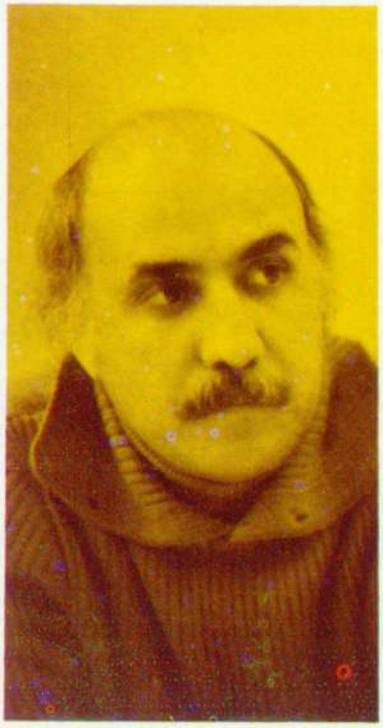
بالاضافة إلى الثعابين توجد مجموعة أخرى ضخمة من الكائنات التى تلسع الانسان أو الحيوان وتنقل السم ، ومن أكثرها خطورة بعض الجوفمعويات وهي حيوانات جيلاتينية الشكل مثل قناديل البحر ، وهذه تمتلك رأساً طويلة تحمل خلايا لاسعة تفرز سماً ، وتعد الفيساليا « رجل الحرب البرتغالي » من أخطر هذه المجموعة إذ أن لها شراعاً تسبح به فى سطح البحر وتمتد اللوامس إلى مسافة خمسين قدماً وتحمل كل واحدة من هذه اللوامس حوالي ١٠٠ر٠٠٠ خلية لاسعة ، وإن تعرض انسان لهذه اللوامس فانه يشعر بآلام حارقة ودوار مفاجىء وآلام حادة فى المعدة وشلل فى الأطراف . وقد يؤدى هذا الى الغرق . ولكن إن نجا الانسان من الغرق فان السم الذى يعد من نوع « السم العصبي » والسم الدموي (هيموتوكسين) يسبب ضيقاً فى التنفس والموت خلال ساعات .

وأثناء موسم التزاوج تكثر أعداد الفيساليا ، وتهب بها الرياح الى شواطىء البحر ، وعندها تغلق هذه الشواطىء وتمنع السباحة فيها . ولكن بالرغم من جهود المسئولين عن نظافة الشواطىء إلا أن بعض اللوامس تنفصل عن الفيساليا وتبقى ملتصقة بالأصداف والنباتات على الشواطىء . وإن لمسها الانسان من غير أن يدري فان الخلايا اللاسعة تلسعه فى الحال ولكن لا تسبب أذى بالغاً !! ولابد من التحذير أيضاً من المرجان وشقائق النعمان اللذين يمتلكان نفس المقدرة على اللسع وتسبب الأذى للانسان .

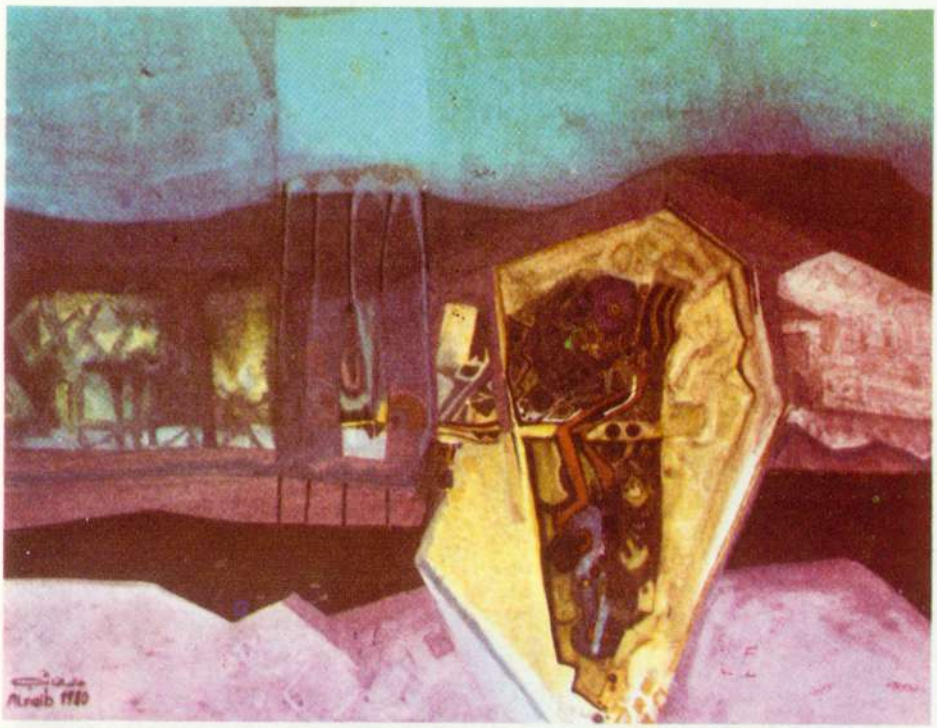
ولكن تعد القواقع البحرية التى تمتلك صدفة جميلة اللون من أكثر كائنات البحر سماً ، إذ عندما يلمسها الانسان فانها تلسع ولا يشعر بهذه اللسعة ، ولكن بعد دقائق ينتشر ألم بسيط كلسعة النحل ثم يصاب الانسان بالشلل ويتوقف القلب ويموت خلال ساعات قليلة ! ويوجد حوالي ٥٠٠ نوع من هذه القواقع (كون شيلس) وتعيش أغلبها فى المحيط الهندي والهادي .

توجد مجموعة كبيرة من الأسماك السامة فى البحار مثل القويع اللاسع « ستنج رايز » الذى يمتلك أشواكاً عديدة تتصل بغدد سمية . وعند الدفاع عن النفس قد تدخل هذه الأشواك فى جسم العدو وتسبب له أذى بسيطاً أو قد تؤدى بحياته نتيجة للسم الزعاف الذى تفرزه كما توجد مجموعة أخرى من الأسماك السامة مثل أسماك (اسكوربيون فيشيس) أو أسماك الأسد (ليون فيشيس) وأسماك الضفدعة (تواد فيشيس) وأسماك (وبيفر فيشيس) وكل هذه الأسماك تمتلك الزعانف والأشواك وتتصل هذه بغدد سمية وقد تسبب الموت السريع فى بعض الأحيان .

بالرغم من أن هناك مجموعة أخرى ضخمة من الكائنات البحرية التى لا تمتلك أي غدد سمية ولا تلدغ أو تسمم العدو أو الفريسة ، إلا أنها تتغذى على كائنات أخرى سامة ، وبالتالي يتراكم السم تدريجياً فى الجسم حتى يصبح الحيوان السليم نفسه غير صالح لطعام الانسان . ومن الطريف أن الحيوان نفسه لا يتأثر بهذه الكائنات السامة التى يتغذى عليها . ومن بعض هذه الحيوانات أنواع من المحار وبعض أسماك القرش التى يتغذى عليها الانسان ، وبعض أنواع التونا وبعض السلاحف البحرية .



الفنان خالد النائب



حلم ذات ليلة

الفنان التشكيلي العراقي خالد النائب .. للدوحة :

من الشوارع والمقاهي الشعبية يبدأ التجديد في الفن

أجرى الحوار : حسن الملا

بدعوة من الجمعية القطرية للفنون التشكيلية .. قام الفنان التشكيلى العراقى خالد النائب بتقديم ثلاث وثلاثين لوحة من أعماله الفنية فى معرض خاص ، شاهده جمهور القطريين من عشاق الفن التشكيلى .

وفى هذا المعرض ، عالج الفنان « الحرف العربى » حيث تعامل معه رأساً كشكل قائم بذاته ومتكامل ، ولديه القدرة على التغنى بكل الألوان والحركات .

قام بافتتاح المعرض الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الأعلام .

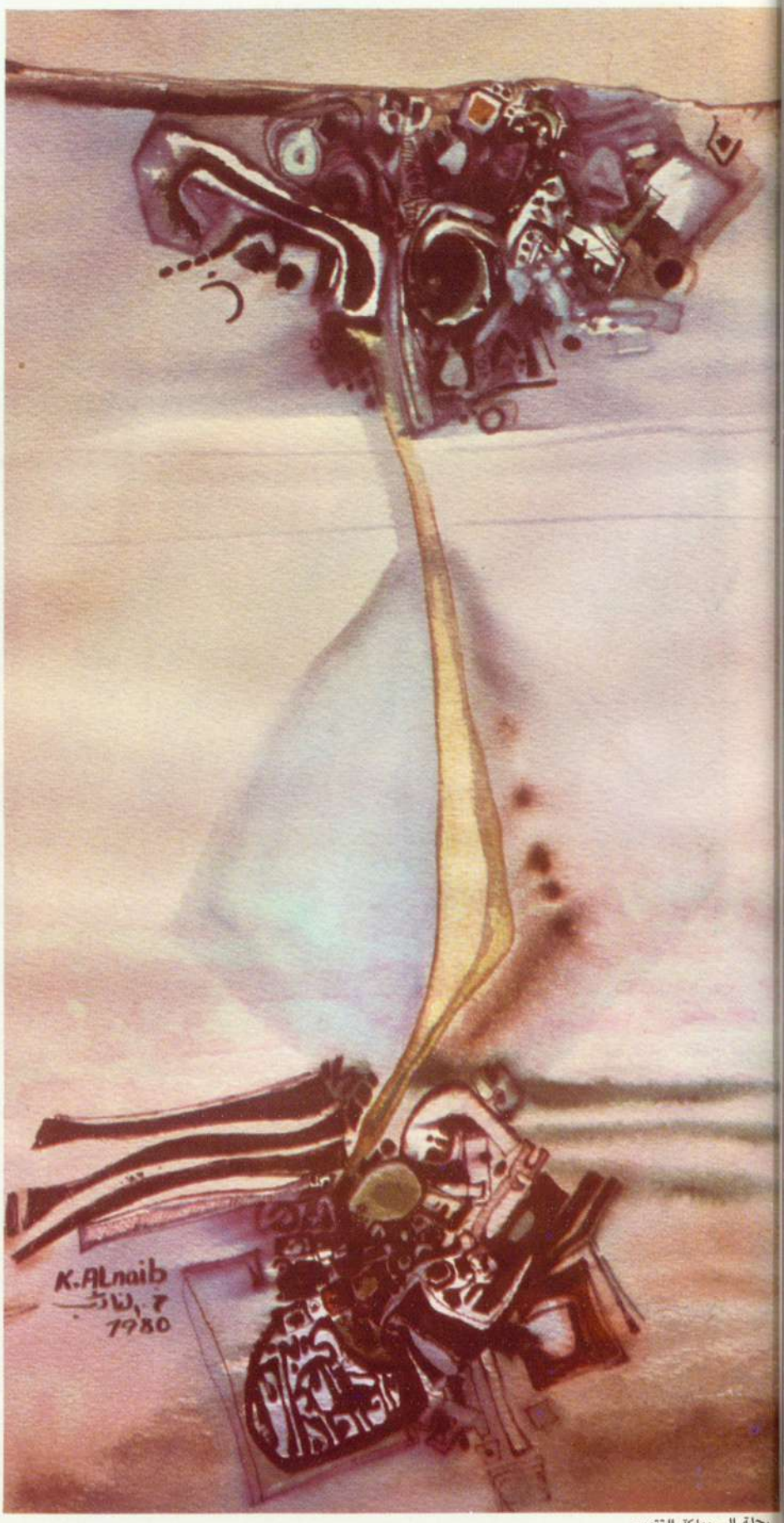
أما الفنان خالد النائب الذى التقينا به حول هذا الحوار .. فهو يعيش فى ألمانيا الغربية منذ ثلاث سنوات . وتجربة الاغتراب بعيداً عن أرض الوطن ، أرهفت احساس الفنان أكثر ، واقتربت به من ينابيع جديدة تثرى الروح ، وتعمق احساسه بالحياة .



فضاء الالم .

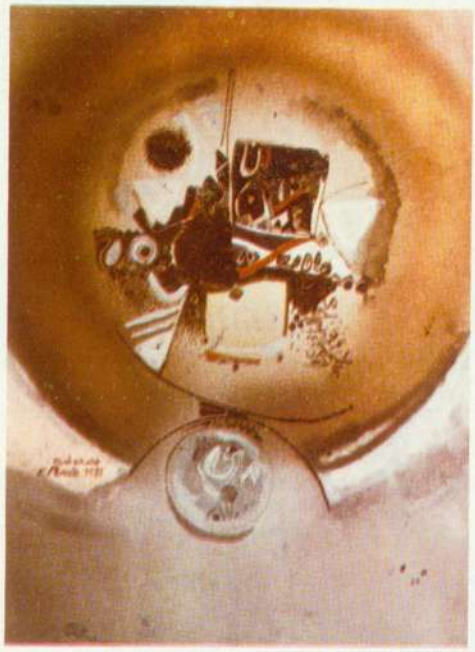


ولادة فى البحر

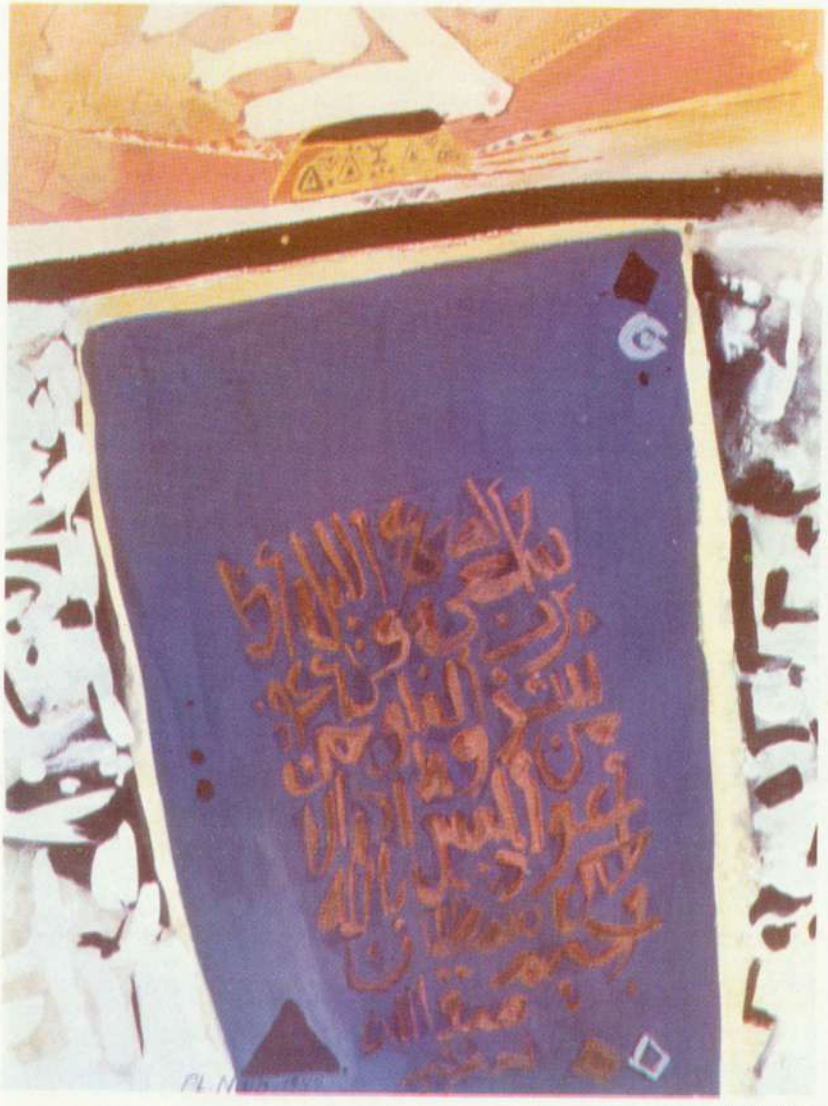


رحلة إلى مملكة التتويج

من الشوارع والمقاهي الشعبية يبدأ التجديد في الفن



الرحلة الأبدية



حروف راحلة

قلت للفنان خالد النائب :

● حدثنا عن الحركة التشكيلية المعاصرة فى العراق .

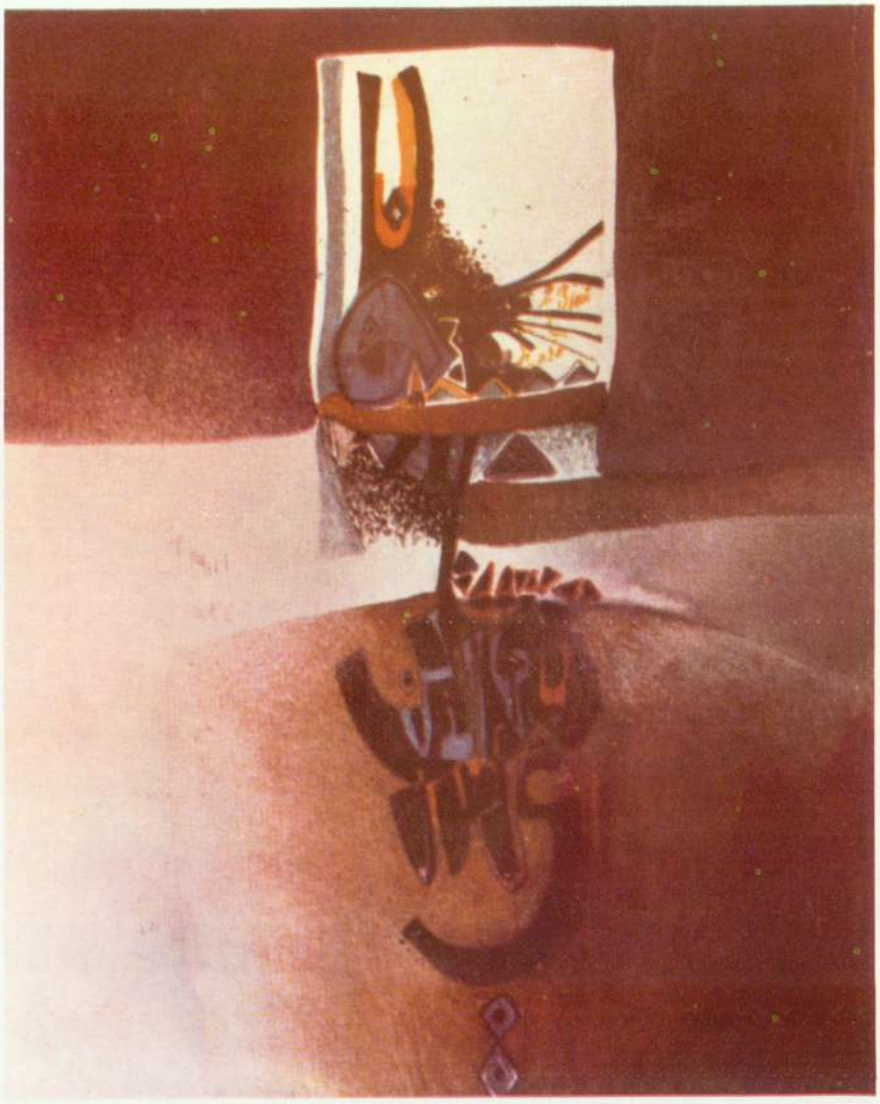
قال :

بداية الحركة التشكيلية فى العراق قديمة . فهى تستمد أصولها من التراث القديم ، ومن الحضارات السومرية والبابلية وغيرها ، ثم الفترة الاسلامية التى ظهر فيها الواسطى ، ثم فترة الزمن العثمانى حيث ظهر فنانون عراقيون على مستوى عال من الأراء منهم عبد القادر الرسام الذى كان جندياً فى الجيش العثمانى ، والذى كان بارعاً فى رسم المناظر الطبيعية . إنه وحده يمثل احدى المدارس الفنية فى العراق .

بعد ذلك بدأت المدرسة العراقية تتكون بشكل شخصى على أيدى جواد سليم ، وفائق حسن ، وعطا صبرى . لقد التقى هؤلاء ـ أثناء الحرب العالمية الثانية ـ بعدد من الفنانين البولونيين كانوا ضمن الجيش الانجليزى فى العراق حيث قاموا بتشجيعهم على إقامة المعارض . بعد ذلك سافر فائق حسن ، وجواد سليم إلى فرنسا لدرسة الفن هناك ، وعادوا إلى العراق بعد اتمام دراستهما . وبجهود هذين الفنانين استطاعت الحركة التشكيلية فى العراق أن تنمو وأن تجذب إليها شباب الفنانين فى العراق ، حيث كان الجميع « الكبار والشباب » يلتقون فى إحدى المقاهى الشعبية فى شارع الرشيد . ذلك المقهى الذى يستقطب الكتاب والصحفيين والشعراء أيضاً . وهناك تدور المناقشات التى تتناول الفنون والثقافة عموماً . وهكذا بدأت الدولة تهتم بالفنانين ، فأنشأت معهد الفنون الجميلة .. واستطاع المعهد أن يغذى الحركة الفنية التشكيلية بالعديد من الفنانين الخريجين منهم اسماعيل فتاح ، ومحمد غنى ، ونزار الهنداوى ، وغيرهم من الفنانين البارزين .

أما الفنانون الرواد فهم فائق حسن ، وجواد سليم . والأخير ارتبط اسمه بنصب الحرية . كذلك عطا صبرى .. وأسماء أخرى كثيرة .

فى الستينات .. كانت الحركة التشكيلية فى العراق غير طبيعية . كان هناك اندفاع لدى الشباب الفنانين نحو اقامة المعارض فى الشوارع ، والقاعات ، والجداريات . ومن هذه الاندفاعة تكونت الجماعات الفنية وخلقت فنانين مجددين . الأمر الذى حدا بالمسئولين إلى بذل عناية واهتمام أكثر بالفنانين ، فأخذ الفنان يشارك فى العمارة العراقية ، والشوارع ، والميادين ، والنصب التذكارية ، وتصاميم الكتب . هكذا رأت الدولة أن يكون الفنان العراقى مشاركاً فى مختلف مجالات الحياة يضاف إلى ذلك أن الفنانين العراقيين



مهرجان المراكب

المعارض الفنية التى اشترك فيها الفنان خالد النائب :

● ١٩٦٧ المعرض الثالث لجماعة المجددين ـ بغداد .
عمل لوحات جدارية كبيرة للمتحف الحربي ـ بغداد .

● ١٩٦٨ المعرض الرابع لجماعة المجددين ـ بغداد .
المعرض العام لجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ـ بغداد .
المعرض السنوى العام لأكاديمية الفنون الجميلة ـ بغداد

● ١٩٦٩ المعرض العام السنوي لجمعية الفنانين العراقيين ـ بغداد

● ١٩٧٠ المعرض الشخصي الأول ـ الظهران ـ السعودية .

● ١٩٧١ جميع معارض الجمعية العراقية للفنانين التشكيليين .

● ١٩٧٢ ـ ١٩٧٧ معرض شخصي فى العراق .
الأشتراك فى جميع المعارض العراقية فى الخارج : فرنسا . انجلترا . أسبانيا . المانيا الشرقية والغربية . الهند . السويد . الدينمارك . ايطاليا . روسيا . بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا . يوغسلافيا . تركيا وجميع الدول العربيـــة .

يعرضون أعمالهم سنوياً ودائماً فى مختلف أنحاء العالم .

قلت :

● الكثيرون من رواد المعارف يهربون من مشاهدة اللوحة الحديثة والأسلوب التجريدي .. كيف يا ترى نقترب بهذا الأسلوب من وجـدان الجمهور ؟ .

قال :

ـ بالنسبة للمشاهد الذى يدخل معرضاً لأول مرة .. فانه حتماً سيواجه بصعوبات تقف حائلا دون استيعابه لعالم الفنان العارض . ينبغى أن يكون هناك خيـط ولو رفيع يربط بين الفنان والمشاهد ، وبالعكس . إن ذلك يقيم نوعاً من التفهم ، ويعطى المشاهد استعداداً لأن يتتبع معارض أخرى . علماً بأن المشاهد حين يتولد لديه نـوع من احاسيس الرفض ، فانا أعتبر ذلك فى صالح الفنان ، لأن المشاهد سوف يتتبع المعارض الفنية الأخرى للكشف عن هوية هذا النوع من الفن الجديد . وذلك يجعله يتطور فى فهم اللوحة ، والتعايش معها ، والبحث عن الجديد دائماً .

فاذا أردنا أن نجذب المشاهد العادي لفهم اللوحة ، أو أي عمل فني .. فلابد من أن تكون هناك علاقة ولو بسيطة بين الفنان والجمهور ، وأن يلتقيا حتى يفهم الجمهور ماذا يريد الفنان ؟

● ما اهمية التسمية على كل لوحة ـ ؟

ـ إن التسمية لكل لوحة لا تاتي اعتباطاً بالنسبة لأعمالي . فالفكرة موجودة . والفكرة تتضمن الموضوع . والموضوع له تسمية . والفكرة لها خلفية . والخلفية هذه موجودة فى الذهن . فانا ذهنياً أتعامل مع الناس والمجتمع وما يحوط به من الأفراح والأحزان . إن اللوحة هي مجموعة من الأحاسيس المختزنة داخل الفنان .

● هل يمكن الفصل بين الفنان الانطباعي أو التاثيري ، والفنان الحديث ؟

ـ الفصل بينهما صعب . ذلك أن الفن ليس جامداً ، بل هو متطور . الفن ليس منظراً طبيعياً أو «بورتـريه» وكما أن العلم يتطور .. فكذلك الفن يتطور .

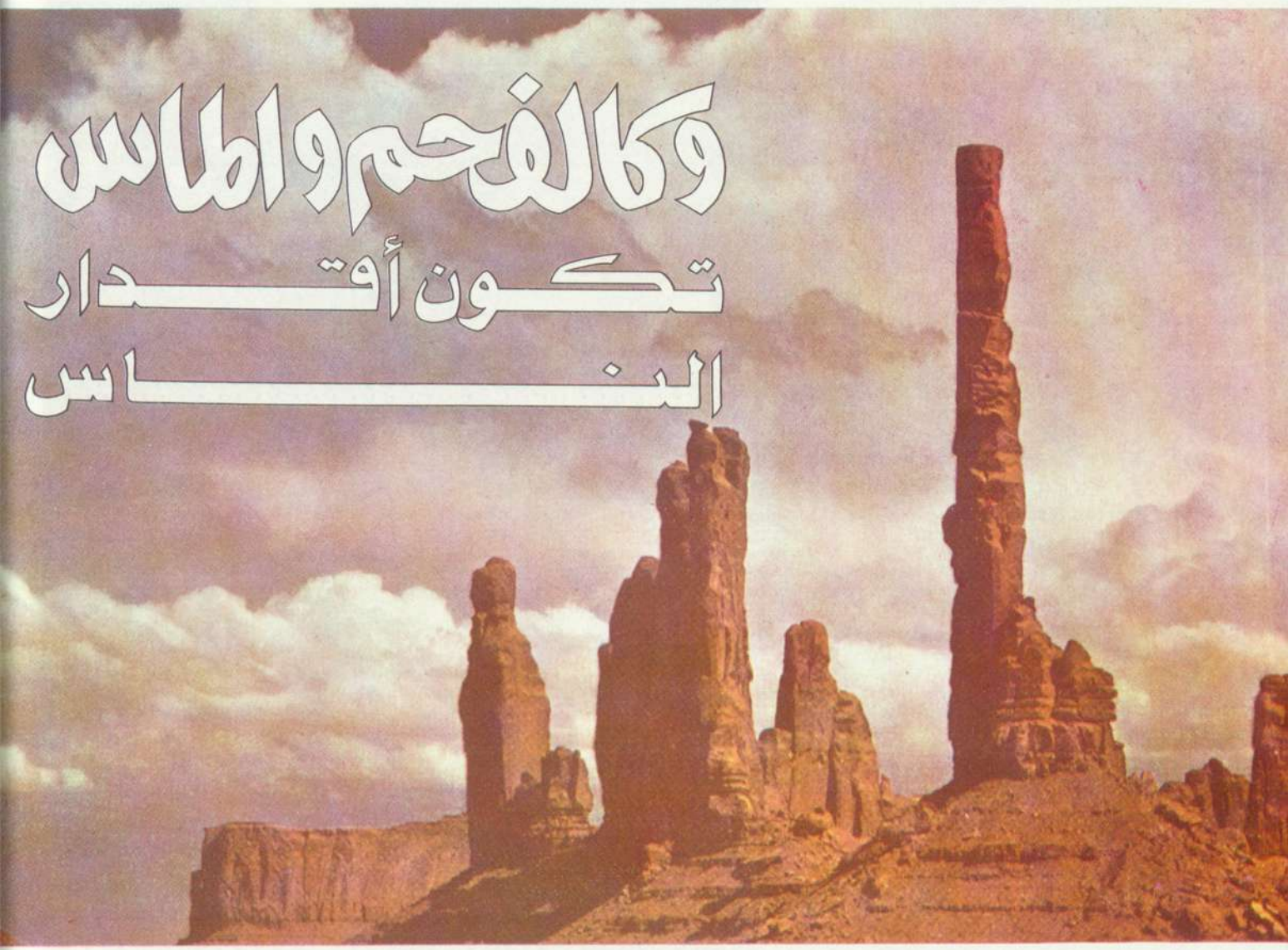
إن الأساليب والمدارس والمذاهب الفنية التى ظهرت تبين لنا أن الفن يتطور .. إن الفنان الذى يرسم الطبيعة هو نفسه الفنان الذى يرسم اللوحة . فلكل فنان أسلوبه .

● أخيراً بماذا تفسر ظاهرة قلة الجمهور الزائر للمعارض فى بعض البلدان .. خاصة البلدان العربية ـ ؟

ـ لكل مجتمع أجهزة اعلامية متعددة . التليفزيون . الاذاعة .. الصحف .. المسرح .. ولكل دوره . وجميعها أجهزة فنية . ومن مهام هذه الأجهزة جميعاً إفهام وتوعية الجمهور بماذا يعنى الفن . بل ان مهمة هذه الأجهزة ليس فقط توعية الجمهور بكل الوان الفنون الأخرى .. وإنما تخريج فنانين عن طريق الدرس ، والتجربة والأخذ بايدي المواهب الجديدة التى تثري حياتنا فى مختلف مجالات التعبير .

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

وكالفحم والماس تكون أقدار الناس



تشكيل مثير من اعمدة قائمة ، وكانما هى بقايا اثار زائلة ، لكن الذى شكلها بعض عوامل التعرية الطبيعية فى ولاية اريزونا الامريكية ، وما يتفتت منها ويتساقط تذروه الرياح فى رحلات لا تتوقف أبدا .

اذا نظرنا « بعين » العقل ، وتاملنا فى صور الخلق ، لوجدناها تساوى ، أو لا تساوى ، وفى هذا لا يختلف الميكروب عن الانسان ، ولا عالم الجماد ، عن عالم الحياة .

فرغم أن دراستنا هنا ستتناول الأحجار الكريمة ـ وهى من الجماد ، الا أن التسمية فى حد ذاتها تشير إلى صفة طيبة الصقت لصقا بالأحجار ، ومع ذلك فهى تسمية تدل على مسمى ، وتؤكد فى عقولنا معنى .. والمعنى يوضح أن لكل شىء وجهين : طيب وخبيث .. صالح وطالح .. أصيل ورديء .. الى اخر هذه الصفات المتناقضة التى يدركها عقل الانسان ، ولا يدركها خروف أو بهيم أو حصان .

ولاشك أن الذين أطلقوا على بعض الأحجار صفة الكريم أو النفيس أو النادر أو الأصيل ، لهم فى ذلك وجهة نظر تؤكد ذلك المعنى ، وهو ما سوف نتعرض له خلال هذا المقال ، ومع ذلك فالشىء بالشىء يذكر ، لأن الكائنات ـ وعلى رأسها الانسان ـ لها ما للأحجار من أقدار ومنازل ، ولنا فيها مارب ، من ذلك مثلا أن بعض الميكروبات ضار ، وبعضها نافع،فالضار يسبب الأمراض فى النبات والحيوان والانسان ، والنافع يعطينا من الخيرات مالا نستطيع أن نحصيها هنا عدا ، فهى تمدنا مثلا بالمضادات الحيوية التى نحارب بها الميكروبات الضارة ، وتدر على أصحابها بلايين الدولارات .

وكالميكروبات يكون الفحم والصخر والحجر ،









قد نحسبهما من اول نظرة حجرين كريمين ، لكنهما فى الواقع بلورتان من ملح الطعام على هيئة مكعب - إلى اعلى - ومتعدد الأضلاع (الى اسفل) ، أما اللون فيرجع إلى وجود شوائب بلورية أخرى

تكوينان بلوريان ـ لكنهما مع ذلك ـ لا ينطويان تحت رتبة الأحجار الكريمة وهما من الكوارتز

أو النبات والحيوان والبشر ، لكن ذلك موضوع اخر ، ولقد ذكرناه هنا ذكراً عابراً لنمهد به لموضوعنا الأساسى .

الأحجار والناس

بادىء ذى بدء نقول : ان ندرة الشىء تجعل له قيمة كبيرة بين الناس ، فلو كان البلاتين أو الذهب شائعين شيوع الحديد والرمل والرصاص لما كانت لهما قيمة تذكر ، لكن ليس بالندرة وحدها تقاس الأمور ، بل لابد من صفات اخرى مرغوبة ، كان يكون الشىء نافعاً واصيلا ، ولا يختلف فى ذلك الحجر عن المعدن عن البشر ،ولكى يصبح لهذا الحديث معنى ، كان لابد من توضيح نبين به ما عولنا عليه من البداية .

لقد قيل مثلا : « الناس معـــادن كالذهب والفضة » ، أو اقل من ذلك ، أى كالحديد والرصاص والفحم ، وقيل « الرجال صناديق مقفلة لا تعرف الا بالتجارب » .. وهى أقوال تحمل بذور الحقيقة ، وتشير الى ان الناس درجات ، وطبيعى أن تقييم كل منا لهذه الدرجات يختلف باختلاف ثقافته ونظرته السطحية أو العميقة ، فمن الناس من يراها فى جاه أو مال أو سلطان أو أبطال .. الخ ، ومنهم من يراها كما يراها القرآن الكريم «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا



احيانا توجد هذه التشكيلات البلورية المتداخلة والمعقدة فى ثنايا الصخور البركانية .. وترجع الوان هذا التركيب إلى المواد الكيمائية المتداخلة فيه .. ورغم أن الظاهر براق ، إلا ان الباطن خادع ، فليس فيها اى حجر كريم

يعلمون» .. أو كما يضعها لنا الحديث الشريف «العلماء ورثة الانبياء» .. أو كما يضعها لنا التاريخ فى قلة نادرة من البشر ذوى العقول الراقية ، والفلسفات الخالدة ، والعلوم والفنون التي تركت اثارا لا تكاد تمحى ، بل ظلت خالدة ، لتتناقلها الأجيال كتراث عريق ، فـ «خير الناس انفعهم للناس» على حد قول الرسول الكريم .

ولا تحسبن أن هذه القلة النادرة قد ظهرت هكذا اعتباطا ، بل كانما هى قد اختيرت لذلك اختيارا ، لكن مما لاشك فيه انها شقيت وتعذبت وانصهرت وصمدت ، وكانت بمثابة الشعلة التى تحترق لتضيء للبشرية طريقها بما قدمته من عقائد وفلسفات وعلوم لا يقدر عليها غيرها ، وهى هنا أشبه بالجواهر المتلالئة على جبين البشرية أو بالأحجار الكريمة التى انضغطت وانصهرت وانتظمت ، فجاءت بطبيعة راقية غير طبيعة الصخور والأحجار التى نمر عليها مرور الكرام .

ومغزى هذا لا يخفى على لبيب ، فلقد جاء على هذا الكوكب بلايين فوق بلايين من الناس ، ثم راحوا جميعا فى طي النسيان ، وفى وسط هذا الطوفان ، ظهر الأنبياء والعلماء والفلاسفة والمفكرون ، وماتوا كما ماتت البلايين ، لكنهم مع ذلك ظلوا ملء السمع والعقل والفؤاد ، حتى لكأنما هم أهم وأبقى بيننا من كثير من الأحياء إذ لازلنا نذكرهم بعقائدهم الخالدة ، أو أفكارهم الرائدة ، أو علومهم التى غيرت أنماط حياة الناس ، أو هم كما قال فيهم الشاعر :

والناس صنفان موتـــى فى حياتهـــم
واخـــرون ببطـــن الأرض أحيـــاء

الأصل واحد

ولمزيد من التوضيح نقول : ان منزلة العباقرة بين الناس ، كمنزلة الماس من الفحم ، ولأن العباقرة نمط نادر من الناس ، كذلك الماس نمط نادر من الفحم ، والأحجار الكريمة نمط نادر من اكاسيد معادن رخيصة .. فالزمرد والزبرجد والياقوت والطوباز والفيروز والأوبال والعقيق .. .. الخ كانت فى الأصل خامات رخيصة بين صخور واحجار رخيصة كذلك ، لكن الذى أعطاها بهاءها ورونقها وجاذبيتها وجمالها ، هو مجيئها باشكال بلورية منظمة وفاتنة ونادرة وصامدة .

وكما شقيت عقول العباقرة ، وانصهرت وتعذبت بالمعرفة ، فتمخض عن ذلك افكار مصقولة ومتناسقة ومرتبة وموزونة ، كذلك يكون الحال مع الأحجار الكريمة ، فالذى اكسبها الشفافية والبريق والتناسق والصلابة ، هو انتظام ذراتها فى أشكال رائعة ، نتيجة لتعرضها لضغوط جبارة ، ودرجات حرارة عالية فتحولت من شيء مشاع ورخيص ، الى اخر نادر ونفيس .

وما أغرب المفارقات بين أنماط بشرية ، واخرى صخرية !

وموضوع الأحجار الكريمة ، أو الجواهر النادرة موضوع طويل ومتشعب ومثير ، وله

علماؤه ومريدوه ، لكن يكفى ان نزيح الستار هنا عن بعض معالم هذه التكوينات التى جذبت لجمالها الانسان منذ فجر التاريخ ، فاقتناها واحتفظ بها ، لتتناقل عبر الأجيال .

والأحجار صنفان : كريم ورخيص .. الكريم نادر ، والرخيص كثير ، لكن الغريب ان الكريم والرخيص صورتان مختلفتان لشىء واحد ، أو لأصل واحد .. مثلها فى ذلك كمثل الناس الذين جاءوا من اصل واحد كذلك ، فمنهم الكريم ، ومنهم اللئيم .

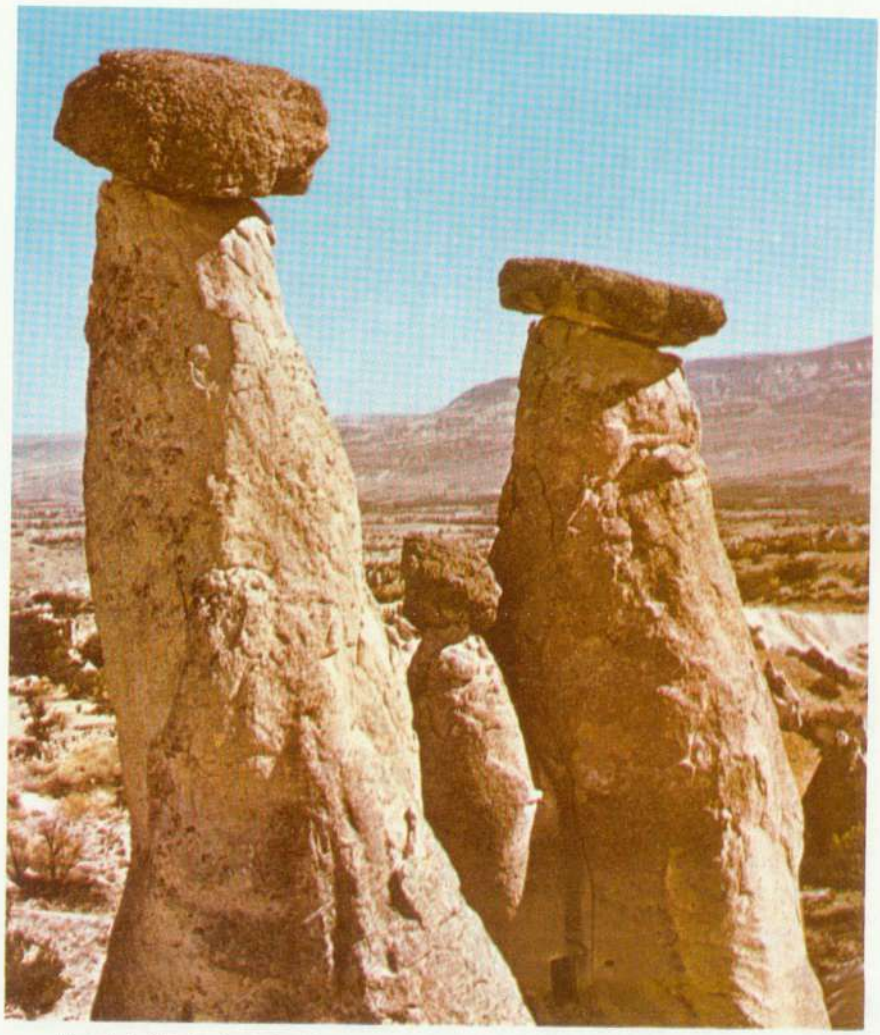
إن الياقوت ـ مثلا ـ ليس إلا تكوينا بلوريا من أوكسيد الألومونيوم ، فاذا تناسقت جزيئات هذا الأوكسيد ، وانتظمت ، ارتفع ثمنها ، واقبل الناس عليها ، واذا تجمعت بدون هدف أو نظام ، فلا جاذبية لها ولا ثمن ، أو ربما ارخص ثمن ، لأنها قد تدخل فى صناعة الأوانى ، وهنا يصبح مكانها المطابخ ، بدلا من صقلها فى فصوص يسيل لها لعاب من ملكوا الجاه والمال .

والفيروز خليط من فوسفات النحاس والألومنيوم ، واللؤلؤ حجر ، أو هو كربونات الكالسيوم أو الجير ، والعقيق أنواع ، لأنه خليط متجانس من أكاسيد معادن مختلفة .. فقد تكون حديدا مع ألومونيوم مع سيليكون (رمل) ، أو كالسيوم مع حديد مع ألومونيوم ، أو منجنيز مع الومونيوم مع سيليكون .. الخ ، وكل من الزبرجد والزمرد خليط من أوكسيد البيريليوم وأوكسيد الألومونيوم بنسب متفاوتة ، والأوبال صورة من صور الرمل ، والتورمالين خليط من أكاسيد السيليكون والألومونيوم والبورون مع شوائب من معادن أخرى ، واللازورد خليط من أكاسيد الألومونيوم والسيليكون والكبريت والصوديوم ، وأحيانا الكلور .. الخ .. الخ .

لقد قدمنا هنا تلك العناصر التى تتكون منها الأحجار الكريمة أو النفيسة ، لنرى أنها لا تنطوى على شىء نفيس ، فما أكثر الرمل والألومونيوم والحديد والكبريت والجير والفحم .. الخ على كوكبنا ، لكن من هذه الكثرة قد ظهرت تكوينات نادرة كندرة العباقرة بين جموع الناس !

فوضوية ونظام

ولاشك أن كوكبنا بمثابة معمل كيميائى ضخم وهائل ، وعليه وفيه تجرى تفاعلات كثيرة ومختلفة ، ومن خلال هذه التفاعلات القاسية أو اللينة يتشكل الجماد والحياة ، ليتمخض ذلك عن صور لا نكاد نحصيها عدا ، فصور الحياة قد جاءت على هيئة أنواع كثيرة جدا من الكائنات المتفاعلة والمتصارعة فيما بينها ، أو مع عوامل الطبيعة المتقلبة من حولها ، فمن صمد منها ، استحق البقاء ، وشق طريقه فى الحياة ، ومن تهاون ، فماله الموت والانقراض ، وكذلك الجماعات والشعوب .. وبجوار هذا جاءت أيضا صور كثيرة جدا من عناصر هذا الكوكب لتتفاعل



هذه الصخور المعلقة .. من رفعها ووضعها على تلك الأعمدة ؟ .. إن احدا لم يفعل ، بل جاء ذلك بفعل عوامل التعرية ، لأن الكتل المعلقة أقل تآكلا (أو أكثر صمودا) مما تحتها . فكان هذا التشكيل المثير

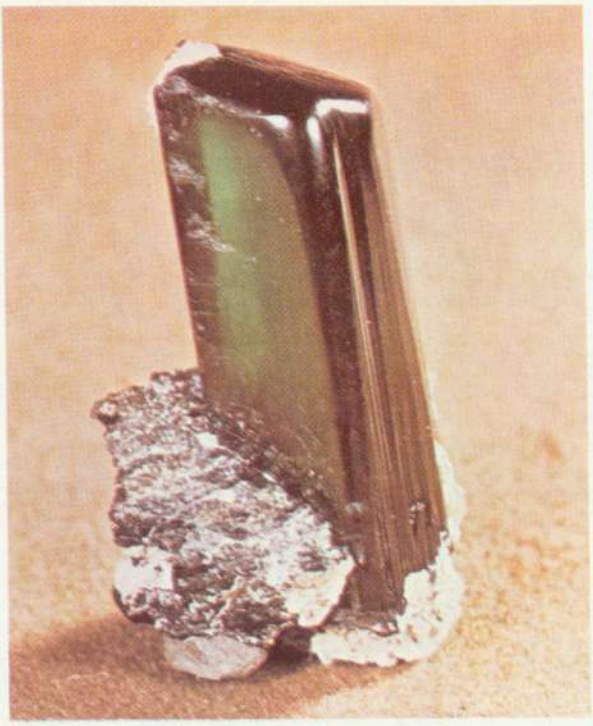
تحت كل الظروف الهينة والقاسية ، وقد يؤدى هذا التفاعل الى تآلف وترابط ، وقد يكون ذلك بنظام واضح ، أو بطريقة فوضوية .. وللنظام نتيجة وثمن ، وللفوضى اتعس وأبخس ثمن .. طبق ذلك أيضا على البشر ، تخرج بنفس النتيجة ، فالفرق بين شعوب متقدمة ، وأخرى متخلفة ، يرجع ـ فى المقام الأول ـ الى حياة تنطوى على وعي ونظام ، أو تواكل وفوضى .

لنترك البشر ـ اذن ـ فى حالهم ، ولنعد الى مكونات الصخور ، ولنتخير منها الأنماط البلورية لكن ليس كل ما هو بلورى حجرا كريما ، فكثير من الأملاح تأتى على هيئة بلورات ، بما فى ذلك الملح والسكر ، ولا يمكن مقارنة هذه بصفات الأحجار الكريمة ، لأن الحجر الكريم (كالبشر سواء بسواء) له صفات مميزة تضعه فى مرتبة خاصة بين الصخور ، فهو أولا ليس باملاح بلورية ، بل اكاسيد معادن تتآلف وتترابط وتنتظم فى أشكال هندسية كثيرة .. وبحيث يتخذ كل جزيء فى التكوين مكانه المناسب ، وبالزاوية المناسبة ، وبالنسب المناسبة كذلك .. والصور المعروضة هنا خير دليل على ذلك .

ومن مميزات الأحجار الكريمة تبرز الألوان المتباينة ، والسطوح اللامعة التى تشبه المرايا العاكسة ، إذ عندما تقع الأضواء على السطوح ، تعطى بريقا أخاذا ، وتلألؤا جذابا ، وبقدر ما تعطى من أصالتها ، بقدر ما نعطيها حقها من الاجلال ، وبلغة معروفة ـ هى لغة المال !

ورغم أن الماس من ذرات كربون منتظمة ومترابطة ترابطا شديدا ، إلا أن الماس يختلف عن الجرافيت الذى تصنع منه الأقلام ، وعن الفحم الذى يستخدم كوقود فى الأفران ، (وكلاهما صور من الكربون) ـ فالماس صلب ، والفحم هش ، والماس شديد الشفافية ، والفحم (أو الجرافيت) شديد السواد ، والماس نادر ، والفحم شائع .. الى اخر هذه المتناقضات التى جعلت من هذا نفيسا ، ومن ذاك رخيصا .. ثم جعلت هذا يساوى الكثير ، وذاك لا يساوى إلا أقل القليل ـ يساوى الحرق !

وكالفحم والماس تكون أقدار الناس



بلورة جميلة لكنها خادعة .. إذ ليست إلا ملحا من أملاح الحديد (فوسفات الحديد) مختلط بشوائب من المنجنيز والكالسيوم والماغنسيوم ، وقيمتها لا تساوى إلا الفوسفات والحديد

والواقع أن بريق الأحجار الكريمة ، بالألوان المختلفة ، يرجع أساسا الى مبادىء علمية معروفة ومدروسة ، منها انكسار الضوء ، ومنها تشتته ، ومنها امتصاصه ، ولكل منها معادلات رقمية لا تهمنا هنا كثيرا ، لكن يكفى أن نذكر أن ما تراه العين ليس إلا انعكاسا لمعظم الضوء الساقط على سطوح الأحجار الكريمة ، فيتشتت أو يتبعثر على هيئة موجات طيف ذات أطوال مختلفة ، فتميزها العين الى ألوانها المعروفة ، وأحيانا ما ينتج عن ذلك البريق ما يشبه تلألؤ النجوم اللامعة فى سماواتها ، فالياقوت مثلا من الأحجار الكريمة التى تعطى ذلك الانطباع ، ولهذا يطلق عليه اسم الحجر الكريم ذى التلألؤ النجمى ، وغيره الحجر الكريم الملتهب أو النارى ، لأنه يبدو وكأنما هو يكاد يشتعل ، ولو لم تمسسه نار !

وللأحجار درجات

وسر احتفاظ الأحجار الكريمة بأصالتها لملايين فوق ملايين من السنين ، يرجع أساسا الى صلابتها وصمودها لعوامل التعرية الطبيعية ، فحيث تتفتت الصخور والأحجار الرخيصة ، وتتآكل بمرور الزمن ، تبقى الأحجار الكريمة فى مكانها دون أن يعتريها البلى والخدش والتآكل ولاشك أن الانسان القديم قد راها وهى تتلألأ فى مسارات المياه الضحلة الشديدة الانحدار ، أو على السفوح التى تتساقط عليها الأمطار ، أو الشواطىء الصخرية التى تتفت بأمواج البحار .. الخ ، وعندما جذبت انتباهه ، جمعها واحتفظ بها كحلية من جيل الى جيل .

صحيح أن عوامل التفتيت والتآكل والتعرية عملية جد بطيئة ، لكن أعطها عمرا طويلا ، تعطيك تغيرا واضحا ، فينكشف الرخيص ويبلى ويزول ، ويبقى النفيس دليلا على مقاومة وصمود .

ومع ذلك ، فللأحجار الكريمة فى الصلابة درجات ، كما كان لها قبل ذلك فى لمعانها وألوانها وتلألؤها درجات .. فالذى يخدش غيره ويترك فيه أثرا ، يسود عليه بصلابته ومقاومته ، فالماس يخدش كل الأحجار الكريمة ، ولهذا كان أصلبها ، وأغلاها وأندرها ، ومن ثم فقد حاز على الدرجة ١٠ (وإذا أحببت فلنقل ١٠ على ١٠ ـ أسوة بأعلى درجة نستخدمها فى حياتنا ونمنحها لأعلى مستوى) ، والياقوت درجته ٩ ، ولهذا فان الماس يخدشه ، ولا يخدش هو الماس ، بل يخدش الطوباز ، لأن درجته ٨ ، والطوباز يخدش الكوارتز ودرجته ٧ (والكوارتز صورة بلورية من الرمل النقى ، وأحيانا يأتى بأشكال ملونة ، ويعتبر من الأحجار شبه الكريمة) .. الخ .

ولكى نقرب معنى هذه الدرجات الى الأذهان ، كان لابد أن نقدم مقارنة ملموسة فنقول : ان نصل المدية يحوز على درجة صلابة ٥,٦ ، والزجاج ٥ ، وظفر الأصبع ٢,٥ ، وحجر الجبس ٢ ، وحجر التلك ١ .. وهكذا .

إذن .. فلقد حازت الأحجار الكريمة على درجات لكل صفة من صفاتها التى ذكرناها باختصار ، ورغم هذه الصفات الممتازة التى جاءت بها تكويناتها ، إلا أن تدخل الانسان بفنه وعقله قد أكسبها بهاء فوق بهاء . فقد يكون جمالها ولمعانها كامنا أو مطموسا ، ولابد ـ والحال كذلك ـ من قطعها وتشكيلها وصقلها ، لابراز ما خفى من جمالها .. وللقطع مداخل وزوايا وحدود ، وللتشكيل علم وأصول ، وللصقل فن وخبرات يتشعب فيها الحديث ويطول ، فليس كل من قطع وشكل وصقل ، يصل الى الجمال المنشود ، بل قد يحدث العكس ، أى قد يتضاءل البريق ، وتبهت الألوان ، وتقل القيمة الحقيقية درجات .. ونظرة عابرة الى بعض الصور المنشورة ، تغنى عن كل شرح أو كلام يمكن أن نسوقه فى هذا المجال .

بين أصيل وتقليد

ذكرنا أن الأحجار الكريمة درجات .. فمنها الكريم جدا ، والكريم ، وشبه الكريم ، و «اللئيم» ـ ان صح هذا التعبير ـ فمن أول وهلة قد تحسبه لظاهره الفتان كريما نفيسا ، لكن ما أن تعالجه وتطرقه ، تريد بذلك أن تشكله ، إلا وتراه يتفتت ويتهاوى ، وكأنما لم يغن عنه رونقه ولا جماله شيئا ، إذ ليس له من الكريم إلا مظهره ، أما باطنه فردىء وقمىء .. وكذلك الناس «معادن» !

وكثيرا ما نسمع أن هذا حجر طبيعى أو حر وأصيل ، وذاك حجر صناعى أو تخليقى ، أى غير حر أو أصيل ، ولا يستطيع أن يميز بين هذا وذاك إلا كل متمرس خبير ، وله فى هذا أدواته التى تكشف عن فروق جد ضئيلة قد تخفى على العيون الفاحصة تفاصيلها الدقيقة .

نقول قولنا هذا ، لأن هناك صناعة قائمة على أسس علمية وتكنولوجية دقيقة ، وبها يقلدون الأحجار الكريمة ، والتقليد له أسس ، والأسس تبدأ أولا بمعرفة التكوين الكيميائى الدقيق للأحجار الكريمة ، ثم خلط هذه المكونات بنسبها الموجودة فى الحجر الكريم ، وتهيئة نفس الظروف الطبيعية التى تسلطت على المعادن الرخيصة ، لتصبح أحجارا نفيسة ، أى تهيئة ضغوط ودرجات حرارة عالية جدا ، وبالفعل تتشكل جزيئاتها وتنتظم وتتماسك تحت تلك الظروف غير الطبيعية التى هيأها الانسان ، ليقلد بها عمليات طبيعية .. لكن هيهات ، فالطبيعى لا يعلو عليه شىء من صنع الانسان ، إذ يكفى أن يقال لنا هذا طبيعى ، وذاك تقليدى ، فنميل بالفطرة الى الطبيعى ، ونرتاح اليه .. لا يختلف هذا فى حجر كريم ، عن زهرة طبيعية ، عن جمال طبيعى ، عن سلوك طبيعى لا تكلف فيه ولا ابتذال .

ومع ذلك ، فلكل ما سعى ، حجرا كان ذلك أو مالا أو جاها ، وكل ذلك يزول ، إلا الكلمة .. إلا الفكرة .. إلا المعرفة ، لأنها جميعا بمثابة الحجر الكريم المتلألىء على جبين البشرية .. وفى ذلك الكفاية لقوم يفقهون فيتدبرون ما فى هذا الحديث من حكم وعبر ، حتى لو جاءت من فحم وحجر !

د. عبد المحسن صالح

كل هذا الظلام

شعر: محمد إبراهيم أبوسنة

ـ كل هذا الظلام المغولى
يأتى من البحر . يأتى من الزرقة المالحة
كل هذا الظلام المغولى
يأتى على أجنحة
كل هذى العصور تشارك فى المذبحة
والزمان استدار فجاء الظلام ..
.. مع الصبح . والليل يمشي على الأضرحه
ليس هذا الظلام
هو الليل فى أرض لبنان
يبغى فلسطين . هذى الخفافيش فوق السنابل ...
... ما أشبه الليلة بالبارحة
... ما أشبه الليلة بالبارحة
ليس هذا هو الليل ـ
ان جميع الليالى تطرزها أنجم فى السماء
غير هذى النجوم السداسية المظلمة
وجميع الليالى لها حظها فى الضياء
ليس هذا هو الليل يا اخوتى
إنه دولة ـ والسواد

« قلبها »

يتخطى الحدود
إنه دولة من دخان حقود
كل هذا الظلام ـ اليهود
كل هذا الظلام ـ اليهود
كل هذا الظلام ـ اليهود

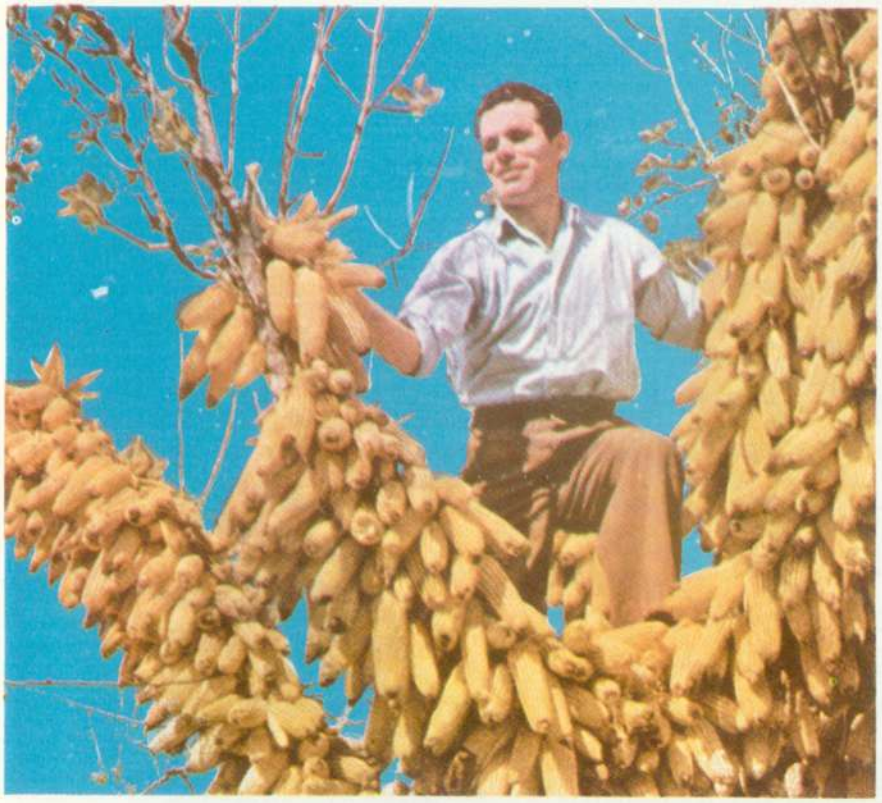


لقطات من الكون المثير

اكتشفها بنفسك

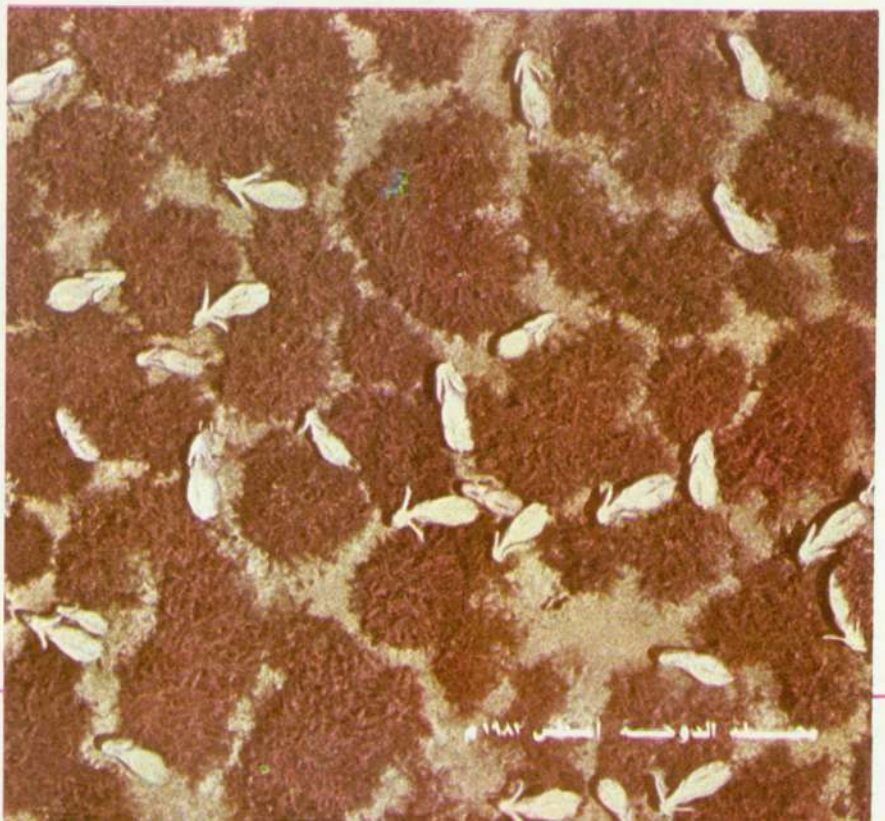
أربع لقطات قد تنبىء بغير هويتها أو شخصيتها ، وقد يرجع ذلك الى أسباب نذكر منها اهمية الوضع الذى اتخذه المصور ليلتقطها ، او الى بعض فنون الطبيعة التي حبتها لكائناتها ، أو لعادة من عادات الانسان التي لم نعرفها نحن فى حياتنا .

لهذا ندعوك للتامل جيداً فى الصور المنشورة هنا ، علك تكتشف حقيقتها ، فان حالفك الحظ ، كان بها ، والا فعليك ان تعود الى التعليق المنشور تحت كل صورة ، ففيه الجواب .



هل هى شجرة موز ؟

١ ــ من أول نظرة ، قد تبدو الصـــورة لمحصول وفير من الموز معلق على شجرة .. لكن لا الشجرة شجرة موز ، ولا كذلك المحصول .. فما نراه هنا ليس الا « كيزان » ذرة ، اتى بها هذا الفلاح الأوروبي ليعلقها على تلك الشجرة ، وليضرب بذلك عصفورين بحجر واحد ، اولها ان يجفف محصوله بطريقة مبتكرة ، وثانيها ان يحفظها بعيداً عن هجوم الفئران الجبلية المنتشرة بكثرة فى المنطقة ، ولم ينس ان يستعين على ذلك بقطة او اكثر !



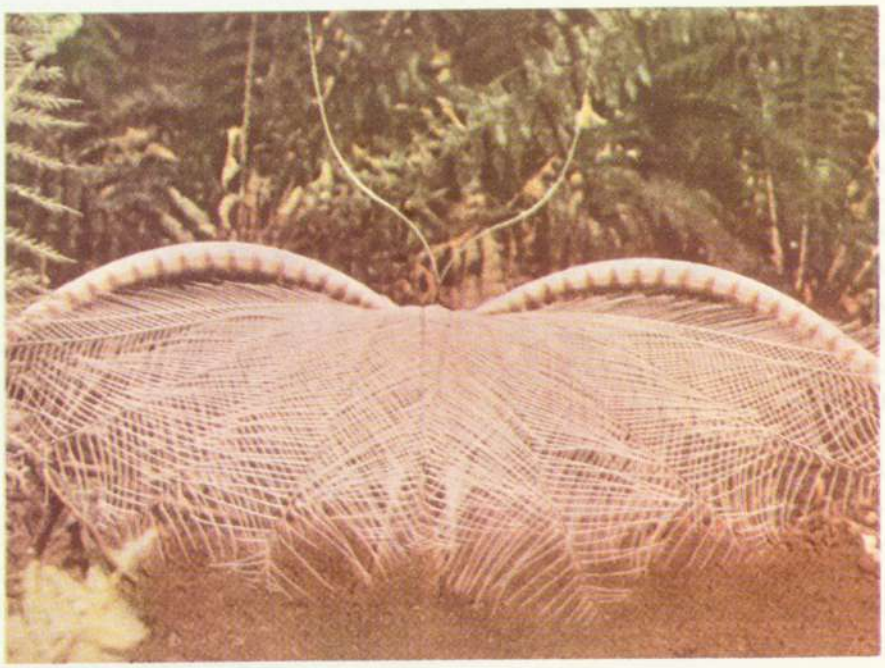
أفيال فى مناطق جرداء

٢ ــ هل هى حشرات ؟ .. أم ارانب تتغذى على الحشائش ؟ .. الواقع انها لا هى هذا ولا ذاك .. فان ما نراه هنا أفيالا من مختلف الأحجام ، وقد توزعت بطريقة لا تكدس فيها ولا زحام ، علماً بان الأفيال من الحيوانات التى تعيش فى مجموعات ، لكنها الآن فى سعي على الطعام ، فاذا اقبل الليل ، تجمعت فى المناطق الجرداء التى تبدو هنا كهيادين صغيرة توصل بينها طرق متشعبة (الصورة من الجو) .



خداع الكائنات

٣ – زهور بيضاء على غصن. ؟ .. ليست كذلك ، وإن كانت الصورة توحي بذلك ، ليس هذا فقط ، بل أن بعض العلماء الذين يدرسون الطبيعة الحيـة قد خدعتهم هذه الظـاهرة ، فعندما ظنوا أن ما ينظرون اليـه زهوراً ، واقتربوا منـه لكي يدرسوه ، وجـدوه يرقـات تتحرك وتتسـاقط ، فيعرفـون أن ذلك من عمليـات التمويه والتخفي الطبيعي الذي تقوم بها بعض الكائنـات حتى تخدع كل من يطمع في لحمهـا ، وبهذا تنجو بفكرة لك أن تحكـم لهـا أو عليهـا !



طائر القيثارة

٤ – قد لا تجد عناء فى التعرف على هذه الصورة ، فهى لذيل طائر استرالى يعرف باسم طائر القيثارة ، وسمى كذلك ، لأن له ريشتين كبيرتين تشبهان القيثارة اليونانية (المنفردار أعلى الذيل) ، وقيل انهما اذا احتكا ، يصدران صوتاً موسيقياً ، ولكن ذلك ليس صحيحاً .. ولقد جاءت ذيول ذكور هذا الطائر بذلـ التنسيق والجمـــال لكى يستعرض نفسه امام الاناث ، عله يروق لاحداهن !

"الدوحة" تنفرد بنشر ٧ صور نادرة للشمس



الشمس فى ضوء الايدروجين ـ ألفا

منظر رائع للشمس يبين المكرومو سفير الشمس ، وهي تلك الطبقة التى تقع بين طبقة البقع الشمسية أي الفوتوسفير والاكليل الشمسي . وتبدو البروزات فى هذه الصورة كخيوط غامقة على القرص ، وتظهر بوضوح المناطق النشطة اللامعة .

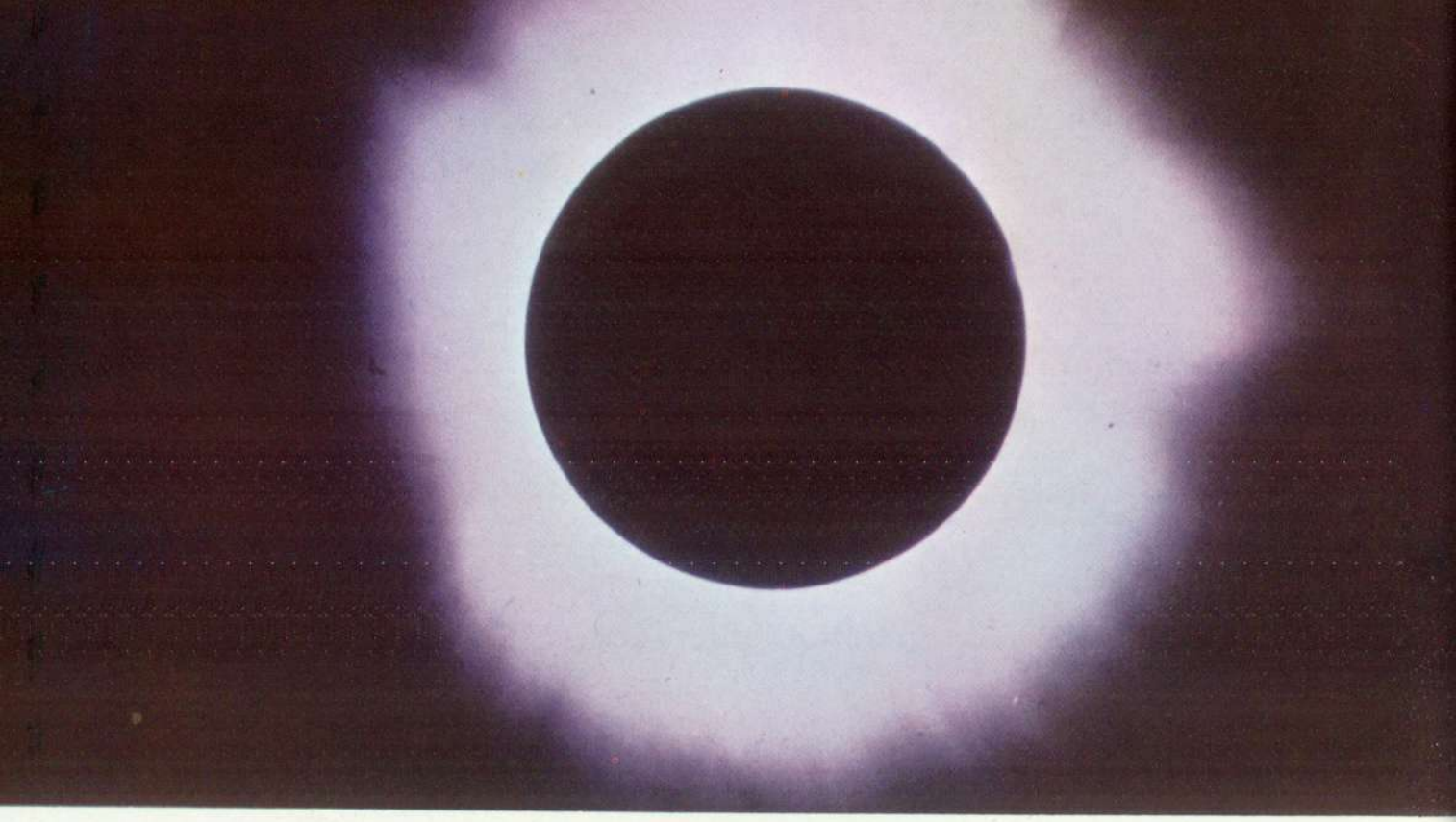
رسالة لندن من
مجدي نصيف

أيتها الشمس ... ما أجمل تلألؤ نورك فى السماء
أنت العريقة فى قدمك والخالدة خلود الحياة
عندما يرتفع قرصك فى الشرق
يعم الجمال أرجاء الفضاء

أنت المتلألئة تطلين بعظمتك على الأرض
فتعانق أشعتك الأرض وما عليها
من مخلوقات كنت السر فى وجودها .

ترنيمة طويلة للشمس ، تبين أهميتها بالنسبة للأرض وكل الكائنات البشرية . ففى مصر القديمة كان الدين هو عبادة الشمس ، وكان الرب فى بعض الأحيان يأخذ صورة طائر وفى أحيان أخرى صورة إنسان له رأس طائر ، يصحبه قرص الشمس الذى يبحر عبر السماوات . كانت هذه هي صورة الشمس فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . لكن هذه الصورة تغيرت تغيراً مغزى ، وكان هذا التغير بالدرجة الأولى نتيجة لمشاهدات وأفكار وأرصاد علماء الفلك فى مصر القديمة ، ذلك أن علم الفلك كان متقدماً فى مصر القديمة إلى درجة كبيرة .

لكن السجلات الرسمية نسبت الثورة فى الأفكار المصرية حول الشمس إلى فرعون مصر أمينوفيس الرابع ، الذى أدخل ديناً جديداً يتضمن عبادة الشمس عبادة حقيقية فعلية ، لا طائر ولا جعران ، وإنما قرص الشمس المرئي باشعته الذهبية ، وغير فرعون اسمه إلى



كسوف شمسي كلي

اخذت هذه الصورة في الكسوف الشمسي الذي حدث في اليوم السابع من مارس عام ١٩٧٠ م وهذه الصورة النادرة اخذت في المكسيك ، وكان القمر قد غطى قرص الشمس تماماً ، فظهر الاكليل الشمسي حول جوها الخارجي خلال الكسوف الكلي للشمس .

اخناتون الذى يعني المفضل عند اتون الذى هو قرص الشمس . لقد قام اخناتون بثورة حقيقية فى مصـــر القديمة .

لكن قضي على هذه الثورة واختفت عبادة الشمس الحقيقية من مصـر بزوال اخناتون . ومرت آلاف السنين ليظهـر علم دراسة الشمس الذى أصبح دين حوالي ٢٠٪ من علماء الفلك فى جميع انحاء العالم ، بما في ذلك ٢٠٠ عالماً فى الولايات المتحدة الامريكية وحدها ، يعملون جميعاً من أجل الشمس وحدها فى الجامعات والمراصد والمعامل والصناعات الخاصة .

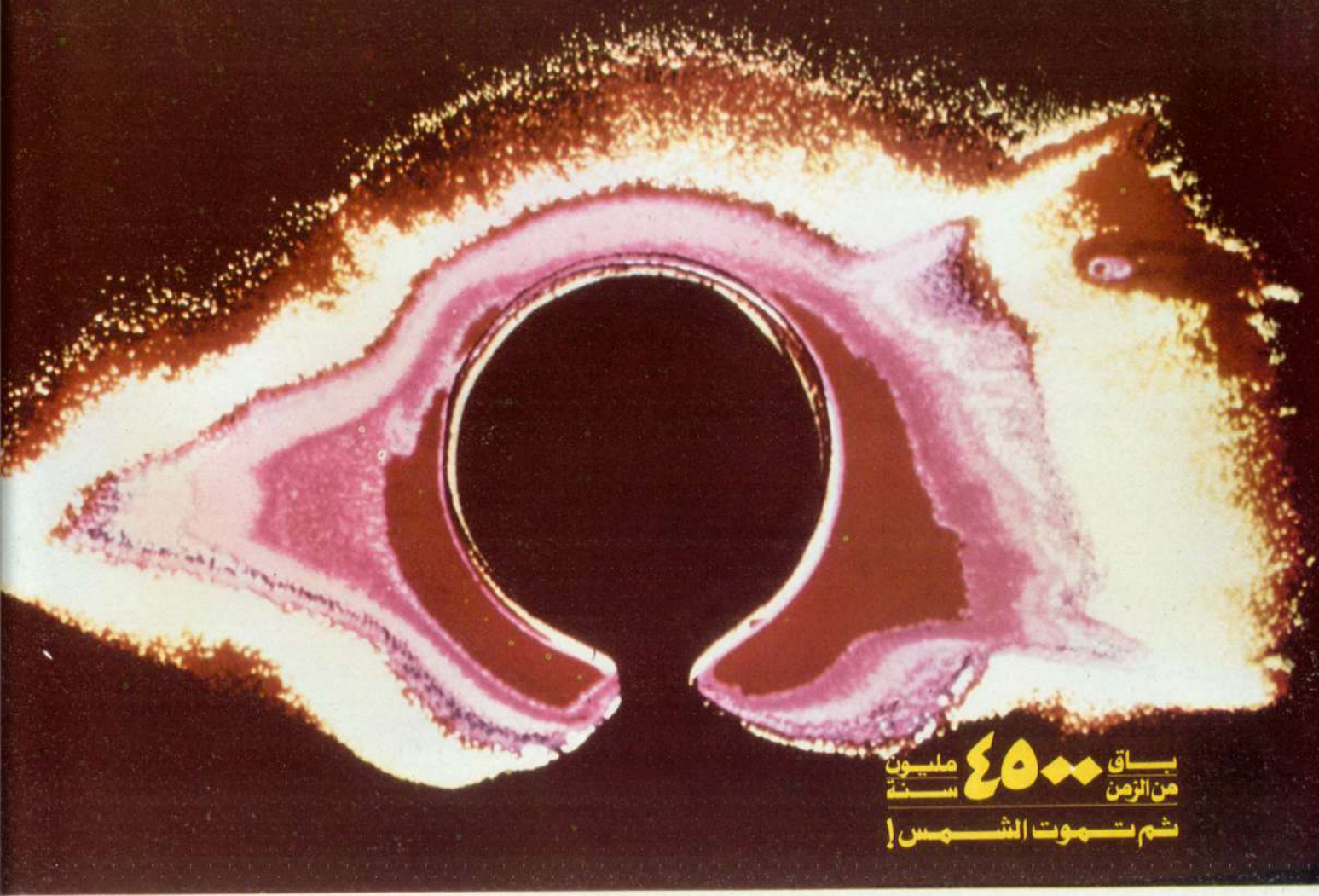
الشمس هي الحيـــاة

وليس هذا كله مستغرباً ، ونعني عبادة الشمس فى مصـر القديمـة ، ودراستها بشكل مكثف بواسطة علماء العالم حديثاً . فالشمس هي الحياة .

يوجد ضوء النهار لأن الشمس تضيء ، وفى الليل يعطى القمر ضوءه أيضاً لأن أشعة الشمس تنعكس عليه إلى الأرض ، وتكون الشمس مضيئة فى مكان آخر من كرتنا الأرضية. وقد تختفى أشعة الشمس وراء السحب ، لكن أشعتها تضيء الأرض بعد تشتتها . ومع ذلك فاذا وقف جسم كبير فى طريق أشعة الشمس إلى الأرض ، فقد يمنعها من النفاذ إلى جو الأرض ، ويتلاشى الضوء ، وهذا هو ما يحدث فى الكسوف الشمسي ، عندما تقع الأرض والشمس والقمر فى خط مستقيم

والشمس هي التي تسبب المناخ على أرضنا . فحرارتها تبخر مياه المحيطات والبحار ، وتخلق الرياح التي تحمل بخار الماء الى اليابسة حيث تكون السحب وتنزل الأمطار أو الثلوج . واذا ما توفرت لدينا المعلومات الكافية ـ من خلال الدراسة والرصد للشمس ـ عن سلوك الشمس واشعاعها على الأرض ، لعرفنا أكثر عن الطقس ، ولتوصلنا إلى معرفة مضبوطة بالجو ، إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة ، ولكن معلوماتنا تزداد وخاصة منذ بداية « عصر الفضاء » الذي زودنا بأدوات بحث متقدمة للغاية . فلقد اكتشفنا على سبيل المثال على الشمس عواصفاً واضطرابات ، معظمها غير مرئي من الأرض ، لكنها ظهرت ، بل صورت من « سكاي لاب » ومن « بعثة الشمس » . والذي لا شك فيه أن هذه العواصف والاضطرابات تؤثر في جونا ، وغالباً في مناخ الأرض .

والشمس نجم ، يشبه ـ إلى هذا الحد أو ذاك ـ معظم النجوم التي نراها متناثرة في السماء أثناء الليل ، الفارق الوحيد أنها أقرب هذه النجوم الينا . ويقول علماء الفلك يصفون هذا « النجم » : أنها متوسطة العمر ، أي أمامها ٤٥٠٠ مليون سنة ، وبعدها .... تنتهي . وعلينا



إكليل الشمس الخارجي

الاكليل الشمسي يمتد ابعد بكثير من الاكليل الخارجي الكثيف الذى يرى بالاشعة السينية والضوء فوق البنفسجي، ويمتد ابعد من حدود مانراه عادة فى السماء الداكنة للكسوف الكلي للشمس . إنه يصل إلى الفضاء البينكوكبي ، مما يجعل شمسنا تمتد عملياً إلى مسافات ابعد بكثير من القرص المرئى لها . وهو ما لا نستطيع رؤيته من على الأرض . لكن من مدار «سكاى لاب» حيث لا هواء تقريباً وحيث السماء سوداء كالقطيفة ، يمكننا رؤية الاكليل الخارجي بوضوح ، وهو ما يظهر فى هذه الصورة .

أن نلاحظ أن مجرتنا واسمها « الطريق اللبني » بها مائة الف مليون نجم مثل شمسنا . قليل منها ، له كواكب بعضها يشبه الأرض ، والذي يجمع عليه العلماء الآن ، ان الذي لا شك فيه ان عدداً من هذه الكواكب عليه شكل من اشكال الحياة ، ليس من الضروري أن تكون شبيهة بالحياة على الأرض ،وليس بالضرورة أن تكون في نفس مستوى تطورها كذلك .

وكل هذه النجوم ، بما في ذلك شمسنا ، تولد حرارة وضوء في قلبها من خلال تفاعل نووي . في هذا التفاعل تتحد ذرات الأيدروجين ، أخف العناصر ، لتشكل ذرات من عنصر الهليوم ، الأخف . وهذه الذرات تتحد بشكل نهائي لتكون عناصراً أخرى ، فتولد المزيد من الحرارة . والذي نراه من الشمس ليس هذا القلب . ورغم انه حار للغاية تصل درجة حرارته الى ١٥ مليون درجة مئوية ، إلا انه غاية في الكثافة أيضاً . والضوء الذي يتكون هناك تمتصه الذرات القريبة ، ثم يطلق من عقاله مرة أخرى ويعاد امتصاصه هكذا ملايين المرات ، ولهذا فانه يستغرق وقتاً طويلا لينطلق الى الفضاء ، ويصل الينا . حتى نتصور الوقت الذي تستغرقه هذه العملية ، يقول العلماء أن ضوء الشمس الذي نراه الآن ، تولد عام ٨٠٠٠ قبل الميلاد على الأقل ، ونحن نراه بعد ان يصل الى سطح الشمس . وليس في هذا الكلام غرابة ، إذ أن المسافة بين سطح الشمس وقلبها ٤٨٠ الف ميل ، ويطلق العلماء على هذا السطح اللامع للشمس اسم الفوتوسفير ، وتصل درجة حرارته إلى ٦٠٠٠ درجة مئوية .

وبسبب هذه الدرجات المرتفعة فان الشمس ليس لها سمات دائمة ، لانها عبارة عن كرة غازية ملتهبة . وتصل الحرارة والضوء من قلب الشمس إلى طبقاتها الخارجية بتيارات حمل فى الغازات المكونة للشمس . ولان الذرات المكونة لهذه الغازات فى الشمس كلها مشحونة بالكهرباء ، ولان تيارات الحمل سريعة للغاية (حيث تسير بسرعة الف ميل فى الساعة) ، فان المجال المغنطيسي للشمس يسبب اضطرابات فى تيارات الغاز . واحد نتائج هذه الاضطرابات ما يعرف بالنقاط الشمسية .

البقع الشمسية

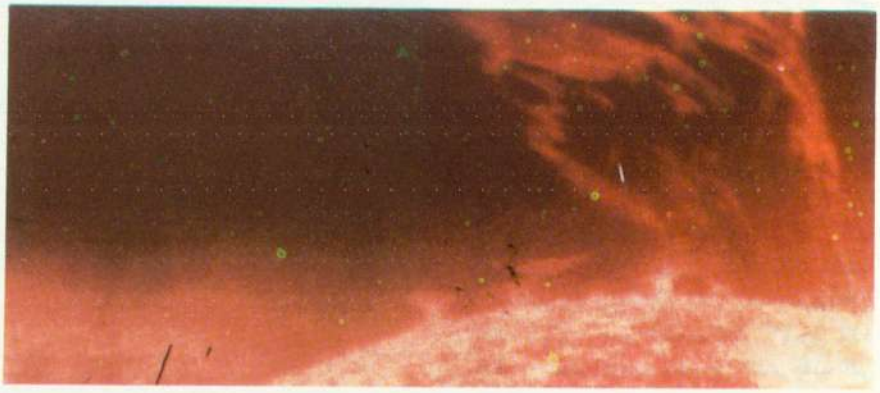
كان أول من شاهد هذه البقع السوداء ، الفلكيون الصينيون عام ٢٨ قبل الميلاد . لكن جاليليو العالم العظيم كان أول من شاهدها بتلسكوبه ، وهو أول تلسكوب يصنع ويوجه إلى السماء أيضاً ، ثم رسم لها خارطة . كان ذلك عام ١٦٠٠ والعقد الذى يليه . كان الرأى السائد آنذاك ـ دينياً وعلمياً ـ أن الشمس جسم «مكتمل» لا عيب فيه ، والبقع الشمسية ليست

الاكليل الشمسي من الفضاء :

اما هذه الصورة النادرة فهي للاكليل الشمسي من قمر صناعي امريكي اطلقته وكالة الفضاء الامريكية (الناسا) فى يونيو ١٩٨٠ . وتشكل الألوان كثافات الاكليل المختلفة ، وتتراوح بين القرمزي الذى يمثل اكثر طبقات الاكليل كثافة ، إلى الأصفر ، اقلها كثافة .

وتغطى مناطق الاكليل الكثيفة القرمزية اللون ، مناطق بقع شمسية تقع تحت السطح الشمسي . اما الخط الذى يمتد من الشمس ناحية الغرب فهو « نتوء شمس » ويمكن كذلك رؤية نتوءات اخرى إلى الجنوب من النتوء الشمسي الكبير الواضح المعالم . ويمتد النتوء الكبير من منطقة الاكليل ذات الكثافة الكبيرة حتى ١٫٦ مليونا من الكيلومترات من السطح حتى « الأرض » .

والغاز الذى نراه فى الاكليل ، تصل درجة حرارته إلى حوالي اربعة ملايين درجة مئوية . وبعد ان التقط القمر الصناعى هذه الصورة ، حدث فوران شمسى (فى الجزء الجنوبي الغربي من هذه الصورة) وفى دقائق تغير شكل الاكليل .



الاضطرابات الشمسية

اضطراب شمسي هائل يمكن مشاهدته فى هذه الصورة التى التقطتها بعثة « سكاي لاب » الثالثة بواسطة سبكتروجرام بالاشعة فوق البنفسجية اثناء دورانها فى مدار حول الأرض . ويمكن مقارنة الحجم الهائل لهذا الاضطراب الشمسي إذا ما قارناه بالنقطة الصغيرة التى تمثل حجم الأرض .

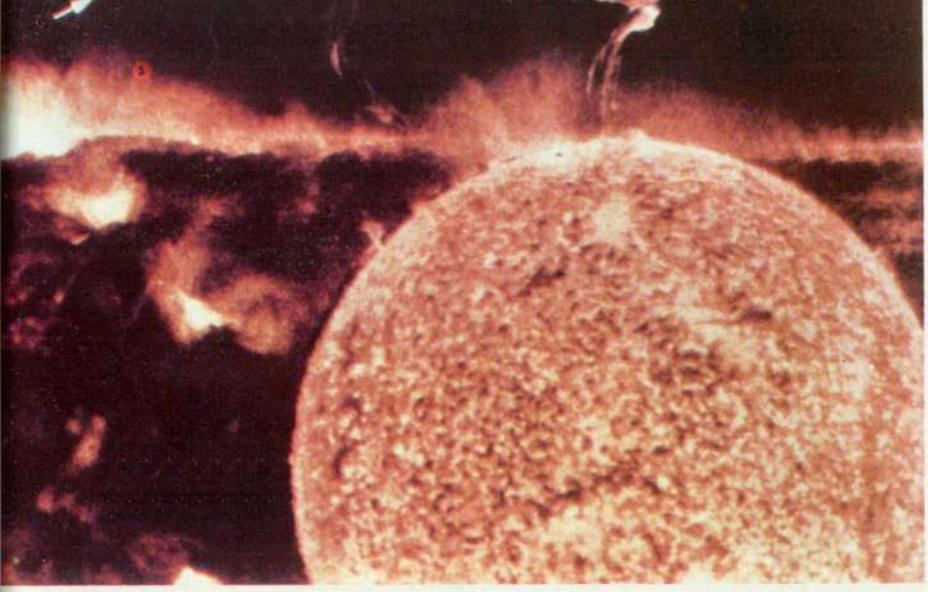
إن هذه الصورة هي التى اظهرت للعلماء لأول مرة ان غاز الهليوم الذى ينفجر من الشمس يمكنه ان يبقى متماسكا بعد ان يصل إلى ارتفاع ٨٠٠ الف كيلومترا .

وبعد ان تبرز السحب الغازية من الشمس ، يبدو كما لو انها توقفت فى مكانها ووقفت فى طريقها حوائط غير مرئية . وبعض المواد الاخرى بدات تعود إلى الشمس كالمطر ، وهي تبدو كالخيوط الدقيقة .

بالتالى سوى بعض السحب الداكنة او حتى كواكب تعبر الشمس ، وليست بقعاً على الشمس ذاتها . لكن جاليليو شاهد هذه البقع السوداء «كلطخ» حقيقية فى الشمس ذاتها . وهى قضية من القضايا التى ووجه بها فى المحكمة .

وكانت الشمس هى التى ساعدت على إصابته بالعمى ، بسبب توجيهه للتلسكوب نحوها باستمرار ، وهى شىء خطر حتى بالعين المجردة ذاتها . وهو ما شارك فى ماساة جاليليو وحياته التعيسة ـ بسبب آرائه ومعتقداته ـ التى قضى معظمها فى الاعتقال المنزلى . تلك الحياة التى اتخذت نموذجاً لما يلاقية الكتاب والعلمـــاء والفلاسفة الشرفاء منذ فجر البشرية وحتى الآن على يد الأنظمة الجاهلة . فقد دفع جاليليو غالياً ثمن تجاربه التى خلدته وقضت على بصره وحياته فى نفس الوقت . لكن ... من يعرف اسم جلاديه الآن ؟!

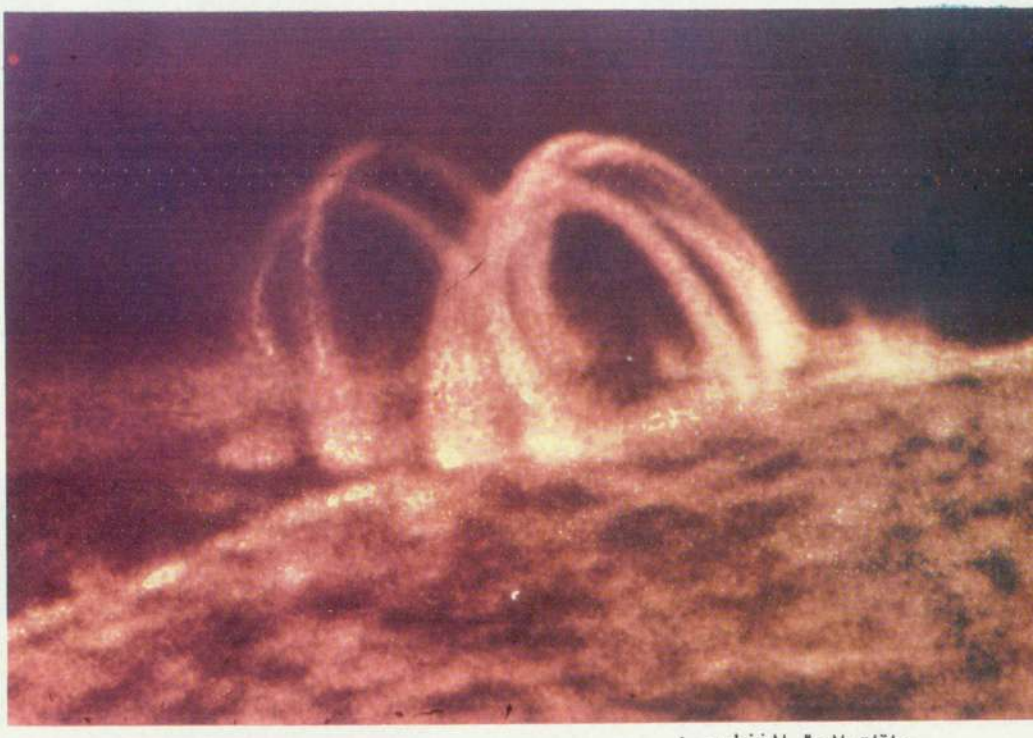
باق ٤٥٠٠ مليون سنة من الزمن
ثم تموت الشمس !



انفجار شمسى هائل :

الشمس تقذف بستة بلايين طن متري من مادتها بسرعة تزيد على المائة كيلومتر فى الثانية ، لتصل إلى اكثر من ٣٠٠ الف كيلومتر فوق الشمس .

التقطت « سكاي لاب » هذا المنظر الخلاب لانفجار الشمس بالة تستخدم الاشعة فوق البنفسجية بعد عشر دقائق فقط من حدوثه ، وقد اخترق الانفجار مادة الاكليل الشمسي ودفعها امامه مسببة بعض الاضطرابات فى الاكليل الخارجي ، ثم تبددت فى الفضاء بين الكواكب .



حلقات المجال المغنطيسى :

صورة بالاشعة فوق البنفسجية ، تبين شكل الحلقات المغناطيسية التى تحتوي غازات متاينة فوق كل المناطق الشمسية النشطة .

ومن المنطقى ، وان كان ليس صحيحاً علمياً بالضرورة ، ان يربط العلماء بين البقع الشمسية ومناخ الأرض ، بين زيادة عددها وتناقضه وما يحدث من تغيرات وتقلبات فى الطقس . ذلك أن بين الحد الاقصى والحد الأدنى لعددها ، دائرة خمس سنوات كاملة . وسجل العلماء عدة ملاحظات فى هذا المجال منها تحسن المحاصيل فى فترات انخفاض نشاط البقع الشمسية ، وكذلك تحسن صيد السمك .

وعلى أى الأحوال فالذى لاشك فيه أن مناخ الشمس بعواصفه المغنطيسية العنيفة ، لابد وانه يؤثر على حياتنا . وقد ازدادت فرص اكتشاف كيف يحدث هذا ، بواسطة صور العواصف الشمسية التى التقطتها « سكاى لاب» وبينت تفاصيل عديدة لم يكن من الممكن مشاهدتها من على الأرض .

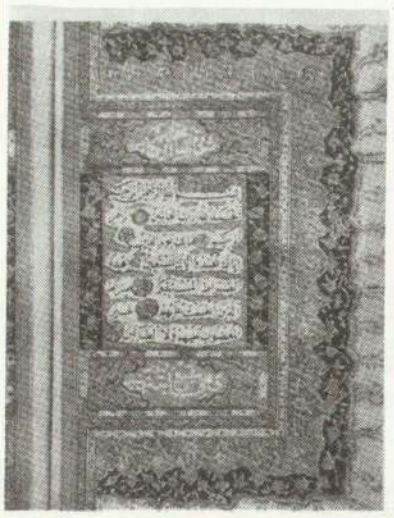
إن المجال المغنطيسى الهائل للشمس ، يدفع بجزء من الغاز الشمسى المشحون كهربائياً ، فى نفثات هائلة يمكن مشاهدتها فى الطبقات الخارجية : الكروموسفير ، والاكليل الشمسى .

الشمس والحياة

هكذا تشع الشمس الضوء والحرارة ، إلى الكون ، وهى بذلك تشع الحياة أيضاً ، رغم أن ما يصل الى الأرض من طاقتها لا يزيد على جزء واحد فقط من ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢ جزءاً ، ولقد كان هذا الجزء من طاقة الشمس الذى يصل إلى الأرض ثابتاً على مدى العصور الجيولوجية لمئات الملايين من السنين .

ويطلق العلماء اسم الفوتوسفير على ذلك السطح المرئى من الشمس ، وفوقه طبقة سمكها ٥٠٠٠ كيلومتر تشكل جو الشمس الداخلى ويطلق عليه العلماء اسم الكروموسفير . وفوق هذه الطبقة هناك الاكليل الشمسى الذى يمتد الى الأرض وما بعدها .

إن سريان الطاقة من أعماق الشمس الداخلية وخلالها إلى السطح ، وما يبديه السطح من ظواهر ـ المجال المغنطيسى والدوران الشمسى ـ تتحد مكونة صورة معقدة وخلابة فى نفس الوقت للظواهر الشمسية يمكن ملاحظتها ومتابعتها بتفصيلات كبيرة ، وهو ما يشكل علم الفلك الشمسى المعاصر .



بقلم : الدكتور محمد البهي

الرقاب

القرآن الكريم يعرض لمفهوم : الرقاب ـ وهو جمع رقبة ـ فى مناسبات عديدة : يعرض له فى كفارة القتل الخطا ، فى قول الله تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى اهله » (النساء : ٩٢) .

ويعرض له فى كفارة اليمين والحلف بالله ، فيما يقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، او كسوتهم ، أو تحرير رقبة » (المائدة : ٨٩) .

ويعرض لهذا المفهوم كذلك : فى كفارة الظهار : « والذين يظاهرون من نسائهم (أى يلحقون نساءهم فى الحرمة عليهم : بامهاتهم . وكان ذلك شائعا فى الجاهلية ، وبقى من رواسبها ، بعد التحول إلى الايمان بالله) ثم يعودون لما قالوا : فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا » (المجادلة : ٣) .

ثم يعرض له أيضا فى أعمال البر العام فيقول : « واتى المال على حبه (أى حب الاتيان للمال) : ذوى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين ، وفى الرقاب » (البقرة : ١٧٧) .

وأخيراً بذكره فى مصارف الزكاة فى قول الله تعالى : « والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب » (التوبة : ٦٠) .

فالقرآن يعرض لتحرير الرقاب .. أى لتحرير العبيد والأرقاء من ملك اسيادهم ومن قبضتهم على رقابهم : فى مجالات الدعاء لله لغفران ذنب قد ارتكب .. او فى عمل خير عام .. وفى بيان مصرف الزكاة الواجبة الاداء . وهى مناسبات رأى فيها التشريع القرانى : أن يفيد منه فى اعادة الحرية والاعتبار البشرى لمن يتجر بهم من الارقاء فى اسواق النخاسة . وكان الاتجار بهم حرفة ومهنة . وكان تملكهم ترفا ، أو لاداء حاجة من عمل لا ينقطع .

ويطلق على الأرقاء او العبيد : رقابا ، كان أيدى أسيادهم لا تنفك فى قبضتها على رقابهم . وبذلك يفقدون حريتهم .. وكرامتهم البشرية .

● والقرآن اذ يعدد المناسبات التى يطلب فيها تحرير الرقاب ، ويتخذ من كفارات القتل الخطا .. واليمين .. والظهار ، ومن مجال البر .. ومصرف الزكاة .. اسبابا لحمل المؤمنين على عتق الأرقاء من ملك يمينهم .. واعادة الحرية الانسانية لهم : فلأنه يحرص تمام الحرص على الحرية الفردية ، والكرامة الانسانية لكل عضو فى المجتمع .

وهو اذ يدعو الى تحرير الأرقاء فى هذه المناسبات العديدة : قد لا يتصور فى جانبه اطلاقاً : أن يشجع تجارة الرقيق ، كما كان على العهد الماضى قبله .

وأشبه برقيق الأمس الذى يملكه سيد له ويحول بملكيته : بينه وبين حريته : صنوف الاستعمار المختلفة للشعوب اليوم . بل الاستعمار ادخل فى معنى الرق .. والشعوب المستعمرة أدخل فى معنى الرقاب ولذا لم يوجد اليوم سيد مالك ، ولا عبد رقيق على نحو الماضى : فصرف الزكاة باسم الرقاب .. وما جاء فى مجال البر العام .. او فى الكفارات المتعددة ، يمكن ان يحول لتحرير الشعوب والجماعات الاسلامية ، التى اصيبت بلون من الوان الاستعمار : الفكرى .. أو الاقتصادى .. أو العسكرى .

والجهل كذلك : شبيه بالرق ، فى انه يقيد حرية الجاهل وامكانياته البشرية . ومحاربة الجهل لذلك تقرب من معنى : عتق الرقيق ، فى أن يوجه اليها مصرف الزكاة الخاص بالرقاب ، وكل ما جاء هنا فى أسباب معاونة الرقيق على استرداد حريته البشرية .

والرقاب اذن بالمفهوم التقليدى : هى العبيد والأرقاء الذين هم فى ملك اسيادهم ، ملكا شخصياً . ولكن بالمفهوم الأعم : هم الأفراد ، والشعوب الذين يتمكن من تقييد حريتهم : نظام تسلط معين .. أو جهل يغطى انظارهم وبصائرهم : عن أن يروا الواقع على حقيقته ، ولذا لا يستطيعون التحرك فيه ، ولا الافادة منه .

والزكاة للأرقاء اذن تقوم بدور « التحرير » لهم .. أو المساعدة لهم على استرداد حرياتهم .

من محمد بن القاسم الثقفي إلى السلطان محمود الغزنوي

بقلم : أحمد العناني

أحسب أن المؤرخين الذين دفعهم الاعجاب الكبير بمنجزات محمد بن القاسم فى السند قد تجاوزوا المعقول قليلا فى تقدير سن الرجل بأن انقصوه عن حقيقته بنصف عقد من السنين على أدنى الظن وعقد كامل على أغلبه ، فهم راوحوا فى سنه بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة ، وما داموا هم يقدرون حيث لا سجلات للمواليد ، فان مسئوليات ذلك الرجل كانت فى نوعيتها بمستوى المخاطر التى تعرض لها رجال كالاسكندر وهنيبال وقيصر ونابليون وغيرهم وما عرف عن احد منهم مهما بلغت منجزاته ، وانبهار الناس بها انه كان يقل عمراً عن تمام العقدين أو فوقهما بقليل فى حالة الاسكندر المقدونى .. لكن بطولة ابن القاسم تعرضت سريعاً للعذاب والاضطهاد والوفاة فى السجن بغير وجه حق الأمر الذى اكسبه إشفاقاً عظيماً واعجاباً بالغاً من الناس فجعلوا عمره أقل من الحقيقة لتكتمل فيه ملامح البطولة الخارقة ..

وأيا كان الحال فان محمداً أنجز عملا بطولياً ما فى ذلك ريب ، فقد كان عليه أن يجتاز منطقة صحراوية مقفرة على امتداد ولايتى كرمان ومكران حتى مشارف نهر الاندلس ، بل إن الاندلس يمثل فى السند ما يمثله النيل فى مصر فمن دونه ومن ورائه لا يوجد غير الصحراء . كما أن المدن التى واجهها فى الرور والديبل والملقان وغيرها كانت مدنا كبيرة مسورة وذات كثافة سكانية مستمسكة بتقاليد وثنية تعود إلى آلوف السنين . والواقع أن حملته على ذلك الاقليم ذى الملايين العديدة من السكان بعد رحلة مجهدة جداً لجيشه البرى بخاصة ربما لم تكن لتؤتى ثمار النصر لولا الروح التى سادت أوضاع العالم الاسلامى مجدداً خلال خلافة الوليد ابن عبد الملك بن مروان الذى تمت الحملة خلال حكمه ... فبينما تحمل عبد الملك بن مروان والده وزر المذابح التى اضطر لها لجمع كلمة الناس بعد أن فشت فيهم الانقسامات من كل نوع فان الوليد وجد ملكاً منتظماً وكان هو انساناً متعقلا يفهم روح الحكم فى الاسلام ، ويحترم من الأعماق أهل التقوى والعلم مما أوجد مناخاً جديداً تنفس فيه الشوق مجدداً لنشر رسالة الاسلام وهو المهمة الأساسية لكل دولة اسلامية .. لقد حارب أبوه أبناء عمومته ومنهم عمرو بن سعيد الأشدق ، وحارب فى العراق مصعباً الزبيرى وكلا من الخوارج والشيعة ، كما أباح قائده الحجاج لنفسه حرية ضرب الكعبة بالمنجنيقات للقضاء على عبد الله بن الزبير .. أما الوليد فلم يحارب أحداً ، بل هو استرضى قلوب الناس فى الحجاز بتولية عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وحسبك من الوليد أن يمر مع عمر بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة توسعته فيرى سعيد بن المسيب لا يتزحزح من مكانه ولا يحييه بكلمة ومع ذلك فهو يقول لعمر بن عبد العزيز المحرج من الموقف، فى حق سعيد وفى تلك اللحظة بالذات مشيراً الى سعيد « هذا بقية الناس » .

لقد استعاد الوليد مناخ الحياة المواتية لاستئناف الجهاد فتداعى الناس له ووجدوا فيه خلاصاً من التفكير المضنى فى أزمة الفتنة الكبرى التى تقشعت سحبها الداكنة ، فانطلق موسى بن نصير يصلح ما فسد من أمور المغرب ، ويوطن للاسلام وجذوره فى بلاد البربر ثم كان فتح الأندلس ذروة جهاده وقادته العظام المتأثرين به كطارق بن زياد ... كما انطلق قتيبة بن مسلم الباهلى يمكن للاسلام فى بلاد ما وراء النهر مما يعرف اليوم بافغانستان وتركستان الشرقية ، فيما شغل مسلمة بن عبد الملك بمناطق ارمينية والقفقاس الغربى وانطلق محمد بن القاسم فى السند ..

تفاصيل الحملة

من أسف بالغ أن عادة التدوين لم تكن ـ فيما عدا ما حصل بالنسبة للقرآن الكريم ـ شيئاً مذكوراً بين العرب ، حيث ان تدوين الحديث الشريف نفسه لم يبدأ به الا بعد حملة محمد بن القاسم بحقبة كاملة ، ولذلك فنحن نجهل تماماً تفاصيل المغامرة الضخمة بنقل جيش كبير عبر صحارى كرمان ومكران ، وهو ما لم يجرؤ على مثله من قبل سوى الاسكندر المكدونى الذى خسر معظم جيشه بسبب العطش والجوع والمعاناة ، فعاد أدراجه مسرعاً بطريق البحر .. لكن محمداً باشر الفتوح بمجرد الوصول فحاصر اكبر حواضر السند عند مصب نهر الاندوس وهى مدينة الديبل وقد تمكن بمنجنيق هائل كان يسمى العروس من تحطيم صنم هائل كان منصوباً بأعلى هيكل المدينة الاكبر فكان لتحطيمه أثر نفسي سيىء على أهل المدينة المحاصرين فخرجوا يريدون القتال والثار فدارت معركة عنيفة نصب خلالها المسلمون السلالم فصعدوا أعالى السور واقتحموا المدينة عنوة فى رابعة النهار ، وهرب منها والى الملك راهر فاختط المسلمون بها دوراً ومسجداً ونزلها أربعة آلاف منهم وأرادوها مركزاً لنشر الاسلام وتعليم القرآن (١) ، وهنا بدأ السكان المحليون وكثير من العناصر المظلومة والمضطهدة كالزط وغيرهم يلتحقون بالمسلمين ويشاركون فى تسهيل عمليات الفتح فسقطت سائر المدن والقرى من دون نهر مهران ، وعبر المسلمون فرع نهر الاندوس المسمى مهران ، وهناك التحموا بجيش راهر نفسه الذى عول على الفيلة تحمل المحاربين فى الهوادج لكن المسلمين اتقوا شرها بقذائف النفط تحرق الهوادج ومن فيها .. وكانت معركة ضخمة انتهت بقتل

راهر .. وتتابع بعد ذلك سقوط مدن ساوندرى وبسمد والبيرون والرور التى جعلها المسلمون مركزاً آخر وبنوا فيها مسجداً ثم اجتاز المسلمون فروع الاندس الأخرى الى أن وصلوا عاصمة السند الشمالية ـ الملتان ـ وهناك وقع قتال شديد لكن المدينة سقطت وكثرت فيها الغنائم وبسقوطها أصبحت السند كلها بايدى المسلمين بحلول عام ٩٥ للهجرة ... وما لبث الخبر أن جاء بوفاة الحجاج ثم توفى الوليد بن عبد الملك مباشرة بعده فكان مجيء سليمان الذى طالما تهدد بالانتقام من الحجاج وقادته وهو ولي للعهد ، فانفرط عقد الفتوح ، وانتهى أعلامها إلى المحاكمات والتشهير ، والقتل والسجون والتشريد لم ينج من ذلك سوى مسلمة ابن عبد الملك ، وقيل ان محمداً لما ورد الأمر بعزله واعتقاله قال متمثلا :

اضاعوني وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

عرب السند

يعتبر البلاذري المصدر الأساسي الذى نقل عنه المؤرخون اللاحقون كالخطيب البغدادي ، وأبى حنيفة ، الدينورى واليعقوبى (احمد بن علي) والطبري وابن خلدون وحتى مؤرخي باكستان المحدثين كالدكتور بنى بخش بالوش وشمس العلماء الدكتور داوريتس وميرزا كاليش وغيرهم ، ويبدو من مجمل الروايات أن محمد بن القاسم عني بتعيين قضاة فى المراكز الأساسية التى أشرنا لها فى السند ويبدو أن بعض عناصر من عبدقيس وبكر ابن وائل وتميم قد تشبثوا بالبقاء فى السند بعد انسحاب جيش محمد بن القاسم وفى موقع انشاه المسلمون يدعى محفوظ آباد لا تعرف آثاره اليوم ، ولكن الموقع المعروف اليوم بالمنصوره ظل بايدى المسلمين حيث اجتمعت به سائر العناصر العربية من أهل الفتح وانحاز اليهم من هدى الله تعالى للدين الجديد ، ويبدو أن اتصالا مؤثراً جرى بهم أيام الخليفة المنصور العباسي .. وأيما كان الحال فان ولاة المنصورة هذه ظلوا متمسكين بأن يجيء تعيينهم بأمر الخليفة ، وهناك قائمة بتسلسل الولاة على المدينة من عهد محمد بن القاسم إلى عهد المعتمد العباسى وتشمل القائمة واحداً وأربعين والياً آخرهم عمر بن الليث ومنهم حبيب بن المهلب بن ابى الصفرة وهلال التميمى وجنيد بن عبد الرحمن المري (علماً بأن الجنيد هذا يرد بين قائمة امراء جند وولاة هشام بن عبد الملك فيما وراء النهر) وعمرو بن الفاتح محمد بن القاسم الثقفي ومنصور الكلبي وعدد من التميمين وواحد من بنى تغلب وزفر الحميري وداود المهلبي وغيرهم وربما كانت الاسر العربية الأصول فى السند من أشد الناس استمساكا بنسبها ويقال ان بنى شهيم الموجودين هناك الآن هم بنو تميم الذين دخل أجدادهم البلاد مع محمد بن القاسم ..

الغزنويون والمغول

يبدو من سائر الظواهر والاخبار أن الوجود الاسلامى فى السند بعد محمد بن القاسم كان وجوداً دفاعياً وسلمياً ، ويروي ولهاوزن (٢) أنه لما قام حكم عمر بن العزيز رضى الله عنه بعد وفاة سليمان بن عبد الملك فوضع كل جزية عن المسلمين المستحدثين عاد كثير من الهنود وغيرهم للاسلام ودخلوا فيه طوعاً ، على ان الوجود المؤثر للاسلام انما استعيد على يد السلطان محمود الغزنوي . أوائل القرن الخامس الهجرى الحادى عشر للميلاد ، ولاشك أن الغزنويين والمغول هم الذين شادوا سائر ما نراه من المعالم الاسلامية العظمى فى الهند ، فقد وجه محمود الغزنوي اثنتي عشرة حملة ناجحة فى سائر الشمال الهندى ـ خلال مدة حكمه من (٣٨٨ ـ ٤٢١ هـ) ووطد أركان الاسلام فى البنجاب جاعلا من لاهور عاصمة له ثم جاء دور محمد بن سام الغوري (حكم الغوريون افغانستان فى ٥٤٣ ـ ٦١٢ هـ) فجعل من دلهى عاصمة له ونشر هو وخلفاؤه نفوذ المسلمين فى معظم شبه الجزيرة الهندية (٣) وتعاقبت من بعده عدة أسر مغولية على حكم الهند إلى أن جاء عصر محمد بن طغلق الذى تولى عرش دلهي عام ٧٢٦ للهجرة وكان رجلا واسع الطموح ومخططا ممتازاً أنشأ علاقات نشطة مع سائر بلدان العالم الاسلامى ، وبخاصة مملكة المماليك البحرية فى مصر التى كانت تحت حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقد مد هذا الرجل نفوذ الاسلام فى سائر شبه القارة الهندية ، وقد قيل ان ذلك التوسع فى الجنوب هو الذى أدى الى إضعاف دولته تماماً كما فعل أورنجزيت سلطان المغول العظيم الآخر بعد ثلاثة قرون . وأيما كان الحال فالمهم ان هذا الرجل انشأ علاقات نشطة جداً مع مصر ، خصوصاً وانه حصل من الخليفة العباسى المستكفى بالله الذى كان ملتجئاً لمصر بعد سقوط بغداد بايدى التتار تفويضاً بشرعية حكمه للهند ، وهو تفويض أفاد منه فائدة كبرى .

علاقات خاصة بين الهند ومصر

لما كان مغول الهند فى خصام متصل مع المغول الذين استولوا على خراسان وفارس فقد كان مغول الهند يطمعون فى صداقة المماليك البحرية أقوى حكام المسلمين العرب فى غربي آسيا . ومع ان المصريين آثروا الابقاء على العلاقات الحسنة مع جناحى المغول كليهما الا أن الهنود كانوا يطمعون فى انحياز المماليك لهم فى نهاية المطاف ولذلك فلم يتركوا جهداً فى تنشيط التجارة وسائر أنواع المبادلات الممكنة مع القاهرة وحيث كان المغول المغربيون قد أوقفوا نشاط الخط البرى بين الموصل وحلب فقد اتجه النشاط التجارى ناحية موانىء البحر الأحمر عبر باب المندب ، حيث ازدهرت كل من القلزم والطور وعيذاب فضلا عن عدن .

كما اصبحت الاسكندرية تستقبل عدا عن مستوردات البضائع الهندية البضائع الواردة من ثغور البحر المتوسط لنقلها الى البحر الأحمر وباب المندب حتى سميت فى تلك العصر بمخزن العالم ، ويروى ابن بطوطه (٤) فى رحلته طرائف تكشف عن سعة التواصل العربى الهندى وانتشار الجاليات الهندية فى مصر ، والمصرية فى ثغور الهند فى تلك الفترة الزاهرة .

ولاشك فى أن ترسيخ الاسلام جذوره فى الهند على أيدى الغزنويين والمغوليين قد أحكم الوحدة الثقافية الهندية العربية وفتح أبواب العلاقات من كل نوع بين العرب والهنود وهى علاقات تنمو وتتطور حتى تحت أسوأ أيام الاستعمار بطشا وتفريقاً للناس .

أحمد العنانى

المراجع

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان .

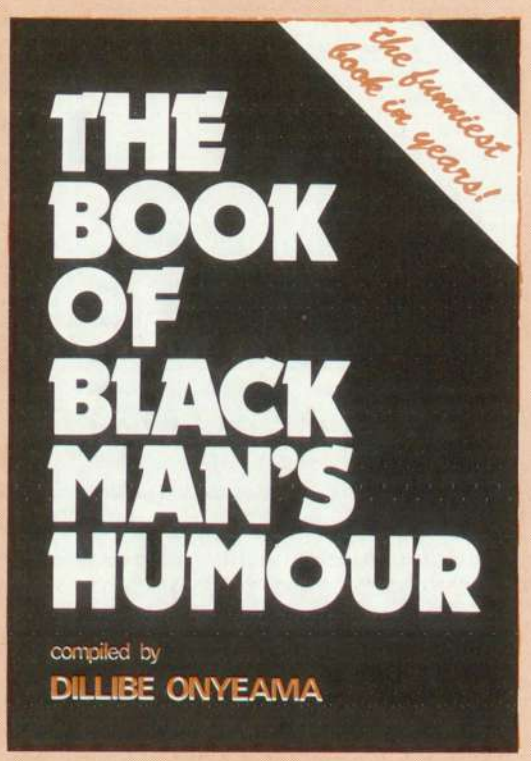
(٢) د . علي ابراهيم حسن ـ تاريخ المماليك البحرية ص ١٦٤ طباعة القاهرة .

(٣) انحلال وسقوط الدولة الاموية .

(٤) ابن بطوطة تحفة النظار ج ١ ص ١٥ طباعة القاهرة .



كيف يضحك الرجل الأسود؟



كتاب الشهر

جمع : ديلبي أوينيما
ترجمة وإعداد : النور عثمان أبكر

أصبح الضحك صمام الأمان فى عالم يطغى فيه الصراع ويتصاعد كل يوم . وفى السنوات الأخيرة صارت الدعابة النابعة من واقع التفرقة والتحيز العنصريين مطلوبة لا لذاتها ، وإنما لتخفيف حدة التوتر الذى يفصل بين الأجناس ، وأخذ يستمتع بها المغلوبون على أمرهم .

وربما كان الانسان الأسود اللون أكثر حظاً من التعاسة والامتلاء بالغبن عن غيره . ولذا فان الضحك هو تعليقه ورد فعله على معاملة يفرضها عالم يقسو عليه ، ويحرمه من حقه فى العيش كما ينبغى للانسان أن يعيش . فالفسحة الوحيدة التى أفرج عنها العالم الغربى الحر ، كما فى أمريكا وانجلترا مثلا ، لينعم فيها الأسود ببعض حرية هى حياة الأحياء الفقيرة : «الجيتو» . ولكن حياة البؤس والمكابدات اليومية لم تمنع الأسود من الضحك أو استخدام السلاح الوحيد الذى يملكه : وهو حس الدعابة الواعية . وكلما اشتدت معاناته وجه ضربات أشد الى جلاديه .. بدعابته . وفى أحلك المواقف وأكثرها مأساوية ، ظل الأسود يضحك على العالم وعلى نفسه .

وهذا ما نحسه فى الكتاب الذى جمع فيه الصحافى والمؤلف النيجيرى ديلبى أونييما ما قاله عدد من مشاهير السود فى مجال السياسة والآداب والفنون والرياضة فى أمريكا ، وانجلترا ، وافريقيا ، وحاولنا اقتطاف ما يحتمل الترجمة والنقل الى العربية منه .

وقد اشتهر أونييما بمذكراته التى سجلها خلال فترة دراسته بمدرسة «إيتون» ، حيث أبرز التحيز العنصرى فى تلك المدرسة البريطانية العريقة . واتبع ذلك بكتاب عن الزنوج فى بريطانيا صور فيه أوضاع السود وحالهم الاجتماعى وسلوكهم وما يمكن أن يحمله لهم المستقبل . وكان قد جمع فى كتاب نشر عام ١٩٧٥ كل ما صدر عن الملاكم محمد علي كلاى من قول لاذع .

كيف يضحكك الرجل الأسود ؟

ربما كانت نقطة انطلاق معظم الأقوال اللاذعة التى يضمها هذا الكتاب من جملة ما قاله السود بأمريكا هى ما يعرف بالانفراق أو التناقض الظاهرى . ولذا فان المدخل الى الاستمتاع بالرنين الحقيقى لضحك الأسود الأمريكى هو الوقوف على الأرضية التى بنى فوقها البيض علاقتهم بالافريقى الأسود .

لقد بررت أوروبا استرقاق الافريقى الأسود فى القرن السادس عشر بقراءة مغرضة لنصوص العهد القديم فى الكتاب المقدس ، ثم بررت استعمار افريقيا وجهات أخرى فى العالم الثالث بمسئوليتها انسانياً وحضارياً بضرورة انتشال أهالى تلك الأصقاع من براثن الهمجية والبربرية. وحين وجدت أوروبا فى العلم الحديث ضالتها المنشودة لتفسير العالم وقوانين الطبيعة ، كشفت عن حقيقة ايمانها بتفوق البيض على بقية شعوب العالم . فاقامت نظريات تسمى علمية تفتى بضمور الذهن الملون وافتقاره الى الذكاء البعيد . وما كان هتلر سوى ثمرة طبيعية لمفكرين عمقوا النعرة العرقية فى الوعى الأوروبى ، ومنحوها تدابير اظهار التفوق الأرى .

وقد ابتدر جامع هذه الأقوال كتابه بالضحك من محاولة البيض استخدام العهد القديم لوصم الأسود بالدونية . نجد ذلك فى كلمات محمد علي ، وشعر كاونتى كالن ، وقولة ماكنيل ديكسون ، ونكتة سامى توماس ، وكلمة عراف الزولو كريدو موتوا والأب ابيل موزوريوا ، وبوكر واشنطون .

ويستحق محمد علي كلاي اشارة خاصة لاننا ، إن أسقطنا مسافة من عدم التصديق بيننا وبين أجهزة الاعلام الأمريكى فيما يتعلق بأسطورة هذا البطل ، نكتشف أنه فجر ثورة لا فى مجال الرياضة فحسب ، وإنما فى تاريخ ومسار حركة المطالبة بالحقوق المدنية وفى مفهوم العلاقة بين الفرد والمؤسسة الحاكمة .

تخطى حواجز اللون

لقد خرج محمد علي على الحياة الأمريكية من باب أوسع صناعة بها ، وهى صناعة الاعلام والترفيه وصنع الأبطال ، وذلك حين أصبح بطلا عالمياً فى الوزن الثقيل . ومن قمته تلك أشهر اسلامه ، فأسقط فى يد المؤسسة البيضاء لأن اسلام بطل عالمى واصراره على الطهارة والتسليم لخالقه لا لأرباب تسويق شهرته لم يكن ضمن تصور القدر المرسوم أمريكياً لأبطال الملاكمة السود . وهذا ما يشير اليه الدريدرج كليفر فى كلمته . فالبطولة للأسود فى وحى الحياة الأمريكية هى الفرصة النادرة لانتقاله الاجتماعى ، وتخطى حاجز اللون لدخول دنيا المال والامتيازات الحرة . وكان وقع الصدمة عنيفاً على القائمين بأمر العلاقات العامة والدعاية للبطل . فقاموا بمحاولة لتطويق هذه الصرعة ـ كذا ظنوها ـ وذلك باستغلالها وتقديمها كأنها الصورة التى بها يتباهى . لكنه حرص على التوكيد بأن اختياره ليس مؤقتاً ، وليس من قبيل ما يشاغب به بطل متحديه قبيل التبارى . وزاد الأمر حرجاً بالنسبة للمؤسسة الأمريكية أن محمد علي لم ينخرط فى أية مجموعة مسلمة معينة يمكن أن يتم التاثير عليها لتصفيته ، كما حدث للراحل مالكولم اكس الذى دبرت المخابرات اغتياله على يد جماعة المسلمين السود التى خرج عليها بعد أن اهتدى الى الاسلام الصحيح أثر الحج الى بيت الله الحرام والاتصال بمصادر اسلامية سليمة .



أبيض لأسود يحمل صحيفة يهودية :
« ألا يكفى أنك أسود ؟ »

العودة الى الأصالة الزنجية

ولأن الشىء بالشىء يذكر ، فان مالكولم اكس كان مصدر بث لوعي جديد بين السود . فهو قد أكد على ضرورة العودة الى الأصالة الزنجية ، بمعنى أن صورة «العم طوم» الوادع الطيب هى من صنع المؤسسة البيضاء ، وان أبناءه هم نسل مغسول الدماغ الذى يرى نفسه بمنظار أبيض . كما دعا الى ضرورة العودة الى الجذور والاستقلال الاقتصادى واستخدام صوت الناخب الزنجى استخداماً يؤثر على مجرى القرار الأمريكى .

وكان مالكولم إكس خطيباً مؤثراً ومطلوباً ، وثانى أكثر متحدثين مطلوبين فى قاعات المحاضرات بأمريكا فى بداية الستينات . وكان موضوعه الأساسى هو نقده اللاذع للقادة فى أمريكا ولرؤسائها البيض ، وهو مما لا يمكن السكوت عليه من قبل المؤسسة البيضاء .

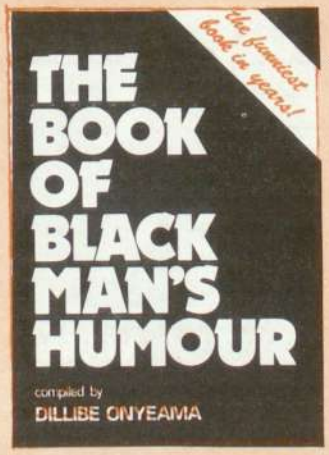
السواد جمال

وفى ذلك الوقت نفسه كان كاتب «ضليع» فى اللغة والتاريخ والفن ، هو جيمس بولدوين ، يسجل مذكراته ويكتب رواية مغايرة للرواية البيضاء ، ويساجل فى المقابلات والندوات . من ذلك جميعه تمخض شعار : «السواد جمال» ، والذى نشطت به حركة الاحتجاج باللون الأسود احتجاجاً ايجابياً أعاد الى الشباب الأسود ثقته فى نفسه . كما نشط الاتصال بين الزنوج فى أمريكا وافريقيا زمان كان نكروما مُعَلِّماً ومَعْلَماً ، وكانت غينيا سيكوتورى منافحة عن أمور تسكت الآن عنها : فكانت حركة القوة السوداء .

ولذا حين أشهر محمد علي كلاي اسلامه علي مشهد ومسمع من ملايين تنظره فى قمته كبطل ملاكم ، كانت الظروف الذهنية والنفسية وسط السود مهيأة لتقبل ما تقوله الجذور : وهو أن الدين الطبيعى للسود المسترقين من سواحل غرب افريقيا هو دين أرض الجذور .. لا دين الرجل الأبيض الذى نهب وزيف ودمر تلك الأنفس والسواحل وبذا وجد الأمريكى الأسود دفعة واحدة انه

كتاب الشهر

كيف يضحك الرجل الأسود؟





محمد علي كلاى



جيمس بولدوين

يملك صورته كما حررتها له الطليعة السوداء المناضلة بشرف وبعيداً عن دهاليز وكواليس حركة الرجل الابيض المسماة تقنين الحقوق الاجتماعية للسود ، والتى تزعمتها قيادات من نسل العم طوم ، حد قول مالكولم إكس .

ولمحمد علي فضل كبير بحكم شعبيته العالمية فى ايقاظ وتفجير هذا الخطر . أما (الشيء المحـــرم) الأخر الذى جرؤ الملاكم الأسود على تعريته فهو الانخراط فى جندية المؤسسة العسكرية البيضاء : لقد رفض التجنيد الاجبارى ابان الحرب الأمريكية الفيتنامية . وكانت تلك صفعة على الخدين : الأبيض والأسود على حد سواء . ما كانت الحرب من حظ الأرقاء السابقين . وحتى حرب التحرير الكبرى التى قادها ابراهام لنكولن ، محرر العبيد ، لم يسمح فيها للسود بالقتال . لقد حرموا شرف الجندية . وكان أحد المطالب الأساسية فى حركة الحقوق المدنية أن يسمح للسود بحق حمل السلاح دفاعاً عن بلادهم ـ بلاد الرجل الأبيض .

وقد شجع رفض محمـد علي كثرة من الشباب الأمريكى على الهرب من الجندية واللجوء الى دول اسكندنافية ، وعلى رفض التجنيد فى الولايات المتحدة ، مما سارع ونشط حركة المطالبة بايقاف الحرب واعادة الأبناء الى الشواطىء الأمريكية الدافئة بدلا من الموت فى أدغال بلد آسيوى متخلف عرف بأنه مقبرة للغزاة .

اعتبارات حضارية

ومن المواضيع التى حرص الأدب الزنجى الأمريكى على اظهارها بعد أن امتلك صورته الحقيقية مسألة الحضور الأسود فى تاريخ الولايات المتحدة . لقد كشف جيمس بولدوين فى أكثر من موقع فى كتاباته أن تعامله مع شكسبير ورامبرانت وبيتهوفن واينشتاين إنما يتم باعتبارات حضارية ، وليس لكونهم خلفيته التاريخية فى الانجاز : لأن التاريخ الأوروبى ليس تاريخه الشخصى كما تحاول الكتب المقررة أن توهمه . ويفسر هذا الموقف اندفاع الباحثين السود الى استجلاء تاريخ افريقيا باعتبارها أرض المنبت والأصالة السوداء . فاذا كانت «الجذور» التى استجلاها المستر هيللى فى مسلسله المشهور هى أبرز ما عرفه العالم من جهود السود فى التعرف على تاريخهم الشخصى الحقيقى فان المكتبة الأفريقية بأمريكا حافلة بالدراسات الجادة والمتعمقة لهذا الموضوع .

ولذا فان الأقوال المقتطفة من محمد علي وسامي ديفيز ولويس إكس وأوبى ايقبونا والتى تدور حول تزييف الرجل الأبيض للتاريخ الذى يسجله عن السود إنما هى من صميم معاناة السود فى هذه الناحية ، إذ أن الاعلام الأمريكى معتمد على نعرة تبخيس السود أشياءهم يصر على ابراز كل انجاز وابداع باعتبارهما من فعل البيض وحدهم .

هذا ، ولم تكن فرص التعليم والتاهيل متاحة للسود دائماً ، كما أن فرص انتقاء الشريك فى العلاقات الشخصية كان دائماً وقفاً على البيض ، حتى فى حال انتقاء ذلك الشريك من السود . وهذا ما نجده فى الكاركاتير الخاص برجل الفضاء الأسود ، والذى اعتبره من أذكى الايماءات فى هذه المجموعة .

ولا تغفل هذه الأقوال الاشارة الى عدم ثقة الأسود بالبيض وتعلل الأقوال اللاذعة فقدان الثقة هذا بحب الأبيض لنفسه واندفاعه الأعمى لانتهاب أية فرصة لجمع المال ، واستعداده للايقاع بغيره فى أية لحظة . وتعمق الأقوال المنتقاة هذه الفجوة برفضها تقليد البيض فى تفكيرهم أو سلوكهم .

مشكلة نازحين

أما فى بريطانيا ، فان الأمر جد مختلف . فالمشكلة الأساسية هى مشكلة نازحين وما يترتب عليها من معضلات الاستيعاب ، سكناً وعملا وتباينا فى العادات الشخصية واللغة الخ . فالملون البريطانى ، آسيوياً كان أم من جزر الكاريبى أو جزر فولكلاند يشعر بحقه الكامل فى الاقامة ببريطانيا ، مادام يحمل جواز سفر بريطانى صالحاً ، ومادام قد عومل فى فترة الاستعمار معاملة الشخص البريطانى . كما نجد ضمن مشكلة الاستيعاب هذه صراعات خفية بين الأقليات نفسها ، وخاصة بين الملونة منها

وبين الأقلية الايرلندية فى بريطانيا . أما اليهود ، فقد صعدوا اقتصادياً واجتماعياً الى مراكز تمنكهم من السيطرة على أقدار الآخرين ، تدعمهم بالطبع الصهيونية العالمية .

ولذا فان الأقوال اللاذعة المختارة على لسان ملونين بريطانيين أو أفارقة ارتبطوا بالحكم البريطانى هى نكات أكثر منها كلمات مأساوية نابعة عن غبن عميق كما عند الأمريكى الأسود الذى اشترك اشتراكاً فعلياً وتاريخياً فى بناء «العالم الجديد» ، ونفي منه بحرمانه من حقه الطبيعى فى الافصاح عن انسانيته الفعالة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

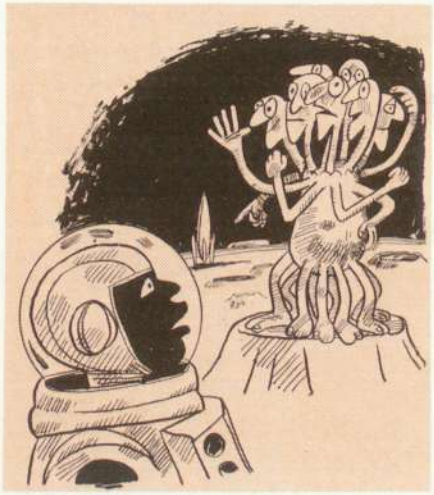
ويجد القارىء فى المناكفات والمناوشات التى تحفل بها الأقوال المختارة عن أوضاع الملونين فى بريطانيا أن المستر اينوك باول السياسى اليمينى المحافظ هو محور معظم الضحكات الملونة . وتقابله فى أمريكا جماعة الكلوكلوكس كلان فى الولايات الجنوبية التى تعمل على تصفية السود وكل من يتصل بهم أو يساعدهم تصفية جسدية .

فالمستر باول هو الداعية الجهير الصوت بوجوب ترحيل الآسيويين وأهالى جزر الهند الغربية الأفارقة الى بلادهم ، ومنحهم التعويض اللازم ، لأنهم أس كل بلاء أصاب الامبراطورية الشائخة ، ووجـــودهم فى قناعته ، سيؤدى الى فيضان مروج بريطانيا الخضراء بالدم ، وشوارع مدنها الكبرى ستتحول الى أدغال تصطرع فيها وحوش همجية .. وما فساد الشباب وازدياد الجريمة والبطالة وكل قبيح إلا بفضل تسللهم غير المشروع الى بلاد التقاليد العريقة والتسامح الانسانى . كذا :

إن ما تم إغفاله فى هذه المجموعة أخطر مما تم تقديمه : فالمجموعة لم تنتخب أية أقوال نابعة من وضع السود فى جنوب افريقيا ، حيث تمارس حكومات بريتوريا المتعاقبة أفظع أنواع التفرقة العنصرية .

محمد علي كلاى

● أتدرون أن اللون الأسود هو الأصل ؟ وأن الكتاب المقدس هو القائل بان كل شىء كان يغطيه



لقد طلبوا منى أن اتطوع للاشتراك فى برامج الفضاء ، ولكننى رفضت خشية أن اهبط فى كوكب المريخ ، فتخطو نحوى قطة لها سبعة وعشرون راساً ، وتسعة وخمسون فكا ، وسبع وأربعون ساقا فتقول :
« وانا ايضا لا اريدك زوجا لابنتي ! »

الظلام قبل أن تخلق السموات والأرض ؟ وما لون الظلام ؟ أتدرون أن الأرض الخصبة أرض سوداء ؟ وأن التوت كلما اسود لونه طاب مذاقه ؟ وأن القهوة القوية هى القهوة السوداء ، ولا تفقد قوتها إلا بعد مزجها بالحليب ؟

●● ما أتعس الأسود : وما أقسى دربه وأطوله . ربما بدأ كل هذا العذاب حينما جرته أمه الى كنيسة البابتيست أو الكاثوليك ، ورأى المسيح لأول مرة : وله شعر لم يرزقه أسود أبداً . وعندما رأى العشاء الأخير فيما بعد وجد أن كل الجالسين اليه رجال يشبهون المسيح . لم يكن بينهم صينى أو مكسيكى . بيض كلهم . ورأى تصاوير القديسين المسيحيين ، وكانوا بيضاً . ولم ير تصاوير لرجال سود يموتون فتصعد أرواحهم الى السماء لتلحق بالملائكة الشقر . وفى كتب القصص ، وجد الأخيار كلهم بيضاً ، وملكة جمال أمريكا بيضاء ، وملكة جمال العالم بيضاء ، وملكة جمال الكون بيضاء .. والرئيس الأمريكى يسكن فى البيت الأبيض .. وكعكة الملائكة بيضاء ، وكعكة الشيطان سوداء . والشىء الأوحد الذى يعرفه هو أن أفريقيا سوداء ، وأحراشها سوداء . فمن تظنونه وجده ملكاً عليها ؟ أووه .. آه .. انه طرزان .. ومعه تاجر جوخ والبسة .

جيمس بولدوين
كاتب

● سئل ذات مرة إن كانت لديه أية فكرة عن مكان أسلافه ، فاجاب « لا ولكنى أحمـــل اسماً انجليزياً .. والله وحده يعلم أين حصلت عليه »

●● وفى تعليقه على انكماش الأمريكى العادى وكبته نفسه عن ملامسة الآخرين ، قال : «إنه متجمد .. وحتى حين يهز يد شخص آخر فانما يفعل ذلك فى توتر وعصبية» .

●● وقال معلقاً على البيض فى جنوب افريقيا : «انهم أقلية فى جنوب افريقيا ، وهم هناك فى أقصى طرف من الكرة الأرضية وليس وراء ظهرهم سوى البحر . فاذا ، أو بالأحرى ، عندما تدور عليهم الدائرة لن يجدوا أحداً ينقذهم .

الدريدج كليفر
كاتب

● يقض مضجع العنصريين البيض أن الناس فى كل أنحاء العالم يحبون الأمريكى الأسود ويجدون استحالة فى إسباغ أى دفء عاطفى مماثل على الأمريكى الأبيض . وعندما يهتفون : «الى دياركم أيها اليانكى» فانما يعنون بذلك الرجل الأبيض لا الأسود الذى نال مؤخراً حريته من بعد عبودية .

فالأبيض العنصرى يعنى أنه هو «الأمريكى القبيح» ويريد للأمريكى الأسود أن يكون قبيحاً أيضاً فى نظر العالم : ان التعيس يأنس بالصحبة .

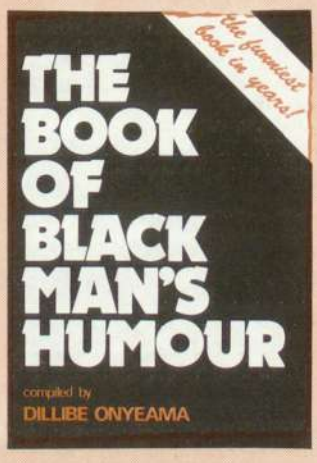
● لقد ظل كل بطل أسود فى الملاكمة الحلوبة يحركها البيض ، ويتحكمون فى حياته الخاصة وصورته العامة .. حتى جاء محمد علي . وبمجيئه أصبحت اليد المحركة للدمية ممسكة بقبضة من الخيوط . غير أن الدمية الراقصة لم تعد مشدودة اليها .

لويس اكس
واعظ مسلم أسود

● أغنية :
«كنا نلبس أردية حريرية وأحذية من ذهب ، وكنا أرقى الناس على الأرض قاطبة ، كما قيل لي



كيف يضحك الرجل الأسود؟





مارتن لوثر كنج



اينوك باول

ولكننا الآن أفقر الفقراء
وليس ثمة من يريدنا امام بابه
ولذا يا صحابى من السهل ان نعى-
ان جنة الرجل الابيض هى جحيم الاسود
وباستخدام نسائه البيض ومائه الحارق
واخاديعه واكاذيبه استطاع ان يسرق امريكا
والمالك الحقيقى لهذه الأمة
رهين المعسكرات الخاصة .
ولذا يا صحابى
من السهل ان نرى ان جنة الرجل الابيض
هى جحيمنا نحن السود .

كاونتى كالن
شاعر

● من قصيدة : «سيدة اعرفها» :
وحتى فى الجنة
تعتقد ان طبقتها تنام وتشخر الى وقت متاخر
بينما يصحو السود فى السابعة
لأداء الترانيم السماوية

سامي ديفيز
ممثل فكاهى

بعد أن صرت نجماً أتاح لي ذلك فرصة تلقى إهانات فى أماكن لا يمكن للأسود العادى ان يحلم ان يدخلها ليهان .

● إن العالم لا يكره المهزومين ، ولكنه ببساطة لا وقت له لهم .

● لقد اتفق ان كان مؤلفو كتب التاريخ من البيض وبصدفة اخرى عجيبة استطاعوا ان يتجاهلوا كل شىء انجزه اى أسود فى امريكا ولامريكا ، ما عدا سحب البوارج فى نهر المسيسيبى اللعين .

● الى مشاغب :
يسرنى سيدى أن أستضيفك فى كاليفورنيا ان وجدت نفسك ذات يوم بها : أرجو ان تزورنى وتستخدم حوض السباحة الخاص بى ، ويسرنى ان اعطيك بعض الدروس فى الغرق .

● وقد سئل مرة عما يعيقه ، فقال :
(اننى رجل ملون أعور ، فما حاجتى لمزيد من المعوقات ؟) .

وليم دوبوا
(١٨٦٨ ـ ١٩٦٣)
كاتب

● هنا ترقد ماساة العصور . وهى ليست ان الناس فقراء ـ فقد عرف كل الناس ضرباً او آخر من ضروب الفقر ، ولا هى ان الناس اشرار ، فمن هو الفاضل ؟ ولا هى ان بالناس جهلا ـ فما هى الحقيقة ؟ لا : إن المأساة هى أن الناس لا تعرف سوى النذر القليل عن الانسان .

راى دوريم
كاتب

● اسمعنى ، اسمع استجدائى ايها الطبيب : أريد رجلا صناعية سوداء .

● ان بعضاً من افضل أصدقائى هم من البيض. وعندما أقابلهم أعاملهم وكأنهم بشر .

نيكى جيوفانى
كاتبة

● ما هو الشىء الأوحد الذى نعرفه بشكل مطلق وحاسم عن اى رجل ابيض فى العالم ؟ انه يعبد المال . ومن فرط افتتانه به يراه فى كل شىء اخضر . وهذا ما يفسر وجود تلك اللافتات اللعينة : ابتعد عن العشب ! لا تطا العشب ! وهو لم يضعها لانه يهتم ويعنى بالعشب وإنما لأن العشب اخضر .

● ما هى أفضل السبل لابعاد الرجل الابيض .. وبسرعة ؟ اطلب منه مالا .

● انه ظريف لأقصى حد يستطيعه عندما يعتقد انه سيحصل على مالك ، ولكن حين تطلب منه مالا ، فكأنك تطلب من الهيبي ان يتخلى لك عن الشىء الذى يخدره ، او من الزنجى أن يسلمك خنجره .

● ادخل اى مصرف تريد وتشاء وأودع به خمسة دولارات ، ثم عد اليه بعد أسبوع لسحبها . وانت تودع الدولارات الخمسة يهش لك الجميع ، ويكلف المدير خاطره ليخرج لمصافحتك والترحيب بك عضواً فى العائلة . انا لا اتحدث عن اكثر من خمسة دولارات . وعندما تذهب لاستردادها ، يبادرك الصراف قائلا : (أتدرك انك بذا ستغلق حسابك ، وكأنك تجهل انك إن اودعت خمسة دولارات وسحبت خمسة فان حسابك لا محالة سيقفل . تبسم له وتقول : طبعاً يتجهم وجهه ويقول : (سيكلفك هذا دولاراً) . فتقول: (حسناً . اعطنى الأربعة الباقية) . فيقول : (امهلنا دقيقة) . هنا تنظره شذراً وتقول : (أرجو ذلك حقاً !) عندئذ يخبط مالك ويصيح : (بعده) أو ربما حول المعاملات الى الصراف الآخر ، ليدير لك ظهره .

ديك جريجورى
كوميدى

● أتدرى أننى تجاوزت الثانية والعشرين من عمرى قبل أن أعرف أن ابراهام لنكولن هو الذى حرر العبيد ؟ كنت دائماً أعتقد أن جفرسون ديفيس هو الذى أخرجنا من الأسر تحت المراقبة ؟

● يبدو أننا بدأنا نحرز نصيباً من النجاح لقضيتنا : لقد طرحت شركة الهاتف أجهزة ملونة.

● أريد أن أقدم لكم مفاجأة : انكم ترون صور الكلوكلوس كلان وهم يلبسون أغطية راس مدببة . ان الأغطية نفسها مسطحة ، لكن الرؤوس هى المدببة

● يوفر لى الصيف متعة نادرة : فحين يصفعنى أحدهم مربتاً على ظهرى ، أصيح : (انتبه ، فان ظهرى يؤلمنى بسبب صفعة الشمس) وما أكثر الذين يعتذرون لي .

● لقد نجح قومي فى كرة القدم الأمريكية ، وتفوقوا وبرزوا . وهى توفر لنا الفرصة الوحيدة لرفع هراوة فى وجه الرجل الأبيض دون أن يكون ذلك فاتحة للشغب العنصرى .

● قال فى أحد نوادى «بلاى بوى» وقد اكتظ بأهل الجنوب :

(طاب مسؤكم . يسرنى أن أرى نخبة ممتازة من أهل الجنوب تؤم نادينا الليلة ، ومن محاسن الصدف اننى اعرف الكثير عن الجنوب ، فقد قضيت عشرين عاماً به ذات ليلة .

● تلك الأغنية المخربة : ان كل محلات بيع الاسطوانات تعزفها (اننى أحلم بعيد ميلاد أبيض) . ومن المحزن ان ابنتي الصغيرة لا تؤمن بسانتا كلاوس وحتى فى سن الثانية تعلم جيداً انه ما من رجل أبيض يأتى الى حينا بعد منتصف الليل . فلنكن أمناء : كم منكم رأى سانتا كلاوس أسود ؟ انه أبيض حتى أن يخرج من المدخنة .

وكان ينبغى أن يسود من أثر الهباب .

● عن أمريكا :

أليست هى أروع بلاد الأرض ؟ أين كنت ساضطر الى الركوب فى مؤخرة الباص ؟ وأخير فى دخول أسوأ المدارس ، وأتناول وجباتى فى أردأ المطاعم ، وأسكن فى أسوأ الأحياء ، وذلك اتقاضى ٥٠٠ دولار فى الأسبوع لأحكى لكم كل هذا .

● وفقاً لعقد عملى فاننى أحصل على خمسين دولاراً من الادارة فى كل مرة يعيرنى أحد الناس بسوادى . أرجوكم أن تكرروا ذلك ليقف جميع الحاضرين ويقذفونى بكلمة «أسود» .. لأتقاعد غداً عن العمل !

● إن مارتن لوثر كينج هو الشخصية المشهورة الوحيدة التى أعطت بصمات أكثر مما أعطت أوتجرافات .

لانجستون هيوز
(١٩٠٢ ـ ١٩٦٧)
شاعر

● ما أقوى الدم الأسود . إن مجرد نقطة واحدة منه تجعل المرء ملوناً . نقطة واحدة وتصبح زنجياً . يا لقوة اللون الأسود !

● أقسم بالله العظيم أننى لا أفهم لماذا تشمل الديمقراطية كل شخص إلا أنا .

● إن من أشق ما يتكبده المرء لكونه من أقلية عرقية هو أن كثيرين من طيبي القلوب وحسني النية يتجمعون حولك لمساعدتك . وعادة ما لا يستطيعون تقديم أى عون غير رفقتهم التى غالباً ما تكون مملة بشكل مميت .



«والآن وبعد أن كسروا حاجز الأربع دقائق فى سباق الميل ، وحاجز السبعة عشر قدماً فى القفز بالعمود .. سيكسرون حاجز اللون » !

جورج جاكسون
(١٩٤٢ ـ ١٩٧١)

من خطاب الى صديق :

● (فى السبعينات من القرن الثامن عشر شاء الأوروبيون الموجودون فى أمريكا الاستقلال عن الأوروبيين فى انجلترا . فأسموا ذلك حرب التحرير . والآن نحاول نحن السود فى الولايات المتحدة أن نخلص من هؤلاء الأوروبيين ..وقد أسموا ذلك تخريباً وعدم مسئولية .

● من خطاب الى محرر :

(فى الصباح الذى كان مقرراً أن يطلق سراح هذا الأسود ذهبت اليه فى زنزانته ومعى بعض الملايات ، وطلبت منه أن يساعدنى على الهرب . فصرفنى بواحدة من تلك النظرات وبهزة من يده . فأخذت أمزق الملاءات ، وعندما فرغت من ذلك سألنى عما سأفعله بها فأجبته : (أمزقها لأصنع منها حبلا) وسألنى مرة أخرى : وماذا تنوى أن تفعل بالحبل ؟) فقلت : (أقيدك به) وفعلت .

وعندما نادوا عليه ليطلقوا سراحه ذهبت بدلا عنه . لقد تعلمت حقيقة مهمة للغاية بالنسبة لنضالنا هنا فى الولايات المتحدة :

إن السود كلهم فى نظر نوع معين من البيض سواء .

مارتن لوثر كينج
(١٩٢٩ ـ ١٩٦٨)

● أريد أن أكون أخاً للرجل الأبيض .. لا أخاً لزوجته .

● إن الظلم فى أى مكان هو تهديد للعدالة فى كل مكان .

● إننى أرفض الفكرة الجهنمية التى تقول باننا أمة بعد أمة يجب أن نتهاوى أسفل السلم الحلزونى العسكرى الذى يفضى الى جحيم الدمار النووى .

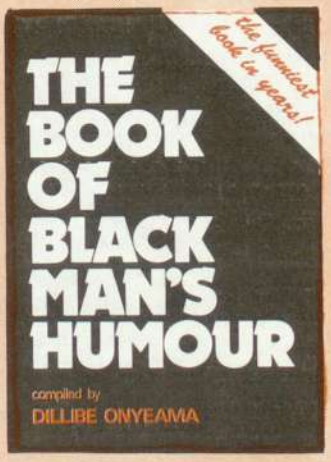
جوليوس ليستر
مؤلف

● قال منتقداً الرئيس الأمريكى جونسون على دوره وموقفه تجاه أحداث الشغب الزنجى عام ١٩٦٧ :

(لقد كان رد فعل الرئيس جونسون مطابقاً



كيف يضحك الرجل الأسود؟





ابراهام لنكولن



عيدى أمين

لكونه رجلا أبيض ، فقد كون لجنة لتقصى الانتفاضات ، وانفق فى ذلك مالا كثيراً للوقوف على حقيقة كلن يمكنه أن يعرفها بسؤال أى أسود نائم فوق كنبة أمام البيت الأبيض » .

● عن حوادث الشغب فى صيف ١٩٦٧ :

(لئن نجح شىء فى إيقاظ الرجل الأبيض فهو صيف ١٩٦٧ . استيقظ الرجل الأبيض .. يقظة لم يستفد منها . فقد كرر صراخه عن النهب والعنف مما جعل السود يدركون انه يهتم بممتلكاته اكثر من اهتمامه بهم » .

مالكوم اكس
(١٩٢٥ ـ ١٩٦٥)

● لقد ظل الأسود فى هذه البلاد يجلس فوق مقعد ساخن قرابة ٤٠٠ عام . ومهما حاول غاسلو الادمغة ومغسولو الادمغة أن يعينوه على النهوض والتقدم ، فان ذلك سيظل أبداً غاية فى البطء بالنسبة لرجل ظلت مؤخرته تحترق بذلك الموقد .

● ذات مرة وانا اقوم بعملى ، انتصب أمامى جندى أبيض غليظ الوجه ، أحمره لا يكاد يقوى على الوقوف من فرط سكره . كان يترنح ويصرخ : «سالاكمك أيها العبد الأسود» وضحكت وأجبته : «بالطبع الاكمك . ولكنك مثقل بالملابس » . كان يرتدى معطفاً عسكرياً ثقيلا ، فخلعه . واصلت ضحكى وكررت ما قلت . وهكذا استمر المعتوه فى خلع ملابسه حتى لم يبق منها إلا ما يستر عورته فاتى جند آخرون اخذوه بعيداً عن الطريق وضحك المتفرجون .

آدم كليتون باول
عضو مجلس الشيوخ
وقس

● حذار من اغريقى (يونانى) يحمل هدايا ، وملون يبحث عن سلفة ، ومن البيض الذين يفهمون الزنوج .

جون تشيكاى
موسيقي جاز

● سمعت زنوجاً يتحدثون عن موسيقى سوداء . ليس للموسيقى أى لون ، ولا يمكن لأحد أن يراها. فكيف يمكننا أن نطلق عليها أى لون ؟

بوكر واشنطون
(١٨٥٦ ـ ١٩١٥)
مؤلف

● إن مجرد الصلة بمن عرفوا بانهم الجنس الأكثر تفوقاً لا يمكن أن يقدم الفرد الى الأبد ألم يكن له قيمة فى حد ذاته .

● عن العبودية :

لا يمكن لأى جنس أن يتقدم ويرقى اذا لم يتعلم أن فلاحة الأرض لها نفس كرامة كتابة القصيد .

ملاحظات من بعض البيض

ابراهام لنكولن
(١٨٠٩ ـ ١٨٦٥)

● (رئيس الولايات المتحدة إبان الحرب الاهلية)

● كلما سمعت شخصاً يجادل فى مسالة الرق طغى بى شعور عارم لأن أراه هو بنفسه مسترقاً كيما يجرب الأمر بنفسه .

ماكنيل ديكسون
(١٨٦٤ ـ ١٩٤٦)
روائى ومسرحى امريكى

(روائى ومسرحى أمريكى)

● كان انجح تجار الرقيق المتمركزين فى ليفربول هو السير جون هوكنز . وقد اختطف ٧٥ الف افريقى من أوطانهم بغرب افريقيا . وكان اسم سفينته التى نقل بها الرقيق هو «المسيح» !

هنرى لويس منكين
(١٨٨٠ ـ ١٩٥٦)

(كاتب امريكي) .

● « انني ضد الرق لاننى ، ببساطة ، لا احب الرقيق .

برنارد شو
(١٨٥٦ ـ ١٩٥٠)

(مسرحى ايرلندى)

● « لا تنسوا أن أسودين لا يكونان ابيضاً .

● زار امريكى أسود مدينة لندن ، فدهش كثيراً حينما ساله احد الانجليز إن كان محافظاً . فاجابه : « كيف للسود فى امريكا ان يكونوا محافظين ؟ وماذا لديهم ليحافظوا عليه على اية حال ؟ » .

السود فى بريطانيا يضحكون

سامى توماس
هزلي انجليزى

● كنت أعمل في مناجم الفحم ، فطردوني من العمل لأنهم فشلوا فى البحث عني داخل المنجم .

● توفى زنجى ، ولقيه القديس بيتر قائلا : « اننا لا نسمح فى العادة بدخول الملونين الا إذا قاموا بعمل خارق فى حياتهم » فاجابه الأسود : « اننى أشجع من مشى على الأرض : فقد تزوجت امراة بيضاء فى كنيسة للبيض فى الاباما بجنوب الولايات المتحدة ، حيث كان بين المصلين خمسون من اعضاء جمعية الكلوكلوكس كلان ، فانفجر بيتر قائلا : « عظيم ! مذهل ! ومتى كان ذلك ؟ » فاجابه الأسود : « قبل دقيقتين » .

جوس وايت

كوميدى من ليفربول

● المستر اينوك باول (السياسى اليمينى المحافظ الذى يريد طرد السود من بريطانيا) لا يرغب فى دخول الجنة عندما يموت .. خوفاً من أن يضطر إلى ترتيل اغانى الزنوج الروحية .

● انني أحب ان أسعد الملونين : فانتم معشر البيض لكم شعر اشقر وعيون زرقاء وخدود وردية ، ومع ذلك تقولون عنا ملونين .

● شوهد اينوك باول وهو ينوح فى قمة صخرة . فساله بعضهم : « لم تبكى ؟ » فاجاب « رايت حافلة محملة بباكستانيين تهوى أسفل الهضبة » فقال الآخر : « ولذلك تبكى ؟ فقال السيد باول : « لأن مقعدين بها كانا شاغرين » .

شارلى وليامز

ممثل هزلى

● سعى اينوك باول « البريطانى المحافظ الذى ينادى بطرد السود من بريطانيا » إلى مقابلة رئيس الحكومة البريطانية . وفى المقابلة قال : « لي طلب واحد .. وهو أن تحضر ٣٠٠ باكستانى لتسوية قبرى بارجلهم عندما أموت « فاستغرب رئيس الوزراء ذلك وساله : « انت واثق مما تقول ؟ » فقال السيد باول : « جد واثق . وفى الواقع أريد ٤٠٠ باكستانى إن تمكنت من جمع ذلك العدد » وقال آخر : « لك ما تريد . ولكن اين تريد ان تدفن ؟ » فقال باول : « فى قاع البحر » .

● ذهب باكستانى قليل الحجم يبحث عن عمل فى شركة للبناء . ولكن احد رفاقه اخبره انهم لايستخدمون سوى الايرلنديين . وعندما ساله رئيس العمال عن اسمه اجاب « باتريك فينيغان يا سيدى » . فطلب منه ان يباشر عمله يوم الأثنين . شكره الباكستانى ومضى مزهوا بما انجز، لحظتها صاح به



هو يكره إلا أن يرى السود من عل.

رئيس العمال : « ولكن قبل ان تبدأ العمل معنا ، اغسل ذلك الوجه » .

● مثل باكستاني امام المستر اينوك باول (اليمينى المحافظ الذى يريد طرد الملونين من بريطانيا). وكان ذلك فى إحدى المحاكم . فقال اينوك : « انت متهم بركوب دراجة بلا انوار . وقد وجدتك مذنباً ، وعليك دفع غرامة قدرها ٧٠ جنيهاً » . فقال الباكستانى : « سبعون جنيها لركوب دراجة بلا انوار ؟ » فزجره اينوك باول قائلا : « بلى . ولو كان الوقت ليلا لحكمت عليك بغرامة قدرها ٢٠٠ جنيه » .

● قام فريق للمسح التليفزيونى بزيارات منزلية لمعرفة احب القنوات والبرامج البريطانية لدى المشاهدين . وعندما وصلوا بيت احد الآسيويين ، شرحوا له مرادهم ، ورجوه أن يتفضل بمساعدتهم بالمعلومات المطلوبة . وبعد تامل قال : « حوالى عشرة اشخاص فى هذه الحجرة يشاهدون القناة الأولى ، وعشرون فى تلك يشاهدون التليفزيون التجارى ولكننى لا أدرى ما شاهده ساكنو الطابق الأعلى من البيت » .

● صعق دبلوماسى صينى وارتعب عندما بلغ منزل صديقه الانجليزى تلبية لدعوة للغداء وذلك عندما كشر كلب ضخم عن انيابه واخذ ينبحه . وتراجع مسرعاً عن البيت . فخرج إليه صديقه الانجليزى واعتذر عن تصرف كلبه ، وقال يمازحه : عندنا مثل انجليزي قديم يقول : كلب يكثر النباح لا يعض « فاغضب ذلك الصيني ، فانفجر قائلا : « انا اعرف ذلك المثل ، وانت تعرفه ، ولكن هل يعرف الكلب مثلكم ؟ » .

● شب حريق فى احد الفنادق . فلاذ شاب أسود بالشرفة ، تنوشه السنة اللهيب وظلت فرقة الانقاذ تستجديه ان يقفز ، وهو على رفضه ثابت ، قائلا : « لا اثق بكم ايها البيض . انكم ستسحبون الشبكة وقتما اقفز » . وبعد ان طمانوه ان ذلك لن يحدث اجاب : « لن تخدعوني . ضعوا الشبكة ارضا اولا .. وبعدها ساقفز » .

● قال ابيض لأسود من القوة السوداء : « لم لا نصبح أصدقاء ؟ إننى متعاطف مع قضيتكم » فقاده الأسود الى النافذة وطلب منه ان يخبره بما يرى . فقال الأبيض « أرى جمعاً من الناس » « ثم قاده الأسود الى مرآة وطلب منه ان يخبره ماذا يرى . فقال الأبيض : « أرى نفسى » . فقال الأسود : « وذلك ما يجعل صداقتنا فى حكم المستحيل » .

والأفارقة أيضاً يضحكون

عيدى أمين

قال معلقاً على الحرب فى الشرق الأوسط :

● ان انتصار العرب فى الحرب ضد اسرائيل امر حتمي . ولم يبق امام رئيسة وزراء اسرائيل سوى ان تربط سراويلها وتفر باتجاه نيويورك وواشنطون .

● عندما أعلن أن الآسيويين اليوغنديين المطرودين من يوغندا قد خربوا اقتصاد بلاده :

لقد ظل الآسيويون على الدوام يريدون تحصيل اكبر قدر ممكن من الارباح بادنى استثمار ممكن . لقد حلبوا البقرة ، ولكنهم لم يطعموها لتدر المزيد من اللبن (الحليب) .

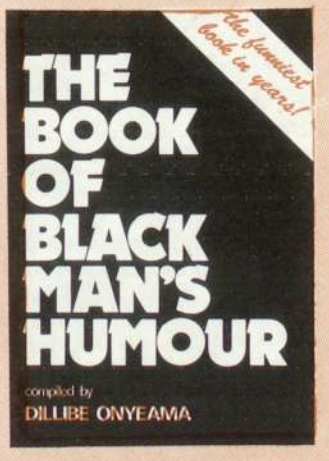
● عن عدوه الرئيس التنزانى نيريرى الذى رفض ان يعترف به ، وانتقد سياسته الخاصة بالآسيويين :

اود ان أؤكد لك انني احبك كثيراً ، ولو كنت امراة لفكرت فى الاقتران بك ، بالرغم من امتلاء راسك بالشيب .

● وعن السياسيين قال :



كيف يضحك الرجل الأسود؟





ابيل موزريوا



كوامى نكروما

يجدر بك الا تكون مثل بعض السياسيين الاغبياء الذين يحدثون اضراراً مادية جسيمة وخسائر فى ارواح الناس ، ولكن عندما يحين وقت معالجة المشكلة لمعرفة حقيقة الأمور يدعون المرض ويغطون انفسهم بعشرين بطانية .

● وعن تقديم تعويضات لبريطانيا :

لن ابحث الامر مع اى ضابط بريطاني صغير الرتبة لأنني الرجل الاول فى يوغندا فان ارادت بريطانيا ان تمنح اية تعويضات لشركاتها التى امنت على اثر الحرب الاقتصادية ، فان على رئيس وزراء بريطانيا او ملكة بريطانيا الحضور شخصياً الى يوغندا ، لأن الحرب الاقتصادية قد اعلنت فى يوغندا لا فى بريطانيا .

● وعن صندوق انقاذ بريطانيا :

« ان الهدف من هذا الصندوق هو انقاذ ومعونة سادتنا الاستعماريين السابقين من الكارثة الاقتصادية » .

سالامى كوكر
ممثل سيراليونى

ما اطيب السواد . انك تستطيع الاعتماد على البشرة السوداء . انظرني : يهطل الجليد واظل اسود البشرة ، .شرف الشمس فلا يتغير لوني ، وعندما احس بالذنب لشىء جنته يداى ، يثبت لونى ، واموت أسود . ولكن انظر البيض ـ لونهم يصبح ورديا بفعل الثلج ، وتحرقه الشمس فينقلب بنياً ، وعندما يشعر احدهم بالذنب يحمر وجهه ، ويتحول لونهم الى الأزرق عندما يموتون .

أوبى ايقبونا
كاتب من نيجيريا

● إسمى المسجل فى جواز السفر هو اوبى ايقبونا ، ولكن ذلك مجرد تزوير : لأن اسمى الحقيقى فى جنوب افريقيا هو « بانتو » ، وفى استراليا « ابورجينى » وفى امريكا « زنجى » وفى نيكسونفيل « وسخ » وفى بريطانيا « بيكانيني الضاحك » .

● يقال لكل طفل يولد فى افريقيا انه لا يقوى على التفكير حتى يدخل المدرسة الابتدائية ، فيتخرج منها بشهادة ليقال له مرة اخرى انه لا يحسن التفكير حتى يدخل الثانوية . وبعدها يخبر بانه لن يفكر حتى يكمل الجامعة ويحصل على شهادة اوروبية . ولكن ما ان يستلم شهادته الجامعية ويعود الى افريقيا حتى يجد نفسه مشغولا بجمع المال ، فلا يجد وقتاً للتفكير . والنتيجة هى انه يضيع حياته دون ان يفكر مرة واحدة فقد تعود ان يفكر له الآخرون حتى جهل كيف يستخدم فكره ، واصبح عقله بمرور الزمان منكمشاً بفضل عدم الاستخدام . فان قابله افريقى آخر يقوم باى عملية تفكير فانه يتهمه بالجنون !

● أهيب بقومى ان يكبروا ويقلعوا عن تقليد اوروبا كالقردة . ان ارتداء القبعة البريطانية الرسمية السوداء فى احراش افريقيا وحرارة طقسها لا يعكس خيراً فى عقليتنا أو اقتصادنا .

سامي أوقن
من خطباء هايدبارك

● انتم معشر الانجليز دهاة . نبيعكم كاكاو بلادنا فتحضرونه الى انجلترا ، وتضعونه فى علبة وتكتبون عليه : صنع فى انجلترا .

● عندما تنافس السود والبيض فى اراضى المكسيك العالية الارتفاع فى اوليباد مكسيكو ، كان السود حين يبلغون خط النهاية يبتسمون ويرفعون أيديهم .. فتقدم لهم الميداليات الذهبية . أما البيض فكانوا يتهاوون ويغمى عليهم . وماذا قدم لهم ؟ الأوكسجين ! .

● لمشاغب ايرلندى ساله عن المكان الذى جاء منه ، قال : « من الاشجار . وقد هبطت هذا الصباح » .

* * *

● فاز افريقى من الادغال بجائزة هى عبارة عن رحلة مجانية الى انجلترا ، بصحبة زوجته . وفى احد الفنادق الفاخرة بلندن استيقظ الرجل عند منتصف الليل عطشاً فطلب الى زوجته ان تسقيه . وبعد ساعة اخرى اشتد به الظمأ فايقظه . واحضرت له زوجه المطيعة ماء . وفى المرة الثالثة تاخرت الزوجة فى احضار الماء . وكانت مضطربة قلقة فارغة اليدين حين اتت . فسالها زوجها «ماذا جرى ؟ اين الماء ؟» فاجابته : «وجدت رجلا ابيض جالساً فوق البئر» .

* * *

● فتح افريقى من اكلة لحوم البشر مطعماً فى قلب الادغال ، ووضع قائمة الاسعار التالية :

اسكوتلندي مشوى ٥٠ بنساً .
انجليزى مشوى ٥٠ بنساً .
ايرلندى مشوى ٥٠ بنساً .
هيبي مشوى واحد جنيه (١٠٠ بنس) .

فساله زبون قرا القائمة : « ولماذا رفعت

سعر الهيبي هكذا ؟ » فاجابه صاحب المطعم هل حاولت ان تنظف واحداً منهم من قبل ؟ » إن جهد التنظيف يرفع السعر .

● قال شاب افريقى لصديقه الابيض : « ساذهب لمشاهدة برنامجى المفضل — القرود » . فقال صديقه : « وما الداعى لمشاهدة التليفزيون ؟ لم لا تشاهده فى المرآة ؟ » .

* * *

حاول انجليزى مغتر بنفسه ان يترك انطباعاً باهمية اسلافه فى خلد نظيره الافريقى ، فقال : « كان ابن عم ابى دوقا » فقال الافريقى فى هدوء : « كان ابى ملكاً فى قبيلته » . فاغتاظ الانجليزى وصمم على اقناع الافريقى بتفوقه عليه فقال : « كان جدى تاجراً للرقيق ، وقد باع آلاف الافارقة لجزر الهند الغربية » . فقال الافريقى بطريقة عابرة : « يا للصدف . لقد باع جدى الاكبر آلاف الارقاء الى الانجليز » .

* * *

● فى احدى القرى الافريقية جلس افريقى يحادث قريباً له تلقى تعليماً انجليزياً . وكان هذا يحدثه عن التحيز العنصرى لدى البيض ضد الملونين . فقال الآخر غير مصدق : « ولكن كيف يزعمون انهم يكرهون اللون الاسود وقد رأيتهم بام عينى يستلقون على طول شواطئنا يحاولون اكتساب أشد سمرة ممكنة لجلودهم ؟ » .

* * *

● سال ايرلندى احد الافارقة من اكلة لحوم البشر : « لماذا تستبعد الايرلنديين من قائمتك » فرد الافريقى : « لانه حين حاولنا اخر مرة ان نطبخه فى القدر ، إلتهم كل البطاطا » .

* * *

● سال امريكى اسود زميلا له : « ماذا تفعل ان استلمت خطاباً من الكوكلوسلان يطلب منك فيه مغادرة المدينة ؟ » فقال الآخر : « ساقراه فى القطار » .

● طلب احد السود من الجرسون ان يحضر له فنجاناً من القهوة . فساله الجرسون : « سوداء ام بيضاء يا سيدى ؟ » فقال الأسود : « أادخلتم تحيزكم العرقي فى القهوة ايضاً ؟ » .

* * *

● سال المدرس طفلا ابيض عن مكان وموقع افريقيا . فقال الطفل : « لا ادرى ، ولكنها لا يمكن ان تكون بعيدة من هنا ، لان سامبو يذهب لتناول وجباته فى بيتهم » .

الزعيم القبلى لوبنقولا

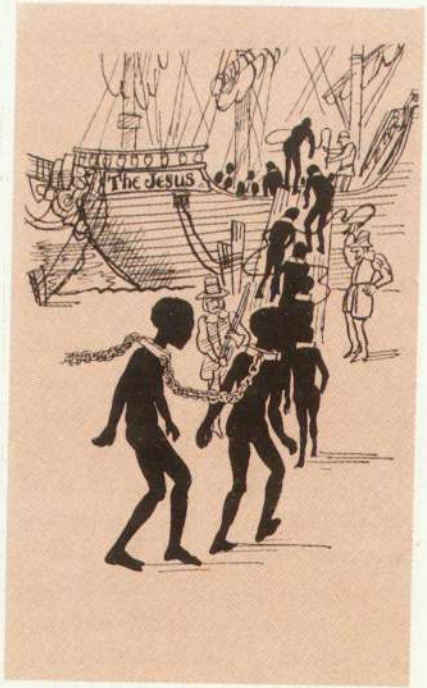
كان « لوبنقولا » حاكماً قبلياً فى الكونغو إبان الاستعمار ، والاوربيون وقتها يتدافعون لاقتسام افريقيا ويحاصرون قبائلها .. ويجردونهم من سلطاتهم . وقد اسر الزعيم لوبنقولا بشعوره لاحد المبشرين اللندنيين قائلا :

● « هل ابدا رايت حرباء تصطاد ذبابة ؟ ان الحرباء تظل ساكنة وراء الذبابة ، ثم تتقدم فى بطء ونعومة ، واضعة قدماً .. ثم اخرى . وعندما تدنو بما يكفى لاصطياد الذبابة ، تقذف لسانها ، فتختفى الذبابة . والحرباء هى انجلترا . وانا تلك الذبابة .

اونيا نجو كيرا

مواطن كيني

قال معلقاً على قدرات العراف الافريقى المعروف لدى البيض بالطبيب الدجال : (حتى اكاذيب العراف الافريقى نفسها تدخل الراحة والسكينة فى نفوس المرضى) .



كان انجح تجار الرقيق فى ليفربول هو السير جون هاكنز ، وقد إختطف ٧٥ الف افريقي من اوطانهم بغرب افريقيا . وكان اسم سفينته التى نقلهم بها هو « المسيح » .

فيكتور كويسى

طالب غاني

● الله هو واهب العافية ، لكننا نحمد الطبيب الدجال .

كريدو موتوا

عراف من قبيلة الزولو

● يزعمون أن ديانة البانتو وثنية . ولكن من هو الاقرب الى الله ؟ انسان يعيش فى مدينة كبرى ولا شاغل له سوى جمع المزيد من المال ؟ ام ذلك الذى يحيا قريباً من الأرض التى خلق الله ، وان كان فقيراً وجاهلا ؟

● منذ اكثر من اربعين عاماً وانا احتفظ بكتاب عن افريقيا بعنوان : « بلادنا » الفه كاتب إنجليزى يدعى هيو براين ، ومن الفقرات المميزة فيه هذا المقطع :

« سميت افريقيا قارة لاننا لا نعرف سوى النذر اليسير عنها . وتوجد فى روديسيا ابنية ضخمة متهدمة لا يمكن ان تكون من صنع الناس السود ، ولكن ما من احد يعرف الناس البيض الذين بنوها » .

وهذا المؤلف لم ير افريقيا فى حياته .. ومع ذلك يسمى كتابه « بلادنا » .

الأب أبيل موزوريوا

رئيس المجلس الوطنى الافريقي

● قال رداً على هجوم وزير العدل والامن الروديسي الابيض الموجه إلى رجال الدين الذين يمارسون السياسة :

« ان المسيح نفسه لو جاء الى روديسيا ليعلم الناس كيف يكون الحب مخلصاً لله ولجيرتهم لوصمه السياسيون بانه يتدخل فى المسائل السياسية » .

كوامى نكروما

(١٩٠٤ ـ ١٩٧٢)

(الرئيس الغاني الراحل)

● كان رده كلما تلقى دعوة لحضور حفل كوكتيل فى غانا إبان رئاسته :

« لا غرابة فى عدم استطاعتنا توحيد افريقيا . انكم جميعاً تعتبرون الاستقلال مجرد حفل كوكتيل واحد مستمر » .

قصة بقلم : عباس خضر

المضروب

اسمى محمود . كنت موظفاً في مصلحة السكك الحديدية وأحلت على التقاعد لبلوغ السن القانونية (٦٠ سنة) وأسكن فى هذا الحى من القاهرة مع زوجتى وابنتى الطالبة بالجامعة .

لست سعيداً ، انا مسكين .. نحيف قصير القامة ، اتوكا على عصا اتمنى ان اضرب زوجتى .. ولكنى لا استطيع .. اخشى باسها ، قوية البنيان ، سليطة اللسان ، بل هى التى تضربنى ! وقد تعلمت منها البنت ،هل سمعت ان ابنة تضرب اباها.الزوجة نعم تفعل ، وكثير من الزوجات يضربن ازواجهن ، ولكن البنت التى تكون عادة حنونة رقيقة ومؤدبة ، وخاصة اذا كانت مثل ابنتى طالبة فى الجامعة – لكن هذه البنت تضربنى مثل امها ، وإن كانت الأم شرسة تضربنى بالنعل – ولا مؤاخذة – والابنة تكرمنى فلا تضربنى به ، بل تمد يدها على .. واعفنى من التفصيل ، فهو شىء مخجل وفظيع ، وان كنت قد تعودته .. إنها تستعمل معى اخف حركات (الكاراتيه) تلك اللعبة التى تعلمتها ، وشجعتها عليها فى اول الأمر ، فجاءت على دماغى ..

ولابد انك تسال : لماذا تضربانني ؟ انهما تتهمانني بالبخل ، وما انا إلا حريص على النقود ، لا احب ان تضيع فيما لا فائدة فيه او ما يمكن الاستغناء عنه ، أليس التدبير نصف المعيشة ؟

– ولكن ليس معنى التدبير البخل ، إن معناه حسن التصرف .

هكذا يقول لي صديقى مصطفى الذى يجالسنى فى القهوة ، فاقول له :

– أليس حفظ المال والابقاء عليه من حسن التصرف ؟

إن طلبات ابنتى شىء فوق العقل ، فهذا مطلوب لكتب المراجعة ، وهذا لرحلة وهذا للشاى والمشروبات الأخرى فى مقصف الكلية ، غير الفساتين وما إليها .. أليست الكتب موجودة فى مكتبة الجامعة ؟ والرحلة ما لزومها ؟ ومقصف الكلية ومشروباته لماذا ؟ انت ابنتى ، لماذا لم تاخذى عنى ؟ فانا اقعد فى القهوة ، افطر واشرب الشاى بطلب واحد .. اشترى رغيفاً بخمسة مليمات واطلب (واحد شاى) واكل هذا بهذا .. والصحف اقرؤها مجاناً .. فالأستاذ مصطفى يشترى كل يوم واحدة ، وبعد ان يقراها يضعها على المنضدة ، فاقول له وانا اتناولها : عن إذنك .. لم تكن لي طاقة على شرائها وهى بقرش فما بالك وقد اصبحت بثلاثة قروش ؟ ولا ارى سبباً يبرر رفع سعرها فهى كبيرة الحجم تبلغ نحو ست عشرة صفحة وربما اكثر يشغلها كلام كثير لا يقرا ، فلو انهم خفضوا عدد الورق لكان ذلك احسن ، ففيه اقتصاد جزء من ثمن الورق واستغناء عن بعض المحررين ، الذين يحررون ، تلك الصفحات ويبحثون لهم عن عمل آخر .. وبذلك تنخفض تكاليفها فينخفض سعرها .

أليس ذلك ، أى عدم شراء الصحيفة وقراءتها بالمجان ، من حسن التصرف ؟ اذا سمى هذا بخلا فياحبذا البخل !

البنت تعلمت لعبة « الكراتيه » فى الجامعة ، وهى تجرب فى ما تتعلمه لكى تحصل منى على ما تطلب من نقود .. مثل امها التى تجيد لعبة قديمة هى لعبة « الشبشب ! » وكل ذلك يقع فوق راسى .. وينتزع النقود من جيبى !

عندما احكى ذلك لجليسى فى القهوة الأستاذ مصطفى الذى صار صديقى ، يستغرب ويقول :

– إبنتك تضربك .. وطالبة فى الجامعة !

ثم يقول بعد التعجب :

– الم تكن تضربها وهى صغيرة ؟

– انا يا استاذ لم اضربها قط ، وكيف افعل فافقدها شخصيتها !

وقال وهو يخفض صوته كانه يحدث نفسه :

– اثرت إذن ان تفقدك هى شخصيتك !

نظرت اليه وسكت .. كان فى نظرى وسكوتى معنى العتاب ، كيف يقول هذا ؟

• • •

اليوم خرجت من المنزل ، فشعرت بالارتياح ، وانتعشت نفسى وانا اشم هواء الشارع ، كسجين افرج عنه .. كانى كنت سجيناً فى الشقة ، لا اسمع فيها إلا صوت زوجتى كفحيح الأفعى .. على عكس ما كان فى زمن مضى ، كم رققت صوتها وهى تخاطبنى ، ثم هى الآن تغلظه وهى تخاشننى ، لا تجد عندى ما كانت تحبه وهى ترقق لى صوتها ..

جعلت أدب فى الشارع مستعيناً بعصاى التى اتوكا عليها ، حتى بلغت القهوة ، ليس أمامى فى الحى ما اقضى فيه الوقت غير هذه القهوة برغم « قلة ذوق » العاملين فيها ، رحم الله أياما كان النادل فيها « خواجة » ينتزع « البقشيش » من الواحد بحسن ذوقه وخدمته وجميل كلامه وإن كان مكسراً .. ولكن هؤلاء لهم ميزة ، هى انهم لا يستحقون « بقشيشاً » فلا ادفع



لهم إلا أربعة قروش المقررة على كوب الشاى ، وكان من قبل بثلاثة قروش فرفعه صاحب القهوة الاستغلالى الى أربعة قروش ، وهو لا يتكلف أكثر من قرش ، فالحكومة تصرف لهم « حصة » من شاى التموين بثمن زهيد ، منهم لله !

ها هو ذا صاحبى محمود جالس على الرصيف أمام القهوة ، إنه مثلى دائما هنا وإن كنا نشكو من القهوة والعاملين فيها ومن يجلسون بها ، وهم أخلاط من الناس ، فيهم عمال وباعة و « سماسرة » بيوت وغير بيوت .. وهؤلاء ينفقون عن سعة مما لا يتاتى للموظفين وأمثالهم من محـــدودى الدخل ..

• • •

سأله الصديق مصطفى عن الحال فقال انه « زفت ! » .

ـ لماذا يا سيد محمود ؟

ـ الواحد لا يعرف من أين تاتيـــه المصائب ومن أين ؟ زوجتى وابنتى او من موظفى المعاشات ؟

وحكى له قضيته فى « المعاشات » التى حكاها له قبل ذلك عشرات المرات .. وهى تتلخص فى أنه يستحق فرقا بين ما يصرف له وبين ما يستحق ، وقد رفع هـــذه القضية الى المحكمة يطالب بهذا الفرق ، فحكمت المحكمة فى صـــالحه ، ولكن الموظفين يتلكاون فى تنفيذ الحكم . ويعلل هذا التلكؤ بانهم يريدون « شيئا » وهو لن يعطيهم شيئا ، أليس ذلك حقه ؟ فلابد أن يؤدوه برغم أنوفهم .

ـ قلت لهم : يا عالم .. انا كنت موظفا مثلكم ، وأنتم ستكبرون وتتقاعدون مثلى .. اتقوا الله .

قال ذلك ، ثم ازدرد آخر لقمة من الرغيف مع إخر جرعة من الشاى ومســـح فمـــه بمنديله ، وطوى المنديل بعناية ووضعه فى جيبه .

وتناول الصحيفة اليوميـــــة من على المنضدة وهو يقول لصاحبه : عن اذنك . وأخذ يقرأ . وما لبث أن قال :

ـ انظر .. إنهم سيزيدون المرتبات ولا نكر للمعاشات .. كان صاحب المعـــاش لا يشترى الأشياء غالية كمـــا يشتريها الآخرون . ما ينوبنا إلا الغلاء الـــذى سيترتب على رفع المرتبات ..

قال ذلك وهو يحمد الله فى سره على انه لايشترى الأشياء الغالية إلا إذا اضطر لذلك اضطراراً ، فغلاء الفاكهة مثلا يوفر عليه ثمنها .. ويقول فى نفسه :

أنا والحمد لله لا اشتهى ما غلا ثمنه ، ويقولون اننى أحرم نفسى .. وكيف يكون حرمانا أن امتنع عما لا اشتهيه . مادمت املك ثمن الشىء فانى لا اشتهيه ، وربما اشتهيه إن لم يكن معى ثمنه ..

اللحم مثلا .. هل مات النباتيون ؟ لماذا اذهب إلى الجزار واتحمل جشعه ، وأدفع له الثمن الفاحش كما يفعل المغفلون .. فنعينه على بناء عمارة جديدة ؟ لا أكلت لحماً ، ولا بنى هو عمارة .. أليس فى البقول ما يغنى عن اللحم ؟ ليت الحكومة تدعم الفول المدمس كما تدعم رغيف الخبز إذن لما غلا هو أيضا كبقية الأشياء .

لولا زوجتى وابنتى لكنت من الأغنياء إنهما تبذران تبذيراً . هذه البنت المسرفة تطالبنى بثمن مشروباتهـــا فى مقصـــف الكلية وتقول ان زجاجة الميـــاه الغازية صـــارت بخمســـة عشر قرشاً .. ولمـــاذا تشربها وشربة الماء العادية المجانيةتغنى عنها ؟ بالله ماذا تتكلف هذه الزجاجة حتى تباع بهـــــذا الثمن ؟ إن كثيراً من المنتجين والتجار يثرون ثراء فاحشاً على حساب المشترين المغفلين ..

• • •

لم يعد فى طاقتى احتمال هـــذه الحياة .. يمكن أن احتمل الضرب ، فقد تعودت عليه .. أما الذى لا يمكن احتماله فهو المطالبة بالنقود وتبذيرها فيما يســـاوى وما لا يساوى .. هل أنا قاعد على بنك .. حتى البي كل هذه الطلبات التى لا تنتهي ؟ أمس بات عندنا ضيوف من قريتها : قرية زوجتى ، وهم يستاجرون أرضاً زراعية لها هناك ، ويربون بعض الماشية لحسابها . فى الصباح المبكر غادرت المنزل قبـــــل أن يستيقظوا ويستعدوا للافطار ، خرجت مبكراً قبل أن تقول لي زوجتى : أنزل هات لنا كذا وكذا : فلتتصرف هى ولتدفع من مالها الذى يحملونه اليها . كفـــانى « البراغيث » التى حملوها معهم فى ثيابهم وأمتعتهم والتى لم تدعنى أنام الليل ..

ألا يمكن أن أعيش بنقودى موفورة بعيداً عنها ؟ إننى شخصياً لا أتـــكلف شيئاً يذكر ، وعما قليل آخذ المبلغ المتجمد لي كما وعـــدنى المـــوظف المختص بالمعاشات ، وقد تمتد يدهـــا الى جيبى فتاخذه منى او تاخذ بعضه وتقول لي : كفاك هذا ..

ولكن الى أين أذهب وأين تقيم يا واد

المضروب

يا محمود ..؟ أظن أنى قلت لك إن اسمى محمود .. فندق المشهد الحسينى المجاور لمسجد سيدنا الحسين رخيص ولا باس به وهناك تكون يا واد يا محمود فى رحـــاب الحسين رضى الله عنه ، وكل شىء رخيص فى حى الحسين بالنسبة للأحياء الأخرى ، وكوب الشاى فى أية قهوة هناك بثلاثة قروش فقط ..

لن يصعب علي إلا فراق ابنتى ، مهما كان الأمر فهى ابنتى ، وضربها إياى قد يكون له مسوغ .. من حيث هو وسيلة للحصول على ما تطلب . وإنى لأعجب من سخرية الأستاذ مصطفى إذ يقول لي : ابنتك تضربك ..؟ وطالبة فى الجامعة ..؟ وأنت لم تضربها حتى لا تفقد شخصيتها وهى التى أفقدتك شخصيتك ! وماذا فى هذا يا سيد مصطفى ..؟!

أما الأستاذ مصطفى فانه يفضـــل أن يصلى الجمعة فى مسجد سيدنا الحسين ، وسنلتقى هناك ، ولابد أن أعزمـــه على الشاى فى إحدى القهوات ، وهذا أصعب ما فى الموضوع ! وقد تزيد الصعوبة حتى تبلغ الكارثة .. إن طلب قهوة كما أراه يفعل أحياناً .. ففنجان القهوة ثمنه مضاعف لغلاء البن الذى يقال إنه عالمى ، وما لنـا نحن وهذا العالمى ..؟ وعلى أى حال لن يكون ذلك إلا أول مرة فقط ، وبعدها يدفع هو إن شاياً أو قهوة أو غير ذلك .. هو حر !

• • •

بينما كان الأستاذ مصطفى جالساً على رصيف القهوة كالمعتاد إذ أقبلت عليه فتاة تقول :

– صباح الخير يا عم مصطفى ..

ونظر اليها مدهوشاً .. من تكون ..؟! وتابعت هى قائلة :

– ألم تر والدى ..؟ والدى محمـــــود صاحبك ، كان يكلمنا عنك .

– آه .. أنت ابنته . أليس كذلك ..؟

– بلى ، إنه لم يعد الى البيت منذ ثلاثة أيام ، ولم يترك أى خبر ..

كانت البنية ملهوفة على والدها ، حزينة لاختفائه . نظر اليها مصطفى فرأى ملامح صاحبه محمود تبدو عليها ، ولحظ اللهفة فى صوتها وعينيها ، فرق قلبه وقال لها :

– اطمئنى ، أعرف مكانه .

– حقاً يا عمى ..؟ أين ..؟

– هل يمكنك أن تمرى بى غداً فى مثل هذا الوقت ..؟

– نعم .

– ساكون فى انتظارك لنذهب اليه .

• • •

قضى محمود ثلاثة أيام فى فندق المشهد الحسينى مؤرقاً حزيناً ، لم يجد الراحـــة التى توهمها ، فكر فى أمره وأمر ابنتـــه وأسرته التى غادرها ليعيش بعيداً عنها فى راحة كما زعم لنفسه ، وتبين الوهم الكبير الذى دفعه الى هذه الفعلة وندم على ما فعل . ابنته مخطوبة على نية أن يعقد قرانها عقب التخرج ، وهى الآن فى السنة النهائية بالكلية . وكان مما حمله على هجر الأسرة رغبته أن يكون بمنجى من الانفاق على تجهيزها وما يلزم لعرسها .. ولكنه الآن يتمنى أن يكون فى المعمعة أبا العروس . وماذا سيصنع بهذه النقود



إن عاش ! وإن مات فما مصيرها ..؟

لو مات الآن لم يدر به أحد من أهله ، أين يذهب ماله : نقوده فى البنك والمتجمد له فى المعاشات ..؟ كيف تهتدى ابنته الى هذا المال ..؟ أليست أولى به ..؟ أليست فى حاجة اليه ..؟ لو مات الآن لمات كأى كلب .. أى كلب !

إذا كان عجيباً أن تضرب بنت أباها فان الأعجب أن يهرب الأب من ابنته ومما يلزم لهـــا ..

كان يتوهم أنه سيعيش على الأفطار بالرغيف والشاى ، والغذاء برغيف آخر ، ولا عشاء كما اعتاد .. ولكنه الآن يشتهى طبقاً من الخضار واللحم ولا يستطيع أن يجازف بالدخول الى مطعم ويتناول فيه ما يشتهى .. كيف يهون عليه أن يخرج مبلغاً لا يعلم قدره إلا الله .. ويدفعه ثمنـــاً لذلك ..؟

غفا فهاجمه الكابوس الذى يعاوده ولا يدعه يهنأ بنوم ، فيستيقظ فزعاً ويجلس حتى لا يعود الى النوم فيعود اليه الكابوس : ماتت ابنته وهو يمشى فى جنازتها حافياً لا يدرى أين ذهب الحذاء .. يصحو ويمسح دموعه .. إذا مات الآن فسيموت كأى كلب .. أى كلب !

ماذا يفعل ..؟ يعـــــود الى البيت برجليه .. فيعلن بهذا فشل خطته .. ..؟ ولكن أية خطة هذه ..؟ ولم اختطها ..؟ أينجو من الضرب أو من الدفع ..؟!

لمح ابنته وصديقه مصطفى قادمين عليه فبكى .. وأسرع بتجفيف دموعه ومحاولة التجلد .. ولكن ابنته تلقى بنفسها عليه ، وبتلقائية يأخذها بين أحضانه وهى تنشج قائلة :

– يا حبيبى يا بابا !

– يا حبيبتى يا ابنتى !

– تعال يا أبى ، عد الينا لن نمد اليك يـداً ..

– لا ، بل مـــدى يا ابنتى ، ولك ما تطلبين ..

دهشت الابنة .. ورأت أباها يكفكف دمعة ففتحت حقيبة يدها وأخرجت منها منديلا صغيراً جففت به ما على خديها من دموع .

عباس خضر

كلمات

من أمثـــال الشعوب

- إن ما يقال أمام أسد ميت لا يمكن أن يقال أمام أسد حى .
- قد يكون من الحقيقة أنك قتلت فيلا ، أما أن تقول : إنك حملته ، فلا .
- من لا يملك شيئاً لا يعاديه أحد .
- لسانك أسد ، فان أطلقته قتلك .
- لا تعاشر من لا تعرف طباعه .
- العالم يقوم على ثلاثة أشياء : زرع الذرة ، وحصدها ، وأكلها .
- إن ما يرضعه العجل هو ما أكلته البقرة .
- الذكاء أفضل من القوة .
- لا يتحول الرغيف إلى تمساح وإن ابقيته فى الماء عشر سنوات .
- الرجل الصالح لا يهجر أصدقاءه فى محنتهم .

الطبيب الكامل

قال علي بن رضوان الطبيب العربى الذى توفى سنة ٥٤٣ هـ في كتابه « الأصول » :

« الطبيب على رأى بقراط هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال :

الأولى : أن يكون تام الجسم صحيح الأعضاء حسن الذكاء عاقلا ذكوراً خير الطبع

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشىء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته فى إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء .

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شىء من أمور النساء والأحوال التى شاهدها فى منازل الأغنياء فضلا عن أن يتعرض لشىء منها .

السابعة : أن يكون مامونا ثقة على الأرواح والأموال لا يصف دواء قتالا ، لا يعلمه ، وأن يعالج عدوه بصدق نية كما يعالج حبيبه ... »

أيـــد ثلاثة

قال يونس النحوى :

« الأيدي ثلاثة : يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء . فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هى المكافاة على المعروف . واليد السوداء هى المن بالمعروف » .

الشاعر الجزار

قال الشاعر أبو الحسين الجزار :

لا تلمنى مولاى من سوء فعلى
عندما قد رأيتنى قصابـــــا
كيف لا أرتقى الجزارة ما عشت
قديـــماً وأتـــرك الآدابـــا
وبها صارت الكلاب ترجّينى
وبـــالشعر كنت أرجو الكلابا

الراحـــــة ...

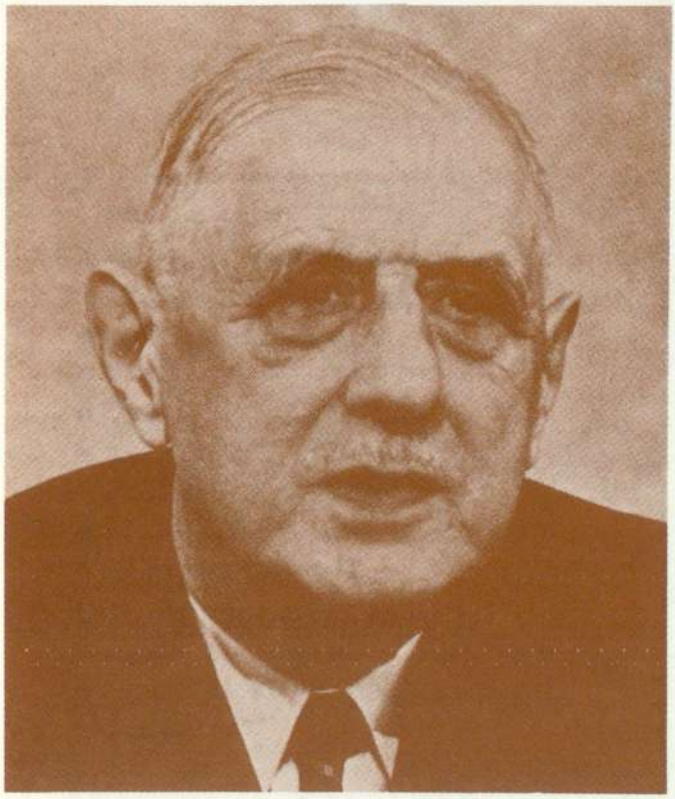
قال ثابت بن قرة :

راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة النفس فى قلة الآثام ، وراحة القلب فى قلة الاهتمام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

الخطأ ...

كان الأمير « بجكم » التركى يعرف العربية ولا يتكلمها ، ولما قيل له لماذا لا تتكلم العربية وأنت تعرفها قال : أخاف أن أتكلم فأخطىء ، والخطأ من الرئيس قبيح .

ديجول والجمهورية الخامسة



ديجول

بقلم : محمد العزب موسى

جاء شارل ديجول إلى الحكم فى ١٣ مايو ١٩٥٨ على أكتاف الفاشية ، فقد قام فريق من جنرالات الجيش الفرنسى بانقلاب ضد نظام الحكم اثر أزمة وزارية حادة من ذلك النوع المألوف فى عهد الجمهورية الرابعة ، وحمل الجنرالات المتمردون زميلهم الجنرال المتقاعد من حيث يعتكف فى قريته « كولومبى لى ديز ايجليز » الى قصر الاليزيه بباريس ، وبينما كانت سيارة ديجول تنهب الطريق إلى القصر كانت جماهير الشعب الفرنسى تفترش الطريق أمامها وهى تهتف « لن تمر الفاشية » !

كان ديجول يبدو فى ذلك الحين وكانه قد تنكر لكل ماضيه فى الكفاح من اجل حرية فرنسا ومجدها وعظمتها .. كان اشبه بدمية فى يد قوى الفاشية والرجعية والامبريالية التى نذرت نفسها للعمل على ابقاء الجزائر فرنسية ، والتشبث بالمستعمرات ، وكبت الشعب الفرنسى نفسه والقضاء على مؤسساته الدستورية وتراثه فى الحرية .

وكان من الممكن أن تكون هذه هى النهاية المؤسفة لبطل التحرير الفرنسى وأن يختتم بها حياته كأسوأ ما تكون خاتمة الدكتاتور لولا أن ديجول رفض منذ البداية أن يظل أسيراً فى يد الفاشية ، فاعلن انه لن يقبل أن يتولى الحكم إلا بالطرق الدستورية ، وقرر اللجوء إلى الشعب يستفتيه على رئاسته ، فهو يريد أن يضفى على سلطته رداء الشرعية ، وأن يتخلص من ارباب نعمته الانقلابيين .

وجاءت نتيجة الاستفتاء فى نوفمبر ١٩٥٨ ـ أى بعد حوالى ستة أشهر من الانقلاب ـ مؤيدة لديجول باغلبية ساحقة ويبدو أن الشعب الفرنسى أدرك بحاسة الشعوب الخفية أن الموقف يحتاج الى « ديكتاتور مستنير » لعلاج الأزمات المزمنة التى تواجه البلاد . وظاهرة اللجوء الى ارادة يمينية قوية حين تدلهم الخطوب تكاد تكون ظاهرة تقليدية فى تاريخ فرنسا ، فقد حدث ذلك بعد ثورة ١٨٣٠ حين ظهر لويس فيليب ليضع نهاية لفوضى عودة ملكية البوربون فى أعقاب هزيمة نابليون ، وتكرر نفس الشىء فى عام ١٨٤٨ حين جاء نابليون الثالث الى الحكم عقب ثورات

تلك العام التى عمت فرنسا وكل انحاء اوربا ، وجىء بالماريشال بيتان الى الحكم فى عام ١٩٤٠ عندما انهارت فرنسا خلال شهور قليلة من بدء الحرب ، واخيراً ها هو ديجول يقفز بالتأييد الشعبى الى الحكم عام ١٩٥٨ عند استحكام ازمة الديموقراطية وتهديد الوحدة الوطنية .

وبدأ ديجول حكمه . متسلحاً بهذا التفويض الشعبى ـ بعلاج اكثر المسائل الحاحاً واولاها بالعلاج الحاسم وهى عدم الاستقرار السياسى ، فالغى دستور الجمهورية الرابعة الذى وضع فى اعقاب الحرب وروعى فيه إلباسه ثوباً ديموقراطياً فضفاضاً ، واصدر دستوراً جديداً لجمهورية جديدة هى الجمهورية الخامسة (*) راعى فيه تقوية السلطة التنفيذية عن طريق امرين :

الأول الأخذ بالنظام الرئاسى (الامريكى) الذى يكفل تقوية سلطة رئيس الجمهورية وجعل الوزارة مسئولة امامه وهو مالم يكن معمولا به فى دستور الجمهورية الرابعة اذ كانت الوزارة مسئولة امام البرلمان اما رئيس الجمهورية فيكاد يكون شرفيا لا يتمتع بسلطة تنفيذية .

والثانى حق رئيس الجمهورية فى استفتاء الشعب للحصول على تفويض خاص فى المسائل القومية الهامة حتى لا تخضع هذه المسائل لمناورات الاحزاب واحابيلها السياسية .

وبهذا الدستور استطاع ديجول ان يحقق للبلاد عهداً من الاستقرار السياسى لم تنعم به منذ الحرب ، وبدا يتفرغ لعلاج مشاكل فرنسا الطاحنة .

تصفية الامبراطورية الفرنسية

كانت أولى هذه المشاكل مسالة تصفية المستعمرات الفرنسية التى أصبحت مصدراً للمتاعب والاستنزاف المستمر لطاقات البلاد ومواردها ودماء شبابها .

ولم يكن هذا بالقرار اليسير على ديجول او بالهين على الشعب الفرنسى ، فالرأى العام الفرنسى كان فى مجمله متمسكاً بالمستعمرات ، وكانت السياسة الفرنسية التى رسخت واستقرت خلال عشرات السنين ترفض بشدة فكرة التسليم بحق المستعمرات فى الاستقلال ، ولا تتهاون فى اتخاذ اقسى تدابير القمع ضد اى شعب ملون يفكر فى الثورة او التمرد . كان هدف فرنسا المعلن والثابت هو فرنسة المستعمرات ودمجها فى الكيان الفرنسى بغض النظر عن المشاعر القومية لدى الشعوب المستعمرة . وهذا هو نفس ما كان يراه ديجول ويؤمن به اثناء الحرب العالمية الثانية وفى اعقابها ، ففى يناير ١٩٤٤ عقد فى برازافيل بالكونغو مؤتمر لقادة حركة فرنسا الحرة لبحث مستقبل المستعمرات حضره ديجول واعلن فيه : « ان هناك حقيقة اساسية ينبغى ان توضع دائما فى الاعتبار هى وجود ارتباط دائم بين فرنسا وممتلكاتها فيما وراء البحار » وجاء فى احد قرارات هذا المؤتمر الذى وضع أسس السياسة الاستعمارية الفرنسية بعد الحرب :

> « ان العمل التمدينى الذى تقوم به فرنسا فى مستعمراتها يستبعد تماماً فكرة انفصال هذه المستعمرات كما ينفى اية امكانية لتطورها خارج الامبراطورية الفرنسية وينبغى ان يستبعد تماماً اى تفكير فى السماح بالحكم الذاتى للمستعمرات ولو فى المستقبل البعيد » !

الى هذا الحد كان الاستعمار الفرنسى صريحاً وضارياً ، وقد حاولت فرنسا دائماً الحفاظ على هذا المبدأ الاستعمارى القح مهما كلفها من متاعب او تضحيات ، فقد كانت المستعمرات علاوة على اهميتها فى تأكيد أوهام العظمة الفرنسية مصدراً ثميناً للمواد الأولية والايدى العاملة . وبعد الحرب انشأ دستور ١٩٤٦ ما أسمى بالاتحاد الفرنسى وهى تسمية اكثر تهذيباً للامبراطورية الفرنسية ، واعترف الاتحاد الفرنسى للمستعمرات بقدر ضئيل من الحكم الذاتى المحدود ، ولكن الممتلكات الفرنسية فيما وراء البحار ظلت توابع لفرنسا لا تتمتع بادنى درجة من السيادة ، فالتشريع فى يد برلمان باريس ، والادارة فى يد حكام تعينهم فرنسا ، وتحركت شعوب الاتحاد لكسر هذه الاغلال ، فاندلعت الحروب والثورات والاضطرابات فى كل انحاء الاتحاد الفرنسى ، فى الهند الصينية ومدغشقر وشمال افريقيا وافريقيا الاستوائية ، وفى عام ١٩٥٦ عدل قانون الاتحاد بحيث يسمح بقدر أكبر من الحكم الذاتى لبعض البلاد الأفريقية ، ولكن هذا التعديل ظل ابعد من ان يرضى المشاعر القومية فاستمرت حركات المقاومة داخل الاتحاد ان لم يكن بهدف الاستقلال التام فتعديل شروط المشاركة على الأقل .

وعندما جاء ديجول إلى الحكم عام ١٩٥٨ نظر إلى مشكلة الامبراطورية نظرة واقعية ، فقد أيقن ـ رغم انه صاحب المبادىء الاستعمارية القديمة ـ ان من العبث محاولة الاحتفاظ بامبراطورية ممزقة بقوة السلاح ، وان تحويل الشعوب المستعمرة الى انصاف اصدقاء افضل من مناصبتها العداء بارغامها على االتبعية الكاملة ، ولذا فقد اقدم فى سبتمبر ١٩٥٨ على اجراء استفتاء لشعوب الاتحاد الفرنسى خيرها فيه بين أربعة احتمالات :

١ ـ استمرار الحالة الراهنة كاقاليم داخل الاتحاد الفرنسى .

٢ ـ الاندماج التام فى فرنسا والتبعية المباشرة للادارة المركزية فى باريس ومنح مواطنيها حقوق المواطنة الفرنسية .

٣ ـ الحكم الذاتى داخل مجموعة فرنسية على غرار الكومنولث البريطانى .

٤ ـ الاستقلال التام .

واوضح ديجول أن البلد الذى يختار الاستقلال التام اى الانفصال عن فرنسا يصبح لفرنسا ايضاً الحق فى الانفصال عنه ، اى أن الاستقلال يكون مقرونا بقطع المعونة المالية الفرنسية ، وسحب الخبراء والفنيين ، وقطع الروابط الاقتصادية بين فرنسا وهذا البلد . واختارت جميع شعوب الاتحاد الحكم الذاتى فى نطاق المجموعة الفرنسية فيما عدا غينيا بزعامة سيكوتورى التى اختارت الاستقلال التام ، وتحملت العقوبات الاقتصادية التى فرضتها عليها فرنسا .

أما الجزائر فلم يسمح لها اصلا بالاشتراك فى الاستفتاء على أساس انها ليست بلداً أجنبياً وانما قطعة من فرنسا (يصل البحر بينهما !) . ولم يكن هذا بالطبع رأى الجزائريين الذين كانوا قد اشعلوا بالفعل واحدة من أروع ثورات التحرر الوطنى فى العصر الحديث .

اتبع ديجول فى أول الأمر سياسة المراوغة ازاء المشكلة الجزائرية كسبا للوقت واستعداداً لساعة الحسم ، ولكن لم يلبث أن بدأت معالم سياسته الجزائرية تتضح واحس اليمين الفاشى فى فرنسا والجزائر أن ديجول يميل للاعتراف بشخصية الجزائر العربية المستقلة وبدا يحيد عن الهدف الذى جاءوا به من أجله الى الحكم وهو فرض قبضة قوية لسحق الثورة الجزائرية ومؤيديها داخل فرنسا ، فاقدمت العناصر الفاشية من سياسيين وعسكريين ومستوطنين ورجال ادارة وشرطة وماليين ووطنيين متطرفين على توحيد صفوفها فى منظمة ارهابية اطلقوا عليها « منظمة الجيش السرى » هدفها الابقاء على الجزائر فرنسية والانقلاب على ديجول والقضاء عليه بشتى الأساليب بما فيها التصفية الجسدية ، وقامت بالفعل

ديجول

بعدة محاولات لاغتياله أصيب فى احداها.

وفى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ أعلن ديجول عزمه على السماح لشعب الجزائر بتقرير المصير ، وقال فى بيان وجهه الى الأمة « ان فرنسا العظيمة سوف تسلك طريق الحل الوحيد اللائق بها وهو منح الجزائريين حق تقرير المصير » .

وبالرغم من العاصفة العاتية التى ثارت ضده ، أقدم ديجول على استفتاء الشعب الفرنسى على سياسته الجزائرية فوافق عليها باغلبية كبيرة ، ثم كانت الخطوة التالية اجراء مفاوضات مع حكومة الجزائر المؤقتة حول شروط الاستفتاء على حق تقرير المصير فى حين اشتدت حركة المقاومة الفاشية ضد ديجول ووصلت الى حد الاشتباك المسلح بين المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر وقوات الحكومة . واجرى الاستفتاء لتقرير مصير الجزائر فى أوائل شهر يوليو ١٩٦٢ فاختار الشعب الجزائرى الاستقلال التام باغلبية ساحقة تكاد تصل الى حد الاجماع ، واعلن استقلال الجزائر فى ٥ يوليو ، وعاد إلى فرنسا زهاء ثلاثة ارباع مليون مستوطن فرنسى كانوا يقيمون فى الجزائر بصفة دائمة معظمهم لم ير الوطن الأم من قبل .

وهكذا ازاح ديجول تلك المشكلة الكبرى التى انهكت فرنسا عسكريا واقتصاديا ونفسيا وسممت علاقاتها مع الدول العربية ومجموعة الدول الافريقية الآسيوية بوجه عام .

نحو الوحدة الأوربية

استطاع ديجول خلال سنوات قليلة من حكمه أن يقضى على الفوضى السياسية والادارية التى هبطت بفرنسا الى دولة من الدرجة الثالثة ، وان يكفل لها نظاما جعلها اكثر استقرارا فى الداخل وتاثيرا فى العالم الخارجى ، واستطاع ان يضع حدا لاضطرابات الحكم وازمات الديموقراطية وفساد الاحزاب ، وان ينقذ البلاد من اليمين وانتهازية اليسار ، وان يجنب فرنسا الهزيمة الذليلة فى الجزائر ويتيح لها انسحابا كريما يحفظ ماء الوجه ، كما استطاع ان يصفى تركة الامبراطورية المثقلة بالمتاعب والديون دون ان يفقد صداقة زهاء اثنتى عشرة دولة افريقية مستقلة اختارت بمحض ارادتها الارتباط بالمجموعة الفرنسية ، ونجح فى محاربة التضخم الاقتصادى الخطر بالغاء الفرنك القديم واصدار فرنك جديد يعادل مائة من الفرنكات القديمة صمد لمنافسة الجنيه الاسترلينى والدولار الامريكى فى اسواق أوربا والعالم .. لقد استطاع ديجول باختصار خلال فترة رئاسته الأولى (١٩٥٨ ـ ١٩٦٥) ان يتيح لفرنسا زعامة تاريخية نادرة لم تشهدها منذ ايام كليمنصو ، وان يمنحها حيوية جديدة ودورا فعالا فى المجال الدولى .

وكرس ديجول الجزء الاكبر من نشاطه فى مجال السياسة الخارجية ، وكان المحور الرئيسى فى سياسته الخارجية ان فرنسا فرنسية ، واوربا اوربية ، ولن تكونان فى مجال النفوذ السوفيتى او الامريكى بحال من الاحوال . ويبدو ان اساس هذا الموقف يعود الى عقدته القديمة من معاملة حلفائه له ايام الحرب العالمية الثانية مما جعله يرفض ما اسفرت عنه هذه الحرب من توازن كرسته معاهدة يالتا التى لم يدع اليها مع روزفلت وتشرشل وستالين ، ولذا نراه منذ وقت مبكر جدا يثور على التوازن الدولى القائم على نظام القوتين ويحلم باقامة اوربا موحدة محايدة تقف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، فنراه يقول فى خطبة قديمة له ترجع الى عام ١٩٤٦ .

> « من ذا الذى يمكنه ان يعيد توازن القوى اذا لم يستطع ذلك العالم القديم ليقف بين العالمين الجديدين ؟ وهذا العالم القديم هو أوربا التى امكنها خلال العديد من القرون ان تكون رائد العالم اجمع ، وهى قلب العالم وتقسمه الى شطرين مما يساعدها فى مباشرة التوازن واعادة روح التفاهم اليه ، وان الشعوب الغربية العريقة لديها المقومات اللازمة لذلك نظرا لحيوية شرايينها فى بحر الشمال والبحر المتوسط والراين ، وهى جغرافيا واقعة بين الكتلتين الجديدتين وعليها ان تحافظ بكل عزم على استقلالها الذى لاشك يتعرض لاشد الاخطار فى حالة نشوب نزاع مسلح بينهما ، وهى فى هذه الحالة تصبح مسوقة قسرا فى تيار النزاع من الناحيتين المادية والمعنوية بحكم الضغط الروسى الجبار والتقدم الامريكى الحر » .

هذه قطعة فنية من ادب الجغرافيا السياسية تكشف عن اتجاهات ديجول المبكرة فى السياسة الخارجية ، ولكن ديجول لم يتمكن من تنفيذ سياسته تلك عندما تولى الحكم لاول مرة فى اعقاب الحرب مباشرة ، ثم اتاحت له رئاسة الجمهورية الخامسة الفرصة المناسبة لوضع هذه السياسة موضع التنفيذ . وقبل اى اوربى آخر راى ديجول حلم الوحدة الأوربية الممتدة من المحيط الاطلسى إلى جبال الأورال .. وحدة ترتفع فوق مستوى الفروق القومية والخلافات السياسية والمذهبية ولا تجمعها سوى الروح الأوربية ذات الخصائص التاريخية والنفسية المعينة وذات الاصل الثقافى والحضارى المشترك .. وحدة تضم كل الامم الأوربية سواء كانت شيوعية او راسمالية ، لاتينية او جرمانية او سلافية ، والطريق إلى هذه الوحدة ينبغى ان يكون عقلانيا وتدريجيا بعيدا عن الضغوط والشعارات والعواطف المشبوبة ، وراى ديجول بواقعيته وقوة بصيرته ان السوق الأوربية المشتركة يمكن ان تكون مدخلا طبيعيا لتحقيق هذه الوحدة الأوربية الشاملة .

وقد انشئت السوق الأوربية المشتركة بمقتضى معاهدة روما عام ١٩٥٦ ، اى قبل مجىء ديجول الى الحكم بعامين ، وكانت تضم ست دول هى فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج ، وترسم معاهدة روما امام الدول المنضمة اليها طريقا بلا عودة نحو الوحدة الاقتصادية ، وبالتالى الوحدة السياسية ، فهى تنشىء كتلة اقتصادية تلغى بين اعضائها الحواجز الجمركية بينما تفرض سياجا جمركيا واحدا حول هذه الكتلة باكملها فى مواجهة العالم الخارجى ، واحس ديجول ان معاهدة روما يمكن ان تكون اداة طيبة لتحقيق احلامه الأوربية على شريطة ان يتم تنفيذها بكل دقة نصا وروحا ، وسارت المراحل الأولى للسوق على خير ما يرام بل وانجزت قبل مواعيدها المحددة ، وسرعان ما اتضح ان السوق الأوربية المشتركة اصبحت تمثل تحديا خطيرا فى مجال التنافس الاقتصادى امام الدول الأوربية الاخرى التى تجمع معظمها تحت قيادة بريطانيا داخل ما اطلق عليه منطقة التجارة الحرة ، بل واصبحت هذه الكتلة تعادل قوة الولايات المتحدة نفسها ، وتجاوز خطرها المجال الاقتصادى الى المجال السياسى ، فاصبحت بمثابة تحد حقيقى للنفوذ الامريكى فى اوربا وتكاد تصيح فى وجه الامريكيين فى غرب اوربا « ايها الامريكيون عودوا إلى بلادكم » !

وربما يكون ابرز انتصار سياسى للسوق نجاحها فى احلال الثقة محل العداء

التقليدى بين فرنسا والمانيا الغربية ، فقد كان الاهتمام الاكبر للسياسة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية هو توقى انبعاث الخطر الالمانى من جديد ، ومن اجل ذلك عارضت فرنسا بشدة الجهود المبذولة لاحياء المانيا الغربية وتسليحها وضمها الى حلف شمال الاطلنطى وكاد الامر يتطور الى انقسام مبكر فى صفوف المعسكر الغربى لو لم يتدارك انشاء السوق الاوربية هذا التدهور ، وعندما جاء ديجول شرع فى اقامة تحالف خاص بين فرنسا والمانيا داخل السوق او ما عرف بمحور بون – باريس ، وساعده فى هذا المشروع كونراد اديناور مستشار المانيا الغربية فى ذلك الحين وكان يشارك ديجول ايمانه بالافكار القومية الاوربية ، وفى عام ١٩٦٣ وقع الرجلان معاهدة صداقة وتحالف كان يراد لها ان تكون نواة للوحدة الاوربية الجديدة ونموذجاً يحتذى فى العلاقات الاوربية ، ولكن محور بون – باريس كان فى حقيقة الأمر اداة للتنافس الخفى بين فرنسا والمانيا الغربية ، فبينما كانت فرنسا تعمل على استخدامه كوسيلة لفرض نفوذها السياسى كانت المانيا الغربية تستخدمه كوسيلة لفرض نفوذها الاقتصادى .

ولم يلبث ان دب الشقاق الصريح بين الحليفتين اللدودتين بعد مجىء ايرهارد الى الحكم فى المانيا الغربية ، وكان خلافاً لسلفه اديناور لا يتحمس لفكرة القومية الاوربية ، بل يؤيد وحدة الاطلنطى بين اوربا مجتمعة والولايات المتحدة وكندا باعتبار انها تتيح مجالا اوسع امام الراسمالية الغربية ، كما تشكل وحدة سياسية قوية يمكنها ان تساوم على توحيد شطرى المانيا . اما ديجول فكان يرى تاجيل مشكلة الوحدة الالمانية الى ما بعد تحقيق وحدة اوربا الغربية لتكون محلا للتفاوض المباشر بين الاتحاد الاوربى والاتحاد السوفيتي ، وكان يعتبر المشكلة الالمانية مشكلة اوربية بحتة يجب ان تحل فى النطاق الاوربى بعيداً قدر الامكان عن الحرب الباردة والصراع السياسى بين المعسكرين .

وسرى فى العلاقات الفرنسية الالمانية برود مفاجىء ادى الى تجميد محور بون – باريس ، وازدادت الأزمة حين تلكات دول السوق الاوربية الاخرى بزعامة المانيا الغربية فى الاتفاق على توحيد سعر الغلال واقامة السوق الزراعية المشتركة ، وهى خطوة تعد فرنسا أكبر المستفيدين منها ، وهدد ديجول بالانسحاب من السوق المشتركة اذا لم تقم السوق الزراعية فى موعد اقصاه نهاية عام ١٩٦٤ ، وحين حاول احد وزرائه ان يذكره بان اتفاقية روما لا تبيح لفرنسا الانسحاب استمع ديجول إلى وزيره مقطباً ثم قال : « انك تتعب نفسك بالتعقيدات القانونية ، سيدى الوزير ، عندما يريد الانسان ان يرحل فانه يرحل بغض النظر عما تقوله النصوص ! »

الى هذا الحد وصل ديجول فى استعداده لهدم السوق الاوربية المشتركة – امله فى تحقيق احلامه – عندما شعر انها لا تسير فى الطريق السليم .. ولكن ايرهارد تدارك الموقف فى النهاية ونزل على مطالب ديجول .

وعارض ديجول بشدة ومنذ البداية انضمام بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة ، واستخدم حق الفيتو لمنعها من الانضمام الى السوق فى يناير ١٩٦٣ ، ولم يكن ذلك لان ديجول ضد بريطانيا من حيث المبدأ ، وانما كان يطالبها اولا بالتنازل عن امتيازاتها الامبراطورية داخل الكومنولث حتى تتهيأ لوحدة اوربية لارجعة فيها ، كما كان يطالبها بالابتعاد عن فلك الولايات المتحدة ويشك فى ان عضوية بريطانيا ليست سوى حصان طروادة امريكى يراد تسريبه الى داخل السوق لتخريبها من الداخل وقد اثار هذا الموقف العنيد استياء بريطانيا وامريكا وساهم فى اسقاط حكومة المحافظين .

ليس أمريكياً !

كانت النظرة الى الوحدة الاوربية من نقاط الخلاف الرئيسية بين ديجول والولايات المتحدة ، ولم تكن الولايات المتحدة فى الواقع لتعترض على الوحدة الاوربية اذا تمت فى نطاق التحالف الاطلنطى الذى تهيمن هى عليه وهذا يقتضى ان يكون الاتحاد الاوربى الذى يراد انشاؤه اتحاداً فيدرالياً او دولة فوق الدول تتلاشى فيه ارادات الدول الأعضاء وتبرز ارادة واحدة للاتحاد كله ، وهى تقصد من ذلك بالتحديد اذابة شخصية فرنسا داخل المجموعة الاوربية كى تتمكن الاصوات المؤيدة لامريكا وحلف الاطلنطى من التغلب والسيطرة على الارادة الاوربية ، اما ديجول فكان يريد ان تحتفظ كل دولة بشخصيتها المستقلة وارادتها الخاصة داخل الاتحاد الاوربى ، وهذا يتيح لفرنسا ان تفرض زعامتها داخل الاتحاد وتحتفظ بدورها القيادى فى اوربا .

وحدث فعلا فى عام ١٩٦٤ ان وافق البرلمان الهولندى بايحاء واضح من الولايات المتحدة على قرار باعتبار ان الوحدة الاوربية يجب ان تكون اتحاداً فيدرالياً او دولة فوق الدول . ودعا الى العمل فى هذا الاتجاه ، ولكن ديجول استشاط غضباً لهذا القرار الذى احس فيه برائحة التامر الامريكى ، ودعا للوقوف فى وجه السيطرة الامريكية وقال قولته الشهيرة « الله ليس امريكياً ! » .

كان ديجول يعتقد ان السيطرة الامريكية على اوربا ليست سوى امبريالية مقنعة ، ويرى انه قد حان الاوان لاوربا كى تتخلص من تبعيتها للولايات المتحدة التى فرضت عليها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية كثمن لمشروع مارشال ، فاذا كان لهذا الوضع ما يبرره حينئذ واوربا ضعيفة ممزقة بائسة ، فليس هناك ما يبرره فى الستينات وقد اصبحت اوربا قوية اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً مما يجعلها جديرة بالوقوف موقف الند للولايات المتحدة .

وتركز النزاع بين ديجول والولايات المتحدة حول السياسة الذرية للغرب ، فقد كانت الولايات المتحدة ترى انشاء قوة نووية متعددة الاطراف تكون تابعة لحلف شمال الاطلنطى وتخضع لسيطرة مشتركة من الدول الاعضاء على ان يكون للرئيس الامريكى حق الفيتو على استخدامها وفى مقابل ذلك تمتنع الدول الأعضاء فى الحلف عن انتاج وتطوير اسلحتها الذرية الخاصة وتركز جهودها فى صنع الاسلحة التقليدية التى لا تزال تلعب دوراً لا غنى عنه فى أية حرب محدودة كتلك التى يمكن ان تقع فى اوربا . اما ديجول فكان يدعو إلى الدفاع الذرى المستقل عن اوربا دون الاعتماد على المظلة الذرية الامريكية التى تكرس سيطرة الولايات المتحدة على الغرب فالدفاع عن اوربا يجب ان ينبثق من داخل اوربا والا اصبحت القارة تحت رحمة الولايات المتحدة عند نشوب اى صراع دولى او فى حالة تعرضها لابتزاز نووى من احدى الكتلتين فى المستقبل .

ولهذا فقد سعى ديجول كى تحصل فرنسا على قوتها الذرية الخاصة وتنضم الى النادى الذرى كعضو كامل على قدم المساواة مع الدول المنتجة للأسلحة الذرية وهى حتى ذلك الحين الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، ورفض ديجول التوقيع على معاهدتى موسكو لحظر التجارب النووية وحظر انتشار الأسلحة النووية ، واجرت فرنسا تجاربها الذرية الأولى رغم سخط العالم واستنكاره فى الصحراء الجزائرية الكبرى ، وحصلت فى النهاية على قنبلتها الذرية .

وعندما جاء جونسون الى الحكم عقب اغتيال الرئيس الامريكى كنيدى ازدادت

ديجول

العلاقات تدهورا بين فرنسا والولايات المتحدة ، فقد انتهج جونسون سياسة متشددة فى المجال الخارجى كان لابد لها أن تصطدم بديجول فى أوربا ، وعلى العكس من كنيدى الذى كان يتمتع بافق واسع ومرونة سياسية ولا يكاد يخفى اعجابه الشخصى بديجول كان جونسون لا يفهم ديجول ولا يستسيغه ويعتقد أن كل ما يهدف اليه هو الحصول على تنازلات امريكية أو تحقيق مصلحة فرنسية خاصة على حساب الغرب ، وقال عنه مرة : « ما هو الثمن الذى يريد أن يقايض عليه ديجول- ؟ هل هذا الرجل شيطان أم ابله أم ماذا» ؟

واخذ ديجول وجونسون يتبادلان اللكمات .. فاعترف ديجول بالصين الشعبية ، وانشا علاقات مستقلة مع الاتحاد السوفييتي ، واستنكر التدخل الامريكي فى فييتنام والدومينكان ، وعارض السياسة الامريكية فى امريكا اللاتينية وبرلين ، واخذ جونسون بدوره يطارد النفوذ السياسى والاقتصادي الفرنسى فى العالم ويؤلب على ديجول حلفاءه الاوربيين بعد مقدم ايرهارد الى الحكم فى المانيا الغربية .

وفى ٩ سبتمبر ١٩٦٥ اعلن ديجول فى مؤتمر صحفى مفاجىء عزمه على الانسحاب من حلف شمال الاطلنطي ، والواقع أن ديجول فقد حماسه للحلف منذ وقت مبكر يعود إلى عام ١٩٥٨ حين رفضت الولايات المتحدة اقتراحا تقدم به حينئذ لتعديل الحلف بحيث يخضع لسيطرة ثلاثية متكافئة من واشنطن ولندن وباريس فدلت بذلك على تمسكها بفرض زعامتها المطلقة على الحلف ، ومنذ ذلك الحين بدا ديجول يتنصل تدريجياً من التزاماته قبل الحلف فسحب معظم قواته منه وامتنع عن الاشتراك فى مناوراته العسكرية . وفى ٧ مارس ١٩٦٦ اعلن انسحاب فرنسا الكامل من القيادة العسكرية لحلف شمال الاطلنطي مع البقاء داخل الرابطة الاطلنطية ، وانتقلت القيادة العسكرية للحلف من باريس إلى بروكسل .

رئاسة ديجول الثانية

فى عام ١٩٦٥ انتهت مدة رئاسة ديجول الأولى واعلن عن ترشيح نفسه للرئاسة للمرة الثانية ، وكانت هذه هي اول مرة منذ عام ١٨٤٨ يجري فيها انتخاب رئيس فرنسى بالاستفتاء العام المباشر ، وتكتلت كل قوى اليسار وراء مرشح واحد هو فرانسوا ميتران (رئيس فرنسا الحالي) واضطرت ديجول إلى دخول انتخابات الاعادة عندما فشل فى الحصول على الاغلبية فى التصويت الاول ، واجريت انتخابات الاعادة فى ٢١ ديسمبر ففاز ديجول باغلبية ضئيلة ، وقد دل ذلك على أن زعامة ديجول لم تنجح فى توحيد صفوف الشعب الفرنسى إلا أن منجزاته كانت ابرز من أن تتجاهلها اغلبية الناخبين ، كيف لا وقد خلص فرنسا من حرب الجزائر ووقاها خطر حرب اهلية كانت على الابواب واستطاع أن يحقق الاستقرار السياسى ويدعم الاقتصاد المهتز الذى اوشك بالفعل على الانهيار ، فزاد فى عهده الدخل القومي وقوى مركز الفرنك الفرنسى فى أسواق العالم المالية ، وبدا نجم فرنسا يصعد عالياً فى سماء الاهمية الدولية ، واخذت تمارس دوراً جديداً فى أوربا والعالم .

وخلال فترة رئاسته الثانية التى استمرت ثلاث سنوات واربعة اشهر (قبل أن يستقيل فى مايو ١٩٦٩) مضى ديجول فى تثبيت اسس سياسته العالمية ، فانتهج سياسة الوفاق والتعاون مع دول ماوراء الستار الحديدي بتشجيع العلاقات التجارية والثقافية مع الاتحاد السوفييتي ودول أوربا الشرقية ، وقام بعدة رحلات عالمية حملته إلى المكسيك ودول امريكا اللاتينية وكندا والشرق الاقصى بهدف تدعيم نفوذ فرنسا فى الدول المتحدثة بالفرنسية أوذات الثقافة اللاتينية ، كما حاول انشاء علاقات خاصة مع الدول الأفريقية التى كان يراها منطقة نفوذ تقليدى لفرنسا .

ولكن الرياح أتت بما لا يشتهى ديجول ، فتكالبت ضده الظروف وحرمته من ثمار نجاحه ، فسياسته فى معاداة امريكا ومقاومتها وإن كانت قد جلبت له إعجاب العالم الثالث الذى يتوق للتخلص من الهيمنة الامريكية إلا انها قلبت عليه حلفاءه الاوربيين واثارت مخاوفهم ، وفى نفس الوقت ادى الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا وسحق ثورتها عام ١٩٦٨ إلى انهيار سياسته فى الوفاق التى كانت ترى امكان تفكيك الروابط بين دول اوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي عن طريق تخفيف حدة التوتر فى وسط اوربا .

ومع ذلك فان معظم الفرنسيين كانوا يؤيدون بوجه عام سياسة ديجول الخارجية وكانوا يبدون قانعين بما حققه لهم « حكمه الابوي » من نظام ورخاء ، ولذلك فعندما وقعت احداث مايو ١٩٦٨ بدت مفاجئة ، وغير مفهومة ، وبلا مقدمات ! .

ثورة الطلبة وانسحاب ديجول

فجـاة ..

اندلعت اضطرابات خطيرة فى شهر مايو ١٩٦٨ بداها طلبة الجامعات وانضم إليها العمال وقطاعات اخرى من الشعب والاحزاب اليسارية ، وقد اخذت هذه الثورة ديجول على حين غرة ، وواجهته باعنف ازمة سياسية واجتماعية فى حياته.

والمحللون السياسيون يختلفون حتى الآن فى تفسير اسباب مايو ودوافعها ، ولكن فى اعتقادي أن من يغفل اصابع الصهيونية فى هذه الاحداث تجانبه الموضوعية ويخطىء التحليل ..

كان ديجول قد اعلن فى اعقاب حرب ١٩٦٧ بالشرق الاوسط حياده فى النزاع العربي الاسرائيلي ، وفرض حظراً على بيع الأسلحة الفرنسية إلى الدول المتحاربة فى المنطقة ، وهو قرار اضر اساسا باسرائيل لانها كانت تعتمد فى ذلك الحين على السلاح الفرنسى اعتماداً رئيسياً وقد لعبت طائرات الميراج الفرنسية دوراً اساسياً فى تلك الحرب ، وكان ديجول قد اعلن قبيل اندلاع حرب يونيو وخلال ازمة اغلاق خليج العقبة انه يناشد الطرفين العربي والاسرائيلي ضبط النفس وانه سيدين الطرف الذى يبدأ بالعدوان ، وكانت اسرائيل هى البادئة باطلاق الطلقة الاولى وهى طلقة فى حد ذاتها كانت كافية لكسر الجيوش العربيـة وتمهيد الطريق لنصر اسرائيلي كاسح فى حرب الستة ايام ، ونفذ ديجول وعيده فاعلن ادانته لاسرائيل ، ووصف اليهود بالغلظة والعنصرية ، ورد عليه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل بكلمات قاسية اجابه ديجول باقسى منها ، ثم توقفت المساجلات الكلامية بينهما ، ولكن الصهيونية العالمية اسرتها لديجول . اما الشعب الفرنسى الذى كان مواليا بصفة تقليدية لاسرائيل فقد راى فى مجرد حياد ديجول إزاء النزاع العربي الاسرائيلي إنحيازاً منه لجانب العرب ، وكانت الصهيونية شديدة النفوذ فى فرنسا فى ذلك الحين .

كان ديجول هو اول زعيم غربي يقف موقفاً عادلا متزناً إزاء النزاع العربى الاسرائيلي ، ويرفض الانصياع التقليدي الذى يبديه زعماء الغرب للصهيونية ، وهو

موقف يمثل منعطفا خطيراً للنفوذ الصهيوني فى الغرب لانه قد يشجع غيره على الاقتداء به ، ومثل هذا الخطر مما لاتغفله الصهيونية العالمية بحال من الاحوال وهي التى تخطط للمستقبل بنفس الاهتمام الذى تبديه فى التشبث بالحاضر ، وهكذا لم تكد تمضى شهور قليلة على الازمة بين ديجول وإسرائيل حتى بدات احداث الطلبة تهز كيان فرنسا ، وتزعم هذه الاحداث طالب فرنسى يهودي فى الثالثة والعشرين من عمره يدعى دانييل كوهن ـ بنديت (ومما له دلالة خاصة ان هذا الطالب الذى ابدى شراسة مذهلة فى التصدى لديجول وقاد واحدة من اعنف الاضطرابات التى شهدتها فرنسا فى عصرها الحديث لم يعد احد يسمع عنه شيئاً بعد هذه الاحداث ، ولم يلمع بعد ذلك ابدا كزعيم او مفكر او نقابي او شخصية عامة فكانه كان يستخدم لغرض محدد ثم استهلك بانقضائه) كان بنديت طالباً بكلية الآداب بجامعة نانتير وهي جامعة تقع فى إحدى ضواحي باريس الفقيرة التى يسيطر عليها الشيوعيون واليساريون ، ولم يكن كوهن ـ بنديت وزملاؤه الطلبة شيوعيين تقليديين ، وإنما كانوا ماركسيين معادين للشيوعية السوفييتية فهم يصفون الشيوعيين بانهم « انذال ستالينيون » ويعدون انفسهم كطلائع ثورة عالمية جديدة كان يتزعمها فى ذلك الوقت الفيلسوف ماركيوز بافكاره المحرضة للشباب والتى هي اقرب إلى الفوضوية ، وكانوا يطلقون على انفسهم « يساريي نانتير » وقد بدأوا تمردهم بالمطالبة بتغيير نظم التعليم الجامعية والحصول على مطالب طلابية اخرى ، وبعد عدة مناوشات مالوفة فى الأوساط الطلابية والجامعية بدات الاحداث تاخذ منحنى خطراً ، فاحتل الطلبة المتمردون مجلس الكلية يوم ٢ مايو ، وهاجموا مباني الجامعة ، وطردوا الاساتذة ، والقوا بملفات الجامعة من النوافذ ، فاصدر عميد الجامعة امراً بتعطيل الدراسة ، واحتل رجال الأمن حرم الجامعة ، وفرقوا الطلبة بالقوة .

وامتدت حركة جامعة نانتير إلى الحي اللاتينى وجامعة السوربون وغيرها من الجامعات الفرنسية ، وتضامناً مع طلبة نانتير وطلباً للاصلاح الجامعي ، وقعت عدة اشتباكات بين الطلبة ورجال البوليس أمام أسوار السوربون ، واغلقت السلطات الجامعة ايضاً ، فاشتعل الحي اللاتيني بالغضب واغلقه الطلبة على انفسهم فيما يشبه « الكوميون » ، وفى مساء ١٠ مايو اقام الطلبة المتاريس فى شوارع الحي وقامت مظاهرة تضم ٢٠ الف طالب بزعامة دانيل كوهين ـ بنديت تتحدى رجال الأمن وتطالب برفع الحصار عن الجامعة ، واشتبكت قوات الأمن مع الطلبة فى معركة دامية استمرت حتى الفجر واسفرت عن مصرع بعض الأفراد واصابة المئات من الطلبة ورجال الأمن وتحطيم وإحراق مئات السيارات وإلقاء القبض على ٤٦٠ طالباً .

وفى صبيحة اليوم التالي ١١ مايو أعلنت نقابات العمال تضامنها مع الطلبة ودعت إلى القيام بمظاهرة كبرى والاضراب عن العمل يوم ١٣ مايو . وفى ذلك اليوم خرجت مظاهرة من مليون شخص تجوب شوارع باريس ، وانتشرت الاضطرابات والفوضى والاشتباكات فى كل مكان ، فى الجامعات والمصانع والمرافق العامة .

فاجات هذه الاحداث السريعة المتوالية ديجول مفاجاة تامة ، وقد كان من رايه فى البداية التصدى للمتظاهرين وعدم الاستجابة لمطالبهم ، ولكن رئيس وزرائه جورج بومبيدو الذى قطع زيارته الرسمية لايران وافغانستان وعاد فورا إلى باريس كان من رايه الانحناء للعاصفة فامر باعادة فتح الجامعة والدخول فى مفاوضات مع نقابات العمال والموظفين المضربين حول مطالبهم الفئوية . وهنا ترك ديجول الدولة فى يد رئيس وزرائه وقام بزيارة رسمية لرومانيا استغرقت عدة ايام ثم عاد إلى باريس يوم ١٨ مايو حيث ظهر على شاشات التليفزيون عارضاً على الشعب الفرنسى نظاماً جديداً اسماه « المشاركة » ولكن احداً لم يستمع إليه ، واستمرت الثورة تتصاعد وتستعصى على المواجهة خاصة بعد ان رفضت النقابات عروض المصالحة التى عرضها بومبيدو .

وفى يوم ٢٩ مايو عمت باريس مظاهرات عنيفة شارك فيها نصف مليون شخص ، وارتفعت فيها لاول مرة منذ عام ١٩٣٦ الرايات الحمراء ، وتوقفت عجلة الادارة والانتاج توقفاً تاماً .

فى ذلك اليوم غادر الجنرال ديجول قصر الاليزيه بالهليكوبتر إلى مكان مجهول لم يبلغ به احداً ، وترددت شائعات بانه قد اختفى وانه بصدد تقديم استقالته . ولكن ديجول عاد فجاة فى المساء وتوجه فوراً إلى دار الاذاعة والتليفزيون حيث القى خطاباً قصيراً استغرق اربع دقائق فقط اعلن فيه بلهجة حازمة انه لن يتخلى عن الحكم وانه يعتزم التصدى للفوضى الناشبة واعلن حل الجمعية الوطنية وإجراء انتخابات جديدة يومي ٢٣ و ٣٠ يونيو وقدم نفسه باعتباره الحاجز الباقى الوحيد ضد الفوضى الشاملة او الحكم الشيوعي الصريح .

وقد تبين فيما بعد ان ديجول قام فى ذلك اليوم بزيارة سرية خاطفة إلى قادة القوات الفرنسية فى المانيا الغربية حيث عرض عليهم الموقف طالباً تاييدهم إذا دعت الحاجة ، ولكن الحاجة لم تدع إلى ذلك لحسن الحظ ، فقد بدا القطاع الاكبر من افراد الطبقة المتوسطة يستشعرون الخطر وهم يرون المؤسسات الدستورية تنهار امام عيونهم وترتفع على حطامها الاعلام الحمراء ، وإعلان استقلال الكوميونات ، وتكاد تتكرر احداث الثورة الفرنسية الدامية الكبرى .

وفى نفس الوقت بدات الاحزاب الشيوعية ونقابات العمال تعارض الخطط الراديكالية المتطرفة لزعماء الثورة وعلى راسهم الطالب اليهودى الغامض دانييل كوهن ـ بنديت . وهكذا تغير الجو الداخلى لتغيير حاسم فى الموقف . وقد تجلت حنكة ديجول السياسية فى انه اقتنص هذه الفرصة بمجرد سنوحها ووجه ضربته الحازمة فى خطاب يوم ٢٩ مايو .

وفى اليوم التالي ٣٠ مايو خرجت مظاهرة كبرى من ابناء الشعب الفرنسى تعلن تاييدها للجنرال ديجول ورفضها للفوضى ، وانهارت المقاومة اليسارية نتيجة لرفض الشيوعيين المشاركة فى اللجوء إلى العنف واعلان الثورة المسلحة ، ولم يبق امام المتطرفين من زعماء الطلبة والعمال سوى التراجع ، وقبول الحوار ، وتقررت عودة العمال من المضربين الى اعمالهم وانتقلت المواجهة من الشارع الى القنوات الديموقراطية استعداداً للانتخابات .

وفى انتخابات ٢٣ و ٣٠ يونيو فاز الديجوليون باغلبية كاسحة ، فحصل حزب ديجول المسمى « اتحاد الديمقراطيين من اجل الجمهورية » والاحزاب المناصرة له على اكثر من ٣٠٠ مقعد فى الجمعية الوطنية ، اي مايوازي ثلاثة ارباع مجموع المقاعد ، وفقدت احزاب اليسار اكثر مقاعدها ، واجرى ديجول تعديلا فى وزارته اطاح فيه برئيس الوزراء بومبيدو وعين خلفاً له موريس كوف دى مورفيل الذى كان يتولى وزارة الخارجية فى حكومة بومبيدو.

وهكذا امكن تجنب الثورة ، وخرج ديجول منتصراً .

ولكن بالرغم من ان فرنسا بدات تعود إلى الأوضاع الطبيعية ، وبالرغم من الاغلبية الضخمة التى اصبح يتمتع بها ديجول فى الجمعية الوطنية الجديدة والتى كان من شانها ان تتيح له حكماً مريحاً حتى انتهاء فترة رئاسته الثانية عام

ديجول

١٩٧٢ إلا انه فاجأ الشعب الفرنسي بواحد آخر من استفتاءاته الشهيرة ، فقد اقترح في ابريل ١٩٦٩ إجراء استفتاء عام على إدخال تعديلين على الدستور تنفيذاً لمشروعه الخاص « بالمشاركة » وإصلاح مجلس الشيوخ ، وكالعادة القى ديجول بثقله وراء الاستفتاء معلناً انه سوف يستقيل إذا رفض الشعب مشروعه ، ولم يكن موضوع الاستفتاء ضرورياً او هاماً وكان من الممكن معالجته داخل الجمعية الوطنية علاوة على ان مشروع « المشاركة » كان غامضاً في حد ذاته ويتعلق بتقسيم فرنسا إلى مناطق ادارية لم تفهم اغلبية الشعب معناها او جدواها ، كل ذلك اوقع المحللين السياسيين في الحيرة إزاء ماكان يدور في ذهن ديجول .

وكيفما كان الأمر ، فقد تكاتف جميع خصوم ديجول ضده في الاستفتاء الذي اجري يوم ٢٧ مايو ١٩٦٩ وجاءت النتيجة هزيمة مشروع ديجول باغلبية ٣٥٪ من الأصوات . وفي اليوم التالي ٢٨ مايو اعلن ديجول استقالته في بيان قصير اصدره في قصر الاليزيه ثم غادر القصر في نفس اليوم إلى قريته « كولمبي لي ديز ايجليز » ليحيا بقية حياته كواحد من افراد الشعب الفرنسي الذي حلم من اجله ، وحارب ، وخدم طويلا ..

الخلاف قائم بين الفرنسيين حول تقييم الجنرال ديجول ، ذلك الرجل الذي احبوه وكرهوه وخشوه اثناء حياته ثم لم يتفقوا على راي بشانه بعد وفاته ، وهناك طراز من العظماء يثير مثل هذا الجدل الكبير بين الانصار والأعداء ، فالبعض يرى في ديجول زعيماً وطنياً تقليدياً من طراز زعماء القرن التاسع عشر يحلم باعادة مجد فرنسا ولكنه حلم مجرد انقضى زمنه ولم يعد صالحاً لظروف العصر ، وآخرون يرون في ديجول سياسياً ذكياً بعيد النظر مناوراً من الطراز الأول ، وغيرهم يرونه انتهازياً مقامراً يحاول استغلال الفرص لفرض زعامته على حساب روح فرنسا الحرة ، وهناك من يشيدون به كحاكم استطاع ان يتيح لفرنسا اكبر قدر من الاستقرار السياسي الذي لم تتمتع بمثيله في تاريخها الحديث .

ولكن التاريخ المجرد من الأهواء سوف يعترف لهذا الرجل بصفاته ومنجزاته التي لا تنكر ، فقد استطاع ان يحافظ على الشرعية الجمهورية ويؤسسها على الرضا الشعبي ، وعندما انتقص هذا الرضا غادر المسرح بكرامة فائبت بذلك انه ابعد ما يكون عن اتهام خصومه له بالديكتاتورية . وربما كان اكبر منجزاته انه استطاع ان يسوي مشكلة الجزائر التي لم يستطع ان يحلها غيره ، صحيح ان فرنسا دفعت في هذا الحل ثمناً غالياً من الشقاق الداخلي ولكن ديجول بذل وسعه كي يجعل هذا الثمن اقل ما يمكن ، كما استطاع ان يصفي التركة المثقلة للامبراطورية الفرنسية المتداعية في اقصر وقت ممكن وباقل قدر من النزاع واكبر قدر من التعاون والنفع المتبادل ، وكان في كل مبادراته الجريئة معتمداً فقط على تصميمه وشجاعته واتساع افقه ومتحملا كل المخاطر السياسية والشخصية التي وصلت إلى حد تعرضه اكثر من مرة للاغتيال ، كما استطاع ان يعيد لفرنسا دورها التاريخي في المحيط الدولي ويجعل منها إحدى الدول الكبرى في عالم ما بعد الحرب . ولكن ديجول كان دائماً فردياً في تصرفاته وقراراته يكره ان يشاركه في سلطته ومسئوليته الوزراء او البرلمان او الأحزاب ، بل ويرفض الاعتراف بان هذه المؤسسات ، مهما كان قصورها او عيوبها ، ادوات لاغنى عنها للنظم الديموقراطية المستقرة . كان يؤمن بفرنسا الخالدة ولا يثق في الفرنسيين الفانين ، وقد كان ديجول قائداً وسط العواصف اكثر منه رائداً في الجو الصحو ، وكان عسكرياً اكثر منه سياسياً ، زعيماً اكثر منه رئيساً ، حالماً اكثر منه واقعياً ، وكان دائماً وحيداً متباعداً غامضاً وذلك ، على حد تعبيره ، لان « السلطة تتطلب الهيبة ، والهيبة تتطلب الابتعاد » . ولهذا كان من الصعب على الكثيرين معرفة « وجهه الحقيقي » وهذا هو السبب في انه ظل مجهولا تتضارب بشانه الآراء .

وقد ساعدت ايامه الاخيرة التي قضاها معتكفاً في كولومبي لي ديز ايجليز على ابقاء اسطورته حية في اذهان الفرنسيين ، فقد اتخذ موقفاً مترفعاً شديد الانفة والكبرياء ، عزل نفسه عن المشاركة في اي نشاط عام ، وابتعد عن الاضـــــواء ، لا يشارك في اية مناسبة او احتفال بما في ذلك العيد القومي الفرنسي ١٨ يونيو حيث حرص على مغادرة فرنسا الى ايرلندا ثم اسبانيا مع حلول هذا العيد في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ حتى لا يدعى فيضطر للاعتذار ، كما حرص على عدم مقابلة اي مسئول او شخصية عامة مكتفياً بصحبة البسطاء من ابناء قريته ، راكنا الى الهدوء والتامل وكتابة المذكرات ، او يقوم بجولته اليومية بين الحقول والازدهار متمتعاً بجمال الطبيعة وتغريد الاطيار . وكانت آخر امنياته ان يلتقي بالزعيم الصيني ماوتسي تونج ، ويقول لابد ان يلتقي ديجول وماوتسي تونج في اي مكان على الارض قبل انتهاء القرن العشرين ، وقد عزم بالفعل على زيارة الصين اذا امتد به الأجل الى عام ١٩٧١ ، ولكن اجله لم يمهله لتحقيق هذه الأمنية الأخيرة ، فقد توفي فجاة بازمة قلبية يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٠ اي بعد عام ونصف من اعتكافه في قريته الصغيرة .

وانتشر الخبر بسرعة البرق ، واصيب الشعب الفرنسي بالذهول وعدم التصديق في اول الامر ، هل يمكن حقاً ان يموت الجنرال ديجول - ؟ هل يمكن ان يجف السين او ينهار برج ايفل - ؟ لقد كان يبدو في آتم صحة حتى يومه الاخير وقد شارف الثمانين ، ولكن الحقيقة اقوى من ، الاوهام لقد انطوت الصفحة واغلق الكتاب . وفتح الرئيس بومبيدو وصية الجنرال ديجول التي كانت داخل مظروف مغلق كتب عليه « من اجل الجنازة » . وكانت الجنازة التي يطلبها الراحل الكبير بسيطة عارية تماماً من الرسميات ، انه يطلب ان تتم في قريته كولومبي بدون موسيقى ولا اعلام ولا اجراس ، وان لا يشارك فيها رسميون او عظماء بحكم مناصبهم ، وان لا يهدى الى اسمه نيشان او وسام او تقوم له حفلات تابين ، وان يكتفي على شاهد القبر بذكر اسمه وسنتي مولده ووفاته .

ولكن كان من العسير تنفيذ وصية ديجول بحذافيرها ، ففي القرن العشرين لا يموت ديجول مرتين ، فاعلنت فرنسا الحداد العام ، وتوافد عليها ثمانون من رؤساء الدول والحكومات للمشاركة في تشييع ديجول الى مثواه الاخير . وخرج الملايين من الفرنسيين تحت وابل من المطر الذي انهار غزيراً في ذلك اليوم لتوديع قائدهم الغائب بينما شاهد ٥٠٠ مليون متفرج في مختلف انحاء العالم مراسم الجنازة على شاشات التليفزيون عبر الأقمار الصناعية ، كما لو كان هذا الوداع بمثابة استفتاء اخير على الحب والتقدير يتم تحت انظار العالم اجمع ، ولم يتخلف عنه احد من ابناء وطنه كما تعودوا ان يفعلوا اثناء حياته ...

محمد العزب موسى

(*) الجمهورية الأولى هي جمهورية نابليون بونابرت والثانية جمهورية لويس فيليب عام ١٨٣٠ ، والثالثة جمهورية نابليون الثالث عام ١٨٤٨ والرابعة انشاها دستور ١٩٤٦ في اعقاب الحرب ، ولا تزال الجمهورية الخامسة التي انشاها ديجول قائمة الى الآن رغم مجيء الاشتراكيين الى الحكم في مايو ١٩٨١ .

من تراثنا المعاصر

مقال رائع عمره « ٤٧ » سنة

التشجيع

بقلم : علي الطنطاوي

هذا المقال الرائع كتبه الأستاذ علي الطنطاوى سنة ١٩٣٥ ، والدوحة تنشره اليوم لعله يوقظ فينا ايماناً جديداً بأسلس من أسس الحضارة العربية ، لا يمكن أن ننهض بغير العودة إليه وهو عنصر « التشجيع .... » :

قرأت ما كتب عنى وعن كتابى « أبو بكر الصديق » أستاذنا أديب العربية الأستاذ الزيات ، فقرأت فيه صفحة من كرم السجايا ، ونبل الأخلاق ، والتشجيع الذى يتفضل به الكبير على الصغير ، فيسدد به خطواته ، ويأخذ بيده ، ويصب من قوته فى أعصابه ، حتى يقوى ويشتد ويتقدم ، فأحببت أن أعلق على هذا التقريظ ، بكلمة فى التشجيع ، وماله من الأثر فى العلوم والآداب ، وأن أفى للحق والواجب ، بأن أسجل للأستاذ وللرسالة ، ماله علينا من منة ، وما للرسالة علينا من يد ، وأنا وأصحابى هنا مدينون للرسالة ، بما نجد من قوة ، وما نحس من نشاط ، ما كنا لولا « الرسالة » نحس منه شيئاً ، وما رأينا قبل الرسالة مجلة أدبية راقية ، فتحت أبوابها لأدباء العربية جميعاً ، لا تفرق بين أبناء قطر وقطر ، وبلد وبلد ، ولا تزن الأدباء بالشهرة الواسعة ، ولكن بالانتاج القيم ، فكانت بذلك الرسالة ديوان العرب المشترك ، وسجل الأدب الحديث ، وجعلت من قرائها ـ وقراؤها كل الناطقين بالضاد ـ أسرة واحدة تجمعها وحدة المبدأ ، ووحدة الغاية .

وهنا أجمل فى إثبات هذه الوحدة ، من رجل يكتب مقاله عن الأوزاعى من فلسطين فيعقب عليه آخر من الشام ، ويجيبه ثالث من مصر ، ويعلق عليها رابع من سنغافورة ثم يكتب فى الموضوع خامس من دمشق - ؟ .. كان الرسالة قد محت بسحرها ما بين سنغافورة والشام من صحارى وبحار ، وجبال وأنهار ، فغدت هذه من تلك ، كالمقعد من المقعد فى الصف الواحد ، يخرج رأى من هنا ، ورأى من هنا ، ويسمع الأستاذ وهو على منبره الرأيين ليقول القول الفصل ، وينطق بالكلمة الحاسمة .. وما الأستاذ إلا الزيات وما المنبر إلا الرسالة . !

أشكر للأستاذ هذه السنة التى يتبعها فى تشجيع صغار الأدباء ، والأخذ بأيديهم لأن التشجيع مذ كان أصل التقدم ، وسبب النجاح ، وقد قرأت مرة أن مجلة انجليزية كبيرة ، سألت الأدباء عن الأمر الذى يتوقف عليه نمو العلوم وازدهار الآداب ، وجعلت لمن يحسن الجواب جائزة قيمة ، فكانت الجائزة لكاتبة مشهورة قالت : إنه التشجيع ! وقالت : إنها فى تلك السن ، بعد تلك الشهرة والمكانة ، تدفعها كلمة التشجيع حتى تمضى الى الأمام وتقعد بها كلمة التثبيط عن المسير .

وإن من أظهر الأسباب فى ركود الأدب فى الشام ، فى القرن الماضى ، وانقطاع سبل التاليف ، هو فقدان التشجيع ، وذلك «الاحتكار العلمى» الذى قتل كثيراً من النفوس المستعدة للعلم ، وخنق كثيرا من العبقريات المتهيئة للظهور ، فقد كان العلم فى الشام مقصوراً يومئذ على بيوت معروفة لا يتعداها ولا يجوز أن يتعداها ، هى :

التشجيع

بيت البيطار ، والحمزاوى ، والغزى ، والطنطاوى ، والشطى ، والخانى ، والكزبرى ، والأسطوانى ، والحلبى .. وكانت كلها متجمعة حول المدرسة البادرائية ، فى القميرية والعمارة ، وزقاق النقيب ، حيث يسكن الأمير العالم المجاهد عبد القادر الجزائرى رحمة الله عليه وعليهم ، وكان لهذه البيوت كل معانى الامتياز و «الاحتكار العلمى» ، فاذا سمع ان شابا اشتغل بالعلم من غير هذه البيوت ، وقدروا فيه النبوغ ، وخافوا ان يزاحمهم على وظائفهم الموروثة ، بذلوا الجهد فى صرفه عن العلم ، والعدول به الى التجارة اوليست هذه الوظائف العلمية وقفا على هذه البيوت ؟ اوليس للولد ولاية العهد فى وظيفة ابيه ، تنحد اليه الامامة او الخطابة او التدريس عالما كان او جاهلا ؟ فكيف إذن يزاحمهم عليها ابناء التجار ، وهم لا يزاحمون ابناء التجار على «حوانيتهم» ؟ اولا يكفى ابناء التجار هذا القسط الضئيل من النحو والصرف والفقه والمنطق الذى يمن به عليهم هؤلاء العلماء ؟ ...

حتى انه لما نشا احمد امين (ابن عابدين) وانسوا منه الميل الى العلم ، وعرفوا فيه الذكاء المتوقد ، والعقل الراجح ، خافوا منه ، فذهبوا يقنعون اباه ـ وكان ابوه إمرا تاجرا ـ ليسلك به سبيل التجارة ويتنكب به طريق العلم ، وجعلوا يكلمونه ويرسلون اليه الرسل ، ويكتبون اليه الكتب ويستعينون عليه باصحابه وخلصائه ، ولكن الله اراد بالمسلمين خيرا ، فثبت الوالد ، فكان من هذا الولد المبارك ، ابن عابدين صاحب «الحاشية» اوسع كتاب فى فروع الفقه الحنفى .

بل لقد ارادوا ان يصرفوا استاذنا العلامة محمد بك كرد علي عن العلم ، فبعثوا اليه بشقيقين قد ماتا فلست اسميهما ، على رغم انهماقطعا عن العلم اكثر من اربعين طالبا ـ فمازالا بابيه ـ ولم يكن ابوه من اهل العلم ـ ينصحانه ان يقطعه عن العلم ، ويعلمه مهنة يتكسب منها ، فما فى العلم من نفع ، ولا منه فائدة ... ويلحان عليه ويلازمانه ، حتى ضجر فصرفهما ، فكان من ولده هذا ، الاستاذ كرد علي ابو النهضة الفكرية فى الشام ، وقائدها ، ووزير معارف سورية (سابقا) ومفخرتها ، والذى من مصنفاته : خطط الشام ، وغرائب الغرب ، والقديم والحديث والمحاضرات ، وغابر الاندلس وحاضرها ، والادارة الاسلامية ، والاسلام والحضارة العربية ... والمقتبس ... ومن مصنفاته : «المجمع العلمى العربى بدمشق» ، .. و .. هؤلاء الشعراء والكتاب من الشباب» !

ولعل فى الناس كثيرين كانوا ، لولا الاحتكار والتثبيط كابن عابدين او ككرد علي ، وها هو ذا العلامة المرحوم الشيخ سليم البخارى مات وما له مصنف رسالة فما فوقها على جلالة قدره ، وكثرة علمه ، وقوة قلمه ، وشدة بيانه ، وسبب ذلك انه صنف لاول عهده بالطلب ، رسالة صغيرة فى المنطق ، كتبها بلغة سهلة عذبة ، تنفى عن هذا العلم تعقيد العبارة ، وصعوبة الفهم ، وعرضها على شيخه ، فسخر منه وابنه وقال له :

ايها المغرور ! ابلغ من قدرك ان تصنف ، وانت ... وانت ... ثم اخذ الرسالة فسجر بها المدفاة .. فكانت هى اول مصنفات العلامة البخارى واخرها !

وقد وقع لي انى كنت بالمدرسة ، وكنت احاول ان انظم الشعر ، فاخذ ابياتا قديمة فاغير قوافيها ، وابدل كلماتها ، وادعيها لنفسى ، كما يفعل اليوم بعض الادباء «التراجمة» حين يترجمون الكلمة الانجليزية او الفرنسية ، حتى إذا بلغوا التوقيع ترجموه هو ايضا ، فكانت ترجمة اسم المؤلف او الكاتب ، اسم الترجمان او «السارق» ! وكان الكتاب او الفصل المترجم من وضع اديبنا البارع .

كنت انظم ابياتا من الشعر او اسرقها ، كما ينظم كل مبتدىء ويسرق ، حتى إذا اجتمع عندى كثير من القطع ، عرضته على استاذ العربية ، وكان لسوء الحظ تركيا ، يسمى اسماعيل حقي افندى ، يعلمنا النحو العربى باللسان التركى ! فلما قراه سخر منه وسبنى ، وتهكم علي ، وجاء من بعد اخى انور العطار ـ فنظم كما كنت انظم ، حتى إذا اجتمع عنده كثير من القطع ، عرضه على الاستاذ كرد علي رئيس المجمع العلمى العربى ، فاقام له حفلة تكريمية !

فكانت النتيجة انى عجزت عن الشعر ، حتى لنقل البحر بغمى ، اهون علي من نظم خمسة ابيات ، وان اخى انور العطار ، غدا شاعر الشباب السورى ، وسيغدو شاعر شباب العرب :

واول من سن سنة التشجيع فى بلدنا هو العلامة المرحوم ، مربى الجيل ، الشيخ طاهر الجزائرى ، الفيلسوف المؤرخ الجدلى الذى من آثاره ، المدارس الابتدائية النظامية فى الشام ، والمكتبة الظاهرية ، والاستاذ محمد كرد علي بك ، وخالى الاستاذ محب الدين الخطيب .. ومماكتب فى ذم التثبيط :

«... وقد عجبت من اولئك الذين يسعون فى تثبيط الهمم ، فى هذا الوقت الذى يتنبه فيه الغافل ...

وكان الأجدر بهم ان يشفقوا على انفسهم ، ويشتغلوا بما يعود عليهم ، وعلى غيرهم بالنفع ، ولم ير احد من المثبطين قديما او حديثا اتى بامر مهم ، فينبغى للجرائد الكبيرة ، ان تكثر من التنبيه على ضرر هذه العادة ، والتحذير منها ، ليخلص منها من لم تستحكم فيه ، وينتبه الناس لاربابها ليخلصوا من ضررهم» .

وكان الشيخ فى حياته يشجع كل عامل ، ولا يثنى احدا عن غاية صالحة ، حتى لقد اخبرنى احد المقربين منه انه قال له : إذا جاءك من يريد تعلم النحو فى ثلاثة ايام فلا تقل له إن هذا غير ممكن ، فتغل عزيمته وتكسر همته ، ولكن اقرئه وحبب اليه النحو ، فلعله إذا انس به واظب على قراءته .

ثم إن التشجيع يفتح الطريق للعبقريات المخبوءة حتى تظهر وتثمر ثمرها وتؤتى اكلها ، ورب ولد من اولاد الصناع او التجار ، يكون إذا شجع اخذ بيده ، عالما من اكابر العلماء ، او اديبا من اعاظم الادباء ، وفى علماء القرن الماضى فى الشام من ارتقى بالجد والدأب والتشجيع من منوال الحياكة ، الى منصب الافتاء ، وكرسى التدريس تحت القبة .

نشا الشيخ محمد اسماعيل الحائك عاميا ، ولكنه محب للعلم ، محب للعلماء ،

فكان يحضر مجالسهم ، ويجلس فى حلقهم للتبرك ، والسماع ، وكان يواظب على الدرس ، لا يفوته الجلوس فى الصف الأول فجعل الشيخ يؤنسه ويلطف به ، لما يرى من دوامه وتبكيره ، ويسال عنه إذا غاب ، فشد ذلك من عزمه ، فاشترى الكتب ، يحيى ليله فى مطالعة الدرس ، ويستعين على ذلك بالنابهين من الطلبة ، واستمر على ذلك دهراً حتى اتقن علوم الآلة ، وصار واحد زمانه فى الفقه والأصول ، وهو عاكف على مهنته لم يتركها ، وصار الناس ياتونه فى محله ، يسالونه عن مشكلات المسائل ، وعويصات الوقائع فيجيبهم بما يعجز عنه فحولة العلماء ، وانقطع الناس عن المفتي من آل العمادى ، فساء ذلك العماديين والمهم ، فتربصوا بالشيخ واضمروا له الشر ولكنهم لم يجدوا اليه سبيلا ، فقد كان يحيا من عمله ، ويحيا الناس من علمه ، وكان يمر كل يوم بدار العماديين ، فى «القميرية» وهو على اتان له بيضاء ، فيسلم فيردون عليه السلام ، فمر يوماً كما كان يمر ، فوجد على الباب اخاً للمفتى ، فرد عليه السلام ، وقال له ساخراً :

ـ الى اين يا شيخ ! اذاهب انت الى (اسطمبول) لتاتى بولاية الافتاء ؟

وضحك ، وضحك من حوله ، اما الشيخ فلم يزد على ان قال :

ـ إن شاء الله .

وسار فى طريقه حتى اذا ابتعد عنهم ، دار فى الازقة حتى عاد الى داره ، فودع اهله ، واعطاهم نفقتهم وسافر !

ومازال يفارق بلداً ، ويستقبل بلداً ، حتى دخل القسطنطينية ، فنزل فى خان قريب من دار المشيخة ، وكان يجلس على الباب يطالع فى كتاب ، او يكتب فى صحيفة ، فيعرف الناس من زيه انه عربى ، فيحترمونه ويجلونه ، ولم يكن الترك قد جنوا الجنة الكبرى بعد ... فكانوا يعظمون العربى ، لانه من امة الرسول الأعظم ، الذى اهتدوا به ، وصاروا به وبقومه ناساً .

واتصلت اسباب الشيخ ، باسباب طائفة منهم ، فكانوا يجلسون اليه يحدثونه ، فقال له يوماً رجل منهم :

ـ إن السلطان سال دار المشيخة عن قضية حيرت علماءها ، ولم يجدوا لها جواباً ، والسلطان يستحثهم وهم حائرون ، فهل لك فى ان تراها لعل الله يفتح عليك بالجواب ؟

قال : نعم

قال : سر معى الى المشيخة .

قال : باسم الله .

ودخلوا على ناموس المشيخة (سكرتيرها) ، فساله الشيخ اسماعيل عن المسالة فرفع راسه ، فقلب بصره فيه بازدراء ، ولم تكن هيئة الشيخ بالتى ترضى ثم القاها اليه وانصرف الى عمله ، فاخرج الشيخ نظارته فوضعها على عينه ، فقرا المسالة ثم اخرج من منطقته هذه الدواة النحاسية التى كان يستعملها العلماء وطلبة العلم للكتابة وللدفاع عن النفس ، فاستخرج منها قصبة فبراها ، واخذ المقط فقطها ، وجلس يكتب الجواب بخط نسخى جميل ، حتى سود عشر صفحات ، ما رجع فى كلمة منها الى كتاب ، ودفعها الى الناموس ، ودفع اليه عنوان منزله وذهب ، فلما حملها الناموس الى شيخ الاسلام وقراها ، كاد يقضى دهشة وسروراً .

ـ وقال له : ويحك ! من كتب هذا الجواب ؟

ـ قال : شيخ سامى من صفته كيت وكيت ...

ـ قال : علي به .

فدعوه وجعلوا يعلمونه كيف يسلم على شيخ الاسلام ، وان عليه ان يشير بالتحية واضعاً يده على صدره ، منحنياً ، ثم يمشى متباطئاً حتى يقوم بين يديه ... الى غير ذلك من هذه الأعمال الطويلة ، التى نسيها الشيخ ، ولم يحفظ منها شيئاً .

ودخل على شيخ الاسلام ، فقال له :

ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وذهب فجلس فى اقرب المجالس اليه ، وعجب الحاضرون من عمله ، ولكن شيخ الاسلام سر بهذه التحية الاسلامية ، واقبل عليه يساله حتى قال له :

ـ سلنى حاجتك .

ـ قال : إفتاء الشام وتدريس القبة .

ـ قال : هما لك فاغد علي غداً !

فلما كان الغد ذهب اليه فاعطاه فرمان التولية ، وكيساً فيه الف دينار .

وعاد الشيخ الى دمشق ، فركب اتانه ، ودار حتى مر بدار العماديين ، فاذا بصاحبنا على الباب ، فسخر منه كما سخر وقال :

ـ من اين يا شيخ .

ـ فقال الشيخ : من هنا ، من اسطنبول . اتيت بتولية الافتاء كما امرتنى . ثم ذهب الى القصر ، فقابل الوالى بالفرمان ، فركع له وسجد ، وسلم الشيخ عمله فى حفلة حافلة .

... ...

ومن هذا الباب قصة الشيخ على كزبر ، وقد كان خياطاً فى سوق المسكية على باب الجامع الأموى ، فكان إذا فرغ من عمله ذهب فجلس فى الحلقة التى تحت القبة ، فاستمع الى الشيخ حتى يقوم فيلحق به فيخدمه ، وكان الشيخ يعطف عليه لما يرى من خدمته إياه ، فيشجعه ويحثه على القراءة ، فقرا وداب على المطالعة ، حتى صار يقرا بين يدى الشيخ فى الحلقة ، ولبث على ذلك امداً وهو لا يفارق دكانه ، ولا يدع عمله ، حتى صار مقدماً فى كافة العلوم .«ومدرس القبة اليوم ـ ١٩٣٥ ـ شاب اوروبى الزى ، اوروبى اللسان . اوروبى الزوجة ، لا يدخل المسجد مرة فى العام . ولكنه مدرس القبة» .

فلما مات الشيخ حضر فى الحلقة الوالى والأعيان والكبراء ، ليحضروا اول درس للمدرس الجديد ، فافتقدوا المعيد فلم يجدوه ، ففتشوا عليه فاذا هو فى دكانه يخيط فجاءوا به ، فقرا الدرس وشرحه شرحاً اعجب به الحاضرون وطربوا له ، فعين مدرساً ولبث خمسة عشر عاماً يدرس تحت قبة النسر ، وبقيت الخطبة فى احفاده الى اليوم .

على ان للتشجيع عيباً واحداً ، هو الغرور ، فانا اعوذ بالله ان اغتر فاصدق انى اهل لكل ما تفضل به علي الاستاذ الزيات ، وارجو ان اوفق الى الجد والتقدم بتشجيع الأستاذ وفضله ، واشكر للاستاذ الزيات باسمى واسم اخوانى هنا ، اياديه علينا وعلى الأدب العربى ، الذى سمت وتسمو به «الرسالة» !

علي الطنطاوى

عبدالرحمن الورّاق

بقلم: خالد محسن إسماعيل

ظفرت بمخطوط قديم لا عنوان له ولا ذكر لمؤلفه ، فقد سلخت الأيام منه أوراقه الأولى ، وذهبت بأوراقه الأخيرة ، وهو واضح الخط فى أكثر كلماته ، وإن أتت الرطوبة على بعض أوراقه فمحت سطورها . إنه مجموعة فريدة من أخبار بغداد لم أجدها فى مرجع آخر ، ولم أجد أحداً من المؤرخين نقل شيئاً منها أو أشار إليها أو ذكر كتاباً يدور في أفقها على كثرة ما سالت واستقصيت ! فالكتاب عندى مجهول العنوان مجهول المؤلف مجهول الناسخ مجهول العصر الذى صنف فيه !

وقد أعددته للنشر بعد أن ضبطت ـ ما استطعت ـ شواهده ، ووضعت لكل خبر عنواناً يسهل الرجوع إليه ويحجز بين خبر وآخر .

فهل يتطوع أحد من المشتغلين بتاريخ بغداد ليبحث في حقيقة هذا الكتاب لعله يظفر بما عجزت عنه يكشف ـ بذلك ـ الحجاب عن أثر مجهول من تاريخ مدينة السلام .. مدينة السحر والجمال والحب الحلال .

(... وقال ابو بكر محمد بن عبد الرحمن الأشبيلي :

وقع بيدى وانا ادرس ببغداد كتاب « غرائب الانباء فى كرامات الغرباء » قرات فيه ماهذا حرفه :

كان ببغداد رجل يدعى « عبد الرحمن الوراق » ولد ببغداد وعاش فى جانبها الغربي إلى جوار تربة الصالح الزاهد الشيخ معروف الكرخي . كان معلماً للصبيان وقيل كان وراقاً فى سوق الثلاثاء فى الجانب الشرقى . عاش حياته بين السوق والتربة ، وكان وديعاً صالحاً خيراً ، عرف بمصانعة الأيام طلبة للسلامة . فهو لذلك ، كان قليل الخلطة بأهل السوق ، يألف الغربة ويأنس بالوحدة ويفر من لقاء الناس

قالوا : ولعل سبب هذه العزلة التى ضربت بينه وبين الناس ما أثره الجدري فى وجهه فترك ندوباً ليتها أصابت الكبد ، كما كان يتمنى ، قبل أن تستبد بالوجه تشويهاً وتخريباً .

قالوا : وفى عصرية يوم من شهر رمضان وقع نظره على امراة فى السوق كانت ماضية لشانها ، فاصابته وعلق حبها بقلبه دون أن تفطن المراة إلى شيء من ذلك .

قالوا : بل احست بما اعتراه فتركت السوق خائفة مضطربة مما رات من امر هذا الرجل وبدا لأهل السوق انهم يلحظون عليه اطواراً غريبة لم يألفوها فيه من قبل ، وجدوه كثير الصمت فاذا تكلم تكلم مع نفسه ملوحاً بيديه وكانه ينشد شعراً ، وكانوا إذا شاءوا مداعبته او التحرش به سالوه عن حاله وحال الدنيا فلا يزيد على أن يتمتم : لولا الايمان .. لولا الايمان ، وينصرف عنهم.

ثم لم يلبث ان ترك مهنته ، واعرض عن الدنيا ونفر من الناس وكانه فرغ من امر الدنيا والناس معاً ، غير صاحب له كان إذا



حان وقت الظهر اتاه فى حانوته وشاركه الغداء ، وقد يقرأ له من ورقات معه فاذا حضر احد سكت ودس الورقات فى ثيابه .

قالوا : وساء امره ، فهانت حاله ، وهزل بدنه ، وشحب لونه ، وغارت عيناه ، وبرزت عظام وجهه وصار إذا خطر فى السوق فكانما شبح من الاشباح مر !.

وكثيراً ما كان يقف عند الموضع الذى رأى فيه المراة دون ان يعرف احد من اهل السوق سر وقفته غير صاحبه ، وقد يطيل الوقوف او يتكلم كلاماً مبهماً وقد يبكي او يضحك ثم يمضي لحاله .

وذات يوم مر بالسوق عالم بغداد وخطيبها المحدث الحافظ ـ ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الشيباني المشهور بالدباغ فى طريقه إلى المدرسة النظامية ، فهجم عليه عبد الرحمن عند باب المدرسة واخذ بتلابيبه وراح يهزه ويصرخ باعلى صوت :

سر ألح وهد منى كياني
واصاب منى مقتلا وبراني
ايمانكم ياقوم سر نعيمكم
وشقاوتى وضلالتى إيماني

ولم يجبه الشيخ الشيبانى ولم ينهره بل مضى الى المدرسة وهو يردد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، واهل السوق فى دهشة مما يرون . قالوا : مضى الشيخ وعلى وجهه تتلألأ دمعتان !

وذاع خبر عبد الرحمن الوراق بعد ذلك فاتهمه بعضهم بالجنون ، ورماه آخرون بالزندقة ، وقال غيرهم لم يتزندق ولم يجن إنما كان اسم المراة (شقوة) ، قيل بل كان اسمها (ضلال) ، وقالوا غير ذلك ولعله والله اعلم ، هو الصواب !

وقبل وفاته بليلة ، قالوا ، رأى فى نومه الشيخ معروفاً الكرخى يقول له : هلم ايها الغريب الى الغرباء !

وبعد دفنه فى مقبرة الشيخ معروف لم يجدوا فيما ترك من متاع الدنيا غير صرة طويت على دراهم معدودات لتجهيزه ، وورقات عتيقة فيها مقطوعات من شعر ووصية يستحلف فيها صاحبه باغلظ الايمان لن لا ينسى العهد الذى بينهما على إخبار المراة بان رجلا احبها وانه قد مات !

قالوا : وكثيراً ما شاهد الناس ، إذا جن الليل ، شخصاً يتسلل الى مقبرة الشيخ معروف فيخترق القبور وينتهى الى قبر عبد الرحمن ويجلس عنده ثم يسمع له نشيج مكتوم . واهل الحارات المجاورة اكدوا على ان الشخص هذا ملك صالح ، وقال بعضهم بل هى المراة نفسها ، وقال آخرون غير ذلك .

ومما يرويه الرواة لعبد الرحمن الوراق اول إصابته :

ماذا دهاك لقد اضعت صواباً
وجنيت من بعد النعيم عذاباً
ورجعت من خلف السنين مردداً
عشقت سعاد وقد عشقت رباباً
انسيت عهداً بالامانة زنته
عهد الاخوة مسجداً وصحاباً
عود الشباب على النقاء عجمته
ورضعت من نبع الآله رضاباً
ونسجت من ليل العفاف مصابراً
برداً يلملم شيبة وشباباً
حتى اذا ازف الرحيل وأذنت
شمس المغيب الى الافول ايابا
وهتاف داعى الموت يضرب حادياً
فى ساحتيك وقد ضربن يبابا
القيت رحلك واستبد بك الهوى
يا شقوة الغانى : هوى وسرابا !

وقد اختلف اهل بغداد فى امر عبد الرحمن هذا ، فقال بعضهم انه لم يدفن فى مقبرة الشيخ معروف بل دفن فى مقابر باب حرب ثم لم يلبث النهر ان ابتلعه كما ابتلع القبور كلها ، وقيل انه ترك مجموعاً شعرياً استودعه صاحبه إلا أن صاحبه هذا خرج الى دجلة ليلة دفنه والقى من على الجسر كيساً قيل هو كل ما ترك عبد الرحمن من دنياه لدنياه .

ومن اعجب ما قيل فى خبره انه لم ير فى السوق يومذاك امراة بل راى غزالا فاعجبه حسنه وهام به . بل قيل ان عبد الرحمن هذا شخصية مفتراة لا حقيقة لها وان ما اثر عنه من شعر إنما هو شعر منحول نحله إياه شعراء عدة من عصور تاليات . وقيل فى خبره ما قيل والله اعلم باخبار الغرباء من الناس .

خالد محسن اسماعيل

تفسيرات عربية لطيفة لأسماء البلدان

بقلم : اللواء إبراهيم محمد الفحام

يعد بحث الاصول اللغوية والتاريخية ، لأسماء البلدان ، من اخصب وامتع المجالات ، التى تحظى بعناية المهتمين بدراسة المأثورات الشعبية .

وقد تضمنت كثير من المؤلفات العربية القديمة (الجغرافية ، والتاريخية ، واللغوية) تفسيرات طريفة لكثير من هذه الأسماء ، كما نشرت بعض البحوث الحديثة ، المتخصصة فى هذا المجال . مثل (القاموس الجغرافى للبلاد المصرية) لمحمد رمزى وكتاب (أصول اسماء المدن والقرى اللبنانية) للدكتور انيس فريحة ، والبحث المنشور ضمن مجموعة بحوث ومحاضرات الدورة الثالثة والثلاثين ، لمجمع اللغة العربية ، عن (أصول اسماء المواضع العراقية) لكيوركيس عواد .

وقد حث العلامة عيسى اسكندر المعلوف فى كتابه (تاريخ مدينة زحلة) على الاهتمام بهذا اللون من الدراسة ، الذى يكشف لنا كثيراً من المعلومات النافعة .

وقد اتبعت التفسيرات العربية القديمة أسلوب التاصيل اللغوى لهذه الأسماء ، بمحاولة استجلاء معانيها الظاهرة ، او إرجاعها – إذا تعذر ذلك – الى اصول لغوية يمكن تفسيرها ، او ترجيح تخليدها لاسماء بعض الشخصيات التاريخية ، او اشتقاقها منها .

تفسيرات لغوية لأسماء عربية

ومن التفسيرات اللغوية العديدة لأسماء (مكة) ، انها سميت كذلك لانها (تمك الجبارين) اى تذهب نخوتهم ، وتعتصر عافيتهم . من قولهم (امتك الفصيل ضرع امه ، إذا مصه مصاً شديداً) .

كما قيل فى (جدة) انها سميت كذلك ، لكونها على ساحل البحر ، من (جد الشىء) اى حده ، او جانبه . وقيل : بل تنسب الى حواء (جدة البشر) التى ماتت ودفنت فى هذه المدينة .

وقيل فى (اليمن) و (الشام) ان العرب لما كثروا بمكة تفرقوا ، فمن (تيامن) منهم – اى اتجه الى اليمين – سمي موطنهم (اليمن) ، ومن (تشاءم) منهم – اى اتجه الى الشمال – سمي موطنهم (الشام) .

وقيل : بل سمي الشام شاماً ، تشبيهاً له بالشامات التى تكون على الوجه ، لكثرة بساتينه وقراه ، وتدانى بعضها من بعض .

وقال الزجاجى فى (العراق) إنه سمي كذلك (لأنه سفل من نجد ، ودنا من البحر . وقد اخذ من عراق القربة وهو الخرز الذى أسفلها) يقال (خرز الجلد ونحوه خرزاً اى خاطه) .

ويفسر الخليل (العراق) بانه (شاطىء البحر) . ويرى أن العراق سمي به ، لانه يقع على شاطىء دجلة والفرات ، بينما يرى أبو زكريا النووى ان (العراق) يعنى (الاستواء) وقد سمي كذلك لاستواء ارضه ، وخلوها من الاودية والجبال .

وذكرت فى (البصرة) اقوال عديدة ، منها قول قطرب إنها (الأرض الغليظة ، التى فيها حجارة تقلع ، وتقطع حوافر الدواب) وقال غيره إن (البصرة حجارة رخوة ، فيها بياض) .

ومما قيل فى (الكوفة) ـ وهو كثير ـ انها تطلق فى الاصل على كل رملة تخالطها حصباء . او انها سميت كذلك لاستدارتها من (الكوفان) وهى الرملة المستديرة .

ويذكر ابن الاعرابى أن (عمان) مشتقة من (العمن) بضم العين والميم ، وهم القوم المقيمون فى مكان ما ، من قولهم رجل (عامن) و (عمون) اى (مقيم) .

كما قيل فى (عكا) انها من (العكة) اى (الرملة حمست عليها الشمس) ، وقيل (العكة من الحر ، الفورة الشديدة فى القيظ ، وهو الوقت الذى تركد فيه الريح) .

ومن اكثر التفسيرات اللغوية شهرة ، تلك التى عللوا بها اختيار اسم (القاهرة) للعاصمة التى اقامها جوهر الصقلى للفاطميين فى مصر . إذ رووا انه اقام فى موضع سور المدينة اعمدة خشبية ، تصل بينها احبال فيها اجراس ، وأمر العمال الا يبدؤوا البناء إلا عندما تبلغهم إشارة المنجمين ـ بواسطة دق الاجراس ـ بالوقت الذى يرونه ملائما لذلك ، من حيث الطالع . غير انه حدث ان دقت الاجراس فجاة ، عندما وقف غراب على احد الاحبال فبادر العمال الى اداء واجبهم على الفور . ولما لاحظ المنجمون ان موكب المريخ (قاهر الفلك) كان وقتذاك فى الطالع ، فقد اطلق على تلك المدينة (القاهرة) .

تفسيرات مماثلة لأسماء غير عربية

وقال الزجاجى ان (حلب) سميت كذلك لأن ابراهيم عليه السلام ، كان يحلب فيها غنمه . وقد علق ياقوت الحموى على ذلك فى (معجم البلدان) بقوله : (هذا فيه نظر ، لأن ابراهيم عليه السلام ـ واهل الشام فى ايامه ـ لم يكونوا عربا . وإنما العربية فى ولد ابنه اسماعيل عليه السلام ، وقحطان).

وتحفل المأثورات العربية بتفسيرات عديدة لأسماء اعجمية لبعض البلدان ، على انها عربية الاصل ، مثلما ذكر فى (تهذيب الأسماء واللغات) لأبى زكريا النووى ان (الأندلس) مشتق من (الدلس) اى (الظلم) كما قيل فى (قرطبة) انها من (القرطبة) ـ بفتح القاف ـ وهو العدو الشديد ـ او من قولهم (طعنه فقرطبه : اى صرعه) .

وقيل فى (شاطبة) بالأندلس ، انها مشتقة من (الشطبة) وهى (السعفة الرطبة الخضراء) او من (الشاطبة) وهى المراة التى (تشطب الجريد) اى تشقه لتعمل منه حصيراً .

وفسر البعض (دمشق) بان الذين اقاموها (دمشقوا فى بنائها) اى (اسرعوا) ويقول العرب (ناقة دمشق) ـ بفتح الدال وسكون الميم ـ اى (سريعة) وقد تكون من (دمشق الشى) اى : (زينه) .

محاولات لترجمة الأسماء الأعجمية

غير انهم ـ فى بعض الاحيان ـ كانوا يفسرون اسماء البلدان الاعجمية بلغة سكانها الاصليين . كقولهم فى (اصبهان) او (اصفهان) انها مركبة من (الاصب) وتعنى فى الفارسية (الفارس) و (هان) وهى اداة الجمع ، فكانهم يقصدون (الفرسان) او (بلدة الفرسان) .

وقالوا فى (بغداد) ـ ضمن تفسيرات عديدة ـ انها من الفارسية (باغ) اى (بستان) و (داد) اى : (رجل) . والمعنى (بستان رجل) . كما قيل إن (بغ) اسم لصنم كان يعبد . وسبب هذه التسمية أن كسرى اقطع عبداً له موقع تلك المدينة ـ وكان من عباد ذلك الصنم ـ فقال (بغ داد) اى (الصنم ـ او المعبود بغ اعطانى) او (عطية بغ) .

ونسبت اسماء بعض بلدان اليمن الى لغة الحبش ، منذ غزوهم إياها . فقيل فى (صنعاء) انهم لما وجدوها مبنية بالحجارة قالوا : (صنعة .. صنعة) اى (حصينة) . وقيل فى (عدن) إنهم لما رحلوا منها قالوا (عدننا) اى (خرجنا) . فسميت هاتان المدينتان بذلك .

وقيل فى تفسير (خوارزم) ان احد الملوك القدماء غضب على اربعمائة من افراد حاشيته . فنفاهم الى ارض مهجورة نائية ثم تساءل عن مصيرهم بعد سنوات طويلة ، وامر بعض رجاله بكشف اخبارهم ، فلما بلغوهم ، وجدوهم قد بنوا اكواخا ، واتخذوا من السمك طعامهم ، يشوونه على ما يجمعون من الحطب .

فلما سئلوا عن حالهم ، اشاروا الى السمك وقالوا (عندنا هذا (اللحم) واسمه عندهم (خوار) ثم اشاروا الى الحطب وقالوا (وعندنا هذا الحطب) ـ واسمه (رزم) ـ فاطلق على موضعهم (خوارزم) .

وفسروا (نابلس) باسطورة طريفة ، إذ زعموا انها سميت كذلك لانه كان هنالك واد فيه حية عظيمة ، قد امتنعت فيه ـ وإسمها فى لغتهم (لس) ـ فاحتالوا عليها حتى قتلوها ، وانتزعوا نابها السام ، فعلقوه على باب تلك المدينة فقيل (هذا ناب لس) اى (ناب الحية) ، ثم كثر استعمالها ، حتى كتبوها متصلة (نابلس) . كما قيل فى رواية اخرى بان كلمة (لس) تعنى فى الحقيقة (التنين) .

تفسيرات ترتبط بشخصيات السير الدينية

وكما ارجع البعض تفسير (حلب) الى سيرة نبى الله ابراهيم الخليل ، فقد لرجعوا الى تلك السيرة ايضا تفسير (القادسية) إذا روى انه دعا لتلك البلدة ـ عندما كرمته فيها امراة عجوز بقوله (قدست من ارض) فسميت (القادسية) . كما ذكروا انه اقام عريشا يستظل به شمال سيناء ، عند اتجاهه الى مصر فاطلق اسم (العريش) على ذلك الموقع ، وعلى البلدة التى اقيمت هنالك بعد ذلك .

تفسيرات عربية لطيفة لأسماء البلدان

كما روى فى تفسير (العريش) ايضا انه عندما سار إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر ـ لما اقحط الشام ـ اوقفهم حراس الحدود هنالك ، واقاموا لهم عريشا يسترحون فيه ، حتى اذن يوسف بدخولهم .

ومن البلدان المصرية الاخرى ، التى ارتبط تفسير اسمائها ، بسيرة نبى الله يوسف ، بلدة (الفيوم) التى قيل انه حفر نهراً عظيماً الى موقعها ، خلال سبيعين يوماً ، تخفيفاً لغائلة القحط ، فلما راه الملك ابدى اعجابه بذلك العمل . الذى كان يقدر ان يستغرق اتمامه (الف يوم) ، فسميت البلدة التى اقيمت هنالك فاصبحت حاضرة ذلك الاقليم (الفيوم) .

وروى فى تفسير (البهنسا) ـ التى تتبع محافظة المنيا الآن ـ انه كان بها قصر لزليخا امراة العزيز يسمى (قصر ابهى النسا) ثم حرف الاسم الى ما هو شائع الآن .

وقيل فى تفسير (البدرشين) ـ التى تتبع محافظة الجيزة الآن ـ انه لما استتب الامر ليوسف ، خرج يتنزه فى موكب حافل فالتقت به زليخا فى ذلك الموقع ـ وقد زال شبابها وسلطانها ، فلما راها هكذا ، قال : (مالى ارى البدر شينا) اى : قبيحا .

فقالت : (سبحان من اذل الملوك واعز العبيد) وسمى ذلك الموقع (البدرشين) .

تفسيرات ترتبط بشخصيات السير الشعبية

وتاثرت بعض تلك التفسيرات بالسير الشعبية القديمة ، فرويت قصص ارجعت اسماء بعض البلدان الى حوادث وقعت لبعض ابطال تلك السير .

فمن المأثورات اليمنية القديمة ، ان (سمرقند) تنسب الى (شمر يرعش) اكبر تبابعة اليمن ، الذى روى انه سار غازيا فى خمسمائة الف رجل الى بلاد الصين فى القرن الرابع قبل الهجرة ، فدانت له الاقطار ، حتى بلغ بلاد الصغد . فتحصن اهلها ، وابوا الخضوع له ، فما كان منه إلا ان احاط بهم من كل جانب ، وامر بهدم مدينتهم ، فسموها (شمركند) اى (شمر هدمها) ثم عربت الى (سمرقند) .

وتعد (الحيرة) من البلدان التى ارتبط تفسير اسمها بسيرته ايضا . إذ يروى انه لما اقبل بجيوشه على موقعها ، ضل دليله وتحير فسمى (الحيرة) وقال آخرون انه خلف فى ذلك الموقع بعض جنده وقال لهم (حيروا به) اى (اقيموا به) فاقاموا لانفسهم بلدة سموها (الحيرة) .

وعندما تولى تبع الاقرن الحميرى ملك اليمن ، فى القرن الثالث قبل الهجرة ، جهز جيشا كثيفا ، ومضى به حتى بلغ (سمرقند) فعمرها ، واتجه نحو الصين يريد غزوها ، فتخلف فى طريقه ثلاثون الفا من رجاله ، ابتنى لهم بلدة كبيرة ، نسبت اليهم ، فقيل لها (الثبت) بضم الثاء وفتح الباء المشددة ، نسبة الى تثبيتهم اى توطينهم ـ بذلك الموقع ، ثم حرفت الثاء المثلثة الى التاء المثناة . وهى البلاد الكائنة بين الصين والهند ، التى يغلب على اسمها الآن ان ينطق بكسر التاء والباء

وفى ذلك يقول الشاعر العباسي دعبل بن على الخزامي ، مفتخراً باسلافه من اهل اليمن ، فى قصيدته التى عارض بها الكميت :

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو
وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا قديما سمر قندا
وهم غرسوا هناك التبتينا

ومن القصص التى تتضمن تفسيرات ترتبط بالسير الشعبية الفارسية ، تلك التى تتناول اسماء بلدان (نيسابور) و (سابور خواست) و (جنديسابور) .

إذ يرون انه عندما اختفى (سابور) الذى تولى ملك فارس فى القرن الثالث قبل الهجرة ـ واسمه عند الفرس شابور بن اردشير ، او شابور الاكبر ـ جردوا بعض الرجال للبحث عنه ، فاتجهوا إلى احد المواقع ، فلم يجدوه به ، فقال بعضهم (نيت سابور) اي (ليس سابور) فاطلقت على ذلك الموقع ، ثم حرفت إلى (نيسابور)

ولما بلغوا موقعا آخر ، سئلوا فيه عما يريدون فقالوا : (سابور خواست) اي (نطلب سابور) فاطلقت على ذلك الموقع . وعندما عثروا عليه اخيراً فى احد المواقع ، قالوا (وند سابور) اي (وجد سابور) فاطلق على ذلك الموقع ، وحرف إلى (جند يسابور) .

وروى فى تفسير (حلب) و (حمص) و (برذعة) انها تحمل اسماء ثلاثة اخوة من بنى عمليق ، بنى كل منهم مدينة ، فسميت باسمه .

ومما قيل فى (الطائف) ان رجلا من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك ، قتل ابن عم له بحضرموت اسمه عمرو ثم ولى هاربا خشية القصاص ، حتى اتى مسعود بن معتب الثقفي ، بديار بني ثقيف ـ وكان تاجراً غنياً ـ فقال له : (احالفكم لتزوجوني وازوجكم ، وابني لكم طوفا عليكم مثل الحائط ، لا يصل إليكم احد من العرب) .

فلما اجابوه إلى طلبه اقام عليهم ذلك الطوف ، فسميت بلدتهم (الطائف) وكانت تسمى ـ قبل ذلك ـ (وجا) نسبة إلى احد العماليق .

وقيل فى تفسير (الطائف) ايضا . انها كانت لاحدى قرى الشام ، ثم (طفت) على وجه الماء ببساتينها وخيراتها ، حتى استقرت فى موضعها الحالي ، استجابة لدعوة ابراهيم الخليل عليه السلام .

وإني إذ اكتفي بعرض هذه المجموعة من التفسيرات العربية لأسماء بعض البلدان . ارجو ان يجد فيها المهتمون بجمع التراث الشعبي وتسجيله ، ودراسته ، حافزاً للتعمق فى هذا المجال بوجه خاص . وحبذا لو شمل اهتمامهم سائر المعالم الجغرافية الأخرى ، كالانهار والترع والجزر والجبال والوديان والدروب ، لمحاولة تاصيل اسمائها ، وجمع ما يروى حول تفسيرها من المأثورات الشعبية ، التى قد تقدم لنا دراستها كثيراً من الدلالات القومية والاجتماعية المفيدة ، والمعلومات التاريخية الشيقة .

اللواء ابراهيم محمد الفحام

رحيل العصافير

إلى روح صديقي الشاعر السوداني الراحل محمد المهدي المجذوب

شعر: م. كجراي

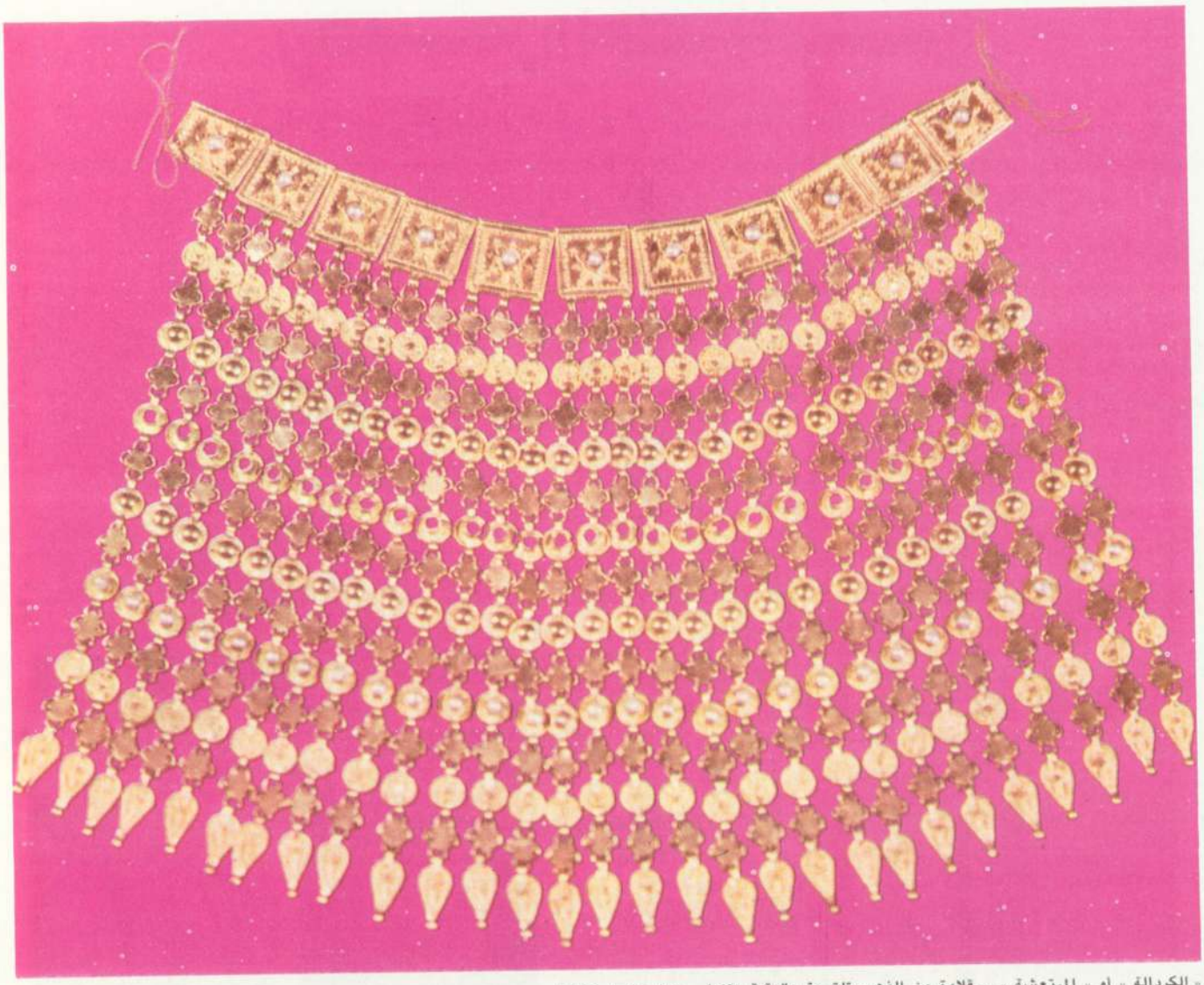


الشاعر محمد المهدى المجذوب

نمد على ربوات المدينة أنغامنا
غير أن المدينة غانية تتعلم كيف تمد على شرفة القصر
حبل الغسيل
ونسأل كيف ترف البشاشة فوق الصخور
ليورق وجه الزمان البخيل
يزلزلنا السأم الدائري
ويقتلنا الزمن الشاعرى
نحب الحياة ولكننا فى كتاب الحياة
زنابق حقل يفاجؤها الموت ،
لا يتذكرها الناس إلا مساء الفجيعة بعد الرحيل
فكل أحاسيسنا تتهاوى وتسقط
يخرسها الموت عند احتراق الأصيل
وأن الحياة مع الألم الدائري صدى
مثل لون الفجيعة ، مثل اختناق العويل
نموت كموت العصافير فى أول العمر
ميلادنا ومضة البرق ، ثم حضور الفجيعة فى لحظة الاحتراق
نجيء ونمضي كأنا خيول على الأرض تركض
فى حلبات السباق
تغيب المحطات لا يتبقى سوى غسق
يتكثف بين ركام الفصول
نمزق أحشاءنا يا لبكر إذا ما تناسى
الفرات خيول المغول
فكيف يرق على أرضنا الحلم والزمن الدائري ظلام وغول
زمان البراءة ولى
وجاء زمان الفجاءة فى بعده العنكبوت يصول
فيا هداة العمر إن الخلود نداء
يجيش بأعماقنا ، ظل رؤيا من الساحل القمرى الطويل

دعينا نعانق غانية الحلم
حين تمر على أفق المستحيل
دعينا نحلق فوق الفضاء
نجرب قبل مجيء القضاء
حروف انفعالاتنا فى كتاب الرثاء

بقايا نشيج
ترسل من صوت قمرية فوق غاب النخيل



« الكردالة » أو « المرتعشة » .. قلادة من الذهب تلتصق بالرقبة وتتدلى منها سلاسل واهداب ..

الحُليّ الذهبية القَطَرية

بقلم : نجلاء العزي



«لوح السعد» نموذج من الحلى التقليدية التى تزين الرأس وتتدلى منها أشكال هلالية على الجبين

عرف الخليج منذ قديم الزمان بأنه حلقة وصل بين الشرق والغرب ، فهو نافذة تطل على المحيط الهندى ، وموقعه هذا أدى الى ازدهار التجارة والتبادل الاقتصادى والثقافى بينه وبين البلدان المجاورة ، كما أدى الى نشوء حرف وصناعات مرتبطة بموقع وبيئة بلدان الخليج العربى مما جعل من هذه المنطقة حقلا خصباً لنشوء مختلف الفنون الممتزجة بحضارات مجاورة فكانت النتيجة أن صارت له حضارة ذات ثقافة فريدة مميزة خاصة به أوجدتها البيئة والموقع الذى تشغله .

ولما كانت شبه جزيرة قطر من ضمن بلدان الخليج العربى ، فقد كان المورد الاقتصادى الكبير فيها هو صيد اللؤلؤ وتجارته طوال القرنين الماضيين ونشأت فيه حرف وصناعات متعلقة به مثل صناعة السفن وصياغة الذهب والفضة وتجارة اللؤلؤ وصياغته وهى حرف وصناعات كانت موجودة فى هذا البلد منذ القدم لكنها مرت بفترة ركود طويلة نشطت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى بسبب وقوعها على الطريق المؤدى الى الهند أغنى مستعمرات بريطانيا فى ذلك الوقت ، فلكى تؤمن بريطانيا اتصالها بالهند أوجدت وسائط نقل منظمة وسريعة تجوب المياه وتقف على الموانىء فى تلك المنطقة مما أدى الى ازدهار المدن الساحلية فى الخليج العربى . وقد شهدت هذه المنطقة ايضاً نشاطاً تجارياً أدى الى ازدهار حرف وصناعات معينة مرتبطة بها . كما تطورت فيها بعض الحرف الفنية كصياغة الحلى الذهبية فى المدن الساحلية وانحسرت صياغة الحلى الفضية الى المدن الداخلية واقتصرت على البدو .

الحُليّ الذهبية القطريّة

المجموعات النادرة

هذا وتعتبر الحلي التى يعرضها متحف قطر الوطنى اليوم نموذجاً لكل الحلي الذهبية والفضية ليس فى قطر وحدها وانما فى معظم بلدان الخليج العربى ، وهى منوعة ما بين حلي نسائية ذهبية وفضية وزينة رجالية مكونة من خناجر وسيوف واحزمة ومناطق مطعمة بالذهب والفضة وكذلك هدايا قيمة نفيسة واحجار كريمة ولآلىء طبيعية منوعة مستخرجة من مياه الخليج العربى من مغاصات قطر خاصة وهى قديمة واصيلة اقتناها المتحف بواسطة الشراء او بالاهداء .

هذا ومن الجدير بالذكر أن المجموعة المعروضة فى متحف قطر الوطنى ليست المجموعة الكاملة لكل انواع الحلي الذهبية والفضية التى كانت سائدة فى المجتمع ، وذلك لتعذر الحصول على الحلي القطرية التقليدية القديمة كلها ، لذلك تعتبر الحلي المعروضة ما هى الا نماذج فقط لكل نوع منها . ومازال متحف قطر الوطنى جاداً فى الحصول على بقية انواع الحلي لانها قطع تراثية قطرية اصيلة ذات علاقة مباشرة بتاريخ وتراث قطر ، كما كان الحصول عليها من الصعوبة بمكان كبير حيث أن معظم هذه القطع القديمة إما بيعت واعيد صهرها وتشكيلها وفق الأشكال الحديثة وبطرق صناعية ، او لان ارباب هذه الحرفة قد اندثروا او فى طريقهم الى الزوال بسبب طغيان الميكنة على مختلف اوجه الصناعة والحرف فى شبه جزيرة قطر وذلك لانتاج اسرع يلبى مطالب الحياة ذات الدعائم الاقتصادية الجديدة وبذلك حلت الحلى المستوردة من الدول الأوروبية والحلي المصنعة محلياً على غرارها محل الحلي التقليدية القديمة المصنوعة يدوياً ، كما حل اللؤلؤ الياباني الصناعى محل اللؤلؤ الخليجى الطبيعى المستخرج بالغوص .

إن مجموعة الحلي الذهبية المعروضة فى المتحف تعتبر مجموعة نادرة عالية القيمة لجودتها واصالتها ، نقلها الينا ارباب حرفة صياغة الذهب خلال القرنين الماضيين عن الاصول القديمة المتوارثة من العرب والمسلمين من مختلف الحواضر الاسلامية عبر العصور الأموية والعباسية والفاطمية والأندلسية والعثمانية والصفوية من مشرق العالم الاسلامى الى مغربه فقد جمعت فيها كل مميزات الحلي الاسلامية مع التطور الذى طرأ عليها .

أعلى أنواع الذهب

تمتاز الحلى القطرية الذهبية فى أنها مصنوعة بآلات وادوات يدوية خاصة بصائغ الذهب القطرى ، وبالرغم من أن الميكنة قد دخلت مختلف انواع الحرف ، الا أنها فى الصياغة لم تؤثر على الحلي الذهبية ولا الفضية من ناحية القيمة الفنية ولو أن القطع المنجزة بواسطة المكائن هى قطع تراثية تقليدية لكنها صارت جامدة تفتقد الى روحية العمل اليدوى كما أن الأشكال والقطع المستوردة غزت السوق مما قلل من انتاج وتداول الحلي الذهبية والفضية المصنوعة بالطرق اليدوية .

ولما كانت الحلي المستوردة المنتجة بواسطة المكائن ذات انتاج اسرع وتسويق افضل لذلك فقد انتشرت وانحسرت الحلي التقليدية ولكن مع ذلك ظلت لها مميزات خاصة وهى كالاتى :

- غنى مادتها .
- اصالتها .
- المهارة الفنية فى صياغتها يدوياً .
- تنوعها . (كثرة اعدادها) .

أما غنى مادتها فانه يعود الى استخدام الذهب فيها وهو ذهب عيار ٢٢ حبة المستخلص من الجنيهات الانجليزية والليرات العثمانية التى كانت العملة المتداولة فى هذه المنطقة كلها ، مما جعل الحصول على المادة الأولية لصياغة الذهب متيسرة وهو أعلى أنواع الذهب نسبة فى الحلي العالمية .

هذا وكما ذكرنا فان اصالتها تعود الى ان حرفة الصياغة فى قطر هى حرفة قطرية اصيلة توارثها الابناء عن الآباء فى هذه المنطقة ، وهى فى اصولها تعود الى جذور عربية اسلامية متطورة لاسباب تاريخية واقتصادية وجغرافية مجتمعة فى هذه المنطقة ، مرت بفترة ازدهار هنا بينما انحسرت واندثرت فى معظم ارجاء العالم العربى والاسلامى وبذلك تكون الحلي الذهبية القطرية قد حافظت عليها وطورتها واوصلتها الينا فى يومنا هذا مما جعلها نموذجاً حياً للحلي العربية الاسلامية القديمة عامة وللحلي الخليجية بصورة خاصة .

هذا وقد نفذت الحلى بالطرق والآلات اليدوية حيث مر الذهب أولا بمراحل اعداده بواسطة طرقه وتحويله الى صفائح واسلاك رفيعة تعد للعمل عليها ، ثم بعد ذلك تعد الاقسام الرئيسية من الحلية الواحدة كبطانة السوار مثلا التى بشكل قيد عريض تنفذ عملية الزخارف بالاضافة أو البرم أو اللحم . أو ان تعد وحدات زخرفية مؤطرة كل وحدة قائمة بذاتها تشكل مع بعضها البعض مكونة حلية واحدة كالقلادة أو الأسورة أو الحزام الخ

والزخارف تنفذ بعدة طرق ووسائل منها ما هو على شكل طبعات بواسطة القوالب ومنها بشكل برم الاسلاك المختلفة الأحجام مكونة اشكالا نجمية أو وريدات الخ . أو عمل السلاسل أو الحلقات التى توصل ببعضها وكذلك تزخرف بالتلوين بالمينا أو بالترصيع باللالىء وبالياقوت أو الفيروز وغيرها من الأحجار الكريمة .

هذا وتمتاز أيضاً بتنوعها ووفرتها وكثرة اعدادها ولكل نوع منها اسم ، ففى القلائد مثلا توجد أكثر من خمسة أنواع مختلفة وكذلك الأقراط والأسورة وحلي الرأس والشعر أيضاً والخواتم كما تلبس كلها احياناً مرة واحدة ، هذا ولها تسمياتها الخاصة بها ، وهذه التسميات اطلقت عليها اما لطريقة لبسها أو لمعناها أو لزخرفة معينة تحملها ومنها ما هو مصطلح مستورد اما هندى أو فارس ، ولكن أغلب المصطلحات شيوعاً هى المصطلحات التى تدل على طريقة لبسها وزخرفتها .

أنواع الحلى

ومن أنواع الحلى الذهبية فى قطر :

- حلى الأذن :

وهى الأقراط وتسمى « الشغاب » او « التراجي » ، ولها اشكال مختلفة واحجام منها ما هو صغير بقدر رأس الدبوس أو بشكل حلقة صغيرة أو أكبر أو بشكل سلسلة تنتهى بدلاية من فص لؤلؤ أو ياقوت أو أكبر بشكل معين أو كمثرى مخرم ومحزز وأنواعها ، اشغاب كسر . اشغاب رملية . الكواشى والفتور .

- حلى الأنف :

ويزين الأنف بطريقة ان تثقب الفتحة اليسرى للانف ويدخل فيها نوع من



« العميلة » وهى من حلى تزيين الثياب وهى تعلق فى العباءات النسائية وتتكون من سلاسل طويلة مكونة من وحدات كمثرية الشكل

الدبابيس او مشبك يسمى (ازميم) ومنه « زميم ابو جلاب » أو « براقي » او بشكل نجمة ذهبية يتوسطها فص من ياقوت ابيض او لؤلؤة صغيرة .

● حلى العنق والجيد :

وهى القلائد وتسمى (الكردالة) ، منها ما هو قصير ملتصق بالرقبة تتدلى منه سلاسل واهداب تسمى (المرتشعة) ، او منها ما هو مكون من حبات أو خرزات ذهبية تشبه المسبحة كبيرة ومتوسطة الحجم خالية من الدلاية اى (الطبلة) تسمى (مرية) ، او بشكل سلسلة تتدلى منها دلاية فى الوسط تسمى (الهلالى) او (المجلد) أو (المعرى) ، كما هنالك القلائد الكبيرة الحجم التى تغطى الصدر كله وتصل الى الخصر وتسمى « النكلس » وتلبس احياناً ثلاثة انواع منها مع بعضها كالمرتعشة والمرية والنكلس .

● حلى المعصم والذراع :

وهى الأسورة وتسمى (المضاعد) ، وهى انواع منها ما هو رفيع رقيق ومنها ما هو بشكل سلكين مبرومين يسمى الملتفت ومنها ما هو بشكل حبات من المرجان الأحمر او الأسود تتناوب مع حبات من الذهب وتسمى « الخصور » ، ومنها ما هو بشكل قيد تحيط به وحدات زخرفية بارزة هرمية الشكل او بشكل تجمعات من اشكال زهرية مرصعة تسمى « حب الهيل » و « البناجرى » و « السويرات » . وكلها لها مفاتيح تسهل لبسها وخلعها ما عدا المضاعد .

● حلى الوسط :

وهى الاحزمة والمناطق ويسمى (المحزم) ويتكون من قطع ووحدات زخرفية مستطيلة الشكل او مربعة الشكل متصلة مع بعضها يتوسطها شكل زخرفى كبير يشد بواسطة مفتاح من الخلف وقد نفذت الزخارف عليه بالتخريم والترصيع .

ملاحظة : لا يوجد فى متحف قطر نموذج له .

● حلى الرأس والشعر :

وتزين قمة الرأس والغرة والهامة بحلى ذهبية تلتصق بالرأس اما بشكل غطاء يسمى الطاسة وتلبس على الرأس تتدلى منها سلاسل واهداب تصل الى الكتفين او حتى الى الصدر احياناً وتسمى (طاسة بسراريح) ، او يتدلى من مقدمتها وعلى الجبين اشكال هلالية تسمى (لوح السعد) او « كصة السعد » ومنها ما يشبك بالشعر تسمى (الريشة) ، ومنها ما يجدل مع الشعر (ضفيرة) وتسمى (الجتوب) أو (الكراميل) والمشموم .

● حلى القدم :

وهى بشكل اسورة تطوق القدم وهى الحجول وتسمى (حيول) ومنها ما هو غليظ وضخم ومنها ما هو رفيع تنزل منه سلاسل واجراس وهى الخلاخيل التى يلبسها الأطفال ، وليس لدى متحف قطر نموذج منها .

هذا ومن حلى القدم أيضاً ، (الفتاخ) وهى خاتم يلبس فى الأصبع الكبير من القدم .

● حلى الاصابع :

وهى تلبس فى اصابع اليد خواتم وحابس ولكل اصبع خاتم خاص به له تسمية معينة وهى الشواهد والمرامي والختم والخنصر يضاف لها المحابس والمراود واحياناً يلبس الكف وهو بشكل خواتم اربعة تتصل مع سوار فى المعصم بواسطة سلاسل او شبكة مخرمة مرصعة بحيث تغطى ظاهر الكف .

● حلى الثياب :

وهى الحلى التى تعلق بالعباءات (الدفة) وتسمى (العمايل) التى بشكل سلاسل طويلة مكونة من وحدات كمثرية الشكل تنتهى عند الكتف بسلسلة من اللالىء الناعمة ، او تشبك على صدر الثوب بمشبك كبير له دبوس يمسكه او يزخرف صدر الثوب بالتطريز بالخيوط الذهبية وتسمى (الثريا) . كما تشبك العباءة (الملفح) بمشبك يسمى (مشبك



« الجتوب » مجموعة من الحلى التى تزين الشعر وتشد فى نهاية الجدائل

الحُليّ الذهبية القَطريّة

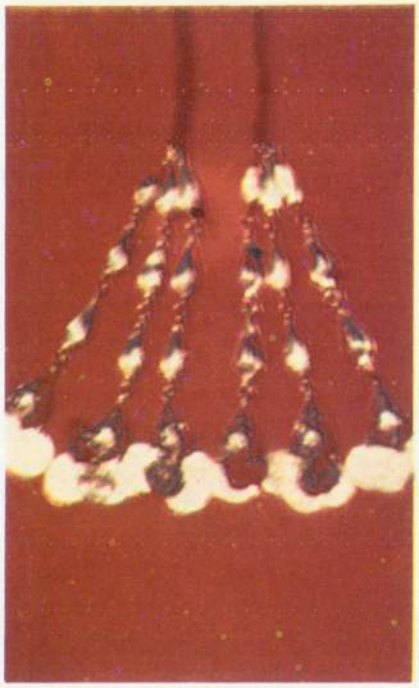
الملفع) صغير ، او يشبك الخمار عند الراس فى مشبك يسمى (حلاق البطولة) . كما ان الخمار المعروف بالبطولة كان يزين القسم العلوى منه باقراص ذهبية منقوشة تحيط بالجبين وتنزل الى الجانبين ويسمى الخمار المذهب بـ (البطولة) ـ باسم « برقع رياسى » .

المرأة والحلي

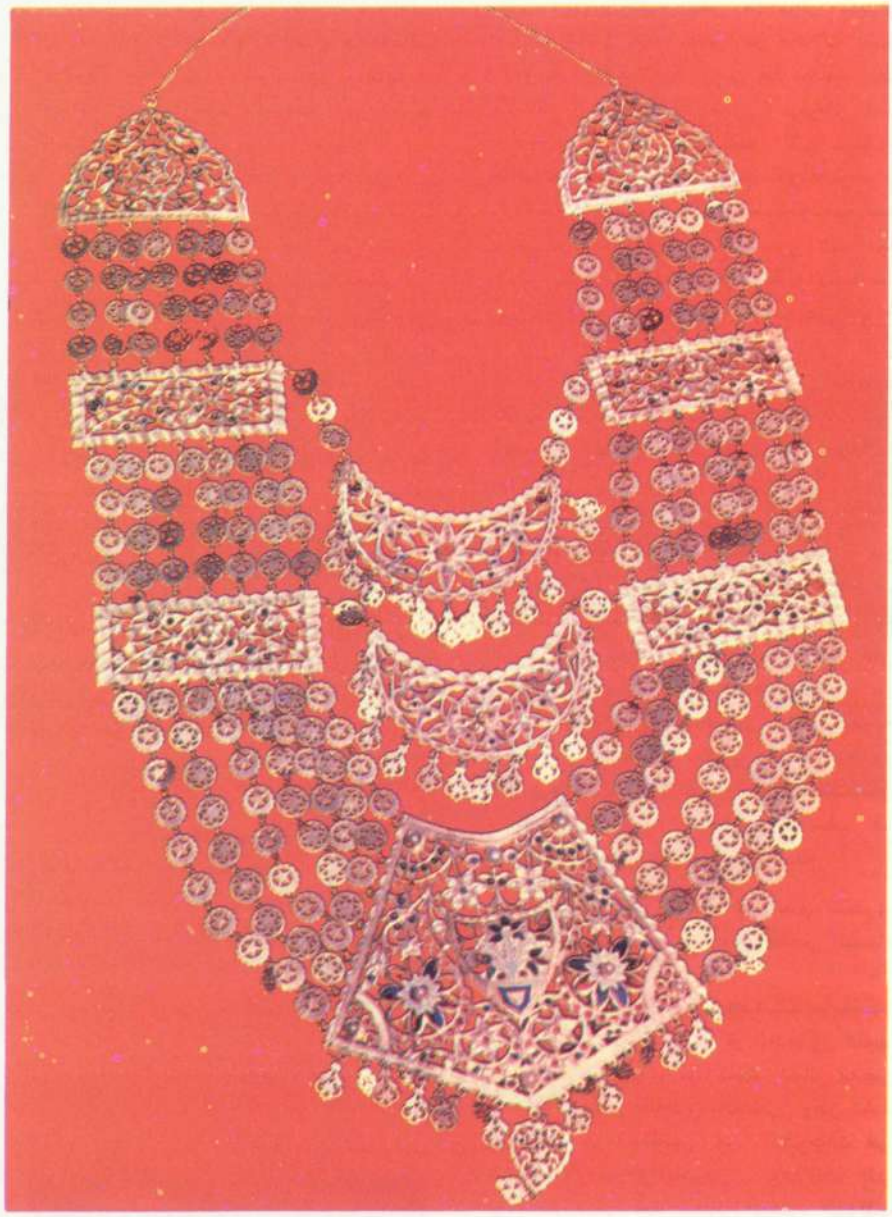
وتحرص المراة الشرقية عامة والمراة العربية خاصة على اقتناء الحلي الذهبية ، وهذه خاصية تميز المراة الشرقية في يومنا هذا ، وقد انحسرت هذه الميزة تدريجياً بمرور الزمن وصارت تميز فئة معينة من السيدات العربيات ، والمراة القطرية من السيدات العربيات اللاتي لازلن يحرصن على اقتناء الحلي الذهبية ولبسها .. ويلاحظ في السنين الاخيرة ظاهرة انحسار هذه العادة حيث طغى عليها الميل إلى اقتناء الحلى الاوروبية الحديثة المستوردة وانزواء الحلي الذهبية التقليدية القطرية ولكن وبالرغم من ذلك فلا تخلو فتاة ولا سيدة قطرية اليوم من العديد من الحلي الذهبية التقليدية فمنهن من لديها بضع منها ومنهن من لديها العديد الكبير منها وذلك حسب امكاناتها المادية .



« المربه » حبات او خرزات ذهبية تشبه المسبحة منها الكبير الحجم والمتوسط وهى من حلى تزيين العنق



« المشومة » حلية صغيرة تشد فى نهاية الجديلة



« النكلس » قلادة ذهبية كبيرة الحجم تغطى الصدر كله وتصل الى الخصر

والمراة القطرية متعودة على لبس الحلى منذ نعومة اظفارها (شانها فى ذلك شـان اخواتها العربيات في مختلف البلاد العربية وكذلك الشرقيات) فبعد ولادتها مباشرة تثقب اذنها ويوضع فيها حلق ذهبي ثم وعندما تحبو او تمشي في السنة الاولى من عمرها ، تلبس الخلاخيل (الحجول) ذات الأجراس التي تصدر رنينها عند المشي فتستانس الطفلة بها ، وبعد ذلك تلبس الاسورة والخواتم ، وترى حولها اخواتها وامها واقاربها كلهن يلبسن الحلي الذهبية ولما كان عند الفتيات الصغيرات ميل طبيعي لتقليد الكبار خاصة في التزين والتحلي ،فقد حرصت على اقتناء انواع الحلي من قطع بسيطة إلى قطع كبيرة متعددة وكانت في السابق تحرص على التزين ولو بابسط انواع الحلي كالخرز المنظومة او القواقع ثم تطورت إلى اقتناء الحلي ذات مادة اغلى كالحلي الفضية والتي انتشرت بين نساء البادية وقد تفنن الصاغة فيها ، ثم وبعد مرور الزمن تطورت وصارت تقتني الحلي الذهبية من البسيطة إلى الأنواع المتعددة منها .

اما طرق حصول المراة القطرية على الحلي الذهبية فقد كان تجار قطر في السابق يذهبون إلى الهند لبيع ما في حوزتهم من اللؤلؤ وفي المقابل كانوا يجلبون معهم عند عودتهم بعض الكماليات والهدايا التي يفتقد وجودها هنا ومنها كانت المصوغات الذهبية التي كانت اغلى هدية واخف حملات يمكن للتاجر ان يحملها إلى اهله .

واضافة إلى التجارة فهناك طريق الحج حيث كان الناس يذهبون إلى الحجاز (مكة والمدينة) لغرض الحج او العمرة ويجلبون معهم عند عودتهم هدايا ثمينة اهمها هي الحلي الذهبية هذا ومازالت هدية المسافر تسمى « الصوغة » إلى يومنا هذا وهي محرفة من « الصيغة » بلغة اهل الحجاز وتعني مجموع الحلي الذهبية والفضية . و « الصوغة » عادة لا تقتصر على الحلي بل تتضمن الاقمشة والحلويات والمكسرات

الحُليّ الذهبية القَطَريّة

... الخ لكن طغت عليها لفظة « الصيغة » لانها كانت اغلى الهدايا التي يحملها المسافر . وهذه العادة مازالت جارية إلى يومنا هذا ولا تقتصر على الأغنياء بل حتى البسطاء من الناس يجلبون معهم الهدايا أو أشياء أرخص ثمناً على قدر استطاعتهم.

وبالنسبة إلى المرأة القطرية فان مفهوم اقتناء الحلي الذهبية يعني «زينه وخزينه وذخر » لأنها تعتبره مادة ثمينة يمكن تصريفها عند الحاجة مما يكفل لها ضماناً مادياً يقيها شر العوز في المستقبل . حيث لم يكن لديها مورد مادي ثابت كما هي اليوم وانما تعيش عالة على والديها أو أخواتها إذا كانت فتاة وعلى زوجها أو أولادها إذا كانت متزوجة ونظراً لعدم اطمئنانها مادياً وخوفها من غدر الزمن فقد لجأت إلى اقتناء الحلي الذهبية لكي توفر لنفسها ادخاراً مادياً يقيها شر العوز مستقبلا .

مصادر الحلى

هذا وان مصادر حصول المرأة القطرية على الحلى الذهبية عديدة ، أولها ما كان عن طريق الاهداء ، فالرجل القطري سواء كان تاجراً غنياً موسراً أو متوسط الحال يحرص على اهداء زوجته وبناته حلياً ذهبية في مختلف المناسبات ، أما لدواعي السفر للتجارة أو للحج أو شرائها من بعض الصاغة من البلد وإهدائها في بعض المناسبات كالأعياد والأفراح ، وتتراوح كميات الصيغة التي يهديها الوالد في كمياتها ونوعياتها حسب امكاناته من قلائد وعقود إلى خواتم واسورة رقيقة .

وثانياً فان المرأة بطبيعتها تميل إلى التقليد وخاصة في أمور الزينة والتحلي ان شاهدت قطعة حلي عند احدى قريباتها أو صاحباتها تحرص على اقتناء مثلها فتطلب من الصائغ أن يصوغ لها مثلها وإذا كانت موجودة تشتريها مباشرة اما لنفسها أو لبناتها وهذه ايضاً تختلف في كميتها حسب امكاناتها ..

وثالثاً هناك طريقة أخرى للحصول على الحلي ألا وهي الاعراس فان المرأة وبمناسبة الزواج تطلب أم العروس من العريس « أن يكون مهر ابنتها مقدار كذا وكذا من الريالات ، ومقدار كذا وكذا من الذهب » ، وذلك « مثلها مثل بنت عمها » ، فيرسلها العريس مع « الدزه » الحلي الذهبية الخاصة بالعروس كالقلائد والخواتم والاحزمة حسب امكانياته المادية أو حسب شروط أهل العروس . ولا يقتصر الأمر على العروس فقط وانما تحصل اخواتها بعضاً من هذه الحلي « كهدايا بسيطة » من العريس إلى أهل العروس كما تاتيها في هذه المناسبة هدايا صيغة بمناسبة عرسها من اقاربها واصدقائها ... وتتباهى المرأة القطرية عادة بالحلي التي تاتيها في مناسبة العرس وهي مناسبة هامة ومصدر كبير لاقتناء الحلى بالنسبة لها .

وشراء الحلي الذهبية من الصاغة عادة وعرفاً جارياً ليس في قطر وانما في كافة المجتمعات العربية والاسلامية ولو أنها في السنوات الاخيرة قد انحسرت واقتصرت على دول الخليج لكن ما تزال أسواق الذهب تكون قسماً كبيراً من محلات المدن العربية والاسلامية وهي ما يجلب نظر السائح ويميز هذه المدن ، وتزخر هذه الاسواق بدكاكين الصاغة التي تمتلىء بمختلف انواع الحلي الذهبية والمجوهرات القديمة والحديثة كل حسب اختصاصه وهي عادة معروفة منذ العصور الاسلامية ظلت سارية في المدن العربية والاسلامية إلى يومنا هذا ولكثرة ما تجلبه من سواح وزائرين اجانب عمدت بعض الدول التي تعتمد على السواح في مواردها الاقتصادية كمدن شمال افريقيا وتركيا إلى تشجيع هذه الاسواق بفتح محلات ودكاكين للصاغة بالاشكال التقليدية المتوارثة عن الطرز القديمة باعتبارها تراثاً قومياً اصيلا .

هذا وان استمرار المرأة القطرية في الحرص على اقتناء الحلي الذهبية قد حفظت لنا هذه الحلي العربية الاسلامية إلى اليوم بنفس الطرق والتقاليد في صناعتها ولبسها . فصارت صورة حية من الماضي تعيش بيننا يمكن من خلالها معرفة الحلي العربية الاسلامية من العصور الأولى وذلك لندرة النماذج التي وصلتنا من مختلف العصور الاسلامية لأسباب قد تعرضنا لشرحها في فصول سابقة .

وليس الصائغ وحده هو الذي تشتري منه المرأة حليها ولكن هناك بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي .

هذا وان تداول الحلي الذهبية لم يقتصر على شرائها من الصائغ أو الحصول عليها بواسطة الشراء ، بل كانت هناك بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي ، وهن عادة من الارامل معظمهن من الخوجات في الشارقة ودبي والبحرين ، ومازالت إلى يومنا هذا في قطر بعض النساء اللواتي يتاجرن بالحلي الذهبية وسبب ذلك هو أن المرأة القطرية كانت ولا تزال لا تنزل إلى الاسواق ولا تسافر ، لذلك فقد تخصصت بعض النساء في شراء الحاجيات من أسواق الخليج وادخالها إلى بعض البيوت الكبيرة لبيعها ، وهي عادة اما أن يكن من العاملات في البيت نفسه أو بائعات معروفات يدخلن إلى البيت ويعرضن ما لديهن من حلي ومصوغات وحاجيات أخرى لبيعها ... وفيما عدا ذلك فان بعض المسنات يذهبن إلى السوق بحرية ويشترين ما يلزمهن من حلي ومصوغات وحاجيات ايضاً ، وعادة المتاجرة بين النساء عادة قديمة كانت معروفة وسارية منذ العصور الاسلامية (الاموية والعباسية ، والتركية ... الخ) وكانت تقوم بها الجواري والمخادمات في تلك المجتمعات المحافظة جداً وقد انحسرت هذه العادة بمرور الزمن

صائغ وبائع حلى قطرى





صائغ قطري تقليدي يقوم بتنفيذ عمليات الصياغة اليدوية

وانقرضت في معظم المدن العربية الاسلامية وظلت إلى عهد قريب في بعض مدن الخليج العربي ، وقطرخاصة .

العادات والتقاليد

وللمرأة القطرية عادات وتقاليد فى لبس واقتناء الحلى ، توارثتها وتحافظ عليها من امها واخواتها واقاربها وصاحباتها فهى مثلا تحرص على اقتناء الحلى المختلفة الأنواع والشائعة المعروفة فى محيطها ولديها من الحلى أنواع منها : « الحلى اليومية البسيطة » ، التى تلبسها كل يوم ولا تخلعها وتنام فيها وتتكون من قلادة بسيطة (سلسلة بها قرآن أو حجر أو دلاية) ، مع خاتم واقراط صغيرة ملتصقة بالأذن وبعض الأساور البسيطة الرفيعة (المضاعد) .

ومنها ما هو مخصص للمناسبات البسيطة كزيارة الأقارب أو الأصدقاء فتضيف الى ما تلبسه يومياً قلادة أكبر (مريه) وسواراً ثقيلا كالبناجرى أو حب الهيل .

أما فى المناسبات الكبيرة كالاعراس والأعياد فانها تزين بالحلى الثقيلة كالقلادة الفخمة المعروفة (بالنكلس) ، أو المرتعشة والأقراط الطويلة (اشغاب) ، وتغطى رأسها بقبقب أو طاسة تتدلى منها سلاسل واهداب تسمى (دينار لوح السعد) ، وتلبس حزاماً ذهبياً وخلخالا فى قدميها (بالرغم من أن الخلخال ما عاد يلبس كالسابق كثيراً) ، اضافة الى الخواتم والمحابس .

اما لبس العروس نفسها فانها تلبس من الحلى ممـــا لا تســـتطيع المشي من ثقلها : فهى تلبس على راسها « الهامة » التى تشبه التاج ، أو تلبس دينار لوح السعد . وتلبس فى رقبتها « المرتعشة » وهى القلاد المخنقة وتلبس معها «النكلس» وهى القلادة الفخمة الطويلة ، كما تلبس فى يديها « الكف » وهى حلية مكونة من قفاز من الذهب بشكل خمسة خواتم فى كل اصبع خاتم يتصل بسوار عريض بواسطة خمسة سلاسل تغطى ظاهر الكف وكله مرصع بالاحجار الكريمة . وتلبس حزاماً من الذهب ، وتلبس قناعاً على وجهها (البطولة) غير عادية تسمى (البرقع الرياسى) محلى بأقراص من الذهب ، اضافة الى الأقراط الطـــويلة (الشغاب) والأسورة (حب الهيـــل ، الشميلات ... الخ) .

اما اخواتها ورفيقاتها فيلبسن مالديهن من حلى مثـــل لوح الســـعد والهلالى والمرتعشة وبعض الأسورة ، وبعضهن يلبسن الحزام الذهبى ، وكذلك الســيدات يلبسن مالديهن من حلى ولو انها أقل من حلى العروس .. أما بنات بعض العوائل الغير موسرات فانهن يلجأن الى استعارة الحلى من اقاربهن أو صديقاتهن أو من بعض العوائل المعروفة التى تملك مجموعات من الحلى الذهبية لكى يظهرن بالمظهر اللائق فى العرس ، وعادة الاستعارة شائعة وجاريه ولا عيب فيها .

وللمرأة القطرية أيضاً أنواع من الحلى منها ما هو خاص للأطفال منذ الطفولة ومنها ما هو خاص للبنات كالهلالى والقراميل التى يظفر بها الشعر ويشبك بها الرأس ومنها ما هو خاص بالفتيات كدينار لوح السعد ، ومنها ما هو خاص بالسيدات المتوسطات بالعمر والمسنات كالقبع والطاسه والحزام .. الخ ، وهى بصورة عامة وفى مختلف مراحل حياتها تهتم بالحلى وتقدرها وتتباهى بها وقد اصبحت جزءاً من التراث القطرى ، وهناك أغان وامثال تذكر فى الحلى مثلما يقلن بوصف جمال ودلال البنات :

شيخه تفـوح الـــدله
والعطـــر بالفنيـــال
فى رقبتهـــا مرتعشـــة
وينغاهـــا الـــدلال
دلالهـــا خمســـة خمسـة
وحيولهـــــا اربعين

ومنها ما يقال فى وصف دلال البنت :

قومى ياحصة والبسي الريشـــه
يا شيخه البنـــات يا الغريسه
طير السعد غنى على الليـــوان

وهنالك اغنية فى الأفراح :

حمد يا ذا الطويل يهتز من طـــوله
ســـبعه محابس ذهب بالكف منطوله

وفى العيد يقولون :

لا اتسير علينا يا العليمي على ويش
راعي الجوزتين والعبـــل والعكاريش

وفى غلاء المهـــور يقـــال :

بنت خالك جوانيهـــا باثنعش
ومينا وكردله وقلادة ومـــرتعش

هذا ما استطعت الحصول عليه من الأغانى التراثية التى تتغنى بالحلى ، وقد اعتمدت فى هذا القسم من الدراسة فى الغالب على المقابلة الشخصية لســيدات قطريات من مختلف الاعمـــار ومختلف العوائل ودونت معظم الملاحظات شفاهة .

نجلاء العزى

صلاح طاهر

بدأ بالملاكمة وانتهى بالتمرّد على الفن الكلاسيكي

بقلم: صبحي الشاروني



الفنان صلاح طاهر .. اعلن اكثر من مرة ان الفن الاسلامي هو الاساس القديم لكل الفنون التجريدية

واحد من بضعة فنانين يفتخر بهم الوطن العربى .. عالمه التشكيلى شديد الثراء والغنى ، سواء من زاوية غزارة الانتاج أو تنوعه .. يقف اليوم على قمة الفنانين «التجريديين» و غير التشخيصيين العرب .. فقد حقق لاسمه شهرة تقارب شهرة نجوم السينما وابطال كرة القدم .. عمره الفنى الذى يبلغ اكثر من ٥٠ عاما ، قد قضاه فى تنمية مواهبه وتوسيع ثقافته ونشر فكره وفنه .

من الملاكمة الى الفن

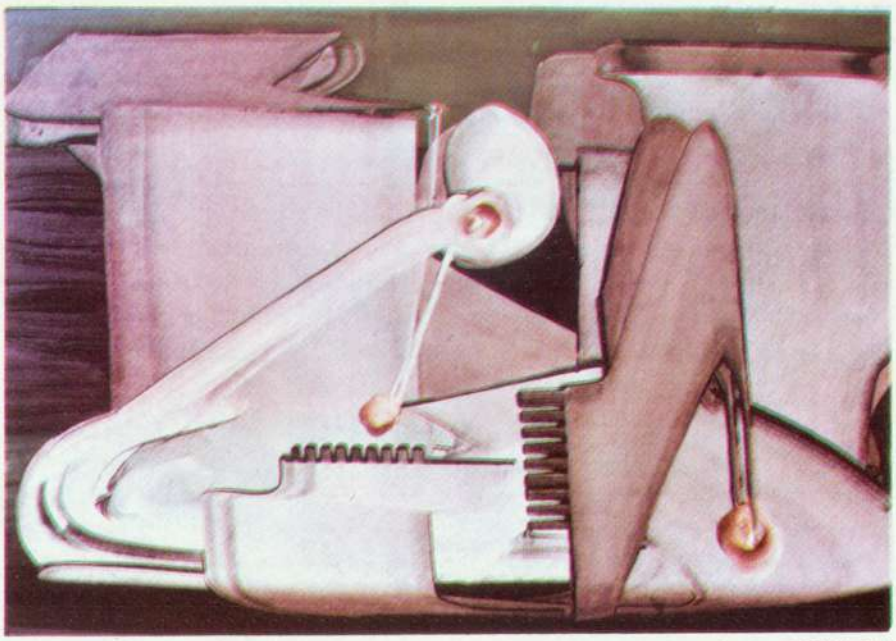
كان ملاكما ، وخاض عدة مباريات فى شبابه وفاز فيها ببطولات متتالية ، فقد كان يتمتع بقوة جسدية واضحة .. ورغم هذا فقد اتجه الى الفن بكل كيانه ، والتحق «بمدرسة الفنون الجميلة العليا» ، واندفع نحو الموسيقى مفضلا اياها على كل الفنون وتفوق فى دراسته لفن التصوير الزيتى ، كما انغمس فى القراءة من اجل تثقيف نفسه ، مهتما بالفلسفة وعلم النفس والادب .. وقد كان فيلسوفه المفضل هو «نيتشه» الذى يؤمن بالقوة ، فوجدت فلسفته قبولا عند الرياضى الملاكم الذى لم يهزم .

اهتم بدراسة الاديان ، واتجه الى القراءة والاطلاع متجولا بين مختلف فروع الثقافة ، وكان على علاقة وثيقة بالمفكر المصرى «عباس محمود العقاد» منذ بداية الثلاثينات ، وقد دفعته هذه العلاقة – التى بدأت فى سن مبكرة – الى تنمية ثقافته فى اتجاه الأفكار التى كان يدعو اليها «العقاد» لان مناقشاتهما ذات أثر عميق فى نفسه .

وفى ممارسته لفن التصوير الزيتى تفوق على اقرانه فى نقل الطبيعة وتصوير الوجوه الانسانية .. وبعد اكثر من عشرين عاما من النجاح المتصل فى هذا الاتجاه اعلن تمرده على الأسلوب الأكاديمى ، وانتقل بغير مقدمات الى التجريدية ...

هذا هو الفنان صلاح طاهر ..

ولعله ايضا أول فنان يملك الجرأة على اعلان ممارسته لاسلوبين متباينين فى فن التصوير الزيتى خلال مرحلة واحدة ، فلوحاته غير التشخيصية تحقق اضافة جديدة لاعمال الرسامين «الموسيقيين» ، وهو فى نفس الوقت يرسم وجوه أصدقائه ونجوم عصره بطريقة مدرسية كالتى كان يتبعها فى شبابه المبكر ، وهو عندما يفعل ذلك لا يعبأ باعتراضات نقاد الفن ولا يخفى



غرفة الانتظار .. لوحة زيتية رسمها الفنان صلاح طاهر عام ١٩٧٨

هذا الجانب من انتاجه .. لأنه يملك من الشجاعة ذلك القدر الكافى لكى ينتزع بنفسه حقه فى ممارسة الرسم بالطريقة التى يحبها .

ومما يستلفت النظر فى نشاط الفنان صلاح طاهر هو حرصه على تقديم انتاجه المتصل فى معارض سنوية منتظمة ، حتى يتيح للأجيال الجديدة من الفنانين والمتذوقين ان يتعرفوا على تطوره الفنى عاما بعد عام ، وهو بذلك جعل لأسلوبه تأثيره الواضح على شباب الفنانين من طلاب كلية الفنون الجميلة الذين يستقبلهم خلال فترة اقامة معارضه ويدير معهم حوارا يستمر ساعات .. وهكذا يصل تأثير اسلوبه فى الرسم وطريقته فى التفكير الى الأجيال الجديدة .

حياة الفنان

ولد الفنان صلاح طاهر بالقاهرة فى ١٢ مايو سنة ١٩١٢ ، وبعد أن أتم دراسته الثانوية التحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٢٩ ..

فى ذلك الوقت كان الفنانون الأوربيون هم الذين يوجهون الحركة الفنية فى مصر ، وكانت مدرسة الفنون الجميلة قبل عام واحد من التحاقه بها ، مدرسة أهلية ينفق عليها الأمير يوسف كمال ـ أحد أمراء الأسرة المالكة ولكن هذه المدرسة أصبحت فى عام ١٩٢٨ تابعة للدولة ، وكان الفنانون الرواد الأوائل الذين تخرجوا فيها عقب تأسيسها قد سافروا فى بعثات لأول مرة على نفقة الدولة للدراسة فى أوربا عام ١٩٢٥ ، وكانت مدرسة الفنون الجميلة لاتزال تنتظر عودتهم .

ومن هنا كان صلاح طاهر من أبناء الجيل الثانى الذى حمل مشعل الابداع بعد جيل الرواد مباشرة .. انه من الجيل المخضرم الذى بدأ دراسته على أيدى الأساتذة الأوربيين ثم استكملها على أيدى الأساتذة المصريين عقب عودتهم من بعثاتهم الفنية بالخارج .

فى البداية درس على أيدى المصورين «اينوشنتى» و «بريفال» ، ثم على يدى الفنان الرائد «أحمد صبرى» ، الذى كان من ألمع أقطاب الجيل الأول ، فقد عرف باجادته للأسلوب الأكاديمى الرصين ، وتفوقه فى تصوير الوجوه الشخصية بالأسلوب «الكلاسيكى الجديد» .. وعلى أيدى هؤلاء الأساتذة استوعب صلاح طاهر القيم الجمالية الكلاسيكية الغربية ، وعرف كتلميذ متفوق ومخلص لتعاليم أستاذه «أحمد صبرى» ، وقد مارس التصوير الزيتى بمهارة واضحة فى هذا الاتجاه ، متفوقا على أقرانه بسبب تفانيه فى حب الفن وموهبته وثقافته .

تخرج فنانا فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤ ، واتجه الى تصوير الريف المصرى والمناظر الطبيعية بالاضافة الى أعماله فى فن «البورتريه» ، وأخذ يطبق فى أعماله اكتشافات المذهب التأثيري الذى يحتفل بالأضواء ويهتم بتكامل الألوان المتقابلة ، خاصة فى مشاهد الطبيعة الريفية .

وعقب تخرجه عمل مدرسا للرسم بمدرسة «المنيا الابتدائية» لمدة عامين ، حيث أقام معرضه الأول فى مدينة «المنيا» سنة ١٩٣٥ ، ثم انتقل الى الاسكندرية ليعمل بمدرسة «العباسية الثانوية» ، وهناك أقام معرضه الثانى عام ١٩٣٩ .. وفى عام ١٩٤١ انتقل الى القاهرة مدرسا للرسم بمدرسة «فاروق الأول الثانوية» .. ولكنه لم يستمر فى هذه المدرسة سوى عام واحد ، لأنه فى عام ١٩٤٢ عين مدرسا



«واو» لوحة تعبر عن المرحلة التى تحول فيها الفنان الى التجريدية



امومة .. من ضمن مجموعة اللوحات الخاصة للفنان

صلاح طاهر

للتصوير الزيتى فى «كلية الفنون الجميلة بالقاهرة» ـ وهذا هو الاسم الاخير للأكاديمية التى تخرج فيها صلاح طاهر ـ وهكذا اتيح له أن يشارك فى الحركة الفنية مشاركة ايجابية فى بؤرة اهم تجمع للفن التشكيلى بمصر فى ذلك التاريخ .

وابتداء من سنة ١٩٤٣ تولى مهمة الأستاذ المشرف على «مرسم كلية الفنون الجميلة» ، وهو يعتبر اول شكل من أشكال «الدراسات العليا» او «التفرغ للانتاج الفنى» فى مصر .. وكان يحظى بعضوية المرسم المتفوقون من خريجى أقسام الفنون بالكلية لمدة عامين او ثلاثة يقضونها فى تفرغ تام للعمل الفنى ، شتاء بالاقصر بين تراث «طيبه» الفرعونية والحياة الريفية بالصعيد ، وصيفا بحى الغورية فى القاهرة القديمة حيث التراث المعمارى الاسلامى والحياة الشعبية فى المدينة .

لقد قضى صلاح طاهر عشر سنوات متتالية فى هذا العمل الذى وفر له فرصة نادرة للانتاج والاطلاع .. فخلال تلك السنوات العشر عرف كمصور غزير الانتاج إذ كان العمل الفنى هو شغله الشاغل .. يستيقظ فى الخامسة صباحا كل يوم ، ويخرج الى الهواء الطلق ليمارس رياضته الصباحية ويرسم لوحاته للمناظر الطبيعية والآثار قبل أن تشتد حرارة الجو .. وفى الاماسى كان يتجول مع أعضاء المرسم بين الآثار .. ومع هبوط الظلام كانت تبدأ أحاديث النقد والمحاضرات وغيرها ، ثم يقوم بالرسم عن النماذج الحية والوجوه الشخصية حتى يحين موعد النوم .

وكان معرضه الثالث بالنادى الثقافى بالقاهرة عام ١٩٥٣ بمثابة «كشف حساب» عن منجزات تلك الفترة المشحونة بالمشاهدة والانتاج ، وقد استطاع بهذا المعرض أن يثبت اقدامه فى الحركة الفنية ويبدأ مسيرته بين اقطاب فن التصوير الزيتى فى مصر بعد أن اكمل نضجه الفنى .

الانطلاقة الفنية

وفى عام ١٩٥٤ ترك العمل بكلية الفنون الجميلة ليتولى منصب مدير متحف الفن الحديث بالقاهرة ، فحوله الى خلية من النشاط الفكرى والثقافى .. ثم ارتقى الى منصب مدير المتاحف الفنية عام ١٩٥٨ .. ولم يستمر فى هذا المنصب سوى عام واحد أصبح بعده مديرا لمكتب وزير الثقافة والارشاد القومى للشئون الفنية .. وفى عام ١٩٦١ أصبح مديرا لادارة الفنون الجميلة بوزارة الثقافة ، وبعد ذلك تولى ادارة دار الأوبرا من عام ١٩٦٢ حتى تركها عام ١٩٦٦ ليعمل كمستشار فنى لمؤسسة الأهرام حتى اليوم .. وهو منصب يتيح له الاستغراق فى الانتاج الفنى ، ولا يشغل من وقته إلا القليل .

وقد قام الفنان بالتدريس كأستاذ غير متفرغ بمعهد السينما من عام ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ ، فحول محاضرات «تاريخ الفن» الى مادة ثقافية شاملة تضم «فلسفة الفن» و «سيكولوجية الابداع» و «التذوق الفنى» بالاضافة الى التاريخ .. كما قام بتدريس نفس المادة المطلوبة لطلبة كلية الاعلام واقسام الدراسات العليا بكلية الآثار بالقاهرة لمدة اربع سنوات متتالية من عام ١٩٧٢ ...

لقد عرف صلاح طاهر على المستوى الجماهيرى من خلال محاضراته العامة عن الفن والتذوق الجمالى ، وفى برامج التليفزيون التى شارك فيها .. كما عرف فى الوسط الفنى بنشاطه المتصل ومعارضه المتوالية ومشاركته الدائمة فى المعارض المحلية والدولية .. شارك فى بينالى فينيسيا الدولى ثلاث مرات متفرقة .. كما حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى التصوير الزيتى عام ١٩٥٩ ، وحصل على جائزة جوجنهايم كافضل المشتركين المصريين فى هذه المسابقة عام ١٩٦٠ ، ونال جائزة التصوير على الجناح المصرى فى بينالى الاسكندرية لدول حوض البحر الابيض المتوسط عام ١٩٦١ .

وقد سافر الفنان الى معظم دول أوربا فى زيارات متتالية ، بعضها لمشاهدة المتاحف والاطلاع على النشاط الفنى ، وبعضها الآخر فى مهام رسمية . وعلى سبيل المثال فقد سافر الى ايطاليا عام ١٩٥٢ فى رحلة قصيرة ، ثم زارها بعد ذلك اربع مرات .

وفى عام ١٩٥٦ اقام معرضا شاملا لأعماله فى قاعة المعارض الكبرى لجمعية محبى الفنون الجميلة ، ثم سافر مع معروضاته الى الولايات المتحدة حيث قضى هناك ثلاثة أشهر عرض خلالها لوحاته فى واشنطن ونيويورك وسان فرانسيسكو ، وقد كان لهذه الزيارة أثرها الكبير فى تطوره الفنى .. وقد زار سويسرا وقضى فى الاتحاد السوفيتى شهرا عام ١٩٦٠ .

وفى عام ١٩٦٤ اقام معرضا شاملا اخر فى قاعة الفنون الجميلة بمبنى الغرفة التجارية بالقاهرة . ومن ذلك التاريخ يحرص الفنان على اقامة معرض سنوى لأعماله .

وفى عام ١٩٦٥ اقام معرضه السنوى فى قاعة اخناتون بالقاهرة ، وقد سافرت معروضاته لتقدم للجمهور فى مطار كيندى استمر هذا المعرض ثلاثة أشهر شاهده خلالها ـ طبقا للاحصائيات ـ ٤٢٠ الف راكب ، وقد طبع كتالوج هذا المعرض ٥٠ الف نسخة وزعت كلها على المشاهدين .

وفى نفس العام استضافته هيئة اليونسكو فى منحة لتبادل الرؤية ووجهات النظر ، دعى اليها قادة الحركة الفنية والنقدية فى العالم ، وكانت مدة المنحة ستة أشهر زار خلالها انجلترا وفرنسا وايطاليا ، واقام معرضا لأعماله فى كل عاصمة من عواصم هذه البلاد .

وخلال هذه الرحلة التقى الفنان بقادة الفن ومفكريه فى الدول الغربية أمثال «سولاج» و «شنايدر» و «زاودكى» و «ميشيل راجون» و «هارتونج» و «لاسين» و «بلان راديرا» والأخير كان رئيس الاتحاد الدولى للفنانين التشكيليين فى ذلك الوقت .. وكذلك زار المثال «هنرى مور» فى محترفه ، والتقى مع «جون راسل» الناقد الفنى لمجلة التايمز .

وقد أقام الفنان فى السنوات الاخيرة معرضين فى بيروت واخر فى مدينة الدوحة عاصمة دولة قطر .

لقد بلغ عدد المعارض التى أقامها صلاح طاهر فى الدول الغربية ثمانية معارض ، معظمها اقيمت بغير اعداد سابق

أما فى مصر فقد عرض اعماله عام ١٩٦٦ فى اسيوط ، وفى العام التالى اقام معرضا متجولا فى طنطا وبورسعيد والاسكندرية ودمنهور ، وفى سنة ١٩٦٨ اقام معرضه فى بيته بالجيزة ، وكان اول فنان يتبع هذا التقليد فى مصر .

وفى سنة ١٩٦٩ اقام معرضا شاملا بمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، بينما عرض أعماله عام ١٩٧١ فى قاعة المعارض بالجامعة الأمريكية بالقاهرة . ومنذ عام ١٩٧٢ يقيم الفنان معرضه السنوى فى المركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى بالزمالك ، وفى حى الزمالك تقع كلية الفنون الجميلة ، وكلية التربية الفنية التى تؤهل طلابها للعمل فى تدريس التربية الفنية بالمدارس .

أما المعارض العامة المحلية فهو يشارك فيها بانتظام منذ عام ١٩٣٢ ، كما اشترك فى عدد من المعارض العامة بالخارج : فى الصين والاتحاد السوفيتى وامريكا وايطاليا والمجر وتشيكوسلوفاكيا .

وقد انجز لمبنى مؤسسة الاهرام مجموعة كبيرة من اللوحات يبلغ عددها



المراة فى الريف .. من وحى أعمال الفنان صلاح طاهر أثناء جولاته فى الريف المصرى

٦٥ قطعة تصل مساحة بعضها الى ٣ر٥ مترا فى ٦ر١ مترا ...

وقد قام بوضع الرسوم التوضيحية لكتابى «النبى» و «حديقة النبى» تاليف جبران خليل جبران وترجمة الدكتور ثروت عكاشة ، وكذلك رسوم كتاب الدكتور عكاشة «أعصار من الشرق» . وكتاب «جبهة الغيب» للدكتور «بشر فارس» ... وغيرها .

وتستخدم صور لوحاته فى كثير من المناسبات بطبعها على أغلفة الكتب وعلى التقاويم السنوية (النتائج) وعلى البطاقات البريدية وبطاقات التهانى بالمناسبات والمطبوعات الأخرى .

ومن نشاط صلاح طاهر يذكر له أنه قام بترجمة كتاب «فى ظلال الفن» بالاشتراك مع «أحمد يوسف» كما قام بمراجعة ترجمة كتاب «حول الفن الحديث» الذى قام بترجمته كمال الملاخ .

انه يهتم بنشر الثقافة الفنية بكل الوسائل الاعلامية المتاحة ، وينادى دائما بوحدة كل الفنون ، وحرية الفنان فى التعبير ، وضرورة التجديد المستمر فى الفن .

وقد كرمته مصر عن مجموع هذا النشاط الفنى والثقافى عندما أهدته جائزة الدولة التقديرية فى الفنون لعام ١٩٧٤ مع وسام العلوم والفنون .

انتاجه الفنى

● المرحلة الأكاديمية : (١٩٣٤ ـ ١٩٥٦)

فى المرحلة الأولى من فن صلاح طاهر رسم الفنان أكثر من ٥٠٠ لوحة للمناظر الطبيعية بالاضافة الى ما يقرب من ٤٠٠ لوحة للوجوه الشخصية (البورتريهات) ، من بينها صور لأقطاب هذا الجيل ورواد الفكر أمثال الدكتور زكى مبارك ، أحمد شوقى ، الدكتور طه حسين ، توفيق الحكيم خليل مطران ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، رفاعة رافع الطهطاوى ... وغيرهم . وكان الفنان فى رسمه لهذه الشخصيات يحاول أن يتجاوز الشكل الفوتوغرافى والمظهر الخارجى محاولا التعبير عن الأعماق النفسية والدلالات التى تعبر عنها السيرة الشخصية لصاحب الوجه ولايزال الفنان حتى اليوم يرسم الوجوه الشخصية بنفس هذا الأسلوب القديم ..

ان اهتمام الفنان برسم البورتريهات ينبع من شغفه بفرعين من فروع المعرفة ، الأول هو ولعه بالسير الشخصية ، والثانى هو تعمقه فى علم النفس .. وفى رسمه لوجوه الأشخاص يحقق الفنان درجة من الاشباع لهذين الاهتمامين اللذين يلازمانه

ونستطيع أن نطلق على أسلوبه فى السنوات العشرين الأولى من عمره الفنى (الذى بدأ من تاريخ تخرجه فى مدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٤) اسم «الأسلوب الوصفى» ، وهو الأسلوب الذى استخدمه فى رسم الوجوه الشخصية والمناظر الريفية ، وقد تطور خلال تلك السنوات بتطعيمه بمكتشفات «الأسلوب التأثرى» كما تميزت لوحات تلك المرحلة بمميزات تعبيرية خاصة .

وبالاضافة الى المهارة والاتقان فى تلك الأعمال ، فاننا نلاحظ ميله الدائم الى ابراز الجمال والحلاوة فى الأشكال والمناظر بل وتجميلها ، فجميع فلاحاته جميلات فاتنات موفورات الصحة وليس بينهن واحدة قبيحة .. والشمس دائما مشرقة ساطعة تجعل للنخيل والمروج ظلالا وانعكاسات جميلة أخاذة ، فقد لازمه من البداية اتجاه الى تحقيق نوع من التوهج اللونى ولايزال يشيع فى لوحاته حتى الآن .. وكان يركز على الجوانب الجميلة فى الحياة ، مصورا الريف والناس بصورة متفائلة مبهجة .

ولم يكن صلاح طاهر ينفرد بهذا الاتجاه بين أبناء جيله ، وإنما كان تصوير المناظر والأشخاص مع ابراز الحلاوة الشكلية هو هدف معظم المصورين فى مصر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ...

كانت تلك السنوات العشرين بمثابة فترة التكوين الضرورية للفنان .. فهو لم يبدأ «باللاتشخيصية» ولا «بالتجريدية» ، وانما ظل يمارس الرسم بالأسلوب الوصفى سنوات وسنوات ، وفى نفس الوقت لم تنقطع صلته الفكرية بالتيارات الفنية المعاصرة ، من خلال ثقافته النظرية .

وقد أعلن صلاح طاهر فى أكثر من مناسبة أنه لم يكن يحس بالرضى عن نفسه خلال تلك المرحلة .. قال : «كنت كلما أقمت معرضا فى تلك المرحلة السابقة «الكلاسيكية» ، وشاهدت الناس مسرورين مهنئين .. أحسست بالمرارة .. ذلك لأنه كان يتملكنى الاعتقاد بأننى لم أحقق شيئا يذكر .. لأننى لم أصل الى أسلوب خاص متميز .. وكنت أبحث عن أسلوبى وشخصيتى الفنية المحددة حريصا على ألا افتعل هذا الأسلوب الخاص ..» .

وقد جرب الفنان عدة أساليب حديثة خلال تلك المرحلة ، ولكن فى لوحات متفرقة لا تمثل مرحلة من مراحل فنه .. مارس التأثرية فى رسومه للمناظر الطبيعية .. كما جرب التكعيبية من زاوية البحث والدراسة .. وهكذا . ولكنه لم يتوصل من خلالها الى التعبير الفنى المستقل المتميز الذى كان ينشده . ولكن هذه التجارب أفادته أعظم فائدة ، فهو يعترف أنه تعلم البناء .. وهندسة اللوحة .. وتماسك الشكل .. والتكوين المحكم فى العمل الفنى خلال تلك المرحلة . وهكذا استفاد الفنان من كل المدارس التى مارسها أو درسها سواء عمليا أو نظريا .

التغيير الحاسم

● الطفرة : (١٩٥٦ ـ ١٩٦٠)

ظهر التناقض فى حياة الفنان مع بداية الخمسينات وظهور تحولات اجتماعية عميقة فى المجتمع المصرى

صلاح طاهر



ترابط .. من الأعمال الزيتية للفنان عام ١٩٧٨

وهكذا تكاتفت العوامل الذاتية مع العوامل الاجتماعية مع العوامل الاقتصادية ، لتدفع صلاح طاهر الى اجراء تغيير حاسم فى أسلوبه الفنى ، فتحول الى التجريدية وهو فى الرابعة والأربعين من عمره . وكان التحول مفاجئاً بالنسبة لمتابعيه ، خاصة وانه اتخذ شكلا مسرحياً عندما وقف بين عدد من الفنانين وقال بأسلوب التحدى .. : ((ما حكاية هؤلاء التجريديين ؟ أيحسبون انهم يفعلون شيئاً خارقة ؟ اننى أستطيع أن أتفوق عليهم)) .

ويومها أقسم أن يرسم لوحاته بالأسلوب التجريدى ...

وقد كانت رحلة الفنان الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٦ ، والتى استغرقت ثلاثة أشهر ، هى نقطة التحول أو «الطفرة» فى فن صلاح طاهر . فقد شاهد طغيان الاتجاه اللاتشخيصى الى درجة الشطط والغرابة والتطرف . وكان أثر هذه الرحلة على الفنان هو رد فعل عنيف ضد التجريدية لمجرد التجريد ... وقد عاد الى مصر ليهاجم هذا الشطط بعنف فى جلساته ومناقشاته .. ثم يقسم أن يفعل مثلهم .. وانتقل الى التجريدية .

وهكذا لم يكن التحول فى فن صلاح طاهر تدريجياً وإنما فجائياً .. لكنه لم يكن مجرد موقف عنيد فرضته اللحظة التى تحدى فيها شطط التجريدية .

ولكن هناك عدة عوامل يمكن اعتبارها السبب الفعال فى هذه الطفرة ، أو بمعنى أدق : كانت سبب استمراره فى هذا الطريق ثم اجادته له حتى أصبح أشهر التجريديين فى العالم العربى .

على رأس هذه العوامل تغير الجمهور الذى يقبل على مشاهدة أعمال الفنان .. هذا بالاضافة الى الصدمة التى تلقاها خلال زيارته للولايات المتحدة حيث لم يقتنع بما ينتجه الفنانون هناك ولم يستطع أى فنان تجريدى أمريكى ان يقترب بانتاجه من الصورة الذهنية التى كونها صلاح طاهر فى خياله عن الأعمال الفنية فى اغنى بلاد العالم . وهناك عامل ثالث هو رغبة الفنان الملحة فى تحقيق شخصيته المستقلة وكان من العسير أن يتحقق هذا التفرد والتميز دون اضافة شىء جديد الى اخر ما وصل اليه فن التصوير المعاصر .. ولما كانت التجريدية هى اخر مرحلة معروفة فى هذا الميدان ، كان لابد له أن يمارسها لتكون اضافته ذات دلالة حقيقية لم يسبقه اليها احد ...

وهكذا سار تفكير الفنان ، وهو يؤكد هذا المعنى فى قوله : ((كان عام ١٩٦٠ هو عام الرسوخ والعثور على نفسى تماماً)) .. وهذا يعنى انه ظل يبحث عن التفرد والتميز أربع سنوات كاملة بعد ممارسة التجريدية قدم خلالها مجموعة من التكوينات اللونية تحت اسم «تكوينات تجريدية تعبيرية» .. تميزت بمحاولة الابتعاد تماماً عن أى دلالة تشخيصية ..

وقد جذبته الى التجريدية تلك الحرية الكاملة التى يتيحها هذا المذهب للفنان عندما يخلق ويبتكر على هواه .. وتلك المتعة التى يحسها وهو يعبر عن ذاته ورؤاه دون الالتزام بالشكل الواقعى .. وهكذا وجد الفنان نفسه وقد اكتشف عالماً من المتعة الخالصة التى تولد الاحساس بالرضى وتحقيق الذات .. واغراؤها كان أقوى من أى اغراء اخر .. فاسلم نفسه لها .

وقد انشغل الفنان لزمن طويل قبل هذه الطفرة بقضية حيرة الفنان بين البيئة المحلية والانطلاق الواسع نحو آفاق الفن العالمى .. وكان الأسلوب التجريدى هو طريقه لتخطى حدود المحلية .

التفكير بلغة التشكيل

● بين « التجريد » و « اللاتشخيص » : (١٩٦٠ ـ حتى الآن) .

أعمال صلاح طاهر منذ عام ١٩٦٠ بل ومنذ ترك الاتجاه الوصفى ، تندرج كلها تحت هذين النوعين من الفن التصويرى ..

ويقول الفنان : « ان الاتجاه الكلاسيكى قد استنفد أغراضه وانتهى قبل مطلع هذا القرن .. والتمسك به حتى الآن يعتبر ظاهرة لا تتمشى مع روح العصر الحديث الذى تنفجر فيه الحياة كل يوم بجديد » ويعرف التجريدية بأنها : « رسم أشكال مكونة من خطوط ذات قيمة بلاستيكية ـ أى تشكيلية ـ بحته » .. ويضيف : « أنا أقصد بالتجريدية ذلك البحث عن القيم الموسيقية والألحان الموجودة فى الواقع .. لأن الفنان كثيراً ما يشعر بالسعادة والشاعرية اذا عاش فترة من الوقت فى جو معين ، أو بعد سماعه قطعة موسيقية أو موال شعبى ، أو بعد قراءته عمل أدبى



القبيلة .. لوحة زيتية للفنان صلاح طاهر عام ١٩٧٨

مؤثر . ولا يمكنه ترجمة هذا الاحساس بالكلمات أو التعبير عنه بموضوع .. ولكن الخطوط والألوان هى التى تقوم بهذا التعبير الذى قد لا يفهمه الانسان العادى ، ولكنه غالباً ما يكون للشخص المثقف ثقافة فنية عالية » ..

وهو يقول أيضاً : « أن مصور القرن العشرين حين يؤلف لوحته ويرسمها .. فانما يفكر بمفردات لغة التشكيل ، ومنها الخط وخصائصه ، واللون وما يتطلبه ، ثم الايقاع اللونى والخطى ، والتمسك بين العناصر ، والعلاقات التشكيلية وهندستها وبناؤها وتكوينها .. » .

هذه الكلمات كلها تنطبق على الأسلوب اللاتشخيصي الذى يمارسه فى عدد من أعماله ، لكنه من حين لآخر يعود الى تطعيم لوحاته باشكال مستمدة من الواقع بعد تحويرها وتحريفها ، واخضاعها لأسلوبه المميز وضربات فرشاته التى أصبحت علماً على أعماله .. ومثال ذلك رسومه للتجمعات الانسانية والمبانى الاسلامية الطراز ، وتلك التى يصور فيها أحد العناصر المشخصة مثل نبات البامبو أو القضبان الحديدية أو الآلات والأوراق .. ثم يكرر العنصر الواحد فى اللوحة بتنويعات مختلفة ، مطبقاً قواعد التشكيل الفنى التى برع فيها .

فى مثل هذه الأعمال ينتمى الفنان الى التجريدية ، بينما فى أعماله اللاتشخيصية نجده يواصل الطريق الذى بداه المصورون الذين يطلق عليهم اسم « الموسيقيون » .

ولا تقتصر حركة الفنان على الانتقال من « التجريد » الى « اللاتشخيص » وانما هو ينتقل أيضاً خلال ذلك بين الخامات والأصباغ ، فنجده يزهد فجأة فى الألوان ويستمر لعام كامل (١٩٦٠) فى رسم لوحات باللون الأسود ودرجاته مستخرجاً كل الامكانيات الشكلية للماديات فيما بين الأبيض والأسود .. ثم يعود الى الألوان المائية فى العام التالى ، ليتركها مرة أخرى ليشكل لوحاته من الأبيض والأسود وحدهما ، ثم لا يلبث أن يرجع الى الألوان ولكنه يستخدم هذه المرة « الجواش » .. ثم ينتقل الى استخدام الألوان الزيتية .. وبعدها الألوان البلاستيك .. ثم الاكليريك ...وهكذا .

انه يقوم بتغيير أداة الرسم متنقلا بين الخامات والأصباغ المختلفة بحثاً عن الامكانيات الشكلية والمذاق الخاص لكل نوع ، وذلك ليحقق لمساره الفنى الحيوية والتطور الدائمين .

الوجوه الشخصية

من أهم المميزات التى ينفرد بها صلاح طاهر ذلك الوفاق الذى يعيشه حتى الآن مع عالمه التشخيصى الوصفى القديم .. هذا الوفاق الذى يتمثل فى الأسلوب التقليدى الذى يرسم به الوجوه الشخصية (البورتريهات) .

ان هذا الميدان من ميادين الرسم هو الذى يحفظ للفنان خيط الاتصال العملى بالواقع وبالطبيعة .. هى من غير جدال المعلم الأول لجميع الفنانين ، سواء بما تتضمنه من ثراء فى الأشكال والألوان ، أو بما تقدمه من نماذج للعلاقات الشكلية والقوانين الجمالية التى يترجمها الفنان



تعاون .. احدى لوحات الفنان صلاح طاهر

صلاح طاهر

الى سطح لوحته بلغة التصوير بعد تصفيتها وتنقيتها واختيار النموذجى منها .

الاستمتاع

ان السر الكامن وراء هذه الظاهرة فى فن صلاح طاهر هو وجود ثلاثة انواع من الاستمتاع بالخلق الفنى ، أو بمعنى أدق « الاحساس بالرضى » فى كل حالة ، يختلف عن الاحساس الذى يكتنفه عندما يمارس الأسلوبين الآخرين .

ففى الحالة الأولى ، عندما يرسم الوجوه الشخصية (البورتريهات) يحس بامتلاكه للطبيعة وسيطرته عليها ، هذا بالاضافة الى اقترابه من الانسان الذى يرسمه متعمقاً فى أغواره ، مشبعاً شغفه بعلم النفس وبالسير الشخصية

وفى الحالة الثانية عندما يستخرج الأشكال الريفية والتجمعات الانسانية والتكوينات المعمارية وغيرها من أعماق ذاكرته .. ثم يخضعها لأسلوبه فى التشكيل ، فانه يخلق بها عالماً مثالياً ، ويحقق فى كل لوحة حلماً تشكيلياً ، فهو يعيد تنظيم الواقع وفق أسلوبه ، ويخرجه من الفوضى والتناثر الى النظام والتماسك .. انها متعة من نوع إخر .

ويجد الفنان فى رسم الأشكال اللاتشخيصية التى يبتكرها نوعاً ثالثاً من الاحساس بالرضى والاستمتاع يشبه ذلك الفرح الذى يشيع فى نفوسنا عندما نتوصل الى حل مسالة هندسية أو نكتشف قانوناً رياضياً .

الجانب الانسانى

أما الفنان فهو يعبر عن حالات استمتاعه بالخلق الفنى مشبهاً اياها بممارسة ألعاب رياضية مختلفة .. انه لم ينس انه كان ملاكماً فى شبابه .. فهو يمارس الرسم كما لو كان يتسابق فى السباحة أو يتبارى فى التنس فيقول :

« ان الانسان يبدو أصدق ما يكون مع نفسه حين يلعب ، والألعاب فى تنوعها ثم ابتكارها ثم التفوق فيها ، هى ظاهرة تلازم كل حضارة ظهرت فى التاريخ . والفن أيضاً ـ انه أول الظواهر الحضارية ـ والفنان الحقيقي هو لاعب ممتاز من الدرجة الأولى .. أما الفنان غير الحقيقى فهو ليس بلاعب على الاطلاق ، بل صانع مقلد ممعن فى ارهاق نفسه .. واللعب غير العبث ، فالعبث فوضى وتبديد للعمر والطاقه .. أما اللعب فانت تؤديه والمتعة تصاحبك اذا كنت على دراية وخبرة بقوانين اللعبة ، اذ لن كل لعبة على حدة لها قيودها وأصولها » .

ولقد وصل صلاح طاهر الى درجة عالية من الخبرة فى التشكيل حتى أصبح الأسلوب طيعاً بين يديه ، ووسيلة لتحقيق افكار أعمق من مجرد استعراض المهارة فى التشكيل ، فالأسلوب لم يعد هدفه اليوم بعد أن كان محور اهتمامه فى سنوات الطفره ..

ولا تخلو أعمال الفنان من التعبير عن الجوانب الانسانية وتناول الموضوعات التى تمجد العمل والبناء .. وأوضح النماذج هى تلك التى بدأها عام ١٩٦٣ عندما قام برحلته الى أسوان أثناء بناء السد العالى ، فقد اختارته وزارة الثقافة ضمن مجموعة من الفنانين التشكيليين تجولوا فى النوبة قبل أن تغطيها مياه السد واقاموا فى مواقع العمل باسوان حيث شاهدوا وسجلوا الأعمال الانشائية الضخمة وابطالها من العمال والفنيين ..

ومن ذلك التاريخ نجده يتناول من حين لآخر الانسان فى تالفه عندما يعمل ، لوحة تصور الحمالين وعلى اكتافهم كتلة خشبية ضخمة يتعاونون على نقلها فى همة ونشاط واخرى تصور فلاحتين منحنيتين فى حقل متسع تجمعان ثمار الأرض .

كما يستخدم الفنان الألوان الباردة كالأخضر والأزرق فى مواجهة الألوان الساخنة كالأحمر والأصفر ومشتقاتهما فتتحقق الديناميكية من خلال التفاعل بين هاتين المجموعتين اللونيتين المتقابلتين .. كما يضع الألوان الصريحة المنفردة بطريقة مبهرة مضيئة فى مواجهة الألوان الممتزجة المتداخلة الكابية .

ونحن نستشف فى أعماله تلك العلاقة الجدلية بين الأشكال التى تتهدم وتلك التى تتولد فى نفس اللحظة .. كما انه فى كثير من الأحيان يتعمد اعطاء الاحساس بأن الخطوط قد وضعت بسرعة وعشوائية ليضاعف احساس المشاهد بالحركة والآلية وهذا الأسلوب يجعل لوحات صلاح طاهر تحتفظ بقيمة حية دائمة كالتى تتميز بها الرسوم الخطيه السريعة (الاسكتشات) .

هذا بالاضافة الى استلهامه للتراث الاسلامى وتكوينات الأرابسك بالذات ، باعتبارها تكوينات بنائية محكمة التركيب .. وهو قد أعلن أكثر من مرة أن الفن الاسلامى هو الأساس القديم للفنون التجريدية الأوربية .

صبحى الشارونى

التحدي

شعر: د. أنس داود

في صمت
أجلس مؤتزراً بالحكمة
مشتعل الحس
تقتلني الوحدة .. تنعاني عيناك إلى نفسي
حين ترودين الآفاق بعيداً عن نبضة قلب
أبدى الهمس
عن جرح ينزف طول الليل ،
ويقطر في وضح الشمس

• • •

الطفلة تعدو في الغابات
وتتركني وحدي
جذعاً ملقي فوق هشيم التذكارات ،
أنا دم في ملل صمتي .
تضحك للشمس وللأزهار ، وللنبع الرقراق الرغد
وتفيض على العشب حياة ، تمنحه أفراح الأبد
حين تفيء إلى ظل الدوحة .. تخطر ، أو تتمدد.
هل أبصرت ربيعاً يتفجر في جسد
يمتزج العشب بأزهار الفل ،
ويلتف على مشتل ورد
أي تحد
للنور المصلوب على حافات الأفق الممتد
للبحر الراكض في نزق خلف المد
لي ، وأنا أجلس وحدي
في صمت .. أجلس وحدي ،



بقلم : حافظ أحمد أمين

جارتان

كانت فرحتنا عظيمة عندما عثرنا آخر الأمر على شقة مناسبة ، وكنت كلما ترددت عليها مع كمال ، لنباشر التشطيبات النهائية ، نشم رائحة البخور تنبعث قوية نفاذة من الشقة التى تواجه شقتنا ، كما كنا نسمع فى بعض الأحيان أصواتاً غريبة لنساء ورجال يصدرون معاً شيئاً كالتراتيل مختلطة باصوات أخرى كصياح الدجاج ، فكنا نتساءل عما يجرى داخل تلك الشقة ، دون أن نجد اجابة شافية . ذهب زوجى مرة وقرأ البطاقة على بابها ، ثم جاءنى يقول انها شقة طبيب اسمه أنيس مختار ، ولكن هذا لم يساعدنا على العثور على تفسير لما كنا نسمعه ونشمه .

ومضى نحو شهر ، وانتقلنا إلى شقتنا الجديدة فى صباح باكر ، وقبل أن يخرج كمال إلى عمله ، طلب منى أن أخرج بعض الحاجيات من الحقائب ، وتثبيت بعض الصور والأرفف ، وترتيب ما أقدر على ترتيبه من أدوات خفيفة ، قال لى :

ـ « لا تنهكى نفسك كثيراً يا حبيبتى ، وانتظرينى بعد الظهر حتى نعمل معاً ، وساحضر لك معى شيئاً تحبينه » .

سألته : « كتاب ؟ » قال : « لا » ... « اسطوانة ؟ » ... « لا » ، « فماذا اذن ؟ » ... قال وهو يغادر الشقة : « ستكون مفاجأة سارة » . وخرج .

لم تمض عشر دقائق على مغادرة كمال للشقة حتى دق جرس الباب ، فلما فتحته شاهدت امامى سيدة بدينة بيضاء ، فى حوالى الثلاثين من عمرها ، أنيقة الملبس ، فخمة المظهر ، تضع على وجهها ألواناً لاحصر لها من الاصباغ والمساحيق ، وعلى صدرها وفى ذراعيها حلياً وجواهر تبهر الأنظار .

ما أن فتحت الباب للسيدة حتى رسمت على شفتها ابتسامة عريضة ، وقالت بصوت لين ناعم :

ـ « انا جارتك علية ، حرم الدكتور أنيس مختار ، جئت لاهنئك على شقتكم الجديدة جعلها الله مصدر الهناءة والسعادة لكم طول العمر » .

قالت هذا ثم خطت إلى داخل شقتنا بتثاقل وبطء دون أن أدعوها الى ذلك ، وأخذت تتمتم بكلمات غريبة لم أسمعها جيداً ، ولكنى فهمت من حركات ذراعيها انها تبارك الشقة الجديدة ، وتطرد منها « الأسياد » و « العفاريت » .

وما أن انتهت من هذه التمتمة حتى اخرجت من جيبها ملحاً وأرزاً نثرتهما فى انحاء الصالة وهى تقول لى :

ـ « هذه أمور ضرورية لجلب السعادة ، وافساد عمل الحاسدين ، وكيد الحاقدين ، ولتكون الشقة مبروكة عليكم ان شاء الله » .

قلت وأنا احاول مجاراتها بقدر ما يمكننى :

ـ « ستكون مبروكة باذن الله بفضل جيرتكم لنا ، لقد اخترناها أنا وزوجى بعناية شديدة ، وبعد جهد كبير ، وسنعمل بكل طاقتنا على استكمال ما تحتاج إليه من أثاث ، وترتيبه حتى تكون مريحة وجميلة » .

قالت : « هذا لا يكفى يا حبيبتى ، ولابد انك سمعت عما يفعله الجان ببنى آدم ، خاصة بالنسبة للأعتاب الجديدة » .

قلت : « نعم ... سمعت الكثير عن هذا » .

قالت : « طبعاً يا أختى طبعاً ... صحيح ان هناك أناساً لا يؤمنون بمثل هذه الأمور ، ولكنهم سيندمون كثيراً على ذلك ، ولعل جارتنا احسان مثل صادق لمثل هؤلاء » .

ـ « إحسان ؟ » .

ـ « نعم ، تلك التى تسكن فى نفس الطابق ، انها لا تثق فى أعمال السحر وفى التعاويذ ، وتقول انها متعلمة ومثقفة ، كان العلم والثقافة كافيان لجلب السعادة للانسان » .

قلت وأنا احاول أن أجد اجابة لا تجرحها :

ـ « لا أبداً يا عليه هانم أبداً ، العلم والثقافة ليسا كل شىء » .

قالت وهى تجلس ... دون أن أدعوها إلى ذلك :

ـ « نعم نعم ، يبدو أننا سنتفاهم جيداً وسنترك جارتنا « إحسان » تبحث عن زبائن لجمعيتها » .

سألتها : « أية جمعية ؟ » .

قالت : « جمعية تحرير المرأة ، ان جارتنا النحيفة ... التى تشبه عود القصب أو عمود السرير ... تعمل سكرتيرة لجمعية تدعى انها تحرر المرأة ، والمضحك فى الموضوع أن « احسان » هذه تعتقد انها امرأة ، وهى لا تفترق عن الرجال فى شىء ، انها تقضى معظم وقتها فى جمعيتها تخطب وتصيح ، كأن المرأة تحتاج فى تحريرها إلى مثل هذه الجمعيات التى لا تقوم إلا على الكلام والخطابة » .

قلت مؤيدة : « ليس بالخطب تنال المرأة حريتها » .

قالت وكأنها قد وجدت الشخص الذى سيتفق معها فى كل شىء :

ـ « أليس كذلك يا حبيبتى ؟ وماذا نفعل بالخطب مع صنف الرجال ، انه جنس خشن أنانى ، لا يفكر الا فى نفسه وملذاته ، لا يهذب إلا إذا استعنا عليه بمن هم أقوى منه ... الرجال يا حبيبتى لا يروضهم الا الجان ، أما الصياح والكلام الأجوف فالرجال عليهما أقدر » .

ثم حاولت الست عليه أن تدعونى يوم الأحد التالى الى احدى حفلات الزار التى

تقيمها فى شقتها ، واخذت تلح على الحاحا شديداً وتصف لى ماذا تذبح وماذا يفعل المدعوون ، ولكنى اعتذرت بادب ، قائلة اننى سأذهب فى ذلك اليوم مع زوجى لمشاهدة مسرحية جديدة .

سالتنى بدهشة : « اتذهبين مع زوجك الى المسرح ؟ ... آه ... لابد انك اكثر منى علماً بمسالة الاحجبة والتعاويذ ، لاشك انك تحملين حجاباً به اسرار لم اتوصل انا اليها . لقد حاولت مراراً ان ازين لزوجى انيس قضاء امسياتنا معا ، ولكنه يجد دائماً المبررات للافلات منى » .

ثم مالت على وسالتنى بصـــــوت منخفض :

ـ « هل تضعين فى صدرك حجاباً من نوع خاص ؟ » .

قلت لها وانا اضحك :

ـ « ساخطرك فى المستقبل عما احمل فى صدرى » .

● ●

وهكذا اضاعت منى ست علية النصف الأول من النهار ، أما النصف الثانى فقد اضاعته الست « احسان » . نعم ، فما ان تخلصت من الجارة الاولى ـ بعد صعوبة بالغة ـ حتى بدأت فى تنظيف الشقة مما نثرته مع ملح وارز ، وانا العن تلك الزائرة التى اضاعت نصف يومى فيما لا طائل منه ، رغم كثرة الاعمـــــال التى كانت تنتظرنى .

نعم ، ما إن تخلصت من جارتى البدينة البيضاء حتى دق جرس الباب من جديد ، فلما فتحته وجدت امامى سيدة نحيفة سمراء ، فى حوالى الثلاثين هى ايضاً ، صارمة التعبير ، لا تلبس حلياً ولا تضع فى وجهها اصباغاً أو مساحيق ، تلبس ملابس بسيطة داكنة ، شكلها وملامحها وحركاتها هى النقيض التام لشكل الست علية وملامحها وحركاتها ، وكان الله قـــد خلقهما واسكنهما طابقاً واحداً من العمارة ، ليظهر للناس كيف يكون الامر ، عندما يتجاور الشىء ونقيضه .

مدت الى يداً قوية وصافحتنى وهى تقول



بصوت عال به غلظة :

ـ « انا جارتك احسان ، زوجة المهندس عدلى عطية » .

قلت : « اهلا وسهلا ... شرفت وانست » خطت الى داخل الشقة ـ دون ان ادعوها الى ذلك ـ وكانت خطواتها سريعة ونشطة ثم قالت :

ـ « كان فى نيتى ان أزورك قبل الآن ، ولكنى علمت ان (سيد قشدة) كانت معك طوال الصباح » .

سالتها : « سيد قشدة ؟ » .

قالت وهى تضحك : « نعم ، نحن نسمى الست علية (السيد قشدة) وبعض السكان يسمونها البرميل » .

وبعد أن جلست على احد الكراسى بالصالة قالت :

ـ « لقد فرحت كثيراً عندما علمت من بعض سكان العمارة انك حاصلة مثلى على شهادة جامعية ، فهذا يعنى انك سيدة نكية بعيدة النظر ، واننا سنتفاهم جيداً ان شاء الله » .

قلت وانا احاول مجاراتها : « سيكون هذا مدعاة لسرورى وسعادتى » .

مالت على وقالت بصوت منخفض :

ـ « هل تعرفين ان جارتنا البدينة لم تحصل حتى على الشهادة الابتدائية ؟ ، انها تعتقد ان باستطاعتها ان تحصـل على حقوقها المسلوبة عن طريق السحر واقامة حفلات الزار وزيارة اضرحة الاولياء هل تتصورين ايتها الاخت الكريمة أن مثل هذه الامور ما زالت تحدث فى الربع الاخير من القرن العشرين ؟ » .

قلت مؤيدة : « ليس بالســـــــحر والشعوذة تنال المراة حريتها » .

قالت وكانها قد وجدت الشخص الـــذى سيتفق معها على كل شىء :

ـ « اليس كذلك ايتها الاخت الكريمة ؟ وماذا تفعل الاحجبة والارواح مع صنف الرجال ؟ هذا الجنس الخائن ... الرجل لا يروض ولا يهزم الا عن طريق الكفـــاح المستمر لزيادة وعى المراة بحقوقها ، وعدم التنازل عنها . ومهما بلغت الاعيب الرجال وتفانينهم فى الدهاء ، فزيادة الوعى عند المراة كفيلة بتحقيق انتصارها » .

ثم حاولت الست احسان أن تدعونى مساء الخميس التالى الى اجتمـــاع من اجتماعات جمعية تحرير المراة ، والاشتراك فى الكتابة فى مجلة الجمعية ـ ان كنت للس فى نفسى قدرة على تحرير المقالات ـ من اجل اشعال حماس المراة ،والمطالبـــة بالتحرر من القيود التى تعانى منها ، ولكنى اعتذرت بادب ، مبررة رفضى بانه ما زالت امامى اعمال كثيرة فى سبيل اعداد الشقة كما أن يوم الخميس هو اليوم الذى نذهب فيه انا وزوجى لزيارة عائلتى .

دهشت احسان دهشة شديدة وسالتنى:

ـ « هل يرافقك زوجك عنـــــد زيارتك لعائلتك ؟ » .

قلت : « نعم ... نتناول العشاء مساء كل خميس مع أبى وأمى » .

قالت : « لابد انك تستعملين معه لغة عنيفة حاسمة ، أشد قسوة من تلك التى نستعملها فى جمعيتنا . انا شـــخصياً حاولت مع عدلى ان نحدد يوماً نزور فيه عائلتى ولكن محاولاتى كلها ذهبت هباء » .

ثم مالت على وسالتنى بصـــــوت منخفض :

ـ « هل تستعملين معه اسلوباً خاصاً يجعله خاضعاً لارادتك ؟ » .

قلت لها وانا اضحك : « ساخطرك فى المستقبل بالأسلوب الذى استعمله معه » .

بقلم : جمال الكناني

هذا الكاتب العبقري هل هو خائن أو عبيط؟

ليس من نقاد الأدب ولا حتى من شيعة صمويل لانجهورن كليمانس (مارك توين) واحد ينكر زعامة كتاب الفكاهة الانجليزية على بى جى وودهاوس ، فالكل قد بايعه دون تردد .

ولعلنا قبل أن نسرد القصة المؤلمة التى نغصت على هذا العبقرى حياته ، وأذاقته مرارة المهانة ، وحرمته تكريم حكومته حتى بلغ الثالثة والتسعين من عمره ، حين أنعمت عليه الملكة بلقب الفروسية قبل موته بشهرين اثنين ، نقدم موجزاً لسيرته :

ولد بلام جرينفيل وودهاوس فى يوم ١٥ اكتوبر عام ١٨٨١ فى مدينة جلفورد بولاية صرى بانجلترا . وكان ابوه اذ ذاك يشغل وظيفة حكومية فى هونج كونج .. وتعارفت الأسرة اولا على مناداة الصغير باسم « بلام » ثم اختصر الاسم الى « بلم » ، فكان الاسم الذى عرف به الأديب طول حياته .

وليس غريباً أن يكون حب الأدب مغروزاً فى هذا الأديب الذى كان يتسلى منذ طفولته بكتابة القصة القصيرة .. وكانت اولاها قصة كتبها وهو فى السابعة من عمره :

« حدث منذ حوالى خمس سنوات .. فى غابة من الغابات ، ان كان هناك طير مغرد جميل الصوت ، بنى لنفسه عشا على راس شجرة من اشجار الزيزفون . وكان الطائر يختار لنفسه غصناً يقف عليه ليغنى بصوت رخيم للغابة . فكانت الديدان تخرج من جحورها لتستمع اليه ، وكانت النمل تضع احمالها والصراصير تلوذ بالصمت والفراشات تقف صفا واحداً .. وغرد الطائر وكانه يغنى فى جنة الخلد فكان صوته يعلو ويرتفع تدريجيا ، لحظة بعد لحظة .

وانتهت الأغنية ونزل الطائر عن غصنه وهو يلهث .. وشكرته جميع المخلوقات .. وانتهت قصتى » .

كانت تلك بداية الحصيلة الضخمة – ٩٦ رواية طويلة و ٣٧٠ قصة قصيرة و ١٨ تمثيلية و ٣٣ مسرحية غنائية ومئات من الأغانى – التى اثرى بها الأدب الانجليزى واعترف له الجميع بانه افكه كاتب عرفته اللغة الانجليزية .

ولقد اقام هذا العبقرى صرح عظمته على مدى ٧٥ عاما فى قارتين – اوروبا وامريكا – على اساس قدرته على الاستعانة بالتكرار،تكرار كلمات أو عبارات أو جمل – لاضحاك قرائه وتسليتهم .. وكانت مواضيع قصصه وروايات شرائح من واقع طفولته وخاصة أيام دراسته فى كلية (مدرسة) داليتش ، يخلطها بلمسات من الحياة خلال العصرين الادوردى والجورجى ، ثم يلف هذه كلها فى رقائق من نسج خياله الخلاق . ولقد حاول « وودهاوس » الاحتفاظ لكتاباته بواقعية من الانتماء الى حقبة زمنية معينة ، ومن هنا كانت شعبيته على نطاق كونى .

فكاهة وودهاوس تعتمد أبداً على المبالغة او عكسها – العبارة المكبوحة – وعلى استعمال التعبير الاصطلاحى فى غير موضعه .. ولقد استطاع « وودهاوس » ان يجمع لنفسه حصيلة هائلة من الالفاظ بان خلط العبارات العامية بالعبارات الكلاسيكية وابتكار الوان جديدة من الغلو والمبالغة .

ويقول العارفون ان وودهاوس كان رجلا موهوباً جمع بين القدرة والرغبة فى العمل المضنى والرغبات والمطالب المتواضعة البسيطة .. كان شغله الشاغل هو عمله وكانت هوايته المفضلة هى عمله ، واكبر اهتمامه كان ظاهرة الحياة نفسها ، ولقد كتب اطرف قصصه عن تلك الحياة .. كان يضحك على كل ما يضحك ويقرأ لكل كاتب فكه ويقف من الحياة موقف المتفرج ، يؤثر ملاحظتها والكتابة عما يدور حوله من الحياة بدلا من ان يشترك فيها .. ويتقن تجنب مشاكل الحياة وطرد منغصاتها بعيداً عن واعيته .. ثم ان كتاباته تشهد بطيبة قلبه وادميته التى لم يتجرد عنها حتى وافته منيته ، بعد نوبة قلبية ، فى يوم ١٤ فبراير ١٩٧٥ .

والذى كتب عن « وودهاوس » كثير ، يغنينا عن تكراره . زد على ذلك ان أدب « وودهاوس » ليس هو موضوع هذا المقال الذى نهدف الى ان نسرد سرداً محايداً ، قصة اتهام وودهاوس بالخيانة العظمى اثناء الحرب العالمية الثانية .

من البيت الى السجن !

فى شهر يناير ١٩٤٠ كان وودهاوس وزوجته « إثيل » فى « لى توكيه » بفرنسا . وفكر فى الرحيل والعودة الى انجلترا لما احس باقتراب الألمان من الاراضى الفرنسية وعرض عليه طيار انجليزى المقعد الوحيد

فى طائرته ولكنه رفض أن يترك زوجته وحدها فى فرنسا . وقرر السفر الى الساحل فى سيارته فركبها مع زوجته إلا انها تعطلت بعد مسيرة ميلين ومر بهما جار كان يقصد الساحل فى عربة نقل ، فركبا معه ولكن اللورى تعطل بدوره .. فلما يئسا من الوصول الى الساحل الفرنسى عادا الى دارهما فى « لى توكيه » .

ودخل الجيش الالمانى باريس وفى يوم ٢١ يوليه ١٩٤٠ استدعى « وودهاوس » لمكتب قائد الحامية وصدرت الأوامر بنقله الى المعتقل .. ودخل السجن فى مدينة « ليل » وقيد فى السجلات خطأ باسم « وودهورس » .. « الجريمة .. انجليزى » وعلى الرغم من انه كان فى سن الثامنة والخمسين الا ان السلطات الالمانية لم تفرج الاعمن بلغوا الستين .

نقل « وودهاوس » بعد ذلك الى سجن بالغ القذارة فى « ليج » فى بلجيكا ثم نقل فى ٣ اغسطس ١٩٤٠ الى قلعة بعيدة ومنها نقل فى ٣ سبتمبر ١٩٤٠ الى قرية توست فى سايليسيا العليا وهى الآن جزء من بولنده . وهناك أودع السجناء مبنى احدى المستشفيات العقلية .

فى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٤٠ سمح لمراسل « أسوشييتد برس » ، « أنجس ثورمر » بزيارة « وودهاوس » والتحدث معه . وكتب المراسل مقالا شرح فيه رفض « وودهاوس » لأى مجاملة أو معاملة خاصة قدمها له الالمان . وعرف الناس عن طريق المقال مقر « وودهاوس » وبدأ كبار الكتاب ورجال المسرح وغيرهم يلحون على السفارة الالمانية فى واشنجطون ويطالبون بالافراج عن « وودهاوس » ولكن دون جدوى !

وقارب « وودهاوس » الستين من عمره فافرج الالمان عنه وفى يوم ٢١ يونيه ١٩٤١ صرحوا له بالاقامة المحددة فى برلين تحت رقابة الشرطة وهناك أدلى « وودهاوس » بتصريح لعدد من المراسلين الصحفيين الامريكيين جاء فيه :

« يالها من تجربة عجيبة أن يحرم الانسان من العالم الخارجى كما حدث لى فى السجن حيث يعيش الانسان على البطاطس والشائعات .. التى يسميها أسرى الحرب « الحمائم الزرقاء » اما نحن فكنا نسميها « قصص الفراش » . ولم يحدث قط ان صدقت شائعة واحدة ، ولكن شائعة واحدة فى اليوم تبعد عنك الهم والانقباض النفسى .. » .

وبعد هذا الافراج المشروط بخمسة أيام اى فى يوم ٢٦ يونيه ١٩٤١ قبل « وودهاوس » أن يقرأ على الراديو ـ راديو برلين ـ حديثاً أعده مراسل اذاعة كولومبيا الامريكى .. واستملح « وودهاوس » الفكرة لأنه وجد فيها وسيلة لتعريف أكبر عدد من أصدقائه فى امريكا بمكانه فى المانيا .. وكانت نتيجة هذه الاذاعة ان طلبت وزارة الخارجية الالمانية من « وودهاوس » إعداد عدد من الأحاديث ، يكتب فيها ما شاء ليذيعها لأمريكا على الموجة القصيرة . وبدا العرض كريماً لأنه لم يفرض أى قيد أو شرط على « وودهاوس » فكتب خمسة احاديث فكهة عن تجربته كسجين بريطانى مدنى رقم ٧٩٦ ندد فيها بالسجون الالمانية وسمح له الالمان باذاعة أحاديثه كما كتبها تماماً . ويصعب على الانسان تعليل هذا التصرف من جانب الالمان لان « وودهاوس » لم يترفق فى وصف ما أصابه فى سجون المانيا .. ولعل الالمان لم يفهموا فكاهة « وودهاوس » ودعاباته ولم يدركوا ما كان بين أسطر الأحاديث .

الصحف البريطانية تهاجمه !

على أن هذه الاذاعات كانت من الناحية الشكلية على الأقل دليلا على حماقة « وودهاوس » وعبطه ، إذا انها أثارت عواصف هوجاء فى الصحف البريطانية التى هاجمته دون أن تعرف فحوى ما أذاع واتهمته بالخيانة العظمى ، بل ومن تلك الصحف ما وضعه فى صف الخائن الذى كان معروفاً باسم « اللورد هوهو » . وليس فى موقف الصحف البريطانية أية غرابة .. فانجلترا كانت فى حرب ضروس مع المانيا ، واذا بأحد عمد الأدب الانجليزى واكثرهم شعبية يقدم إذاعات من محطة برلين فى وقت تنهال فيه قنابل الالمان على رؤوس الانجليز وتمحو من انجلترا مدناً بأسرها .. والناس فى انجلترا وغيرها يعرفون أن « وودهاوس » له من الفطنة والذكاء ما يجعله يتنبه لسوء فعلته ويدرك أن الاذاعة من المحطات الالمانية تعتبر فى ذاتها عملا مخزياً مشيناً .. وكان أن صدق الانجليز ما كتبته الصحف البريطانية عن « وودهاوس » وكان أن هاجمته الاذاعة البريطانية هجوماً عنيفاً فى ١٥ يوليه ١٩٤١ . وكان صاحب هذا الهجوم الصحفى المعروف وليام كونر الذى كان يكتب تحت اسم كاساندرا .. قال كونر فى الحديث الذى اذاعه .

« جئت لأقص عليكم هذا المساء قصة رجل من الأثرياء يحاول إتمام آخر وأكبر صفقة بيع يعقدها فى حياته .. فهو يبيع بلاده .. ويا لها من قصة كئيبة كريهة .. قصة رجل يرهن شرفه عند الالمان لقاء فراش وثير » وعلى هذا النحو المقذع واصل كاساندرا هجومه .

ولم تشر الصحف أو الاذاعة الى نص ما قال « وودهاوس فى إذاعاته من برلين واكتفى الغاضبون بالاشارة الى انه أذاع من برلين ... ومجرد الاذاعة من برلين اذ ذاك فى رأى الناس جريمة وخيانة لا تغتفر .. ولكن هل يذنب من يقف على منبر عدوه ويهاجمه من فوق ذلك المنبر ؟ هل يجرم من يندد علنا بعدوه ويذيع على الناس وصف ما لقى من معاناه وهو فى سجنه ؟

كان رأى الناس فى امريكا فى اذاعات « وودهاوس » يناقض رأى الناس فى انجلترا فى تلك الاذاعات .. وكانت وزارة الدفاع الامريكى تستعين بتسجيلات هذه الاذاعات فى مدرسة الاستخبارات وتقدمها اثناء التدريب على انها نموذج ممتاز ضد النازية .

ولم يدر « وودهاوس » بما كان يجرى فى انجلترا الا بعد فترة طويلة فلما علم بالخبر كاد ينهار من هول الصدمة لانه كان حسن النية تماماً فيما فعل ، بل وانه كان يعتقد أنه إنما يقدم للعالم الحر صورة ساخرة لما يجرى فى السجون النازية .

ولما اشتدت الغارات على برلين سمح الالمان لوودهاوس بالعودة الى باريس المحتلة على أن يعيش فيها تحت رقابة الشرطة وتحت عين الجستابو .. فلما تم طرد الالمان من باريس اشترك « وودهاوس » فى الاحتفال بخلاصها من الاحتلال الالمانى فى ٢٥ اغسطس ١٩٤٤ .. ولكن سحابة قاتمة كانت تخيم على حياته فقرر فى نفسه لن يضع حداً للمأساة وان يشرح للناس ما حدث فزار الضابط الامريكى المختص وطلب منه أن يعلم السلطات البريطانية بوجوده فى باريس حتى يمكن اجراء التحقيق توطئة لدحض التهمة الموجهه اليه .

هذا الكاتب العبقري هل هو خائن أو عبيط؟

كانت نتيجة اتصال « وودهاوس » ان طار الى باريس احد موظفى وزارة الداخلية البريطانية وبدأ تحريات استمرت اسبوعين ادلى « وودهاوس » خلالهما باقواله وقدم شرحا مفصلا وافيا لظروف ما حدث وملابساته وطلب السماح له بالعودة إلى انجلترا ليتولى الدفاع عن نفسه ولكنه نصح بالبقاء فى فرنسا حتى ينجلى الموقف .

وعاش الرجل حزينا مكروبا وزاد من همه ان علم بموت امه وهو فى المعتقل . وحدث فى الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤ ان ايقظه رجال الشرطة الفرنسية ونقلوه هو وزوجته الى « قصر العدالة » واحتجز هناك . فلما تحرى « وودهاوس » عن السبب لم يجبه احد .

والقانون الانجليزى يدينه !

وعلمت السلطات البريطانية بامر القبض على « وودهاوس » فاسرع احد رجال وزارة الداخلية البريطانية إلى باريس واخذ يتحرى عن سبب احتجاز « وودهاوس » فعلم ان السلطات الفرنسية انما قبضت عليه ظنا منهم بذلك يجاملون بريطانيا . وكان ان افرج عن « إثيل » زوجة « وودهاوس » فوراً وبعد اربعة ايام من ذلك نقل « وودهاوس » إلى احدى المستشفيات وبقى معتقلا بها .

وتساءل الناس فى بريطانيا ودار الهمس حول اعتقال « وودهاوس » وانتهى الامر بمناقشة الموضوع فى مجلس العموم . وتساءل الناس عن مدى تجريم « وودهاوس » وتصدى النائب كوينتن هوج – وهو اللورد هيلشام كبير الهيئة القضائية حاليا – للهجوم على « وودهاوس » وقال للمجلس ان الاذاعة من محطة العدو ، سواء باجر او لقاء اى ثواب – تعتبر ضربا من الاتجار مع العدو وهو امر يعاقب عليه القانون .. ولما كان الموضوع يخص مواطنا بريطانيا موجوداً فى خارج بلاده فقد اقترح العضو كوينتن هوج على وزير الخارجية اذ ذاك – انطونى ايدن – أن يتشاور مع رجال القانون فى امر تجريم « وودهاوس » ورد وزير الخارجية بقوله « ما دام المستر هوج واثقا بان المسالة تتعلق بناحية قانونية ، فواجبه هو ان يوجه اسئلته لوزير العدل لا لوزير الخارجية » .

فى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٤ وقف النائب كوينتن هوج مرة ثانية فى مجلس العموم وقال إنه « علم ان الاذاعة من محطة يملكها العدو لا تعتبر جريمة او جنحة فى نظر القانون البريطانى ولكنه يرى أن الواجب هو ان تعتبر جريمة . ثم قال : « وانى اؤكد للمجلس انى اقف من هذا الموضوع موقف المحايد .. ولا انسى المتعة التى نعمت بها من وراء قراءة مؤلفات هذا الرجل ولست انسى ما اسهم به فى الادب الانجليزى .. ولكم كنت اتمنى ان المتهم كان شخصا غيره .. ولكن القانون يجب ان يقف موقفا محايداً من جميع الناس .. وانا مازلت ارى ان قانون الخيانة العظمى ينطبق على هذه الحالة .. فالخيانة العظمى هى اى عمل يزيد فى قوة العدو ويضعف من قوة الوطن » .

وبعد ان ادلى عدد من الاعضاء بارائهم وقف المدعى العام وقال « لقد بحثنا هذه القضية بحثا دقيقا وتم الاتفاق على ان الادلة على ان المتهم كان ينتوى مساعدة العدو ادلة غير كافية ولا تسمح او تكفى لاقامة الدعوى ضده » .

وكان من نتائج مناقشة القضية فى مجلس العموم ان عرف الناس ان الجهات الرسمية فى بريطانيا ترى ان « وودهاوس » لم يرتكب ما يعاقب عليه القانون .. وكان ان افرج البوليس الفرنسى عن «وودهاوس» وانتهت فترة « الحجز الاحتياطى » وخرج من المستشفى يوم ١٧ يناير ١٩٤٥ .

وعلى الرغم من ان عدداً من الادباء من اصدقاء « وودهاوس » ، وعلى راسهم جورج اورويل تصدوا للدفاع عنه بكل الوسائل الممكنة ، الا ان « وودهاوس » ادرك ان وصمة العار التى لحقت به لن تزول بسهولة وأن الصمت الذى نصحه الناشرون بالتزامه لن يجدى كما انه لم ير حكمة فى ترك الدفاع عنه لغيره من الناس وهو القادر على التعبير بلغة يفهمها كل قارىء .. ولعله ذكر المثل العربى الذى يقول « ما حك جلدك مثل ظفرك » ..

وسنحت له الفرصة يوم نشرت مجلة « فراياتى » الامريكية على صفحتها الاولى يوم ٢٤ ابريل ١٩٤٦ خبراً قصيراً تحت عنوان :

فرنسا تبدد السحابة النازية عن بى جى وودهاوس

« تسلم الاديب بى جى وودهاوس من الحكومة الفرنسية إخطاراً بانه قد برىء تماما من تهمة التعاون التى جاءت نتيجة لاذاعاته من محطة برلين عام ١٩٤٠ . وكانت الحكومة البريطانية قد اعلنت من قبل براءته من التهمة نفسها وهو الآن حر فى ان يعود الى انجلترا فى اى وقت شاء »

قرأ « وودهاوس » الخبر فكتب رسالة الى المحرر نشرتها المجلة يوم ٨ مايو عام ١٩٤٦ ، جاء فيها .

محرر مجلة « فراياتى » .

انا عاجز عن التعبير عن سرورى باستلام رسالتك وامتنانى وعرفانى بجميلك إذ سمحت بنشر قصتى فى مجلتك . فانا كما تعلم احد المتحمسين لقراءة هذه المجلة التى اقرؤها بانتظام على مدى ثلاثين عاما .. وليس فى العالم كله مجلة او صحيفة احب ان انشر قصتى فيها اكثر مما احب نشرها فى مجلتك لأن جمهور قرائها هو الجمهور الذى اعتز به اكثر من غيره .

عندما خرجت من السجن الفت كتابا عن تجربتى كسجين وتحدثت فى الفصل الثانى من الكتابات عن تلك الاذاعات . وكان املى ان انشر الكتاب كاول ثمرة من ثمرات إنتاجى بعد الحرب ولكن ناشرى نصح بتاجيل نشره وقدم عليه روايتى « جيفز » التى تنشر فى اوائل الخريف القادم .

وعندى أن المشكلة الاساسية هى ان الناس فى امريكا لم يستمعوا لتلك الاذاعات وأن الضجة التى حدثت فى انجلترا تركت فى نفوس الامريكيين انطباعاً بان الاذاعات دعاية المانية او انها تمتدح المانيا . الواقع انها كانت مجرد وصف فكاهى للحياة فى المعتقل وانها كتبت أساساً لتسلية الأمريكيين والترفيه عنهم ، ولست أرى ضيراً فى نشرها كما هى فى أى مجلة أو صحيفة انجليزية او امريكية .

ويعزز هذا الرأى بعض ما ورد فى رسالة وصلتنى هذا الصباح من رجل يعيش فى انجلترا ، غريب عنى تماماً ، قال إنه كان أسير حرب لمدة عامين ونصف وانه كان يقرأ كتبى وانها رفعت روحه المعنوية أثناء أسره .. يقول الرجل :

« اود أن اقول لك بعد ان قرات نسخة من اذاعاتك انى لا اتصور كيف يمكن لأى انسان عاقل ان يجد فيها ما هو موال للالمان او معاد لبريطانيا ولكنى لن اعطيك رأيى فى الموضوع بل انقل اليك رأى المرحوم مارشال الجو « بويد » وكنت مساعده الخاص ، وكنا أسرى حرب معاً فى ايطاليا ..

قرأ « بويد » إذاعاتك ثم اعطانى إياها وقال « لست أدرى كيف سمح الالمان باذاعة كل ذلك .. لست افهم السبب .. إما انهم ينعمون بقسط من روح الدعابة يزيد كثيراً عما كنت أنسبه اليهم ، او أن هذه المقالات فاتت على الرقيب الالمانى فلم يدرك مغزاها ومعناها .. والا لكانوا رموا وودهاوس بالرصاص بعد اذاعتها .. » .

ويقينى أن مارشال الجو بريطانى عرف ما احتوته اذاعاتى وقرأ نصها ، وهذا رأى يزيد قيمة ووزناً عن آراء جميع الصحفيين البريطانيين الذين لم يستمعوا لاذاعاتى ولم يقرءوا نصوصها .. والمؤلم هو ان الرأى الذى وصل الى الجمهور فى بريطانيا كان رأى الصحافة ..

وحدث بعد مشاورات فى باريس أن اخطرت السلطات البريطانية بعنوانى فى فرنسا فاوفدوا احد موظفى وزارة الداخلية البريطانية إلى باريس ، وقدمت له بياناً كاملا مسهبا بكل ما حدث . ودرست الحكومة البريطانية البيان والتحقيق الذى اجراه مندوب وزارة الداخلية ونوقش موضوع قضيتى فى مجلس العموم البريطانى وكان أن صرح وزير الخارجية انطونى إيدن وكذا المدعى العام بان الحكومة البريطانية لا توجه اليّ اى تهمة .

من سوء الحظ ان مندوب وزارة الداخلية اخذ معه ـ الى جانب البيان الذى قدمته ـ ما كان عندى من نسخ اذاعاتى فلم يبق معى الا صورة إضافية للاذاعة الثانية وهى عن سجن « لوس » ـ الذى قضيت فيه أول اسبوع من فترة سجنى ـ ويبدو انه من المستحيل على ان استرد نسخ الاذاعات .. ولكنى على استعداد لتسليم نسخة الحديث الثانى لمندوبكم فى باريس بامل ان تنشره مجلتكم ، ويقينى انكم سوف تتفقون فى الرأى مع مارشال الجو « بويد » بعد قراءة الحديث .

وهكذا قص « وودهاوس » قصته على عدد ـ وان يكن محدوداً ـ من القراء ، فاحس بشىء من راحة البال .. فلما سافر الى نيويورك بعد ذلك استقبلته الصحافة هناك كما تستقبل اعظم العظماء واقامت المدينة الحفلات تكريماً له .. وعادت الطمانينة الى نفسه فعاود الكتابة .. وعاد النقاد يكيلون له المدح ويتغنون بنبوغه وعبقريته فلما حل عيد ميلاده الثمانون لم يقصر اديب او عظيم فى تهنئته وامتلأت صفحات الجرائد والمجلات برسائل التهنئة .. واثبت « وودهاوس » وهو فى الثمانين من عمره ان عقله النفاذ احتفظ بشبابه ونضرته وان الشيخوخة لم تنل من قوة تفكيره وقدرته على الخلق والابداع .. كتب « وودهاوس » فى يوم عيد ميلاده هذا يقول :

« تمنيت منذ طفولتى ان اكون كاتباً لا لانى احمل رسالة معينة للانسانية ولكن لانى اعشق الكتابة . ومازلت اكد وابذل قصى الجهد دون ان يطوف بخاطرى حتى ولا شبح مثل تلك الرسالة .. واكبر الظن انه اذا لم اعد فجاة الى شبابى وانا فى الثمانينات من عمرى فلن تتسلم الانسانية منى اية رسالة ..

والغريب فى ايامى الاولى هو انى كنت اثق بنفسى ثقة تامة رغم العواصف الثلجية من خطابات الرفض التى كانت تصحب مقالاتى وقصصى المرفوضة .. كنت اعرف انى كاتب مجيد ولم يداخلنى فى ذلك اى شك الا عندما تقدم بى العمر وانا اليوم فريسة لعدم الثقة بالنفس والقلق على مصير ما اكتب . بل وانى احسد اولئك المؤلفين الذين يرسلون مخطوطاتهم للناشر وهم على يقين من نجاح ما كتبوا ، واولئك الذين يؤمنون منذ بدء اى كتاب جديد انه سيكون رائعة من الروائع .. أما انا فانى احس كلما ظهر لى كتاب جديد انى قطفت ليمونه حامضة من بستان الادب ، وهذا إتجاه محمود لانه يسمح لى بالتواكل او التخاذل او الاهمال ، ويرغمنى ان اعيد كتابة كل جملة عشر مرات او حتى عشرين مرة . وقد لا تساوى كتبى ما يدفع فيها من ثمن ولكنى علم الله ابذل فيها كل جهد ممكن .. فاذا يوما اجمع الناس على مهاجمتى فارجو ان يرتفع من بين النقاد صوت واحد يقول :

« إنه كان يبذل غاية جهده » .

والذى لاشك فيه هو ان « وودهاوس » كان يتقن وضع عقد رواياته ويجيد حبكها وتصوير شخصياتها ... ومن هذه الشخصيات ما سيكتب له الخلود فى الادب الانجليزى ، من ذلك شخصية « جيفز » و « العمة اجاثا » ، و « اللورد إمزورث » و « يوكردج » ، و «اللورد إكنهام» (العم فرد) وهذه كلها شخصيات حية نابضة لا تقل فى قوتها عن « هاملت » و « عطيل » و « شايلوك » و « ليدى ماكبث » أو عن « فاجان » وميكوبر » ..

ويجب ان لا ننسى ان « وودهاوس » اختار ان يكتب ما يضحك الناس والذى يستطيع من الادباء ان يبرز فى عالم الفكاهة جد قليل .

جمال الكنانى

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

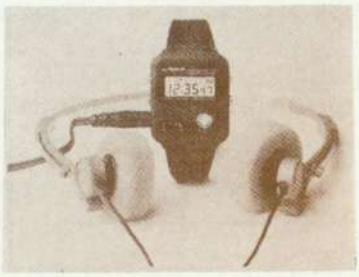
● مضخة موجهة لنقل الدواء

توصل العلماء الى طريقة جديدة لتوصيل الدواء مباشرة الى العضو أو الجهاز الذى يحتاجه . وذلك بواسطة مضخة تزرع بالكامل فى جسم الانسان بحيث تقوم بتنقيط الدواء قطرة قطرة وتوجهه للهدف مباشرة . وبدلا من أن يمر الدواء عشوائيا داخل الجسم وينتشر بدون داعى فى اجزاء مختلفة منه تقوم هذه المضخة التى لا يزيد حجمها عن علبة السجائر وهى تثبت فى صدر أو بطن المريض بتوجيه الدواء الى العضو المراد علاجه وتحتوى المضخة على سائل مضغوط يسحب المادة الفعالة أو العقار خلال انبوبة بلاستيكية الى الهدف . ومن بين الأدوية المستخدمة فى هذه المضخة مادة الهيبارين وهى المادة التى تساعد على عدم تجلط الدم داخل الأوعية الدموية ولذلك فهى تستخدم فى علاج اضطرابات الدورة الدموية وتخثر الدم .

وكانت نتائج التجارب التى اجريت مرضية للغاية فلقد سمحت هذه المضخة لـ ٩٢٪ من المرضى باستكمال العلاج خارج المستشفى كما تفادوا عمليات الحقن المتكررة بالهيبارين .

ويجرى حاليا تجربة أدوية أخرى يمكن تزويد المرضى بها بواسطة هذه المضخة .

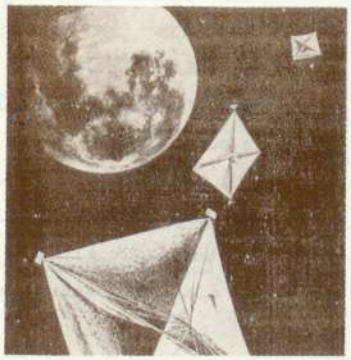
● استمع الى ساعتك



لم تعد الساعة المزودة بشاشة تليفزيونية والتى تظهر فى قصص الخيال العلمى بعيدة التحقيق فالساعة الراديو أصبحت حقيقة واقعة . فسوف تستطيع من الآن فصاعدا الاستماع الى نشرة الاخبار من خلال ساعة معصمك فهى أخر صيحة فى عالم الأجهزة اللاسلكية .

ولكنك سوف تحتاج لسماع اذاعتك المفضلة الى سماعات ولم يكتف المبتكرون بذلك فثبتوا الراديو فى إطار نظارتك ايضا بحيث تضع السماعة فى اذنك مباشرة . اما للبحث عن المحطة المختارة فيكفى تحريك مفتاح صغير خلف زجاج العدسة اليمنى ، إلا أن هذه النماذج المبتكرة من الأجهزة اللاسلكية لا تستقبل الا الموجات القصيرة فقط .

● سفن فضاء شراعية



يقول الاعلان « رحلة من الأرض الى القمر بسفن شراعية» لا تندهش .. انه مشروع فضائى امريكى أوروبى ينتظر تحقيقه فى عام ١٩٨٥ .

فسوف يحمل الصاروخ « اريان » ثلاث سفن فضاء شراعية ليطلقها فى مدار ثابت فوق الأرض يبعد عنها حوالى ٣٦ الف كيلومتر . لتبدأ عند ذلك كل سفينة فى العمل منفردة . فكل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تتنافس فى هذا المجال وكل لها سفينتها الخاصة .

ولقد سبق أن تنبأ الفلكى كيلر بذلك منذ حوالى اربعة قرون . اذ افترض أن فيضاً من الجسيمات الموجودة فى الفضاء قادرة على دفع أشرعة مثل هذه السفن بحيث تمدها بالطاقة الحركية اللازمة .

فى حين يتولى رواد الفضاء توجيه السفن الشراعية من الأرض آخذين فى الاعتبار معطيات غير عادية مثل قوة جذب القمر والأرض وسرعة الرياح الشمسية المحملة بالشحنات الخ .

إلا ان شراع هذه السفن الفضائية لم يصنع من الكتان مثل أشرعة السفن الشراعية التى تبحر فى الماء . فلقد صنع من غشاء رقيق من مادة صناعية ويبلغ قطر هذا الشراع حوالى خمسين متراً .

● الكيس السحرى

يقدم مخترع التحميض الفورى طريقة جديدة لتحميض الشرائح الفوتوغرافية فى خمس دقائق وبدون حجرة مظلمة وفى درجة حرارة عادية . إلا ان هذه الطريقة المبتكرة لن تضطرك الى شراء كاميرا جديدة لأن هذا الفيلم ذا الحساسية الخاصة يمكن استعماله مع أى نوع من الكاميرات . فبعد الانتهاء من التقاط الصور يتم وضع الفيلم فى صندوق صغير ويضاف اليه كيس صغير من المواد الكيماوية يباع مع الفيلم .

وعليك بعد ذلك ان تنتظر بهدوء وتعد الثوانى قبل ان تخرج الشرائح من الصندوق جاهزة للعرض .

ومن المتوقع طرح هذه الأفلام والكيس السحرى فى غضون الشهور القادمة فى الولايات المتحدة .

● مقص الـرقيب فى منزلك

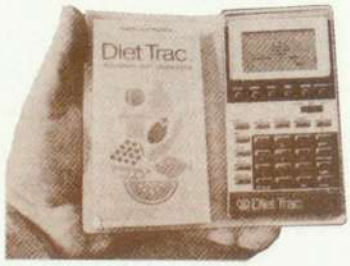
سوف يتمكن الكبار قريباً من مراقبة ما يشاهده الصغار من افلام تليفزيونية وافلام فيديو ومنع ما قد يرونه ضاراً بابنائهم . فلاول مرة يضم جهاز تليفزيون دوائر الكترونية تتيح للوالدين منع استقبال الجهاز لارسال قناة معينة أو اكثر . وبالتالى يستطيع المشاهد الحيلولة دون استقبال جهاز تليفزيونى للبرامج التى لا يريد لاطفاله مشاهدتها وذلك بالضغط على بعض ازرار جهاز للتحكم عن بعد يباع مع التليفزيون .

ويختار المشاهد كود رقمى معين يتكون من اربعة ارقام ويسجله على ازرار جهاز التحكم عن بعد ثم يختار رقم القنـــاة المطلوب الغاء إرسالها . كمـــا تستطيع هذه الدوائـــر وقف استقبال شاشة التليفزيـــون لارسال الفيديو . ويستمر هـذا الالغاء لمدة ١٢ ساعة وان كان فى امكان من يعرف الكود تشغيل القناة قبل مضي هذه المدة .

وبالتالـــى يستطيع الاهـــل مراقبة ما يشاهده اولادهم حتى وان كان الأهل خارج المنزل .

ولكنه فى الوقت نفسه سلاح ذو حدين فاذا وقع فى أيدى الأبناء فبامكانهم فى المقابل الغاء القنوات التى يرغب الكبار فى مشاهدتها .

● آلة تحرس صحتك



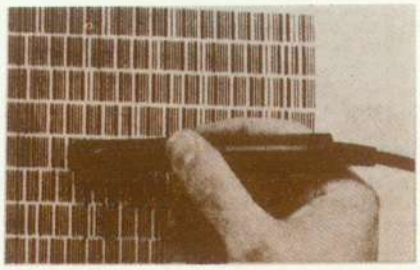
قد يرجع العديد من امراض العصر الخطيرة الى النظام الغذائى الذى نتبعه . فالاسراف فى تناول ملح الطعام يساعد على ارتفاع ضغط الـــدم وما يستتبع ذلك من امراض القلب والشرايين . كما ان الاسراف فى تناول السكريات والدهون يؤدى الى السمنة وهى بدورها وراء عدد غير قليل من الامراض .

ولذلك صممت احدى شركات الاجهزة الالكترونية آلة حاسبة صغيرة لحراسة صحتك ومراقبة اســـتهلاكك من الملـــح او الكولسترول او السعرات .

ولتحديد المراد حســـاب استهلاكه يضغط على زر معين من ازرار الآلة الحاســـبة وباخبارها بكل ما يدخل جوفك خلال اليوم تحسب الآلة عنك كمية الســـكر او الملـــح او الكولسترول التى تناولتها بدقة متناهية تصل الى جـــزء من المليجرام .

واذا زاد الاستهلاكمن احدى هذه المواد عن الحد الصحى ترسل الآلة الحاسبة انذاراً فى شكل رنين متواصل للتحذير .

● الكتب تتكلم ..



قد تتكلم الكتب قبل نهايـــة العـام الحالـى فى الولايـــات المتحدة . لا تندهش فالامريكيون يؤكدون ان تحقيق ذلك امر يسير فهو يعتمد على تكتيك بسيط للغاية . وهو تحويل الكلمـــات الى كود خطى يتكون من خطوط سوداء واخرى بيضاء بحيث تتضمن هذه الخطوط مجموعة من المعلومات يتم قراءتهـــا بواسطة قلم الكترونى . فعنـــد امرار القلم امام الكود الخطى يتم تسجيل ما يقرأ مباشرة فى ذاكرة احدى الوحدات الطرفية للكمبيوتر .

ولقد استخدم نفس التكنيك فى وضع كتب للاطفال ولكن بعد ربط القلم الالكترونى بدائـــرة لتوليف الصوت بحيث تردد بصوت عذب ما يقراه القلم . ومن ثم يستطيع الأطفال الذين لم يتعلموا القراءة بعد الاستماع الى قصص الاميرة والاقـــزام السبعة وذات الرداء الأحمر . الخ

كما يمكن استخدام هذه الكتب المتكلمة فى مكافحة الامية فى البلاد النامية .

● هاتف للصم

لن يقتصر استخدام الهاتف على من يتمتعون بحاسة السمع فســـوف يتمكـن الصـــم مـــن استخدامه ايضاً .

ويتركب الهاتف الجديد من لوحة ازرار يستخدمها الاصم فى كتابـة نص المكالمـــة وشاشة صغيرة يظهر عليها عشرون حرفاً دفعة واحدة بالاضافة الى جهاز لتحويل اشارات هذا الهاتف الى اشارات صوتيه تستطيع الانتقال خلال الاسلاك .

فعندما يستقبل جهاز الاصم مكالمة هاتفية يضيء نوراً قوياً لينبهه الى المكالمة . وعند فتح الخط يدرك الهاتف الآخر ان الاتصال تم ويظهر على الشاشة اسم وعنوان المتحدث وعندئذ يبدأ الطرفان فى الحديث عبر شاشة كل جهاز . ولخفض زمن المكالمة واختصار المقدمـــات التقليدية سوف يوصل مسجل بالجهاز لتسجيل رسالة تتكون من ٨٥٠ حرفاً يكـون الاصم قـد كتبها على الشاشة وتنتقل الى المسجل من خلال وحدة ذاكرة موجودة فى الجهاز . وعند اى اتصال يتم تشغيل جهـــاز التسجيل .

الا ان نقطة الضعف الوحيدة ان هذا الهاتف لا يستطيع فى المرحلة الحالية الاتصـــال الا بهاتف مزود بمثل هذه الاجهزة .

تمثيلية يابانية قديمة

بدون عنوان .. لمؤلف مجهول

ترجمها عن الفرنسية
نبيل الألفي

هذه التمثيلية تنتمى الى تمثيليات الأسواق القصيرة فى نهاية القرن السادس عشر ، التى تتميز بالشعبية والحيوية والهزل المجنون ! على أن جذور جنون هذا « الاسكتش » ولا معقوليته قد ترجع الى حياة أول من عاشوا بالجزر اليابانية بغير مفهوم واضح للتفريق بين « روح » و « جسد » أو بين « حياة » و « موت » !

الشخصيات :

- هاناشيكا :
- تشايجن :
- جمهرة من الناس

مكان الأحداث :

● أولا : بمسكن متهدم فى حي فقير خارج أسوار المدينة .

● ثانياً : فى أحد الممرات المحيطة ببناء معبد قديم .

(هاناشيكا نائم ، يدخل تشايجن)

تشايجن : هيه ! أيها الصديق العزيز ! أتستسلم إلى النوم ؟ كيف هذا ؟ بان .. بان .. بان !

هانا شيكا : آه ! أهذا أنت ؟

تشايجن : الزم الصمت ، واستمع إلى ! انك أحمق، شديد الاهمال ، فاقد البصيرة ، ولا سبيل إلى إنقاذك !

هانا شيكا : ماذا تقول ؟

تشايجن : ماذا تقول ؟ رائعة جداً هذه الـ « ماذا تقول ؟ » ... الم تعرف بعد ؟

هانا شيكا : تكلم ، أرجوك ، ما الخبر ؟

تشايجن : يالك من احمق شديد النزق حقاً ! بينما كنت اتمشى بين أروقة معبد « ازاكوزا » الكبير وجدت بالمصادفة رجلا ميتا ممدداً على الأرض الصلبة القاسية ، وقد تجمع حوله حشد من أولئك المتسكعين الذين يقضون كل وقتهم فى التطلع بغباء الى ما يجرى حولهم ، فكان على أن أفرقهم ، حتى أستطيع أن أرى جيداً ..

هانا شيكا : وبعد ؟

تشايجن : وبعد ذلك .. آه .. أرجوك لا تصرخ ! تعدنى بان تظل هادئا ، اليس كذلك ؟

هانا شيكا : حسن ، تكلم ، ماذا هناك ؟

تشايجن : لقد تقدمت ، وبرفق رفعت الغطاء الذى كان يغطى الجثة ونحيته جانباً ، ونظرت ، ثم أمعنت النظر ، ... فهل تستطيع أن تتصور من وجدت إنه أنت .

هانا شيكا : انا ؟

تشايجن : انت نفسك . لقد قلت عندئذ لكل أولئك المتسكعين البلهاء إننى ساحضر الشخص موضوع الواقعة ، لكى تسلم إلينا الجثة بعد التحقق من الشخصية على مشهد ومسمع

من الجميع ... بالاختصـــار ، ساقودك الآن إلى ذلك المكان .

هانا شيكا : إلى ذلك المكان ؟!

تشـــايجن : نعم . إلى ذلك المكان . هنا ، غمغم بصلاتك ثم اتبعنى .

هانا شيكا : يضايقنى بعض الشيء أن أظهر نفسى أمام الجمهور وانا ميت !

تشـــايجن : إنه أنت المسئول عن ذلك ! هيا ما عليك إلا أن تتبعنى ، وانا كفيل بالباقى ... ينبغى أن تعجل ، وتنفذ على وجـــه السرعة ما أقوله لك ، ألا يكفى أنك ارتكبت مثل هذا العمل المشين ، وتسببت فى مثل هذه الفضيحة ؟! انسان يسقط ميتاً فى الطريق ، ويظل جـــاهلا بالأمر طوال الليل ، نائماً حتى الضحى ؟! لم يسمع أحد بهذا من قبل !

هانا شيكا : آه .. ما أشد إهمالى وحمقى !

تشـــايجن : ها أنت ذا أخيراً تعترف ! هيا بنـــا ...

● ●

(انتقالة إلى الممر بين أروقة المعبد)

تشـــايجن : معذرة أيها السادة ، نحن أصحاب الحق ، هذا هو الرجل موضوع الواقعة ... لقـــد استجوبته ، فأجابنى بانه لا يذكر انه سقط ميتا أثناء الليل ، مادام هو فى خير صحة وعافية هذا الصباح !

أحـــدهم : (إلى هانا شيكا) ليس هـــذا مجال المزاح يا سيدى !

تشـــايجن : استمعوا إلى أيها السادة !

لقد ذكر لى كل ما فعله البارحة وهو على وجه التحديد قـــد سقط ها هنا .. فى هذا المكان بالذات ، فما عليكم إذن ، إلا أن تنظروا كيف تضاهى الجثـــة صاحبها الماثل هنا أمامكم ، ثم تتفضلوا بتسليمنا الجثمان الذى هو من حقنا ، بما أنه لم يظهر حتى الآن أحد من ذوى قرباه ...

أحـــدهم : وإذن ؟ فأنت تزعم أنه أنت من مات هنا ؟!

هانا شيكا : لست أزعم شيئاً !

آخـــر : انظر الى الجثة .. راجع ودقق ..

هانا شيكا : (إلى تشايجن) لا ، لست أريد لا تحملنى على إظهار جزعى وألمى أمام الجمهور ! اننى أدرك هول ما فعلت ، وهذا يكفى .

تشـــايجن : هيا ، انظر إذن !

هاناشيكا : واسفاه ! يالتعاستى وشقائى !

أحـــدهم : تشجع يا رجل ، لن نفعل بك شيئاً ، نريد فقط أن نقنع أنفسنا ..

هاناشيكا : (وهو يكشف لنفسه قليلا عن الوجه) حسن ، إنى أرى ... أوه ! الوجه يبدو مع ذلك ، أكثر استطالة .. بعض الشيء !!

تشـــايجن : إنها الشمس . لقـــد بقيت معروضاً تحت وهجها ساعات عديدة ..

هانا شيكا : لكم تبدو العيون غائرة فارغة ! يا لحظى المنكود ! هو حق إذن ، اننى مت ! أهـــذا صحيح ؟ هكذا سريعاً ؟! كان ينبغى لى أن أقضى أمســـية جميلة رائعة ، وأن ألهـــو واستمتع على تمام راحتى فى الليلة الماضية ! إن هذا محزن للغاية .. ماذا أفعل ؟ إننـــا لا نستطيع أن نوقظ الموتى ! لا نستطيع ..

أحـــدهم : (إلى تشايجن) دعـــه الآن يا سيدى ، ها هو ذا يعانق جثته ... (وبعد لحظة ، إلى هاناشيكا) حسن ، أترى الآن كل شيء بوضوح ؟ هـــل استوثقت الآن من أنه أنت ؟

هانا شيكا : نعم .. ولكن ، قولوا لى أولا ، من كان ذلك « الانسان » الذى أصبح الآن جثتى ؟ من كان ذلك المخلـــوق الذى أبكى مصيره ؟!

(لا جواب) .

(ينحنى هانا شـــيكا على الجثمان باكياً ...) .

● ●

ختام آخـــر

(لا جواب) !

(يحمل هانا شيكا الجثمان بين ذراعيه وهو يبكى ، ويستدير به ـ ومن خلفه الحشد ـ نحو نهاية الممر ، ثم يتجهون جميعاً إلى داخل المعبد) .

ختام ثالث

(لا جواب) .

(يحمل هانا شيكا الجثمان بين ذراعيه ، ويتلفت إلى جمهور المتسكعين من حوله ، ثم يطرح سؤالا جديداً) .

هانا شيكا : أما من « عمل » يعيد إلينا الحياة ؟ أو حتى مجرد ظل للحياة ؟

(وينتهى العرض بأن يظـــل السؤال مطروحاً حائراً) .

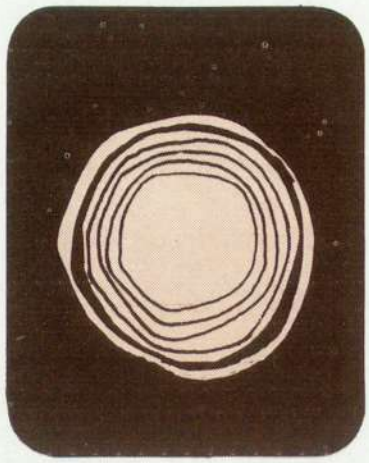
ملاحظات

١ ـ مثل هذه التمثيليات القصيرة التى مثلث قديماً باسواق طوكيو ، كانت تستوعب الاضافات والارتجال وتلقائية الاداء ، دون التمسك بنص مكتوب له صفة الثبات .

٢ ـ المعنيون بمسرح « الكابوكى » اهتموا كثيراً بهذه التمثيليات فكانوا يرتادون الأسواق لمشاهدتها واستلهام طابعها الشعبى وتلقائية أدائها وحيويته .

٣ ـ الختامان الثانى والثالث يقترحهما المترجم ليقدم العرض مقرونا بثلاث نهايات مختلفة ، بغرض إفساح المجال أمام مناقشة مضمون العرض وأمام إشراك المتفرجين فى المناقشة .

(ن . أ .)



أصوات نسائية
في عالم القصة القصيرة القطرية

بقلم : عبد الرحمن محسن

أم أكثم ـ يوميات في المنفى

«وصاحب المقهى .. نعم يا سيدى أنا بحاجة لفنجان قهوة دافىء . أرجوك لا تحملق في بعينيك الزرقاوين . انهما سماء وطنى ـ وأنا أرغب أن أنسى .. هذا المساء .. أرجوك سيدى ابعد لون عينيك عنى. إنه البحر الذى يحتضن مدينتى بصدره الواسع وأنا أرغب أن أنسى ـ أرجوك» .

النفى والاغتراب وأرصفة المدن البعيدة ومصحاتها النفسية وصقيع الطرقات والوجوه ـ تلك هى التيمة الأساسية فى أعمال هذه القصاصة الموهوبة المثابرة . ورغم أحاديه هذه التجربة التى تتكرر فى معظم أعمالها إلا أن قدرتها على استخراج اللحظات الكثيفة المتجددة منها ، يجعل من هذه التيمة إطاراً واسعا يجمع بين أطرافه هموم المرأة ـ وأشجانها ـ .

فالمرأة المغتربة هى تلك الفتاة التى سافرت لتتعلم ، فاصطدمت بذلك العالم المرعب من التقدم المادى والتحرر أو الانفلات ووقفت أمامه مبهورة الأنفاس خلفها البحر والسماء الصافية ، وابن العم الذى ينتظرها للزواج ـ وأمامها هذا البحر الذى عليها أن تعبره دون أن تغرق فى لجته .

وهى أيضاً تلك المريضة التى سافرت لتستشفى ـ من علل الروح ـ فاصابها المنفى بالمزيد من العلل ـ ولم تجد من تتعاطف معه فى هذا الكون إلا ذلك الغريب المعتل بلا هوية .. رفيق المصحة ، التى تحول حراسها الى جلادين بالهراوات ، والعصى والأوامر . ويستمر هذا الصوت شجناً دائماً تتصل نغماته ـ الحزينة فى «يوميات من المنفى» .

فالغربة دائماً شتاء قارس طويل ممتد .. يشبه «شتاء الأسكيمو» والوحدة فيه دائماً مع الجدران والأحزان والآمال المجهضة .

«ما أقساك أيتها السمراء الطيبة ـ فى ليلة ماطرة كجراحى جاءنى المخاض على غير موعد .. كنت وحيدة .. هجرنى قبل أن أخبره بحملى هجرنى مطارداً الخمر والقمار والنساء ، التى نبتت فى دمه ولحمه كالطحالب السامة .. ذبلت حياتى .. لكنها ستورق من جديد .. الطفل سينقذنى وينقذه .. هذا القادم المنتظر كالشمس الدافئة فى ليلة مثلجة سيعود المطر . همس فى قلبى سيعود بعد الولادة .. سيعود مع هذا القادم المنتظر وأنا أصدق المطر !!

وتعبر الكاتبة تجربة المخاض .. تتصبب لغتها عرقاً وهى تروى لنا عن هذه الوحدة وهذا الهجر ، وذلك الألم العظيم ، ولكن دون جدوى . فلا القادم الجديد المنتظر أتى ولا عاد من هجر . «مات ـ مات القادم المنتظر مات .. أسقط على الأرض الباردة ـ عشرات الأذرع تمتد نحوى ـ أسقط وتسقط الحياة» .

والنفى والغربة عند «أم أكثم» ليس نفياً مكانياً فحسب ـ بل هو فى الغالب الأعم نفى اجتماعى يعكس تمزق المرأة بين وعيها ووضعها حبيسة الجدران والتقاليد ـ أو ضحية للهجر ـ والنقد ـ أو نزيلة للمصحات النفسية ـ فدائرة النفى عندها تكاد أن تكون محكمة الاغلاق . الذهاب نفى والاغتراب والأياب مثله . ولا يبقى للمرأة المنسحقة بين شقي الرحى هنا وهناك إلا أن تستسلم ـ أو تغرس أظافرها فى أكتاف من تهوى «بعد أن جففتها السنوات فى «حلم ليلة صيف» .

«جفاف ثلاثين عاماً يأكل شفتى .. أحاول التحديق فى وجه أمى المتعب ـ أفشل ـ أجفانى ثقيلة ـ ثقيلة ـ كقطع من الحديد تسقط داخل عينى .. أغمضها .. الخريف ـ الخريف يا أمى يجتاح سهولى .. كأسراب الجراد وأنا أذوي كحقول الذرة . أنا يقتلنى الجفاف صلي .. صلي يا أمى صلاة المطر استسقى السماء» .

ولا يبقى أمام هذه المرأة الخريفية المهجورة إلا أن تستسلم لتفاصيل الكابوس الليلى الذى يطاردها حتى تستطيع أن تنام ـ تصعد السلم المهجور العتيق الى سطح الدار ـ حيث تطل على وجه الكابوس ـ الجار ، وتصرخ صرخة تشبه عطش الأرض التى جففها القيظ شوقاً للمطر «ندت منى صرخة . استيقظ النائم .. اضاء المصباح . تقدم بهدوء كسحابة ممطرة .. انغرست يدى فى كتفه كنبتة غرست هناك . انسكبت ضفائرى . ارتجف ثوب نومى الأزرق ـ إنى احترق . أحاول الصراخ . أحاول الصراخ عجزت لم اصرخ . اغمض المصباح جفنه . لفنا الصمت تنفست بعمق . تملكتنى السكينة غفوت .. كان القمر بدراً والصيف يمطر حرارة وحبات عرق» .

واذا كانت صورة المرأة المنسحقة بين الغربة الواسعة وصمت الجدران الصماء ، هى الصورة الغالبة على بطلات «أم أكثم» ، فان صورة الرجل من هذه القصص تبدو دائماً ضبابية غائمة تماماً كالطقس الخريفى والشتاء الذى تجرى أحداث معظم قصصها فيه .

الرجل غائب فى الغالب ـ بالهجر أو الموت ـ أو الاستحالة ، ويبدو خليطاً من الحلم والكابوس ، ليكمل بذلك إحكام الدائرة المغلقة .

ورغم أن العديد من قصص «أم أكثم» تجرى فى المنافى وبلاد الغربة ، يلفها البرد والمطر والصقيع .. لكن هذا الاغتراب لا يضع أدباً غريباً عن الواقع البعيد .. بل يحمل بين طيات نسيجه المرهف هموماً تزداد حدة وكثافة كأنها غيوم تلك البلاد التى توشك أن تمطر .

ولاشك أن سبع سنوات من المثابرة والنشر قد تطورت بأدوات هذه الأديبة بالرغم من غياب النقد . فالصور الشعرية التى تقطر الشجن تزداد انتشاراً فى جنبات قصصها الأخيرة .. واللحظة المنتقاة .. أصبحت أكثر تركيزاً .. وأثرى بالدلالات والقدرة على العطاء . ولكن هل يمكن لتجربة وحيدة مهما كان تميزها واتساعها ـ هل يمكن لنظرة ساكنة الأحزان أن تستمر فى العطاء دوماً وبنفس هذه العذوبة؟ ليس هناك ما يجعلنا نقطع بما هو العكس حتى الآن على الأقل .

في البداية .. سيعتقد المتتبع والدارس لفن القصة القصيرة في قطر، أن المصادفة وحدها، هي السبب في أن معظم ما يقع في يده من قصص قصيرة موقع بأسماء نسائية. ولكن مع المزيد من البحث والتدقيق، سوف يكتشف أن ما بدا له مصادفة، إنما هو ظاهرة واضحة المعالم والعطاء. فمنذ سبع سنوات وتلك الأسماء أو غالبيتها، لا تكف عن النبض والتدفق في عالم القصة القصيرة. وعلى الجانب الآخر من الظاهرة للتلفت والانتباه .. تخفت أصوات الرجال ويشح عطاؤهم !

ومن بين تلك الأسماء، سنختار ثلاثة أصوات متميزة، تجمعها التجربة المشتركة، ويفرق بينها الموقف، وجميعها تشترك في الابداع والاستمرارية: أم أكثم .. التي تدفق عطاؤها القصصي وتطورها الملحوظ على مدى سبع سنوات. كلثم جبر .. صاحبة المجموعة القصصية النسائية الوحيدة المنشورة «أنت وغابة الصمت والتردد» ـ ثم نوره آل سعد صاحبة الصوت الفني المتميز، وعدد كبير من القصص القصيرة الناضجة فنياً.

كلثم جبر وغابة الصمت والتردد

منذ أربع سنوات صدرت عن دار العهد للطباعة والنشر في قطر أول مجموعة قصصية تحمل اسم فتاة قطرية. المجموعة بعنوان «أنت وغابة الصمت والتردد» والكاتبة القطرية هي كلثم جبر.

ومنذ القصة الأولى ـ في المجموعة .. قصة «حائرة» تتضح معالم الرؤى الخاصة لهذه الأديبة الـ (الحائرة) بين التقاليد وطموحات الذات .. بين الاقتحام والاحجام ـ فـ «هي أتت اليهم هاربة من الحبيب أتت اليهم تنشد السلوى والنسيان بقربهم ـ تحتمي بهم حتى يحين موعد سفرها. وهم: محمد .. علي فاطمة ـ وسالم» أبناء عمها .. وهي تنشد النسيان بعد أن «رحل الحبيب عنها ومن حياتها الى الأبد، تاركاً لها الألم والفراغ من بعده».

ـ وفي هذه القصة وفي بقية المجموعة تظل دائماً هذه الحيرة تمسك بتلابيب الكاتبة. فابن العم الذي يبدو في القصص التقليدية رمزاً للقهر والتقاليد حين يتحتم الزواج منه يبدو في هذه القصة الملاذ والمنقذ. وأما الأب ـ تجسيد هذه التقاليد وسلطتها المطلقة ـ يبدو في قصة «الوهم» الضوء الكاشف الذي يعكس صورة أخرى للأب ـ العم الذي «يتحدث بقوة .. بكبرياء .. يأمرني .. كلماته قوية امرة وأنا لم أتعود الأوامر ـ ولكني أنصاع اليه ـ وأحس بالحرج ينتابني وكأنه يحادثني من قمة السماء وأنا نملة صغيرة جداً تحت قدميه» !!

«وعدت أطلب الفرار من جديد، والتقت عيناي بنظرات والدي الباحثة عني. تنفست الصعداء .. تواريت بأبي متعلقة بذراعه، هاربة من الوهم الذي قيدني».

ورغم أن هموم العواطف والعلاقات الخاصة بين المرأة والرجل هي ما يشغل معظم مساحة هذه المجموعة، ويعكس هذه النظرة التوفيقية بين التقاليد والرغبة في التحرر .. إلا أن القصص النادرة التي تتعرض للمشاكل الأخرى، تعكس نظرة أكثر نضجاً وتحرراً. فالعمل في قصة «ليل وأسى» يبدو هو القيمة الأساسية التي يمكن أن تهب المرأة القوة والتماسك، في مواجهة الظروف والرجل الذي يتحكم في مصيرها.

وصورة الرجل في أعمال هذه المجموعة تعكس دائماً ـ تلك النظرة الرومانسية الباحثة عن الحماية والقيادة ـ والاستسلام لقدرته كقدر مطلق حتى لو استخدمت تلك القدرة في سحق الروح والأمل والتطلع. استسلام يخلو غالباً حتى من نبرة المرارة أو التمرد .. وملامح الرجل الأب ـ هي السمة الأكثر غلبة على شخصيات وأبطال قصص هذه المجموعة ـ إلا فيما ندر.

ولعل أفضل قصص هذه المجموعة هي تلك القصة التي تركت فيها الكاتبة لصدقها العنان في توضيح حقيقة هذا الموقف المتعاطف مع هذه الشخصية. دون فرض إطار ذهني من التناقض .. ففي قصة «زهرة الزنبق» حين تهزم الشيخوخة الأب يظل رغم كل شيء بنظراته ولفتاته من فوق مقعده المتحرك ذلك القدر الذي تأخر قليلاً في اكتشاف مأساة ابنته «زهرة الزنبق» وكأنه فقط هو القادر على انقاذها من مصيرها المؤلم.

وهذه القصة التي تروى على لسان: الأب ـ تبدو رغم قصرها أنضج قصص المجموعة حيث تلتقط فيها الكاتبة لحظة درامية مكثفة ـ تمتلىء بالدلالات وتطلق العنان للغة شاعرية رقيقة بعيداً عن التقريرية والوصفية التي تشيع في معظم قصص المجموعة. وإذا كان هذا هو الموقف الذي يسود أعمال الكاتبة القصصية كلثم جبر في مجموعتها الأولى (أنت وغابة الصمت والتردد) فان الانتقال الى اخر أعمالها قد يفيد في تتبع مسار هذه الرؤى ففي قصتي (الضياع) و (ميلاد جديد) بعض ما نشر لهذه الكاتبة في السنوات الأخيرة ـ تظل صورة الأب «القدر» المسيطر هي الغالبة حتى حين يسقط في (الضياع) والادمان، وحتى حين تحمل الابنة همه وهم الأبناء والأشقاء ـ وحين تفقد الحب وفرص الزواج بسببه .. تستسلم لهذا الشقاء وتعطي للأشقاء المزيد من الحنان ـ علها تعوضهم عن الأب المفقود.

وأخيراً .. تشعر هذه الكاتبة بأسر هذا الاطار ـ فتحاول الانفلات والبحث عن «ميلاد جديد»، وأن تسافر بلا حقيبة ـ أن تبحث عن اسم جديد ـ وهوية جديدة، أو لا هوية .. لكن صوت الأب يأتي زاجراً «أين حقيبتك» ؟ فتطرق صامتة «خائفة ؟ العياذ بالله وهل مثلي تخاف ؟ ولكن أكن لهذا الصوت احتراماً شديداً ـ يفوق احترامي لنفسي ولذا علي أن أشرح»

لكنها تنفلت في الصباح من جديد محاولة البحث عن الاسم المفقود وعن اللاهوية، وتزرع بخطواتها التي تبدأ واثقة شوارع باريس بلا حقيبة فالحقيبة هوية، ولا نقود، فالنقود هوية ـ وتنكر اسمها ومنبتها ـ ولكن لنهار واحد ـ يمسك الفزع بعدها بالروح والجوع والانهاك فتعدو باحثة عن الطريق الى الملاذ .. الأب، والهوية، والحقيبة.

هؤلاء كاتبات القصة القصيرة في قطر

أم أكثم

كلثم جبر

نورة آل سعد

لولوة المسند

مايسة الخليفي

أصوات نسائية

«الى من يهمه الأمر» :
نوره آل سعد و «المرآة القنفذ»

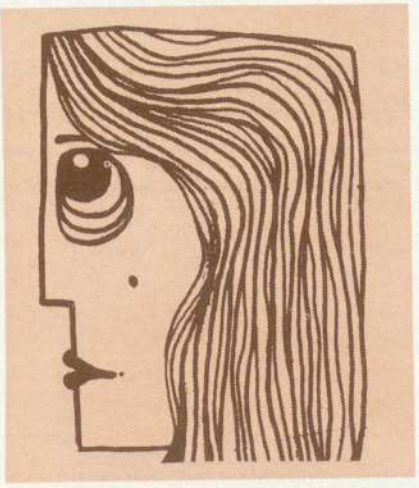
«وأعلنت اننى استقيل من جوارى السلطان ، وأرفض أن أكون محظية القصر العثمانى ، ورحت أبث فى كل اذاعاتى بيانات القوة والتصريحات النافذة الى الصميم وأخبار معارك وهمية ، وضحايا بالملايين ، ونسيت الطرف الآخر - لكنه لم ينس كان يعمل فى صمت بسكينة واستراتيجية عريقة واثقة» .

وهكذا يبدو الصراع دائما حادا وساخنا عند الكاتبة القصصية نورة ال سعد ، الصوت الثالث المتميز بين الأصوات النسائية فى القصة القصيرة القطرية - ومن حدة هذا الصراع تتولد اللحظات الدالة الكثيفة الى الحد الذى تبدو معه بعض قصصها أشبه بصرخة ألم حادة ، لكنها تخلو من الذلة والمسكنة ، مثلما تخلو من تلك المحاولات المضنية للتوفيق بين طرفى الصراع ، وأيضا من تقديم الحلول الجاهزة الساذجة .. لتحتفظ بكثافة الألم الناتج من هذا الاحتكاك المضنى . انها تعرض الواقع كما هو متحيزة بشكل واضح تجاه الطرف المهزوم والأضعف دون ان تحدد زمنا أو أسلوبا للنصر .

ولا تقتصر هموم المرأة عند هذه الكاتبة على اشواق الحب والزواج - بل تتخطاها إلى التواصل الانسان المفقود - الى العجز الانسانى امام الجدار الصلد - عجز الرجل وعجز المرأة - على السواء .

« انتم من جعلتم اسمى مرادفا لمعانى الجهل والتفاهة والجرم والخنوع ، لأنكم مازلتم تحاسبوننى على تفاحة آدم فى حناجركم .. لأنكم تناسيتم كل أغلاط التاريخ ، وكل همجية الاستعمار ، وكل النكسات والهزائم ، وكل جراح الكرامة ، لأنكم تعاقبوننى على القيود التى ترسفون فيها ، وعلى العاهات التى تعانون منها » .

ورغم هذه الحدة والمباشرة التى تشيع فى بعض القصص إلا أن موهبة هذه الكاتبة تتجلى فى دمج هذه الصرخات فى سياق منطقى من الحدث المكثف - وتصل أحيانا الى درجة من الشفافية لا تحتاج معها حتى إلى هذه المباشرة بل تكتفى بأن تضع المعطيات وتناقضات الواقع فى روح شخصية متميزة الملامح ، تتخبط بين الجدران كاشفة لنا ما يجب ان نراه .. فالمرأة القنفذ تلك الدمية المدللة التى لا تخرج إلا فى صحبة الأهل ، والتى تجاب رغباتها المادية الصغيرة حتى قبل أن تبديها .. تكتشف فجأة



حين تفقد الأهل فى الزحام .. أنها لا تعرف حتى عنوان مسكنها ولا اسم الشارع .

« هل اتخذ تاكسيا لكننى لا أحمل مالا - كانوا يتكفلون دائما بكل المصاريف للمواصلات ، والطعام والشراب والمسكن وكل شىء أى شىء . وعلى كل فأنا لا أعرف حتى عنوان شقتنا - ليس بالضبط على الأقل .. أعرف اسم الحى وأجهل اسم المنطقة والشارع ورقم العمارة وما قربها وما أمامها ، وما خلفها .. أجهل جنوبها وشمالها ، شرقها وغربها ، أرضها ، وسماءها ، ولم احتج يوما أن أعرف شيئا من هذه الأمور الشديدة التعقيد ، لا أحتاج لها لأننى اخرج معهم واعود معهم ، لأننى دائما تحت انظارهم » .

وفى تلك اللحظة الكاشفة - تواجه المرأة القنفذ لأول مرة حقيقتها ، وحقيقة التدليل .. تتخبط .. وتنهار - لا تعرف إلى أين تذهب ، ولا تجرؤ أن تسأل - ولا حتى ان تستغيث وحين يتقدم منها انسان يشعر بحالها ويعرض المساعدة .. يقفز من داخلها كل الرعب والخوف والشوق الغامض الذى غرسته السنوات وحياة الجدران الصماء .

« عيناه نقطتان سوداوان كالخنجرين ينفذان الى أعماقى بعنف . ويحطمان كل قلاعى الوهمية وجسورى المتعفنة يفتحان صندوق ذاكرتى العتيق لتخرج منه الاف الأساطير والأقزام والحبال المجدولة والوجوه المجدوره وغابات الصنوبر المسوس والشر الأزلى المتمكن من قلب عجوز تسرق الأطفال المتمردين وتطبخهم حساء لزوجها الضبع الذى يتجول فى ليلى ويمضغ شعرى وأسنانى وأمعائى ويسكن فى أحداق كل الرجال » .

ويستمر الضياع - يقود المرأة القنفذ بعيدا عن وجه من أراد المساعدة - وبعيدا حتى عن الزحام - يتجمد الخوف - ويسكن - فهى لا تملك إلا الانتظار ومن هذا الانتظار يتولد الوعى .

« دعنى انتظر ان يبحثوا هم عنى حيث اضاعونى منذ زمن بعيد » .

ولكن الذين اضاعوها منذ زمن بعيد لم يصلوا .. يمضى الوقت ولا أحد .. إلا المرأة القنفذ وصورتها التى تتردد على واجهه الفترينات الزجاجية - فتبدأ فى التحول الى كرة مشرعة الأشواك إلى قنفذ ساكن يبحث عن جدار يستند إليه - ولا جدار إلا من ينتظرهم .

وحين تقترب من هذا الضباب أكثر - يبدأ الضباب فى الانقشاع وتتكشف حقيقته رويدا رويدا ويشف الرمز ويرق ليصبح شعرا .

« كان قويا أو هكذا ظننته . كان صارما حادا متينا أو هكذا اعتدت رؤيته . كان حائطا كالحصن كسور الصين العظيم كأسطورة ليس فيها خرق إبرة ، لذا اسندت إليه رأسى وجسدى وكلى - لذا اسلمته قلبى وعقلى ومصيرى ، لذا اتخذته دليلى وقدرى وسبيلى .

ولأول مرة بدا مشروخا كأنه مرمم باهمال وسرعة لا مبالية لكنه مشروخ حتى النخاع ، حتى العظم ، حتى الدم . كان مريضا مهددا أيلا للسقوط وكان وقوفه الثابت كذبة يخفيها وراء نظارته السوداء ووقفته المهيبة . وهو يشد إلى الداخل عضلات كرشه ، ويتخذ وضع القوى المتمالك نفسه ومصيره وكيانه ، لكنه كان مشروخا منهكا يدارى كل ذلك بالأصباغ الزاهية ، والانفعالات الجامحة والدعايات الملصقة على جدرانه .

وعندما اسندت رأسى اقتربت منه ، واقتربت منه اكثر ، ورأيته بأم عينى خائرا موجوعا متهالكا مصطنعا . كان الشرخ واضحا مفزعا ، يدعو للغثيان .. كانت الشقوق والحفر مملوءة بالحشرات والبعوض والأفاعى السامة ، والخنافس ، والصراصير ، والجرذان ، والحثالة التى اندست فى داخله وشدها الظلام والأصباغ والخارج البديع سترها . إنه لا أحد . اهتم بالاقتراب منها أكثر فأكثر لينظر ما وراء هذا (الحائط) المتين » !!

ويمضى صوت هذه الكاتبة الموهوبة ليقترب من هذا الحائط ، وهذه الصورة ، ليكشف الحقيقة بجرأة وشجاعة وليكتب فى كل يوم نضجا فنيا وتمكنا من أصول فن القصة القصيرة واعدا بعطاء خصب غزير ..

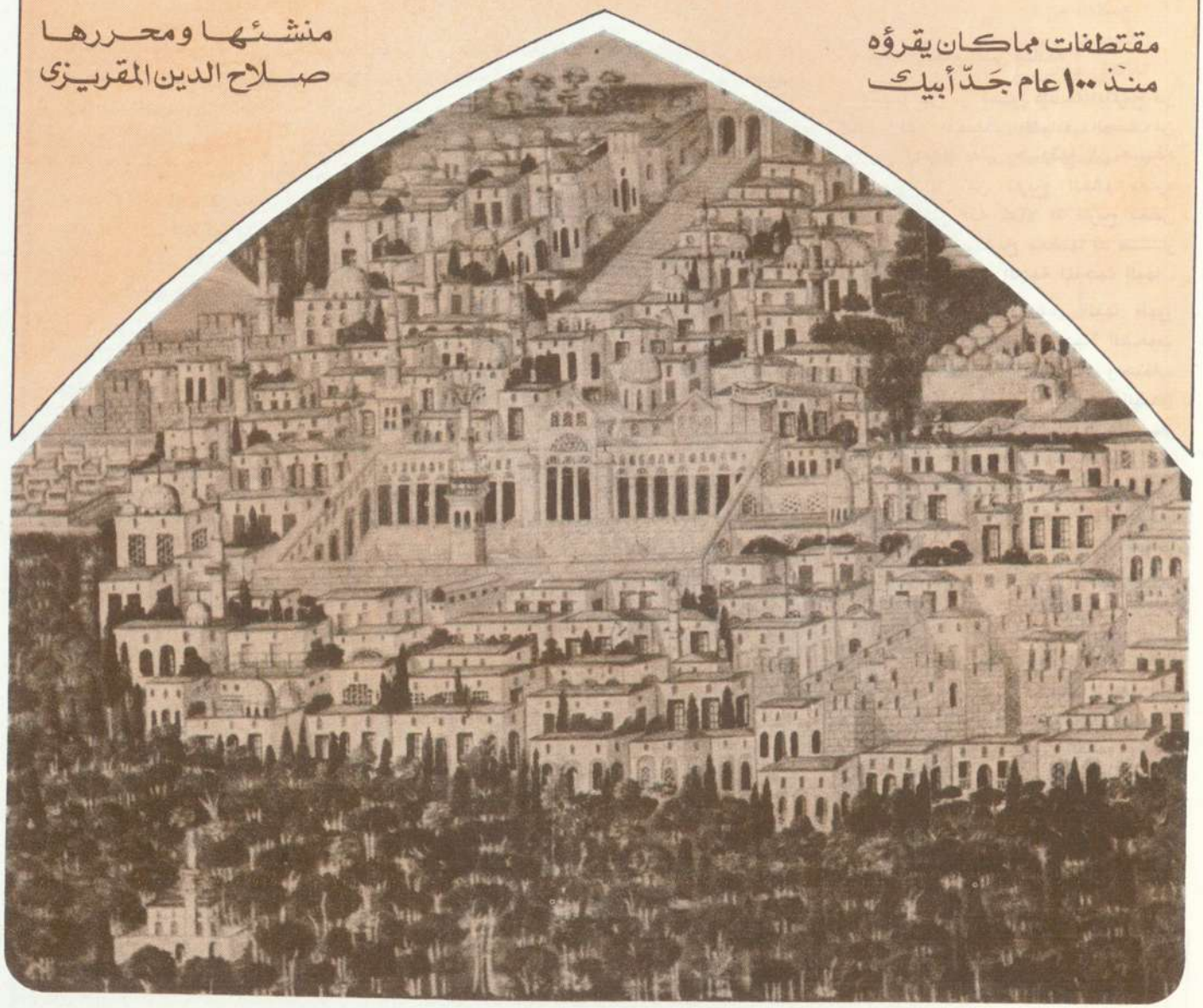
عبد الرحمن محسن

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

مقتطفات مما كان يقرؤه منذ ١٠٠ عام جدّ أبيك

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزى



مدينة دمشق فى القرن الثامن عشر ـ لوحة محفوظة فى متحف التقاليد الشعبية بدمشق

عزيزي القارئ

الحديث عن اعادة كتابة التاريخ القومى للعرب ، هو أكثر الأحاديث شيوعاً فى تصريحات المسئولين عن الثقافة ، وتعليقات المهتمين بها وتوصيات المؤتمرات والمهرجانات العربية ، المعنية بالتاريخ .. وحتى غير المعنية به !

وهو حديث يتزايد فى السنوات الأخيرة ، حين بدأ أعداؤنا ينازعوننا تاريخنا ، وينسبون لأنفسهم ما ليس حقهم ، ويسلبون رصيدنا يضيفونه لرصيدهم !

وبرغم تكرار الحديث عن الموضوع ، فاننا لم نكتشف جوهر أزمة اعادة كتابة التاريخ ، وهو ما اكتشفته مجلة « المقتطف » منذ قرن كامل حين طالبت بالاهتمام بفلسفة التاريخ !

« المحرر »

العدد الثاني عشر ـ أغسطس « آب » ١٨٨٢م

فلسفة التاريخ

لجناب الفاضل مستر هارفى بورتو
استاذ التاريخ والعقليات بالمدرسة الكلية السورية

علم التاريخ الحقيقى ، وهـــو الـذى يسمونه فلسفة التاريخ ، حديث الوضع بالنسبة إلى التاريخ بالاجمال ، ولم يبلغ من الكمال حتى الآن مبلغ اكثر العلوم وذلك لأسباب شتى عدا عن حداثة عهده .

وان قيل ما تعريف هذا العلم الواسع نقول بوجه الاجمال انه خلاصة التاريخ وجوهره ، ويسهل إدراك ما هيته من اعمال النظر فى غاياته ، ويزعم الأكثرون أن غاية التاريخ سرد الحوادث مع مراعاة الصدق والاستقامة . فيقتصر علم التاريخ فى زعمهم على وصف انتشار الممالك وسقوطها وذكر اسماء ملوكها ونسبهم وأهم أعمالهم ولا سيما حروبهم وشيء من أخبار من اشتهر من الخاص والعـام . على أن هذا التاريخ ناقص الفائدة ، ولا تتم فائدته الا اذا قرنت الحوادث بما يكشف لنا جوهرها وعلاقاتها وأسبابها ونتائجها لنفهم معناها واضحاً ، والواجب أن تكون الغاية العظمى من درس تاريخ أمة كالرومانيين معرفة الأسباب التى ادت إلى خيرها وافضت إلى ضيرها حتى نجنى المفيد مما أفادها ونجتنب المضر مما اضرها .

اما فلسفة التاريخ ، فغايتها اقصى من كل ذلك ، ودائرتها تشمل الحوادث والفوائد بأسرها ، وموضوعها يبحث عن جوهر الأمور ، فكما أن الفلسفة الطبيعيـــة لا تقتصر على وصف الظواهر الطبيعية ، بل تكتشف جوهرها ، وكما أن كل فلسـفة تبحث عن الوحدانية فى الحوادث العديدة وهكذا فلسفة التاريخ تبحث فى تاريخ كل أمة عن المعنى الجوهرى الذى يشمل كل حوادث تاريخها ، ويفسرها ويبين وحدانيتها وغايتها القصوى .

إلا أن فلسفة التاريخ لا تقتصر على الجزئى كمعرفة الجوهر فى تاريخ الانكليز او تاريخ غيرهم من الامم ، بل تتجاوزه إلى الكلى ، فتبحث عن غاية تاريخ العالم كله ، وعن المعنى الجوهرى فى ارتقاء الجنس البشرى أجمع ، ولا يخفى ما فى هذا البحث من العظمة والصعوبة لاتساع دائرته حتى اختلف العلماء فيه اختلافاً عظيماً ، فذهب قوم منهم الى انه لا يمكن أن يكون فى تاريخ البشر وحدانية ولا أن يكون فى فروعه العديدة اتحاد .

ويبقى على فيلسوف التاريخ أن يبحث عن كشف هذه الغاية فى تواريخ العالم منذ البدء إلى الآن ، وهذا البحث يقتضى له تعميم دقيق ومقابلة واسعة بين الحوادث وعقل ثاقب ، وادراك قوى حتى يؤدى إلى المقصود فلا تعجب من خبط الكثيرين فيه على غير هدى وابتعاد الباحثين منه حتى الآن ، ولا سيما لأنه لم يزل حديثاً ، ولم يحصل الاتفاق على مبادئه :

ومهما يكن من قصور فلسفة التاريخ فى الكلى فقد حصلت الفوائد الجمة من تواريخ الممالك على حـدتها لأن هـذه التواريخ أقل من تاريخ العالم باسره اتساعاً واكثر منه كمالا اذ تاريخ بعض الممالك قد ختم وتاريخ بعضها قد صـار فى الكهولة وظهرت الجهة المتجهة إليها .

ومن اعظم الفوائد المشار اليها ظهور اسباب التقدم والتاخر فى حياة الشعوب فصار يمكن للناس مراعاة الأول واجتناب الثانى . ومنها انكشاف حقيقة التمدن ووسائط نموه وحفظه من الزوال فصـار يمكن للناس ان يرجوا بقاء تمدن هذا العصر ودوام تقدمه ما دام البشر موجودين بخلاف تمدن الاولين فانه كثيراً ما كان يبلغ درجة سامية فى الارتفـاع ثم ينحط وتندرس آثاره . ومنها ارشاد المؤرخين الى منهاج افضل من منهاج الاولين فى تصنيف تواريخهم فانه بعد ما كان كثيرون يرون الروايات ويوردون القصص ولا ينظرون فى صحتها ولا يتحققون مطابقتها للواقع ولا يبنون أسباب الحوادث ونتائجها اضحى مؤرخو عصرنا هذا يتوخون الصدق وتمام الفائدة فى تصانيفهم حتى جاءت كتبهم كالابريز والفضة الممحصة بالنار مرارا . فعلى من رام التاليف فى التاريخ ان يراعى مبادىء فلسفته والسلام .

باب الأسئلة والأجوبة

(●) من بيروت : هل لكم ان تعرفونا معدل سكان بيروت .

الجواب : اننا لم نطلع على احصاء مدقق لسكان بيروت ولا نظن انها أحصيت كذلك ولكن بعض المؤلفين قدر عدد سكانها خمسة عشر الفا سنة ١٨٣٨ وثلاثين الفا سنة ١٨٥٣ وما بين ستين وسبعين الفا هذه السنة .

(●) من الشوير : كانوا فى زمان الامير بشير اذا ارادوا ان يعرفوا البالغ من الذى لم يبلغ من الشبان يطوون خيطاً من المصيص طاقاً على طـاق ويقيسون به غلظ رقبته على الحنجرة ثم يضعون طـرفى الطاقين بين اسنانه ويفتحون الخيط مما يليهما ويدخلون الراس بينهما فاذا دخل حكموا ببلوغه وادخلوه الجند أو اخذوا منه مال الاعناق واذا لم يدخل حكموا بعدم بلوغه واطلقوه وقد امتحنت ذلك فصح فهل له قاعدة عامة صحيحة يرد تعليله اليها .

الجواب : اما صحته فمؤكدة عندنا واما سببه فلم نعثر عليه فى مؤلفات العلماء ومهمـا كان تعليله فواضـح ان بروز الحنجرة وغلظ الرقبة فى البلوغ يزيد عن كبر الجمجمة حتى تصير نسبتهما الى سائر الجسد بعد البلوغ اعظم من نسبته اليه مع كونها قبل البلوغ اصـغر منها .

(●) من بيروت : ماذا يعمل لشعر الخيل حتى يتجعد وتحشى به الفرش ونحوها .

الجواب : يفتل حبالا ويسخن بحرارة ضعيفة فتكثر مرونته ثم يحل فيبقى متجعداً .

مطبوعات جديدة

مطبعة سيارة

يستفاد من الأخبار الواردة من (نيواورلن) باميركا ان العصبة القائمة بتحرير جريدة (دمقراط) فى تلك المدينة قد انشات لها مطبعة سيارة على نهر مسيسي تجاه مدينة منفيس فصارت اذا ارادت الرجوع الى مدينة نيواورلن تعود بلا مشقة ولا انزعاج واذا مرت بمكان يجدر بالوقوف للتفرج او التنزه تقف ما شاءت ولا تجد فى الحالين من مانع لصف الحروف وطبع الجريدة باحكام وسرعة وانتظام اما مساحة هذه المطبعة فهى ستون قدماً طولا واثنتا عشرة عرضاً والقدم تعدل نحو نصف ذراع وفيها غرفة لكل من المحرر والمصحح والمرتب وحجرة لدولاب الطبع ومكان للمائدة وغرف للنوم ومطبخ واصطبل للخيل يركبها العمال عندما يخرجون الى البر ويتوغلون فى ارض الساحل ترويضاً للاجسام وترويحاً للارواح .

(التقدم)

أحمد عرابي انفض زمن التنكيت ودخلنا عصر اجديدا



احمد عرابي

صورة ما كتب من صاحب العزة الهمام الفارس المقدم احمد بك عرابي الى ادارة المطبوعات المصرية البهية بشان هذه الجريدة .

لدخولنا فى عصر جديد وفوت زمن التنكيت اقتضى تبديل اسم جريدة التنكيت والتبكيت الادبية التهذيبية كما استقر عليه الرأى بالممارسة مع حضرة الفاضل عبد الله افندى نديم محررها ومدير ادارتها باسم (لسان الأمة) وان يكون موضوعها سياسياً تهذيبياً للذب عن حقوق الأمة والمدافعة عن حقوق حكومتها التوفيقية فلذا اقتضى ترقيمه لسعادتكم الأمل اعتبارها ومعرفتها بهذا العنوان الشريف والمشرب المنيف اعتباراً من عددها التاسع عشر افندم فى ٢٤ ذا سنة ٩٨ مير بياده ٤ .

(نديم) بحمد الله تعالى خلصنا من زمن التنكيت واصبحنا فى زمن الحرية ومعرفة الحقوق وهذا الذى قضى علينا بتغيير اسم الجريدة ومشربها فقد صيرناها سياسية سياسة ظاهرة بعد ان كنا ندمجها فى محاورات ودروس تهذيبية وجعلناها تطالب بحقوق الامة وتدافع عن حقوق الحكومة بمعنى انها تقوم بخدمة الامة من حيث الذب عنها ونشر افعال الظلمة المخالفين لسير حكومتنا الحرة العادلة وتدافع عن الحكومة من يرميها بسوء من الجرائد الافرنجية أو العربية .

وحيث ان الامة صار لها مجلس نواب تعرف به حقوقها كذلك صار لها جريدة تنشر فضائلها وتدفع السنة الاعداء لا نتعرض للمدائح والاهاجي وانما نذكر لكل عامل عمله حسناً كان او قبيحاً وهو يشهد لصاحبه او عليه . فنرجو من اخواننا الذين يكاتبوننا فى سائر الجهات ان لا يعتمدوا على اشاعة أو ارجاف او خبر ذى غاية بل لابد من الوثوق بالمخبر عنه قبل التحرير حتى تكون الجريدة قذى فى عين الجهلة وشجا فى حلق الظالمين .

أخبار

المجمع الفرنساوي لترقية العلم فى الجزائر

عقد احتفال هذا المجمع فى الرابع عشر من نيسان الماضى وحضره جمع غفير من العلماء لا يقل عن الف وخمس مئة فخطب الرئيس فى مذهب الجراثيم ومذهب باستور فى الاختمار ثم قرئت اوراق كثيرة فى جغرافية الجزائر وجيولوجيتها ومعادنها وسكانها واراضيها وهوائها وتاريخها الطبيعى ولم تقتصر تلك الابحاث على بلاد الجزائر بل على كل القسم الشمالى من افريقية . ولهذا المجمع عشر سنوات منذ انشىء وهو مقسوم الى اربعة اقسام رياضى وطبيعى وكيماوى واقتصادى وتحتها ستة عشر فرعاً وقد افاد الجزائر والعلم فوائد عميمة على حداثته .

الطربوش

لم يصنع البشر لباساً للرأس يلبس ايام الحر اقل مناسبة من الطربوش على ما نعلم . فهو دون العمامة منفعة بل دون الكفية والعقال اللذين ينعم بهما عرب البادية بل دون القصعة التى يلبسها الصينيون . على اننا عبيد العوائد نفضل الزي على الصحة ونتباهى بالطربوش وذنبه ولو جاء بكل الضرر .

شرب الماء البارد

مما يجب الحذر منه ايام الحر الشديد شرب كمية كبيرة من الماء البارد او المبرد بالثلج دفعة واحدة . واذا غسل الانسان صدغيه بماء بارد قلت حرارة جسده كما لو شرب ماء بارداً وليس للغسل نتائج مضرة مثل نتائج الشرب .



مخلوق الفضاء .. وهو يحاول ان يلمس باصبعه وجه الصبي .. ليتعرف عليه أكثر .

في مهرجان كان في مهرجان كان في مهرجان

سينما

مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا

بقلم : رؤوف توفيق

فيلم جديد للمخرج الشاب الذى حطم كل الأرقام القياسية فى الايرادات .. ومحاولة لفهم هذه الظاهرة الفريدة ؟

فى اليوم الأخير لمهرجان «كان» السينمائى لهذا العام ، احتفلوا بنهاية المهرجان ، بعرض فيلم (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) للمخرج الأمريكى الشاب (ستيفن سبيلبرج) .

كان هذا أول عرض عالمى للفيلم .. بعد أن انتهى المخرج من العمل فيه قبل موعد المهرجان بأيام قليلة !!

ومن هنا .. كان هذا العرض .. أول اختبار حقيقى للفيلم .. وهو اختبار قاس لا مجاملة فيه .. حيث أن من بين شهوده حوالى خمسة آلاف صحفى وناقد من جميع انحاء العالم !

وفى نهاية العرض .. ضجت القاعة الكبرى للمهرجان بتصفيق حار ومتواصل .. وقد كان هذا الترحيب الشديد ، شهادة ميلاد واعلان واضح بنجاح الفيلم .. وفى نفس الوقت ، تاكيد جديد بعبقرية هذا المخرج الأمريكى الذى لم يتجاوز عمره ٣٤ عاما .. ولكنه فى كل فيلم يخرجه ، يحطم رقما قياسيا فى الايرادات !



الأطفال الثلاثة فى الفيلم يتابعون بانبهار شديد لحظة هبوط سفينة الفضاء على الأرض .



الصبى فى لقطة من بداية الفيلم .. وهو يحاول اكتشاف مكان اختباء مخلوق الفضاء .

فمازال عشاق السينما فى العالم يتحدثون عن فيلمه الأخير «غزاة القوس المفقود» الذى استطاع خلال الستة شهور الأولى من عرضه أن يحقق أرباحاً وصلت الى ٣١٠ مليون دولار .. وفى نفس الوقت دخل الفيلم ترشيحات «الأوسكار» الأخيرة لثمان جوائز فى فروع الفيلم المختلفة !

وهو نفس المخرج الذى قدم من قبل فيلم «الفك المفترس» والذى حقق صدمة المفاجأة عند جمهور المشاهدين ، وابتلع الفيلم كل الأرقام القياسية السابقة فى الايرادات .. ليسجل رقماً مذهلا فى تاريخ صناعة السينما .. حيث حقق الفيلم ايرادات وصلت الى ٤١٠ مليون دولار !!

وهو نفس المخرج الذى دخل موجة افلام الخيال العلمى والفضاء .. فقدم رؤية خاصة لسكان الكواكب الخارجية فى زياراتهم للأرض عن طريق الأطباق الطائرة .. فى فيلم «لقاءات قريبة مع الجنس الثالث» .. حيث تعامل المخرج مع الخيال العلمى والمشاعر الانسانية فى مزج رائع وحب شديد .. ولم يستغل ظاهرة الاهتمام عند الشباب والمراهقين ، فى أمريكا وأوربا ، باسرار الفضاء .. ليقدم لهم ملهاة مثيرة بالتكنولوجيا الأمريكية .. ولكنه أعطى لموضوعه بعداً انسانياً .. وقدم سكان الفضاء فى زياراتهم للأرض داخل معزوفة موسيقية خلابة ومهيبة .. وكأنه يريد أن يحطم الصورة التى حاول أن يرسمها بعض المخرجين ، الذين تناولوا نفس الموضوع وأظهروا سكان الفضاء كمجموعة من المخلوقات الغريبة تحمل أسلحة مدمرة ومرعبة .. وانهم فى النهاية ليسوا إلا غزاة لا يعرفون لغة للتفاهم سوى العنف والشر .. وجاء ذلك المخرج العبقرى ليقول من خلال فيلمه (لقاءات قريبة مع الجنس الثالث) ان سكان الفضاء ليسوا من الأشرار .. وانهم لا يريدون سوى التعارف .. وأنه من الممكن التفاهم معهم بلغة الموسيقى .. فهى اللغة التى لا تعرف الفروق فى مفردات الكلمات .. ولكنها لغة المشاعر العالمية .

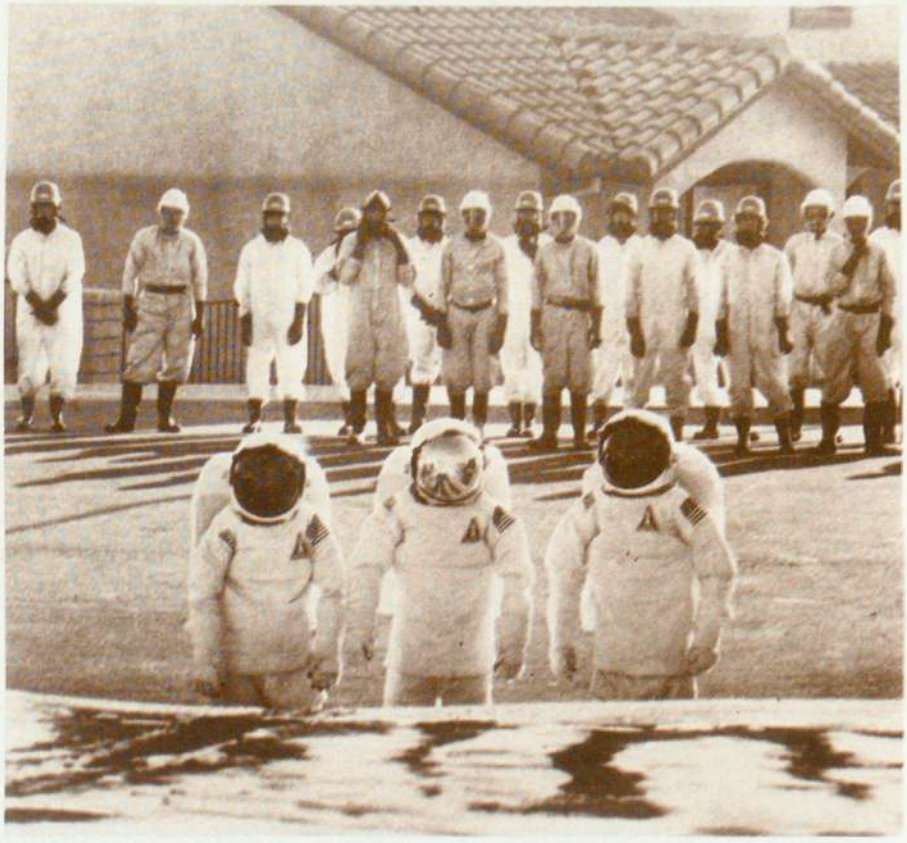
واستطاع الفيلم أن يلوى التفكير السائد عند المتهمين بموضوع الفضاء .. وحقق الفيلم ايرادات وصلت الى ٢٥٠ مليون دولار !

ويعود نفس المخرج .. الى نفس الموضوع فى فيلمه الجديد (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) ليقدم فصلا جديداً من الخيال العلمى ، يحكى فيه عن علاقة صداقة تنشأ بين مخلوق فضاء ، وطفل صغير .. وتتطور هذه الصداقة الى نوع من الارتباط الحميم ، وليصبح مخلوق الفضاء فرداً محبوباً بين كل الأطفال فى هذه القرية الأمريكية التى تدور فيها احداث الفيلم .. حيث ينضم كل الأطفال للدفاع عنه ، ومحاولة إسعاده بشتى الطرق !

● اعتراف شخصى

واعترف اننى حضرت العرض الأول لهذا الفيلم فى مهرجان «كان» باحساس مسبق باننى سأشاهد حكاية أخرى من حكايات مخلوقات الفضاء .. وهذه الحكايات لا تشغلنى ، ولا تهمنى .. ولا تثير فى داخلى أى نوع من التعاطف .. لأنى أتعامل معها بعقل بارد يعرف تماماً أن ما أراه امامى ما هو إلا خدعة سينمائية يتبارى لتنفيذها مجموعة من الخبراء عندهم البراعة والقدرة على

مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا



فرق الاستكشاف وقد استعدت بزي خاص وتجهيزات غريبة من اجل اصطياد مخلوق الفضاء .

التحكم فى الآلات ، والأزرار .. بالاضافة الى ان حكايات الفضاء نوع من الرفاهية الذهنية لا يحتملها عقل متفرج مثلى جاء من أرض ملتهبة بالمشاكل والهموم ، ويعيش حياته اليومية فى صراع مستمر لكى يحصل على حقه ، ويدافع عن بقائه .. ولا يتبقى له فى النهاية ، أى جهد ، أو أى رغبة ، فى أن يرفع رأسه الى السماء ليفكر فيما بين النجوم والكواكب .. أو ما هو شكل المخلوقات التى تعيش عليها .. أو متى يتم اللقاء بينى وبينها وكيف يكون شكل هذا اللقاء ؟!

لست رائق البال الى هذه الدرجة .. وحتى اذا كانت هذه الأفكار عن الفضاء ، مجرد «هلوسة» .. فاننى لا أستطيع أن أبوح بها لأحد ممن يعانون مثلى .. وإلا طاردتنى سخريتهم وشكوكهم بانى فقدت عقلى ..

قد يكون هذا ضريبة الواقع لصعب الذى نعيشه .. وربما اطلقنا عليه مسميات مثل التخلف .. و .. الجهل .. و ..

ولكنه فى النهاية .. هو الواقع الذى لا مفر منه !

● المفاجأة عند العرض

ولهذا جلست أتابع هذا الفيلم من باب التسلية فقط .. وقد اقنعت نفسى بانه لا مانع من الترفيه قليلا ، بعد ارهاق المتابعة اليومية المرهقة لعشرات الأفلام على مدى أسبوعين من المهرجان .. لا مانع من اجازة قصيرة لا افكر فيها .. ولكن ماحدث لي اثناء الفيلم ، كان مفاجأة مذهلة .. مازلت حتى الآن لا أصدق كيف حدثت ؟!

وجدت نفسى مشدوداً تماماً للأحداث .. افرح وابكى كطفل صغير .. أتابع هذا المخلوق الغريب من الفضاء ، وكأننى اعرفه منذ زمن طويل .. أقلق عليه عندما يتعرض لمشكلة .. وانتعش بسعادة عندما يتخلص من المازق !

ولما انتهى الفيلم كان وجهى مبللا بالدموع .. وحاولت بسرعة أن أتخلص من هذا المنظر .. ولكنى فوجئت بأن من حولى – رجالا ونساء من جنسيات مختلفة – يواجهون نفس الحالة .. الدموع فى عيونهم .. وايديهم تهتز بتصفيق متواصل !

وأسرعت الى قاعة المؤتمرات الصحفية ، حيث حضر المخرج «ستيفن سبيلبرج» مع بعض أعضاء فيلمه .. ودارت أسئلة كثيرة حول الفيلم .. ولكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من تأمل هذا المخرج الذى وضعنى فى هذه الحالة .. كيف أستطاع أن يستحوذ على مشاعرى .. ويقلب تفكيرى .. ويجعلنى أتعاطف مع خدعه ؟!!

هل هو نوع من البراعة والدقة الفنية ؟ أم أنه قوة التأثير فى مخاطبة المشاعر ؟!

وما حيرنى .. كيف يواصل هذا المخرج الشاب – الذى لم يتجاوز ٣٤ عاماً – نجاحه بهذه القفزات السريعة الواثقة .. ما أن يضع يده فى عمل ، حتى يتحول الى ذهب .. حتى كادت ايرادات أفلامه تفوق ميزانية دولة باكملها !!

انها ليست بالتأكيد مسالة حظ .. ولكنها نوع من العبقرية الفنية التى لا تتكرر كثيراً .. عبقرية العثور على موضوع وتقديمه فى شكل متميز يؤثر على ملايين الأشخاص فى أى مكان فى العالم .. مهما اختلفت مشاكلهم وهمومهم وأفكارهم ! .

● قصة الفيلم

وفيلم (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الأرض) .. أو كما اختصروا هذا العنوان الطويل الى حرفين فقط E.T تبدأ أحداثه فى احدى الليالى الصيفية بقرية أمريكية تحيط بها الغابات الكثيفة .. السماء صافية مرصعة بالنجوم ..

فى هذه الليلة .. يهبط من بين نجوم السماء ، شىء ما صغير الحجم ، يشبه سفينة فضاء .. وتستقر السفينة فوق أحد التلال القريبة من تلك القرية .. ومن بين الظلام ، تبدو أضواء السفينة وكأنها حلقة دائرية من الشعاع .

يفتح باب السفينة .. وينهمر منها مجموعة من الكائنات الحية الغير عادية .

فى هواء الليل الرطب ، وبين الضباب .. يظهر أفراد طاقم السفينة كل منهم يمسك فى يده بالة صغيرة يستكشف بها موضع قدمه على الأرض .. يتحركون فى حرص وحذر خوفاً من اللحظة الخطرة التى قد يكتشف فيها أحد من سكان الأرض ، وجودهم ..

وأثناء تجوالهم فى نطاق ضوء السفينة .. كان أحدهم قد سرح بعيداً عن المنطقة التى هبطوا فيها .. اختفى بين الأعشاب الطويلة على أطراف الغابة .. وأثناء تجواله يمر بشعاع أحد الأضواء الكاشفة ، فيظهر خياله على الأعشاب .. ويبهره هذا المنظر ويواصل السير مستغرقاً تماماً فى اكتشاف المكان .. حتى يبعد كثيراً عن زملائه والسفينة التى حملته الى هنا ..

ولكنه لا يدرك هذه المسالة .. ويواصل السير حتى يصل الى حافة أرض منحدرة .. حيث تظهر أمامه أضواء متلألئة منتشرة فى وسط الخضرة .. وكان هذا أول ما يراه من حضارة الانسان .. ومن بين مساكن



الطفلة الصغيرة التى تعاملت مع مخلوق الفضاء وكانه لعبة مثيرة .. تحاول ان تسعده بكلبها وملابسها المزركشة .

الضواحى .. وحياة المراعى .. وفجاة ينطلق صوت مدو .. انه صوت موتور احد الموتوسيكلات التى يستخدمها شباب هذه القرية .. ولا يدرى هذا المخلوق الغير عادى .. كيف يتصرف .. يصاب بالذعر والارتباك .. ويبحث عن مخبأ .. وفى مخبئه بين الأشجار يرى عدداً من الآدميين يركبون الدراجات البخارية ذات الصوت العالى .. ويتفرقون فى نواح كثيرة ..

فى ذلك الوقت كان زملاؤه من سفينة الفضاء .. قد فقدوا الأمل فى عودته .. واحسوا بالخطر .. فاستعدوا بسرعة للعودة من حيث أتوا .. وترتفع سفينة الفضاء فى ظلام الليل مرة أخرى .

ويكتشف المخلوق الغير عادى .. أن زملائه قد رحلوا .. والسفينة طارت .. ويصاب بالرعب والذهول .. يبحث عن مكان يأويه .. إنه E.T. .. وحيداً تماماً .. على بعد ثلاثة مليون سنة ضوئية من منزله .. مذعور .. خائف .. كسلحفاة فقدت درعها الواقى .. يقفز بين أعشاب الغابة ، كضفدع ضعيف .. يبحث عن مخبأ .. حتى يصل الى مخزن مهجور قريب من أحد المنازل ..

فى هذا الكوخ يعيش ثلاثة أطفال مع أمهم .. بعد أن هجرهم أبوهم إلى المكسيك حيث تعرف على امرأة أخرى ويعيش معها .. ويحاول الأطفال مع امهم أن يتماسكوا كعائلة صغيرة . وان يتحملوا غياب الأب .. وتفرغ الأم كل حنانها على أطفالها حتى لا يشعروا بالحرمان من الأب .. وتحتمل هي المأساة فى صمت وشجاعة .. ولا تخونها دموعها إلا عندما يتحداها أحد أطفالها بعناده واصراره بالسؤال متى يعود الأب .. ولو كان الأب موجوداً لتغيرت الأحوال وتحقق لهم كل مايريدون !

إنها نموذج لعائلة أمريكية عادية .. تعاني من مشكلة لها صدى فى كثير من البيوت الأمريكية .. أو غيرها فى أي مكان بالعالم .

● الأطفال .. وهذا المخلوق الغريب

وبذكاء شديد يربط المخرج بين هذه العائلة .. وهذا المخلوق الغير عادى .. ويأتى الربط من خلال الابن الصغير ذي العشرة أعوام .. الذى يشعر بحركة غير مألوفة فى المخزن المهجور بالقرب من منزلهم .. وبفضول شديد يحاول اكتشاف سر هذه الحركة والتى تبعها صوت ارتطام بأحد الصفائح الفارغة .. ويتسلل فى هدوء وحذر الى داخل المخزن .. وفى ظلام الليل لا يرى شيئاً .. ولكنه عندما ينظر تحت قدميه .. يرى آثار بصمات لأقدام غريبة .. ويتتبع هذه الآثار .. حتى يفاجأ أمامه بهذا المخلوق الغير عادى .. ويطلق الصبى صرخة فزع مكتومة .. ويذعر المخلوق الغير عادى بما حدث .. فيطلق هو الآخر صرخة متحشرجة .. وتطل من عينيه الدائرتين نظرات خوف وترقب .. ولكن اصرار الصبى الصغير على تحديد ماهية هذا الشيء المتحرك الذى يراه أمامه .. يجعله يتوقف طويلا محاولا اكتشافه .. وتمضى اللحظات بطيئة .. ويشعر المخلوق الغير عادى .. ببعض الأمان .. فيهز له عنقه الطويلة ، وكانه يستعطفه ألا يؤذيه .. ويسمع الصبى صوت أمه تبحث عنه .. فيسرع باغلاق باب المخزن على المخلوق الغير عادى .. ويرجع مسرعاً الى منزله وقد أحس أنه مقبل على مغامرة مثيرة ! .

فى صباح اليوم التالى .. يدعى الصبى المرض .. حتى تعفيه والدته من الذهاب الى المدرسة .. وما أن يخلو البيت له .. حتى يهرع الى المخزن ليدعو هذا المخلوق الغريب الى حجرته .. انه يعامله كطفل فى مثل عمره .. يحاول أن يشرح له محتويات الحجرة .. ومتعلقاته الشخصية من لعب وملابس .. وقد زال الخوف منه تماماً .. أما المخلوق الغريب فقد تحول هو الآخر الى مستمع يقظ منتبهاً تماماً الى تصرفات الصبى .. مندمجاً فى هذا العالم الجديد بلا قلق أو خوف ..

ويركز الفيلم بعد ذلك على هذه العلاقة التى نشأت بين الصبى وهذا المخلوق الغريب .. ان كلا منهما يحتاج للآخر .. وكلا منهما يشعر بمشاعر الآخر .. بل يحدث نوع خاص وفريد من الاتصال والتوحد النفسى . فعندما يتعود هذا المخلوق الغريب على المنزل ويعرف محتوياته .. يدخل الى المطبخ ويفتح الثلاجة ليشرب علبة من المياه الغازية .. وحينما يتجشأ .. نرى الصبى فى مدرسته فى تلك اللحظة يتجشأ هو الآخر .. وعندما يتمادى المخلوق الغريب فى العبث بمحتويات الثلاجة ويشرب علبة من البيرة .. نجده يتمايل حتى يفقد توازنه ويسقط على الأرض .. فى نفس اللحظة التى يمر بها الصبى فى مدرسته بنفس الأحاسيس .. يفقد توازنه هو الآخر .. وتزوغ عيناه .. ويسقط مغشياً عليه .

ولا يستطيع الصبى أن يكتم خبر هذا الضيف الغريب الذى يخبئه فى غرفته .. إذ يبوح بالسر لشقيقته الصغيرة .. التى تفاجأ فى البداية ثم تتعود عليه وتلاعبه كما تلاعب كلبها .. ويعرف الأخ الأكبر أيضاً بالموضوع .. ويتفق الثلاثة على كتمان الخبر عن أمهم حتى لا تلجأ الى البوليس لابلاغه بما حدث .

ومن خلال المواقف والتفاصيل الصغيرة .. يضعنا المخرج فى عالم هؤلاء الأطفال .. ويأخذنا فى براعة شديدة لنتقبل نحن أيضاً كمشاهدين هذا المخلوق الصغير الحجم ، الغريب الشكل .. إنه مخلوق عاجز .. منفصل تماماً عن عائلته .. ويعيش تجربة مثيرة .. ولا يمكن إلا وأن تتعاطف معه .. وهو يحاول النطق بكلمات انجليزية .. ومدى الفرحة

مخلوق الفضاء الذي صفقوا له طويلا



اهالي القرية يتابعون رحلة صعود سفينة الفضاء .. ويودعون المخلوق الغريب الذى عاش بينهم .



المخرج الامريكي « ستيفن سبيلبرج » يعطى ملاحظاته للصبي الموهوب « هنرى توماس » بطل الفيلم .

التى عمت الأطفال عندما اكتشفوا انه يستطيع أن يتكلم مثلهم .. انهم يدللونه .. ويخدمونه .. ويخافون عليه .. ويلعبون معه .. يلبسونه ثيابهم .. ويشاهد معهم التلفزيون .. ويتعلم كيف يمسك بالتليفون .. ويدق الأرقام .. لقد أصبح واحداً منهم ..

كل هذا يحدث .. والأم لا تشعر بوجوده .. فتكتل الأطفال وحرصهم على هذا المخلوق الغريب يدفعهم دائماً لحمايته .. وفى احدى المرات عندما تسمع الام صوتاً غريباً .. تسرع بتفتيش البيت .. وفتح دواليب الملابس .. ولا تكتشف وجود هذا المخلوق الغريب .. الذى كان الأطفال قد خبأوه بين لعبهم فبدا كأنه احدى هذه اللعب !

● البيت .. البيت !

ولا تملك كمشاهد طوال تلك اللحظات .. سوى الضحك والدهشة من تصاريف الأطفال وخفة ظلهم .. وفى نفس الوقت الاحساس بالقلق على هذا المخلوق العجيب – بعد أن تعودت على شكله الغريب – وحنينه الجارف للعودة الى أهله وبيته .. انه يردد دائما كلمة «البيت» .

ويحاول الصبى الصغير أن يصنع وسيلة اتصال بالعالم الخارجى ، لكى يستطيع ذلك المخلوق أن ينادى أهله .. ومن خلال بعض الأدوات المهملة هنا وهناك يجمع الصبى آلة كان قد شاهد نموذجاً لها فى كتاب وبرامج للتليفزيون .. وينصب تلك الآلة على أحد التلال المحيطة بالمنزل ، وبجواره ذلك المخلوق العجيب ينتظر فى قلق وشوق أن تعمل الآلة لكى ينادى أهله ..

لقد استطاع هذا الصبى بادراكه أن يفهم أن هذا المخلوق يجب أن يعود لأهله .. فهذا شىء حيوى جداً بالنسبة له .. وإلا مات اذا استمر موجوداً على الأرض .

وفى نفس الوقت يشعر ذلك المخلوق العجيب بمشكلة ذلك الصبى المحروم من الأب ومعاناة الأم من خيانة الزوج وفراقه لها ..

● القرية تطارد هذا المخلوق

وعندما يفشل الاتصال بالعالم الخارجى .. يشعر المخلوق الغريب باليأس والحزن .. ويمرض .. فى نفس الوقت الذى تواصل فيه فرق الاستكشاف فى القرية تتبع آثار بصمات المخلوق الغريب أثناء تجواله فى المنطقة ..

ويصور المخرج فرق الاستكشاف وكأنها فرق الشر التى تحاصر هذا المخلوق .. وتحاصر أيضاً هذه العلاقة الحميمة بين الأطفال .

إن فرق الاستكشاف تتحرك فى عنف وفى ايقاع ينذر بالعنف .. وعندما تصل هذه الفرق الى المنزل المخبأ فيه هذا المخلوق وقد تملكه الضعف والمرض .. فجأة بعربة اسعاف مجهزة باحدث الاجهزة .. وغرف عمليات .. وفريق من الأطباء .. وآلات معقدة تتبع نبض المخلوق الغريب .. وحركة دائبة وسريعة للسيطرة عليه وابقائه حياً للاستفادة منه فى أبحاثهم العلمية ..

فى تلك اللحظات .. يمرض الصبي .. ويمر بنفس المرحلة التى يمر بها المخلوق العجيب .. إنه التواصل النفسي !

وعندما يسترد المخلوق العجيب ، وعيه .. ويفتح عينيه .. يحدث نفس الشيء بالنسبة للصبي .. ويسرع إليه ليختطفه بمساعدة اخوته واصدقائهما من الصبيان الذين ينطلقون به بدراجاتهم البخارية فى تشكيل رائع ..

وكان هؤلاء الأطفال الصبية والأطفال يدافعون عن أنفسهم .. وعن حلمهم ..

ويبرع المخرج فى تأكيد هذا المعنى من خلال هذه المطاردة التى لا ينهيها سوى وصول سفينة الفضاء مرة أخرى .. لقد جاءت هذه المرة لتعيد هذا المخلوق إلى عالمه ..

وفى مشهد النهاية يودع الصبي هذا



المخرج « سبيلبرج » مع مخلوق الفضاء الذى صنعوا نموذجا له فى الاستوديـو .



فرق الاستكشاف وسيارات البوليس والاسعاف تحاصر المنزل الذى يستضيف مخلوق الفضـاء .

الصديق الذى أحبه وارتبط به .. تغالبه الدموع .. وهو يطلب منه أن يبقى معهم ..

بينما المخلوق الغريب يردد بعض الكلمات التى عرفها .. وأجاد نطقها .. وأهمها « المنزل » .

إنه سيعود إلى منزله ...

ويستسلم الطفل أمام هذا المنطق .

فكل منا يجب أن يعود إلى منزله .. وإلى حنان الأهل ..

وتصعد سفينة الفضاء .. لتنهي هذه الحكاية المثيرة ..

● حكاية الثمانينات

وقد أطلقوا على هذا الفيلم .. انه حكاية الثمانينات ..

ولا أرى انهم يبالغون فى هذا الوصف .. فانني أعتقد أن هذا المخلوق الغريـب (E.T) .. سيصبح خلال الشهور القليلة القادمة .. من أهم الشخصيات الخيالية التى ستطبع صورها على الملصقات والملابس والشارات .. ولعب الأطفال .. وستصنع منه نماذج مجسمة باحجام مختلفة .

لقد صنع الفيلم وهما جميلا .. ولا يمكن للمؤسسات الأمريكية أن تترك هذه الفرصة دون أن تستغلها أقصى استغلال ..

وقد تحدد موعد عرض هذا الفيلـم عالمياً فى سبتمبر القادم ..

ويتوقع خبراء السينما .. أن تفوق إيرادات الفيلم .. كل الأرقام القياسية فى تاريخ السينما الأمريكية ..

● المخرج يتحدث عن الأطفال

ولكي يعطي المخرج لمسة واقعية لهذه الحدوتة الخرافية .. تعمد أن يختار الأطفال الذين يلعبون الشخصيات الرئيسية فى الفيلم .. من بين وجوه جديدة لم يسبق لها التمثيل فى السينما أو التليفزيون .

وكانت أصعب مهمة .. هي اختيار من يقوم بدور الصبي الذى تنشأ بينه وبين هذا المخلوق الفضائي ، علاقة الصداقة والارتباط .. فقد أجريت اختبارات لآلاف الأطفال من سكان الضواحي فى أمريكا .. حتى يكون الصبي على دراية تامة باحاسيس ومشاعر الدور المرسوم فى الفيلم .. وهكذا وقع الاختيار على الصبي « هنرى توماس » .

ويقول المخرج « سبيلبرج » :

– « لقد تعلمت خلال تعاملي مع هؤلاء الأطفال فى ذلك الفيلم .. احترام ذكائهم وحكمتهم .. إنني لم أحتج لتبسيط أسلوبي أو شرح معنى ما أقول .. فعندما أبدأ فى الشرح أو التبسيط أشعر بتفاهة ما أقول .. إن جيلي وجيل آبائي لا يقارنوا أبدا بهذا الجيل .. إن ذلك مثل الليل والنهار .. وهو شيء مدهش ومذهل .. فان أطفال العاشرة من هذا الجيل لديهم ادراك واسع يفوق مداركي عندما كنت فى السادسة عشرة من عمري .. وهي قفزة هائلة بين الاجيال » . !

● دعوة إلى الأحلام

ويطلق بعض النقـــاد على المخـــرج « سبيلبرج » أنه المخرج الشاب الذى يعرف كيف يعبر عن أحلام الشباب .. ويقدم لهم ما يفكرون فيه ..

أما المخرج فهو يقول عن نفسه « بيني وبين التليفزيون ثأر قديم ، فقد تسلل التليفزيون إلى غرف الأطفال .. وأصبح التليفزيون لعبة .. وتحولت اللعبة إلى إدمان ..والادمان هو عنف وإرهاب .. ورعب .. من خلال أطنان الأفلام الرديئة التى يعرضها التليفزيون .. ولهذا فانني أريد أن أخرج الأطفال من غرفهم ليذهبوا إلى السينما .. ويروا شيئا جديداً ومختلفا .. يداعب أفكارهم ويدعوهم لاستعادة براءتهم وانسانيتهم وأحلامهم مهما كانت غريبة » !!

وهكذا كان هذا الفيلم نوعاً من الاحلام .. أحلام الصغار والكبار معاً .. نحو عالم يقوم على الحب والمشاركة ...

« رءوف توفيق »



ضحكات الشهر

صلاح البيتي

مزيكا



ـ بتنفـــخ ليـــه ..؟؟



ـ .. شوبـــان

ـ .. ما بـــان .. شي !!



ـ تسمح غطـا الحلـه ... عاوزين نكمل الطبيخ ... !!

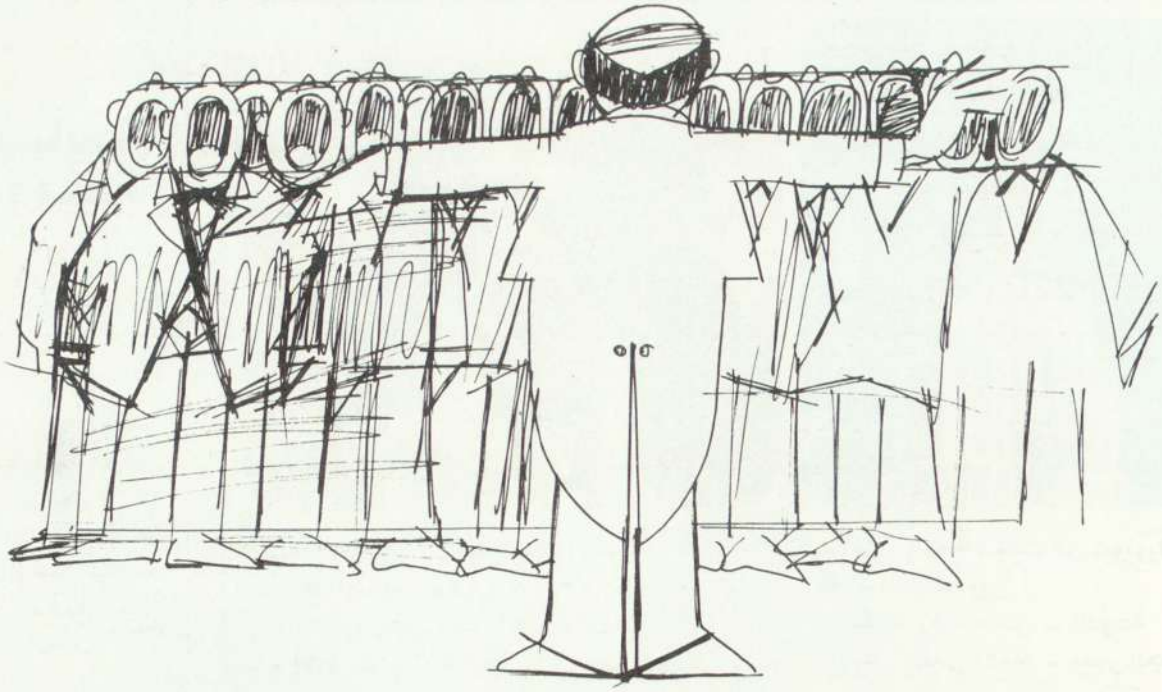


ـ .. وانت « عـازف » ... ولا متجـــوز ... !!



ـ عاوز أنـام .. غني فى ســـرك ... !!

مايسترو ـ .. الصف الثاني .. تالت واحد على اليمين .. عندك لـوز .. !!





دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



صورة ١ دولة عربية حاربت سبع سنوات حتى حصلت على استقلالها ، تقوم بجهود ضخمة فى مجال التعريب ، يقوم اقتصادها على الزراعة التى تزود ثلثى السكان بحاجتهم ، كما تصدر الغاز الطبيعى ، وتنتج خام الحديد والفوسفات والرصاص . ما اسم الدولة ـ واين تقع ؟

صورة ٢



ولد هذا العالم بالقاهرة عام ١٣١٤ م ، وعاش بدمشق ، ومكة .. الم بعلوم الفقه والحديث والتاريخ ، كما اتقن علم الفلك . ويعتبر زعيم مدرسة تاريخية بمصر ابان القرن التاسع الهجرى فالف « إمتاع الاسماع ، والدرر المضيئة فى تاريخ الدولة الاسلامية » ، وأكثر من ١٠٠ كتاب ورسالة .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٨



ـ الملكة هى بلقيس ملكة سبأ

● أسماء الفائزين :

ـ الشتيوى بن نصر النور ـ تونس

ـ أحمد سعيد الشريف ـ رأس الخيمة



ـ بناية امباير ستيت فى نيويورك :

● اسماء الفائزين :

ـ شفيقة رضا حسن ـ الدوحة

ـ أيمن حلمى الامام ـ مصر الجديدة

سحر البيان

دخلت امرأة على هارون الرشيد وكان في حضرته جمع من الكبراء فقالت : يا أمير المؤمنين : أقر الله عينك . وفرحك بما أتاك . وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت .

فقال لها : من تكونين أيتها المرأة ؟ فقالت : من آل برمك . ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم .

فقال : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود إليك . ثم التفت إلى الحاضرين وقال . أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟

فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً . قال أظنكم ما فهمتم ذلك . أما قولها : أقر الله عينك أي أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن الحركة عميت ، وأما قولها : وفرحك بما أتاك ، فأخذته من قوله تعالى : (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وأما قولها : وأتم سعدك ، فأخذته من قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه
ترقب زوالا إذا قيل تم

وأما قولها : حكمت فقسطت ، فأخذته من قوله تعالى : (أما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .

فلما انتهى الرشيد من كلامه استولى على الجماعة العجب من تلك البلاغة وذلك البيان الساحر . !!

محمد عبد اللطيف ادريس – مصر

هل تعلم؟

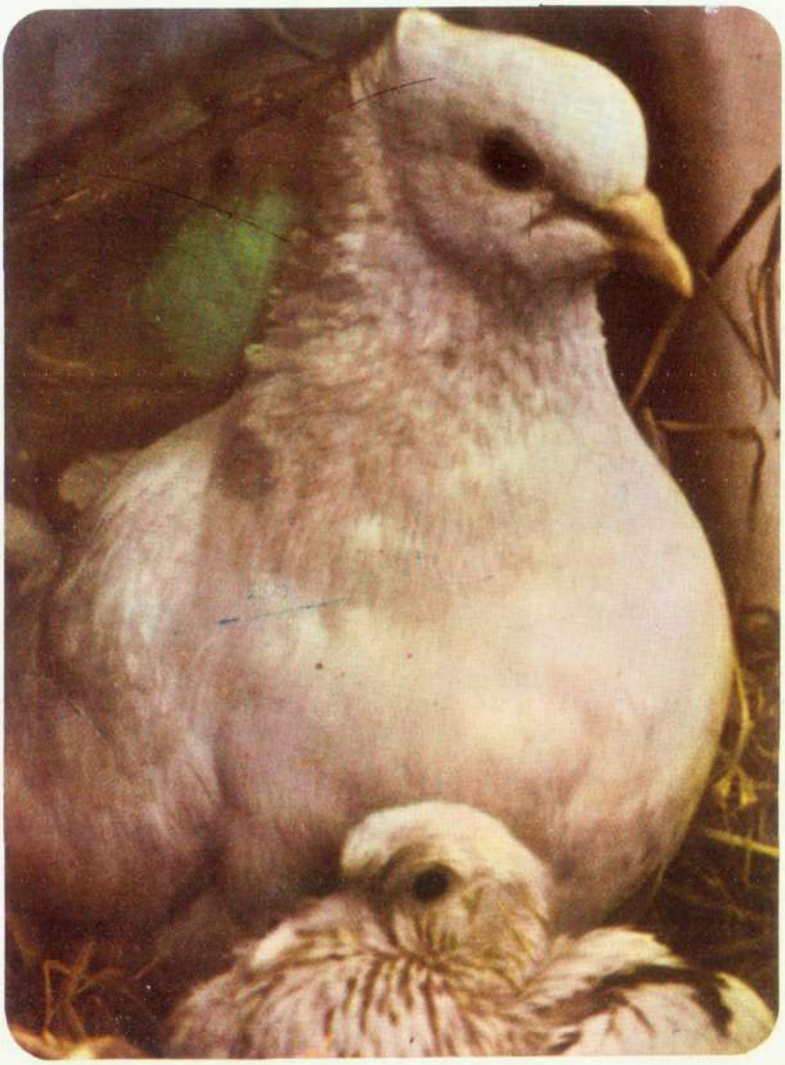
– انه يوجد اليوم نحو ٥٠ نوعاً من الأبجديات المستعملة في اللغات الحية ، منها ٢٥ نوعاً تستعمل في دولة واحدة هي الهند .

– انه يوجد حوالي ٨٠٠٠ نوع من النمل ، تتزاوج الملكة مرة واحدة فقط ، ويمكن للملكة ان تعيش ١٥ عاماً .

– ان اسرع سمكة هي سمكة الشراع اذ تبلغ سرعتها ٣٣ كلم في الساعة !

عبد الوهاب محمد عدن

لقطة الشهر



حنان الأمومة

– فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال القارىء فولى عبد العظيم محمد – مصر – اسيوط

الحل المناسب

كان أحد علماء الاجتماع يلقي محاضرة في احد الأندية النسائية وكانت المحاضرة عن الأزمة الناجمة عن الزيادة الهائلة في عدد سكان العالم .

قال المحاضر : أن في مكان ما من العالم توجد باستمرار امرأة تلد طفلا في كل دقيقة ليلا ونهارا ، فماذا نحن فاعلون لعلاج هذه المشكلة ؟

وهنا وقفت احدى السيدات وقالت له : اعتقد أن أول شيء يجب القيام به هو أن تعثر على تلك المرأة وأن تمنعها من عملها الشنيع .

محمد المصمودي تونس



دوحة القراء

مسابقة الدوحة



مَن ؟

عدو عنيد أعطى العرب في الشهر الماضي صفعة قد لا يفيقون من هولها زمناً طويلا . اسمه من كلمتين في تسعة أحرف

١ ـ ٤ ـ ٧ ـ ٣ ـ ٥ غطاء الطيور .
٦ ـ ٤ ـ ٩ ـ ٨ ـ ٢ ليس الظلام

أين ؟

الأرض التي فقد فيها العرب البقية الباقية من أشلاء وحدة صفهم . اسمها من خمسة أحرف :
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٥ ثمرة منعشة
٣ اسم سورة في القرآن الكريم

ما ؟

مرض دب في أمة العرب ، ذكر في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، الكلمة من خمسة أحرف :
٤ ـ ١ ـ ٥ أصبح حقيراً لاكرامة له .
١ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ اسم للبحرين قديم .

الإجابة الصحيحة

(١) النخيل من الأشجار :
ذات الفلقتين ـ ذات الفلقة الواحدة ـ معراة البذور .

(٢) كان رئيس البوليس السري لنظام الديكتاتور ستالين يهودياً يسمى :
بريا ـ هملر ـ صلاح نصر

(٣) كلمة (بريد) ذات أصل :
فارسي ـ هندي ـ عربي ـ برازيلي

(٤) جاء ذكر الزيتون في القرآن الكريم :
ست مرات ـ ستون مرة ـ ستمائة مرة

(٥) تقع مدينة بيروت بين بلدتين من البلدان التالية :
بعلبك ـ زغرتا ـ جونية ـ خلدة ـ بحمدون

(٦) توفي الملك عبد العزيز آل سعود في سنة :
١٩٥٣ ـ ١٩٦٣ ـ ١٩٣٣م

(٧) انقرضت الزواحف الهائلة أو الديناصورات في العصر الجيولوجي المسمى الطباشيري منذ :
١٣٠ مليون سنة ـ ١٥ مليون سنة ـ ٣٧ مليون سنة .

(٨) «ينتمي اليهود إلى جنس عرقي واحد يرجع إلى سيدنا اسحق بن سيدنا ابراهيم عليهما السلام » .
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ولماذا ؟

(٩) «واحتمال الأذى ورؤية جانيه» أكمل البيت وانسبه إلى قائله

(١٠) مؤلف كتاب الملل والنحل فيما بين القرنين الخامس والسادس للهجرة هو العلامة :
أبو الفتح الشهرستاني ـ أبو اليزيد البسطامي ـ أبو ذؤيب الهزلي .

حل مسابقة العدد ٧٨

من : عبد الحميد باديس
أين : وهران .
ما : الغاز .

الاجابة الصحيحة :

١ ـ ٢١٧ ق . م
٢ ـ ١٩٤٨ م .
٣ ـ نشيش .
٤ ـ وان ولاة المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد للشاعر حسان ثابت .
٥ ـ قشور الرمان ـ أملاح الكروم ـ أملاح الشب .
٦ ـ لا ـ لأن نيوزيلنده ليس بها ثعابين
٧ ـ البوصيري
٨ ـ ١٩٠٦ .
٩ ـ قدري .
١٠ ـ البكتريا

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ دوري الكاريكاتير :
الحل : اللاعب رقم (٨) .
الفائز : علي محمد أحمد عيسى ـ الخور ـ قطر .
٢ ـ يخلق من الشبه أربعين :
الحل الصورة رقم (٥) .
الفائز : عبد القادر محمد ـ سوريا .
٣ ـ لوحة لم تتم :
الحل : الكاتب والأديب يوسف ادريس
الفائز : حازم عوني جرار ـ الأردن .
٤ ـ خيال من :
الحل : ياسر عرفات .
الفائز : عبد الحميد محمد عثمان ـ السودان .

أسماء الفائزين

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة ، القارىء :
– عبد المنعم حسن مصطفى – ويمبلى – انجلترا .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء :
– حذيفة عبد العزيز عبد القادر – الامارات العربية المتحدة .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
– عبد القادر سيلا – داكار – السنغال

الفائزون باشتراك لمدة سنة

الفائزون باشتراك لمدة سنة :

١ – نورة خليل ابراهيم	الدوحة – قطر
٢ – رمضان سعود محمود	ليبيا
٣ – جهاد جميل حسن الحداد	الأردن
٤ – فاطمة يوسف الشعبان	البحرين
٥ – وليد قطبى عبد الصمد	السودان
٦ – سعد محمد قاسم	العراق
٧ – آمال محمد حمادة	مصر
٨ – محمد سعيد سلمانى	دبى
٩ – احمد حمامى	سوريا
١٠ – رياض محمد بوسفه .	تونس

استراحة الدوحة العدد ٧٨

٥ – لاقوياء الملاحظة فقط :
الحل : تليفزيون حقيبة يد نسائية – عقد – قبعة – قلم احمر شفاه .
الفائز : مبارك عبد الله مبارك
الدوحة – قطر

٦ – هات أجمل تعليق :
حتى تكونى على طيب خاطر .. اختارى منا واحد ..
الفائز : دحا محمد – المغرب .

٧ – لعبة الظلال :
الحل : رقم (٢) .
الفائز : حسين علي حسين حسان
الاسماعلية

ينبوع الشباب الدائم



ليس الشباب زمناً من أزمنة الحياة ، بل هو شعور فى النفس ، وتوقد الخيال ، ونشاط فى العواطف ، وإرباء الشجاعة على التهيب ، وغلبة شهوة المغامرة على حب الراحة .

وما من أحد يهدم لأنه عاش عدداً من السنين ، وانما يهدم الناس حين يهجرون مثلهم العليا جانباً . وكر السنين يترك الجلد مغضناً ، لكن ترك الحماسة يغضن الروح .

وسواء أكان المرء فى السبعين أم فى السادسة عشرة من عمره ، فلن يخلو قلبه من حب للعجيب الرائع ، ومن دهشة حلوة تساور النفس حين يرى النجوم وما يشبهها من الأشياء والأفكار ، ومن جرأة قاضية تتحدى خطوب الدهر ، ومن شوق كالذى يملأ قلوب الصغار رغبة فى معرفة الغيوب ، ومن بشاشة للحياة الزاخرة بالمرح والنضال . وأنت شاب بقدر ما أوتيت من ايمان ، وهرم بقدر ما منيت به من شك ، وصغير بمقدار ثقتك بنفسك ، وكهل بمقدار وجلك ، وفتى بحسب أملك ، وشيخ بحسب يأسك .

وما دام قلبك يتلقى رسالات الجمال ، والبشر ، والشجاعة ، والجلال ، والقوة ، من الأرض ، ومن الانسان ، فأنت شاب .

ومتى وهنت الأسباب التى بينك وبين الحياة ، وطهرت قلبك ثلوج التشاؤم والشك وقلة المبالاة ، فقد شخت حقاً !

عبد العظيم السعدنى (مصر)

كلمات لها معنى !

– لو كان العالم مسرحاً كما يقولون ، فما أتفه الروايات التى تمثل على خشبته

محمد زكي عبد القادر

– الحب كشجرة الورد .. كلما ذبلت زهرة انبثق برعم .

أحمد رامي

– ليتني طفلا لا يكبر أبداً .. فلا أنافق ولا أهادن ولا أكره أحداً .

جبران خليل جبران

– تتفتح بصائرنا أحياناً من خلال الأخطاء كما تتفتح الأزهار النابتة فى الأوحال .

توفيق الحكيم

أشرف محمود السيد – اسكندرية



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة: ووو

أصل وصورة





بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها . ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيري الساخر يعبر عنه مثل شعبي عربي .

هل تستطيع أن تعرف ماذا يقول المثل ؟ إذا عرفت (الجائزة ٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم!



● هذه لوحة لم تتم .. رسمها الفنان لكاتب عربي كبير ، رحل عنا ولكن عبقريته لم تزل تعيش معنا ..

حاول معرفة اسم الاديب الكبير ولك جائزة (٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. ؟؟

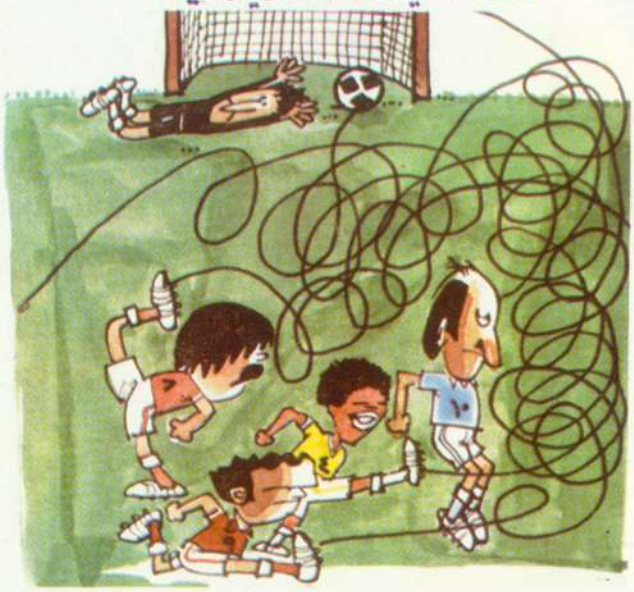
حاول .. وارسله إلينا .. لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست سيدات يشبهن فنانة الشعب ام كلثوم .. من بين هذه اللوحات الست واحدة فقط تشبهها تماما وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

دوري الكاريكاتير



● اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تعرف رقم فانلة صاحب الهدف .. بدون الاستعانة بالقلم او اصبعك .. إذا استطعت فجائزتك هى .. شهادة منا بانك قوي التركيز والملاحظة .. !!

لعبة الظلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال الثلاثة ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا) .

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ، تقدم البحوث الاصيلة والدراسات الميدانية والتطبيقية في شتى فروع العلوم الانسانية والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية .

تصدر عن جامعة الكويت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١

رئيس التحرير د. عبدالله العتيبي

مدير التحرير عبدالعزيز السيد

- تتناول المجلة الجوانب المختلفة للعلوم الانسانية والاجتماعية بما يخدم القاريء والمثقف والمتخصص .
- تعالج موضوعات المجلة الميادين التالية :

اللغويات النظرية والتطبيقية – الآداب والآداب المقارنة – الدراسات الفلسفية الدراسات النفسية – الدراسات الاجتماعية المتصلة بالعلوم الانسانية – الدراسات التاريخية – الدراسات الجغرافية – الدراسات التربوية – الدراسات حول الفنون (الموسيقى – التراث الشعبي – الفنون التشكيلية – النحت ... الخ) – الدراسات الاثارية (الاركيولوجية) .

- تقدم المجلة معالجاتها من خلال نشر :

البحوث والدراسات – مراجعات الكتب – التقارير العلمية – المناقشات الفكرية .

- مواعيد صدور المجلة : كانون ثاني – نيسان – تموز – تشرين أول .
- تنشر المجلة ملخصات للبحوث العربية بالانجليزية ، وملخصات بالعربية للبحوث الانجليزية .

ثمن العدد : للأفراد ٤٠٠ فلس

للطلاب ٢٠٠ فلس

الاشتراكات السنوية

	داخل الكويت	في الخارج
– للمؤسسات	١٠ د.ك.	٤٠ دولاراً أمريكيا
– للأفراد	٢ د.ك.	١٥ دولاراً أمريكيا
– للاساتذة والطلاب	١ د.ك.	١٠ دولارات أمريكية

- تقبل الاشتراكات في المجلة لمدة سنة أو عدة سنوات .
- قواعد النشر تطلب من رئيس التحرير .
- جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير :

ص.ب : ٢٦٥٨٥ (الصفاة)

الكويت – الشويخ – ت : ٨٢١٦٣٩ – ٨١٧٦٨٩ – ٨١٥٤٥٣



بيبسى

مشروب الجيل الصاعد



ظهور الإسلام.. من روائع الفنان الجزائري محمد راسم